وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة وهران 1

كلية العلوم الإنسانية والعلوم الإسلامية

قسم علوم الإعلام والاتصال

العمل الإنساني والاتصال الحديث

الخطاب والمقاصد

أطروحة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه في علوم الاعلام والاتصال

إعداد الطالب:

صوفي محمد

إشـــراف

أ.د. بن عمر يزلي

أعضاء لجنة المناقشة

أ.د. برقان محمد	أستاذ	جامعة وهران 1	رئيسا
أ.د. بن عمر يزلي	أستاذ	جامعة وهران 2	مشرفا
د.ة.تومي أم الخير	أستاذة محاضر أ	جامعة وهران 1	مناقشا
أ.د.عبد العزيز بن طرمول	أستاذ	جامعة وهران 2	مناقشا
د. بلعربي يحيى	أستاذة محاضر أ	جامعة وهران 1	مناقشا
د.غالم عبد الوهاب	أستاذة محاضر أ	جامعة مستغانم	مناقشا

السنة الجامعية: 2019/2018

كلمـــة شكـــر

الشكر لله تعالى على أن وفقني لإتمام هذا العمل، وأتقدم بأسمى عبارات الشكر والإمتنان والتقدير، إلى السيد الفاضل الأستاذ الدكتور **بن عمر يزلي**، الذي تفضل بالإشراف على هذا البحث وتحمل فضولي بصدر رحب.

الشكر الموصول أيضا إلى الأخ الفاضل الأستاذ الدكتور **بوعلي نصير** الذي لم يبخل علي بتوجيهاته القيمة، رغم بعد المسافة وضيق الوقت.

كما لا يفوتني أن أشكر أعضاء لجنة المناقشة على تفضلهم بقبول مناقشة هذه الأطروحة.

وإلى الأستاذ الفاضل والأخ المحترم الدكتور **عمر الزاوي** الذي مدّ لي يد المساعدة وكان نعم العون لنا في تذليل بعض الصعوبات، التي واجهتنا في إعداد هذا البحث.

الإهداء

إلى من أحمل اسمه بكل فخرٍ، إلى من تجرع الكأس فارغةً ليسقيني قطرةَ إيمانٍ وحبٍ، إلى من أهداني كتاب الله وأزاح من دربي الأشواك ليمهد لي طريق العلم،

إلى روح والدي الكريم.

إلى من حملتني كرهاً، وواجهت الأيام صبراً ورفعت الأيادي آناء الليل دعاءً

وشكراً إلى روح أمي

"وقل ربي أرحمهما كما ربياني صغيرا"

إلى أفراد أسرتي جميعا أهدي ثمرة جهدي

محمد

مقدمـــة

مقدمـــــة:

تطرح مسألة علاقة العمل الإنساني بالاتصال الحديث، جدلا قانونيا وأخلاقيا وفلسفيا واسعا في مجال الدراسات الاجتماعية والاستراتيجية، سمحت له من أن يتخذ أبعادا أخرى على المستوى التنظيري والمعرفي.

إن استفحال الظواهر الأمنية، وبروز تهديدات جديدة غير مألوفة، وسّعت من رقعة الصراع الدولي، واتسعت معها دائرة الخطر والتهديد بفعل حدة الأزمات المختلفة وكثرتها، ولعّل أخطرها على الإطلاق الحروب والنزاعات المسلحة.

ليست الحروب وحدها من تفتك بالإنسان وتهدد حياته، هناك أيضا أزمات أخرى مصدرها الطبيعة، فالزلازل والفيضانات والأوبئة والجفاف... تشكل بدورها خطرا دائما على أمن الإنسان وممتلكاته.

تشير الإحصائيات الأخيرة أن حوالي 250 مليون فرد يشكلون سنويا ضحايا الأزمات الإنسانية سواء أكانت كوارث طبيعية أو أزمات سياسية.

إن التصدي للأخطار والاستجابة لمختلف الأزمات ظل على مرّ الزمان هاجسا حقيقيا يؤرق الدول والمجتمعات في البحث عن إجابات شافية وسعت بدورها من دائرة النقاش حول الظاهرة الإنسانية الحديثة التي أصبحت تدريجيا في مقدمة اهتمامات وأولويات المجتمع الدولي، وبالتالي بدأ العمل الإنساني يأخذ منحنا تصاعديا متسارعا ضمن فضاء الاتصال لاسيما مع منتصف القرن الحالي، حيث تحول من مجرد ممارسة فطرية قديمة عرفتها المجتمعات البشرية في شكل أعمال تضامنية جوارية على مستوى الحي والعائلة والمحيط القريب إلى نشاط إنساني أكثر نضجا في التعبير عن التضامن وقت الحاجة، ومن ثم إلى ظاهرة متفردة تطرح اليوم كمسألة إنسانية بالغة التعقيد.

ولعل الأمر يزداد تعقيدا وخطورة بفعل انتشار ظاهرة العولمة والتطور اللافت لتكنولوجيا الإعلام والاتصال التي ساهمت في بلورة العمل الإنساني وانتشاره، حيث قرّبت المسافات

بين الشعوب والأفراد، وطوّرت من أساليب التدخل، والدعم، والإغاثة، حتى في أكثر بؤر الصراع تعقيدا.

إن فضل وسائل الإعلام على العمل الإنساني حقيقة ثابتة ومؤكدة انطلاقا من مبادئه الأساسية في نقل المعلومة والتصدي للشائعات وتحسيس الرأي العام بخطورة الوضع، وكشف الانتهاكات، ورفع مستوى الوعي في التكفل بالضحايا وإغاثة المتضررين...الخ، كل ذلك سمح للعمل الإنساني من أن يتخذ بعدا عالميا أرست أسسه بسرعة الاستجابة الإعلامية التي وفرتها التقنيات الحديثة للإعلام والاتصال.

لقد بدا واضحا من البدايات الأولى للعمل الإنساني حاجته الملحة إلى من يسمع صوته وينقل صورته، حيث ظل النشاط الخيري لسنوات طويلة غائبا أو مغيّبا، ولم تتعدّ أخباره وفي أحسن الظروف حدود فضاء الكارثة، قبل أن تتّدخل وسائل الإعلام كفاعل أساسي حاسم في إدارة الأزمات، ليتخذ البعد الإعلامي أهميته المتزايدة في فضاء الأزمة المتسمة دوما بالتوتر، والغموض، والحاجة إلى المعلومة لمعرفة ما يحدث.

وتثير علاقة العمل الإنساني بالإعلام على مدى سنوات طويلة تساؤلات مختلفة حول طبيعة العلاقة التي تربط كلا النشاطين (الإعلامي والإنساني) وهل هي علاقة تكامل أو تنافس أو علاقة تبعية؟

يعتقد أغلب الباحثين أن الخطاب الإعلامي لاسيما البصري (الذي يعتمد على الصورة التلفزيونية) قد نقل العمل الإنساني من مجرد رهان أخلاقي يقتصر على تقديم المساعدة الإنسانية، إلى رهان استراتيجي ثابت، ومؤثر في العلاقات الدولية، تتولاه منظمات إنسانية متخصصة، ويفترض في تلك المنظمات أن تدير المسائل الإنسانية باحترافية ووفق المبادئ التي قام عليها العمل الإنساني، تماما مثلما يفترض في الخطاب الإعلامي التزامه بالقيم الأساسية التي قام عليها، لاسيما عند وضع كليهما على محك الواقع في فضاء الأزمة ، حيث تظهر تحديات ميدانية قد تؤثر على الأهداف الأساسية المراد تحقيقها.

لقد أصبح هذا الواقع الجديد محل تساؤلات عمّا إذا كان باستطاعة العمل الإنساني والعمل الإعلامي الوفاء للمبادئ الأساسية التي تحكمهما أم أنهما تخلّيا عنها تحت ضغوط وإكراهات الميدان.

على ضوء هذه التساؤلات التي أنتجها الواقع الجديد للعمل الإنساني وبرغبة ملحة لفهم جدلية العلاقة بين الإعلام والعمل الإنساني، تحاول هذه الدراسة مساءلة هذه العلاقة على ضوء التجاذبات لبعض التجارب الميدانية التي يفرزها منطق الأزمة، بما يضمن حصر العناصر المؤثرة في مضامين الخطاب الإعلامي ضمن بيئة الصراع بين الثابت والمتغير.

الفصل المنهجي

أولا: إشكالية الدراسة

في الأوقات الصعبة والمعقدة، كأوقات الأزمات والكوارث والحروب يجد رجال الإعلام أنفسهم جنبا إلى جنب مع الإنسانيين في مهمة يفترض أن تكون تكاملية وهي تحقيق صالح الضحايا بالرصد الإنساني للمعاناة الفعلية بمناطق النزاعات وصولا إلى غاية مشتركة هي خدمة الحقيقة، حقيقة الأوضاع الإنسانية المترتبة عن الانتهاكات والتجاوزات التي تقع، غير أن مؤثرات التطور التكنولوجي فرضت على العمل الإنساني والعمل الإعلامي تحديات جديدة أنتجت بدورها بيئة مخالفة تماما لما ظل يميز طريقة تعامل الإعلام مع المسائل الإنسانية المطروحة، وقد برزت معضلات أخلاقية جوهرية وضعت كل من الإعلام والعمل الإنساني على المحك، حيث أثيرت نقاشات عديدة حول مدى تطابق المبادئ الأخلاقية النظرية مع الممارسة الفعلية في الميدان.

نحاول في هذه الدراسة أن نبحث في طبيعة العلاقة التي تربط العمل الإعلامي بالعمل الإنساني مع محاولة رصد وتحديد العوامل التي تتحكم فعليا في النشاطين الاتصالي والإنساني في أوقات الأزمات والكوارث، مستندين في ذلك إلى النتائج المتحصل عليها في بحثنا الخاص برسالة الماجستير المتضمن أهمية ودور الإعلام التلفزي في إدارة الكوارث الطبيعية، وعلى ضوء المشروع الاتصالي والإنجازات التي تحققت في مجال العمل الإنساني، والتي تمثل محطة نوعية في مسار الاتصال من جانب وفي صناعة القيم الإنسانية الجديدة من جانب آخر، وبناءًا على ذلك، يمكن أن نطرح التساؤل التالي:

ما بنية المعنى التي يعتمد عليها المشروع الاتصالي في تعامله مع القضايا الإنسانية؟ وما هو دور الفعل الإنساني في الارتقاء بالفعل الاتصالي حتى يثبت هويته الجديدة ذات العلاقة بالقيم الإنسانية؟

وتتفرع عن هذه الاشكالية الرئيسة مجموعة من التساؤلات الجزئية التي نحاول الإجابة عليها في ثنايا هذا البحث وهي:

- **ما طبيعة العلاقة التي تربط العمل الانساني بالعمل الإعلامي؟ وهل هي علاقة تكامل أو تنافس أو علاقة تبعية؟**
- **ما هو الدور الذي يلعبه الاعلام الحديث في نقل العمل الإنساني من مجرد رهان أخلاقي إلى رهان استراتيجي مؤثر وفعال؟**

ثانيا: فرضيات الدراسة

بناءًا على التساؤل المطروح، ترتكز الدراسة على الفرضيات التالية:

- **الفرضية الأولى:**

قد يتعامل الاتصال الحديث مع العمل الإنساني، من منطلق إعطاء الأولوية للأبعاد الأخلاقية، اعتبارا لمبدأ الضرورة الإنسانية، التي تنص عليه القوانين والمواثيق الدولية.

- **الفرضية الثانية:**

في تعامله مع الواقع الإنساني، قد يعمد الاتصال الحديث على تغليب الأبعاد السياسية والعسكرية للحروب والأزمات على حساب البعد الأخلاقي للعمل الإنساني.

- **الفرضية الثالثة:**

قد يتعامل الاتصال الحديث مع المسائل الإنسانية وفق ما تقتضيه أحيانا الأهمية الجيوسياسية.

ثالثا: أهمية الدراسة

تكتسب الدراسة أهميتها من أهمية الموضوع نفسه، في ظل الاهتمام المتزايد بالمسائل الإنسانية، وبالنظر لتطور المتسارع لتكنولوجيا الاتصال والاهتمام الكبير للباحثين بالمكانة المتميزة التي تبوئها العمل الإنساني في فضاء الاتصال الحديث وتكمن أهمية الدراسة في مستويين هما:

- **الأهمية العلمية:** حيث يعتقد الباحث بناءً على ما توصل إليه أن الموضوع جدير بالدراسة والاهتمام أمام القصور الواضح في الدراسات والبحوث الأكاديمية لهذه الظاهرة، لاسيما البحوث العربية التي تقتصر حتى الآن في اعتقادنا على محاولات قليلة ترتكز في مجملها على نشاط المنظمات الإنسانية دونما ربط المسائل الإنسانية المطروحة بالفضاء الإعلامي على اعتبار أن المسألة المطروحة وبامتياز كظاهرة اتصالية بحتة.
- **الأهمية العملية:** إن موضوع العمل الإنساني في الاتصال الحديث وما يرافقه من اهتمام الباحثين في الدراسة العلمية الغربية التي تسعى لتحقيق تراكمات معرفية نظرية لا يزال في اعتقاد الباحث يلفه الكثير من الغموض في كثير من الجوانب المرتبطة بالممارسة الميدانية، فهو والحال هذه بحاجة إلى جهود فكرية إضافية تنير بعض القضايا الخفية، أو المخفية، والتي ترتبط كليا بالمسألة الإنسانية في العصر الحديث.

لدى استعرضنا للتراث العلمي المرتبط بموضوع الدراسة، اتضح لنا أن البحوث والدراسات الأكاديمية التي تناولت العمل الإنساني في الخطاب الإعلامي لا تزال تشّكل النزر القليل بالنظر لحساسية وخطورة الموضوع وعلاقته بالعمل الإنساني ودور المنظمات الإنسانية الدولية التي يتعاظم دورها يوما بعد يوم في عصرنا الحديث.

لا شك أن الموضوع المقترح في هذه الدراسة، يكتسي أهمية بالغة لأنه يرتبط بالإنسان أولا ثم بالبيئة التي ينشط ضمنها اجتماعيا، وتزداد أهمية الموضوع بالنظر لحجم وخطورة الأحداث والأزمات، وما يترتب عنها من مآسي إنسانية، يفترض للإعلام أن يقوم بالدور المنوط حيالها.

لقد لاحظنا كذلك أنه مع الندرة التي يتميز بها الموضوع في الدراسات العلمية باللغة العربية، تكثر بالمقابل وتتنوع المعالجة الإعلامية الظرفية الطارئة التي لا يمكن لها أن تفي الموضوع كامل حقه، مقارنة بحجم وخطورة الأبعاد التي اتخذتها الظاهرة الإنسانية المعاصرة في فضاء الإعلام والاتصال، حيث أصبح جليا هيمنة وسائل الإعلام الغربية

وتفوقها بشكل لافت في التعامل إعلاميا مع المسائل الإنسانية، سواء من خلال المنظمات المتخصصة (O.N.G) أو من خلال حركية المجتمع الدولي كليا.

إن المعالجة الإعلامية نفسها لم تعد كما يرى العديد من الباحثين، تتم ضمن نطاق خصائصها الطبيعية التي تحكمها المبادئ والمعايير الأخلاقية، بل برزت عناصر وعوامل أخرى سياسية وإيديولوجية التي تنطلق منها وسائل الإعلام الغربية المسخرة لهذه المهمة، وبالتالي فإن الموضوعات والقضايا المطروحة في السياق ذاته تحكمها متغيرات اجتماعية وثقافية واقتصادية معينة، فضلا عن المعايير المهنية التي تتبناها هذه الوسيلة الإعلامية أو تلك.

بناء على ذلك تتبلور المشكلة البحثية في دراسة خطاب ومقاصد الإعلام في تناوله للمسائل الإنسانية الراهنة، وما هي العوامل التي تتحكم في الظاهرة الاتصالية في تعاملها مع الواقع الإنساني الجديد أمام غياب أو ندرة عملية التنظير ضمن هذا الحقل المعرفي الهام.

من المؤكد أن الإلمام بكل جوانب الموضوع صعب التحقيق، ولا ندعي ذلك، حسبنا من هذا الجهد المتواضع أن تساهم في تقديم إضافة تساهم في توجيه الباحثين مستقبلا نحو هذا الموضوع الذي ما فتئ يستقطب اهتمام الباحثين في حقل الاعلام والاتصال الحديث.

رابعا: أهداف الدراسة

تهدف هذه الدراسة إلى:

- وصف وتحليل الواقع الجديد الذي يتبوأه العمل الإنساني في العصر الحديث، وكذا جدلية العلاقة التي تربطه بالمنظومة الاتصالية الحديثة في ظل إفرازات العولمة الإعلامية.
- الوصول إلى تحديد إلى أي مدى يمكن للعمل الإنساني والعمل الإعلامي أن يحافظا على المبادئ التأسيسية التي ظلت تحكم النشاطين.
- تقديم إضافات لما تحقق حتى الآن من دراسات وبحوث تناولت الظاهرة.

خامسا: أسباب اختيار الموضوع

يندرج اختيار هذا الموضوع ضمن سياق تجربة ميدانية لثلاثة عقود في مجال الإعلام التلفزي، من خلال تجربة مهنية سمحت لنا من الاطلاع على واقع بعض الأزمات الإنسانية محلية ودولية قرّبتنا من فهم كيفية إدارة أزمة إعلاميا.

وقد ارتأينا أن يكون موضوع الدراسة امتدادا لعمل بحثي خاص بشهادة الماجستير حول الإعلام وإدارة الأزمات، إضافة إلى أن إتمام متطلبات مساق دراسي حول إعلام الأزمات وهو في اعتقاد الباحث وثيق الصلة بقضايا العمل الإنساني والإعلام الحديث، على اعتبار أن كليهما يندرج ضمن نفس السياق، الأزمات الإنسانية وما يترتب عنها من مآسي تستلزم بالضرورة جهود إنسانية حثيثة لتجاوز آثارها.

سادسا: الدراسات السابقة

لا شك أن الاهتمام البالغ الذي أصبح يحظى به العمل الإنساني لدى الدول والحكومات والمنظمات الدولية وكذا وسائل الإعلام عجّلت بظهور دراسات وبحوث متخصصة تناولت المسائل الإنسانية بشكل عام، وعنت بموضوع العمل الإنساني ودور المنظمات الإنسانية في ترقية هذا النشاط.

ومن خلال تتبعنا لما تيّسر من هذه الدراسات سواء من خلال الكتب أو على مختلف المواقع البحثيه ومواقع الأنترنت، لاحظ الباحث عدم وجود دراسات فصّلت في موضوع الدراسة، إلا بما يمكن اعتباره مقاربات بحثية لا تلتقي مع حيثيات الدارسة إلا من خلال عناصر محددة ترتبط بشكل أو بآخر بمضمون البحث العمل الإنساني والاتصال الحديث، وبالتالي مكنتنا عملية البحث والتقصي في الدراسات السابقة التي تلامس الموضوع أو تقترب من محتواه، وبناء على ذلك جاءت نتائج الاطلاع على فحوى الدراسات السابقة كما يلي:

- دراسات تناولت المسألة الإنسانية من خلال دراسته وتحليل دور المنظمات غير الحكومية في تفعيل العمل الإنساني.

- دراسات ركزت على دور الإعلام في إدارة الأزمات والكوارث الطبيعية.
- دراسات تطرقت إلى دور الإعلام الجديد في تناول إدارة النزاعات الدولية.

وعلى العكس من ذلك لاحظ الباحث اهتماما بالغا بالمسألة في الدراسات الغربية وفي مقدمتها البحوث والدراسات الانجلوساكسية التي تنظر للمسائل الإنسانية وكظاهرة اتصالية بحتة.

1) الدراسات التي تناولت المسائل الإنسانية من خلال تحليل نشاط المنظمات الإنسانية الدولية ودورها في تطوير العمل الإنساني.

1- **رسالة ماجستير للطالبة إدري صفية**: دور المنظمات الدولية غير الحكومية في تفعيل مضامين الأمن الإنساني، جامعة باتنة (2012-2011).

تناولت الدراسة المنظمات غير الحكومية وطبيعة الدور الذي تلعبه في تحقيق الأمن الإنساني من خلال عملية التأثير التي تلجأ إليها تلك المنظمات في التأثير على الرأي العام وتوجيهه، وللوصول إلى تحقيق أهداف الدراسة طرحت الباحثة الإشكالية التالية: ما حدود كفاءة الآليات التي تعتمدها المنظمات الدولية غير الحكومية في تفعيل مضامين الأمن الإنساني؟ وقصد تحقيق الإجابة المرجوة صاغت الباحثة الفرضيات التالية:

أ- يعمل اتساع مفهوم الأمن الإنساني وتنوع الأبعاد المشكلة له على الحد من قدرة المنظمات الدولية غير الحكومية في تحويله إلى أطر عملية.

ب- كلما كان هناك تنوع ومرونة أكبر في آليات عمل المنظمات الدولية غير الحكومية كلما زادت فرص وممكنات تفعيل الأمن الإنساني وخلصت الدراسة إلى أن كفاءة المنظمات الدولية غير الحكومية في تفعيلها للأمن الإنساني مرهون بقدرتها على تجاوز التحديات، وضمان توفير الأرضية الملائمة والمتطلبات الأساسية التي تعزز دورها بتوظيف مفاهيم التخطيط الاستراتيجي وضمان المسألة والشرعية المنظماتية.

2- **رسالة ماجستير للطالبة أسماء مرايسي بعنوان:** إدارة المنظمات الدولية غير الحكومية لقضايا حقوق الإنسان، دراسة حالة منظمة العفو الدولية، جامعة باتنة، (2012-2011).

ركزت الدراسة على عنصرين رئيسيين هما إدارة المنظمات الدولية غير الحكومية والدور الذي تضطلع به تلك المنظمات في مجال حقوق الإنسان بالتركيز على منظمة العفو الدولية، وتهدف هذه الدراسة التي اعتمدت منهجيا على مدخل تحليل النظم ومدخل الشبكة إلى إبراز التحديات التي تواجهها المنظمات الدولية غير الحكومية وأثرها على أدائها الإداري، وقصد تحقيق أهداف الدراسة انطلقت الباحثة من التساؤل التالي: إلى أي مدى تلعب المنظمات الدولية غير الحكومية دورا في إدارة قضايا حقوق الإنسان وما أهم العوائق التي تواجهها في ذلك، وبعد تحليل الظاهرة وعلاقتها بالمحيط وكذا الدور الذي أصبحت تلعبه كفاعل جديد في العلاقات الدولية، خلصت الدراسة إلى أن هذه المنظمات تلاقي صعوبات وعوائق ميدانية، منها موقف الدول من نشاطها، وكذلك فهي تعيش حالات تصادمية، مما يعيق كثيرا إدارة قضايا حقوق الإنسان بسبب طبيعة نشاطها، وكذا غياب الشفافية في كثير من العناصر أهمها مصادر تمويل المنظمات وكذا ازدواجية المعايير في التعامل مع القضايا الدولية المطروحة، ولن يتسنى لتلك المنظمات تجاوز هذه الصعوبات إلا بتوفر بعض الشروط الموضوعية منها:

- التركيز على وجود ثقافة تنظيمية قادرة على صهر مختلف الفروقات وهو ما يعرف بإدارة التعدد الثقافي في المنظمات الدولية.
- لابد على المنظمات الدولية غير الحكومية أن تحسن قدراتها على إدارة القضايا ولن يتم ذلك إلا بزيادة مستويات الديمقراطية التي تضمن لها مصداقية أكبر في تبني المبادئ التي تحكم نشاطها.
- تعزيز دور الرقابة والمشاركة والمحاسبة داخل المنظمة الدولية غير الحكومية.
- تحرير قدرات المنظمات الدولية غير الحكومية على التمويل الذاتي الذي من شأنه أن يقلص حجم الضغوطات التي تتعرض لها من جراء قبول التمويل الخارجي.
- الاستخدام الفعال لوسائط الإعلام من أجل نشر ثقافة العمل التطوعي.

2) دراسات تناولت المسألة الإنسانية من خلال دراسة وتحليل دور الإعلام في إدارة الأزمات الدولية:

أ- **دراسة أحمد ربيعي**: الخطاب الإعلامي وإدارة الأزمات السياسية الدولية.

في هذه الدراسة التحليلية أخضع الباحث الأزمة العراقية لشرح دقيق لمختلف مراحل هذه الأزمة الدولية وكيف تم التعامل معها إعلاميا عن طريق الخطابات الإعلامية المرافقة لهذا الحدث ولدى تطرقه للقواعد التي يستند إليها علم إدارة الأزمات السياسية الدولية يوضح الباحث أن لكل أزمة خصائصها وحيثياتها، وبالتالي فهي تقتضي تكييفات خاصة للتعامل معها من الناحية الإعلامية، حيث كشفت الدراسة أن مصطلح الخطاب وإن كان لا يثير أي إشكالية دلالية في ثقافتنا الموروثة بل أعطته دلالة واضحة، إلا أن اجتذابه إلى حقل جديد خارج حقول نشأته وتحميله دلالات غريبة حوله إلى عملية اتصالية يتم من خلالها نقل رسائل الى جمهور كبير وغير متجانس وغير معروف بهدف التأثير عليه وليس مجرد إرسال رسائل.

ب- دراسة بعنوان: الجوانب الإنسانية لسير عمل المنظمات الدولية أثناء النزاعات المسلحة، اللجنة الدولية للصليب الأحمر نموذجا، أطروحة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه في العلوم القانونية، تخصص قانون دولي إنساني إعداد الباحثة: بن عمران إنصاف، سنة 2013-2014 جامعة حاج لخضر، باتنة، عالجت الباحثة الموضوع في بابين، بحيث تناولت في الباب الأول: المنظمات الدولية كآليات لتنفيذ قواعد القانون الدولي الإنساني وفي الباب الثاني تطرقت الباحثة إلى اللجنة الدولية للصليب الأحمر وعملها أثناء النزاعات المسلحة.

من أهم ما توصلت إليه الباحثة أن المنظمات الدولية بنوعيها الحكومية وغير الحكومية، برغم ما تمتلكه من آليات والتدابير التي يمكن الاعتماد عليها في تطبيق القانون الدولي الإنساني، ومن ثم حقوق الإنسان زمن النزاعات الدولية وغير الدولية، إلا أن هذه الآليات لا تحترم مبادئ العمل الإنساني من حيادية وموضوعية، وبالتالي فهي تساهم مساهمة مباشرة في زيادة حجم الانتهاكات الجسيمة لقواعد القانون الدولي الإنساني.

وبالرغم من كثرة العهود والمواثيق الدولية الخاصة بقواعد القانون الدولي الإنساني، لم يتمكن المجتمع الدولي حتى الآن من وضع آليات القانون فاعلة ونشيطة تحمل كل الدول على تنفيذ تعهداتها، كما أن الاعتبارات السياسية كثيرا ما عطلته أو أعاقت عمل أجهزة الأمم المتحدة والمحاكم الدولية، وأن قرار حماية الضحايا أثناء النزاعات المسلحة يتخذ دائما

لخدمة مصالح الدول القوية بسبب ازدواجية المعايير وتوحي الدراسة في النهاية إلى ضرورة تطوير قواعد قانون الدولي الإنساني بما يتناسب مع وقف النزاعات المسلحة المعاصرة كالإرهاب، وضرورة توسيع صلاحيات وسلطات المنظمة الدولية لتعزيز مبدأ الحياد ولاستقلالية المنظمات.

3) المقالات:

المساعدات الإنسانية، دراسة في ضوء القانون الدولي الإنساني، حيدر قدموم عبد العلي، قاسم مدحي حمزة، مجلة المحقق المحلي للعلوم القانونية والسياسية، العدد الثالث، السنة الثامنة، 2006.

تطرق البحث إلى دراسة المساعدات الإنسانية في أوقات النزاعات المسلحة الدولية وغير الدولية من حيث تعريفها وشروحها والمبادئ التي تحكمها وقد تم تقسيم البحث إلى مقدمة وثلاثة مباحث وخاتمة، تضمن المبحث الأول المساعدات الإنسانية وتميزها عن باقي المفاهيم المتشابهة، وضمّن المبحث الثاني شروط المساعدات الدولية الإنسانية في حين تضمن المبحث الثالث المبادئ التي تحكم المساعدات الإنسانية وخلص البحث بالتوصل إلى بعض النتائج أهمها:

- إن المساعدات الإنسانية تعكس تطور التضامن الدولي لارتباطها الوثيق بالسلم والأمن الدولي.
- يتوقف تقديم المساعدات الإنسانية على قبول الدولة المعنية احتراما لسيادتها وامتثالا لقرارات الأمم المتحدة.
- تمثل المبادئ التي تحكم المساعدات الإنسانية القيود السياسية التي تفرض على كل من يقدم تلك المساعدات الالتزام بالمبادئ لضمان استمراريتها.

سابعا: مفاهيم الدراسة

العمل الإنساني:

يثبت الواقع أن مفهوم العمل الإنساني بات من المفاهيم الأكثر تداولا في العصر الحالي، لقد اتسع حجمه ونطاقه وتنامت أهميته منذ مرحلة ما بعد الحرب الباردة ليصبح في صميم اهتمامات الدول والحكومات والمنظمات الدولية ووسائل الإعلام، وبالتالي لم يعد العمل الإنساني في ذلك النشاط الذي اقتصر على إغاثة من هم في حالة خطر أو بحاجة إلى مساعدة إنسانية جراء التهديدات التي تهدد حياة الإنسان وممتلكاته.

يعرف قاموس"*Robret*" العمل الإنساني بأنه:" هو كل شيء يستهدف الإنسانية بالخير"[1].

ويقدم المعجم الانجليزي "*Oxford*" التعريف التالي: "هو الأخذ بعين الاعتبار مصالح الإنسانية بشكل عام"[2].

العمل الإنساني في المعجم الصغير "*le Petit Larousse*" هو: "مجموع المنظمات الإنسانية والأنشطة التي تقوم بها"[3].

تحصر محكمة العدل الدولية تعريف العمل الإنساني في: "تقديم المساعدات بالغذاء، الدواء، واللباس، في مواجهة الدعم بالتسلح والذخيرة والوسائل التي من شأنها أن تتسبب في خسائر مادية أو بشرية"[4].

كما يعترف روني برومان "*Rony Brauman*" بصعوبة تقديم تعريف لمفهوم العمل الإنساني، لكنه يرى أنه:" يستهدف بدون شك وبدون أي تمييز وبالوسائل السلمية، الحفاظ على الحياة في إطار الاحترام والكرامة وتقوي الإنسان داخل قدراته للاختيار"[5].

لعل التعريف الذي يقدمه مايكل بارنيت للمفهوم هو الأكثر تفصيلا وشرحا لماهية العمل الإنساني، حيث يرى الباحث أن العمل الإنساني هو: "ذلك النشاط الهادف إلى تقديم المساعدة والإغاثة للأفراد الذين يواجهون خطرا يهدد حياتهم، وهو عمل لا تحكمه عوامل المصلحة

---

[1]Ryfmant**, La Question Humanitaire et Ellipses**, 1999, P15.
[2] Ryfmant,Ibid , P 15.
[3]Ryfmant, P 17.
[4]Ryfmant, P 17.
[5]Ryfmant, P 17**.**

السياسية، حيث أن أغراضه ذات طبيعة إنسانية خالصة، ويقوم على مجموعة من المبادئ المتمثلة في مبدأ الإنسانية والنزاهة والحيادية والاستقلالية..."[1].

في الدراسات العربية، نادرا ما يوظف مصطلح العمل الإنساني عند تناول المسائل الإنسانية، حيث لاحظنا الإصرار على توظيف مصطلح العمل الخيري أو العمل التطوعي في كل الدراسات والبحوث التي قدمت حول العمل الإنساني وجهود المساعدة والدعم أثناء فترات الأزمة.

يعتبر بعض الباحثين العرب أن:" مصطلح العمل الإنساني مرادف لمصطلح العمل الخيري التطوعي، وبينهما عموم وخصوص...وتشترك كافة أشكال العمل الخيري بكل مسمياته: "الإنساني أو الإغاثي أو التطوعي بأنه " بذل جهد مدروس، بدون أجر،...وأن عمل الخير أهم من التطوع، وأن التطوع لا يكون للعمل الخيري، فالتطوع ما هو إلا وسيلة والخير هو الغاية، والعمل الاغاثي يعني إنقاذ الناس من الكوارث والمصائب، والعمل الإنساني يُعنى بنفع الناس في حياتهم في كافة المجالات، وكل هذه المسميات تدخل تحت مسمى العمل الخيري، الذي يشمل كل عمل نافع، سواء وقع هذا النفع على الإنسان أو الحيوان"[2].

أ) بين العمل الإنساني والإغاثة الإنسانية:

الإغاثة الإنسانية كما يعرفها "موريس طوريلي" Maurice Torelli"هي الخدمات الصحية أو المواد الغذائية أو المساعدات المقدمة من الخارج لضحايا أي نزاع دولي أو داخلي"[3]، ومع أن مفهوم الإغاثة أوسع بكثير منها ما ورد في التعريف لأننا نتجاوز في نظرنا الجوانب المادية لترتقي إلى ما هو أشمل من ذلك لأنها ترتبط في جوهرها بإنقاذ حياة

---

[1] سعيد طه، **العمل الإنساني في مرحلة ما بعد الحرب الباردة**، تلخيص دراسة للباحث مايكل بريست، تاريخ النشر www.google.dz/amp/s/tsaidali.wordpress.com 2016/04/13 تاريخ التصفح، 2015/05/12 سا 9:45.

[2] عبد المحسن عبد الله الجار الله الخرافي، **مفهوم وتاريخ العمل الإنساني**، الكويت، مركز التطوير والتدريب للإتحاد العالمي للمؤسسات الإنسانية، www.aou.edu.uploads تاريخ النشر جانفي 2018، تاريخ التصفح، أفريل 2018 سا 13.

[3] محمد حمد عبد الحميد، **أهداف الإغاثة الإنسانية في ميزان المقاصد التشريعية**،www.arbu.edu.yo تاريخ التصفح: 2018/06/02، سا:13

إنسان في حاجة إلى دعم مادي ونفسي مركز هدفه تجاوز الآثار النفسية التي تولدت عن الأزمة بمختلف أنواعها، وبالتالي فإن نشاط يتصف بطابع الديمومة والاستمرارية وله تداعيات على الآثار والنتائج التي تترتب عن الموقف الازموي بغض النظر عن طبيعة الأزمة نفسها.

ب) بين العمل الاجتماعي والعمل الإنساني:

العمل الاجتماعي:" هو علم متعدد التخصصات الاجتماعية ومجال واسع الدراسات التي تدرس سلوك الإنسان والنظم الاجتماعية، ويشمل الرعاية الاجتماعية والسياسية وعلم النفس والتنمية البشرية والآداب العامة والأخلاق وتنمية المجتمع كل هذا من خلال التعامل مع الناس ومساعدتهم والتعامل مع قضايا الفقر ومختلف الآفات الاجتماعية، وبالتالي فهو مجموع الأعمال التي تهدف إلى النهوض بالأوضاع الاجتماعية والاقتصادية للأفراد وتنمية الأساليب الحياتية الخاصة بهم، ويهدف مباشرة إلى تحقيق وضمان العدالة الاجتماعية داخل المجتمع"[1].

وللعمل الاجتماعي أبعاد متعددة منها:

- **البعد الإصلاحي:** لأنه يؤدي مهاما وقائية وعلاجية للمجتمع، وينشد تحقيق الرفاهية والأمن الاجتماعي.
- **البعد التطوعي:** فهو العمل على تقوية الروابط الاجتماعية عن طريق تحقيق التعاون والتكافل الاجتماعي لمواجهة التغيرات الاجتماعية والاقتصادية والثقافية تحقيقا لحاجات المجتمع ومصالح الأفراد، فهو والحال هذه فضاء رحب لمحاربة الحقوق والواجبات وبالتالي الانتماء إلى المجتمع.
- **البعد الخيري:** إن العمل الاجتماعي الخيري هو سلوك إنساني يحقق منافع مادية ومعنوية ضمن تضامن اجتماعي بين الأفراد، وبدون السعي إلى تحقيق مكاسب شخصية لأنه يعتمد على السلوك الطوعي الخالص.

[1] محمد فراق، **"أحوال الدول والمجتمعات"، "العمل الاجتماعي"**، مقالات المجتمع البشري، www.ahwadoalwalmogtmat.blog

وبالتالي فإن العمل الإنساني هو يشكل أحد أبعاد الإنسانية للعمل الاجتماعي الذي هو اعم وأشمل من العمل الإنساني.

يتضح من التعاريف التي قدمت لمفهوم العمل الإنساني والمفاهيم القريبة منه أن المصطلح أخضع لعديد المقاربات، يتخذ بعضها شكلا قانونيا عندما يرتبط بالحقوق الإنسانية والقوانين التي تحميها، ويأخذ أحيانا بعدا أخلاقيا عندما ينظر إليه من زاوية المبادئ والأساليب التي يقوم عليها، وفي الغالب يأخذ مفهوم العمل الإنساني بعدا اجتماعيا اعتبارا للسياقات الاجتماعية غير المختلفة التي يوظف ضمنها، ولعل هذه الأسباب مجتمعة هي التي جعلت عديد الباحثين يترددون في تقديم تعاريف موحدة للعمل الإنساني بسبب التعقيد الذي يشوب المفهوم، لذا وجب الأخذ بعين الاعتبار بان مفهوم العمل الإنساني يشمل تداخل مفاهيم وقيم ضمن العملية التراتبية لأنه يرتبط أصلا بعناصر متعددة **هي:** الحركة **le mouvement**، الفاعل **Acteur** ، المتدخل **opérateur**، الوقت **le temps**، الفضاء الإنساني، **espace humanitaire** ، المستفيد **le bénéficiaire** ، طبيعة الدعم **l'assistance et la nature de celle-ci**، مرجعية القيم **les références des valeurs**، احترام المبادئ الأخلاقية وأخلاقية العمل الإنساني **le respect des principes Déontologiques et de règle éthique**[1].

ويقصد الباحث بالعمل الإنساني في هذه الدراسة هو ذلك النشاط الاجتماعي الذي يقوم على مبادئ أخلاقية مشتركة بين الإنسانية والذي يرتبط بالواقع الازموي تؤديه منظمات مختصة هي المنظمات الإنسانية غير الحكومية "O.N.G" التي يفترض فيها تقديم المساعدة وتغيث المتضررين من مختلف الأزمات الإنسانية التي تقع.

ج) الاتصال الحديث:

لعلّ مصطلح "الاتصال الحديث" توحي بوجود اتصال تقليدي، وهذه مسلمة ثابتة في عديد الدراسات التنظيرية التي تناولت الظاهرة الاتصالية في مختلف المراحل التاريخية.

[1]Zsuzsa anna terevcy, **les ONG humanitaire leur financement et les medias**, Nice centre international de formation européenne, Juni, 2015, P11.

إن محاولة دراسة وتحليل ماهية الاتصال الحديث، لا تلاقي الإجماع لدى الباحثين في حقل الإعلام والاتصال، بسبب حداثة المفهوم وتعدد اتجاهات البحوث والدراسات التي تناولت الظاهرة الاتصالية التي تتداخل مع مفاهيم أخرى، ترتبط أساسا بالسياسة والاقتصاد والجغرافيا السياسية وتكنولوجيا الإعلام والمعلوماتية..لذلك يوصف الاتصال دوما " بالعلم الموجود في كافة العلوم المجاورة"، كل هذه العوامل مجتمعة صعبت من مهمة تقديم تعريف موحد لمفهوم "الاتصال" ومن ثم "الاتصال الحديث".

وسنحاول في هذه الدراسة تحديد مفهوم الاتصال الحديث بالوقوف عند أهم التعاريف التي قدمت، وكذا رصد أهم المعايير التي يرتكز عليها المفهوم كمظهر جديد ضمن دراسات علوم الإعلام والاتصال.

"الاتصال" في اللغة: من الوصل والصلة، والوصل ضد الهجر، وقد ورد في لسان العرب لابن منظور:" الاتصال والوصلة، أي ما اتصل بشيء أي وصل، وصلت الشيء وصلاً وصلة"[1] وهو المعنى القديم لكلمة اتصال كما يؤكد ذلك زهير إحدادن:" المعنى القديم الذي كانت تحمله كلمة اتصال هو الوصل والبلوغ، وأما معناه العصري فهو مأخوذ من اللغتين الفرنسية والانجليزية اللتان تستعملان لفظا واحدا للدلالة عليه وهي كلمة "**Communication**" وهي كلمة ذات معاني كثيرة يقابلها في اللغة العربية عدة مصطلحات منها المواصلات، البلوغ، الاتصال"[2].

"الاتصال" اصطلاحا: كلمة اتصال هي ترجمة لكلمة "**Communication**" اكتشفه من اللاتينية "**Communica**" التي تعني النشر ونقل المعلومة أو خبر من مرسل إلى متلقي بواسطة قناة"[3].

وتختلف تعاريف الاتصال وتتعدد تبعا للغايات والأهداف وكذلك وفق تباين السلوكات الاتصالية للأفراد التي تكون موضعا لتأكيده واهتمامه.

---

[1] ابن منظور، **لسان العرب**، دار الفكر العربي، الجزء السادس، بيروت، ص 936.
[2] زهير إحدادن، **مدخل لعلوم الإعلام والاتصال**، ديوان المطبوعات الجامعية، ط 4، 2007، ص 09.
[3] زهير إحدادن، المرجع نفسه ، ص 10.

لذلك سنكتفي بالتركيز على ماهية الاتصال من حيث الوسائل المستعملة في العملية التواصلية، حيث يقسم الباحثون الاتصال إلى نوعين أساسين هما:

1- **وسائل اتصال قديمة**: تشمل كل الوسائل المتاحة التي من شأنها أن تسهل عملية الاتصال كاللغة والصوت والإشارة.

وبناءا على ذلك يعرف الاتصال بأنه:" العلم الذي يعنى بتبادل المعاني بين الأفراد عبر نظام مشترك من الرموز".

2- **وسائل اتصال حديثة:** وهي التي بدأت بظهور الطباعة والتلغراف، ثم دخلت عصر الراديو والسينما والتلفزيون وبروز ظاهرة الثورة التكنولوجية في عصر الاتصال الحديث بظهور وسائل الاتصال الالكترونية، وهناك من الباحثين من يوظف مصطلح الثورة في سرد مختلف المراحل التي مرّ بها الاتصال الإنساني، حيث يرى أن الظاهرة عرفت خمس ثورات متعاقبة هي[1]:

- **الثورة الأولى:**بدأت بتطوير اللغة باختراع الحروف الأبجدية التي مكنت الإنسان من نقل المعلومات جيلا بعد جيل ودخوله عصر الكتابة.
- **الثورة الثانية:** وتبدأ باختراع المطبعة وما أحدثته من تغيير على مستوى سرعة ونوعية السلوك الاتصالي للإنسان، وقد مهدّ هذا الاختراع لدخول مرحلة أخرى من مراحل الحضارة الإنسانية.
- **الثورة الثالثة**: بدأت بعصر الاتصال الجماهيري باستخدام وسائل الاتصال الالكترونية الذي مهدّ بدوره لعهد جديد غاية في التمييز وهو ما يصفه الباحثون بالثورة الرابعة.
- **الثورة الرابعة:** لقد تحققت الثورة الرابعة في مجال الاتصال الإنساني بفضل الاختراعات الرائعة التي عرفتها تكنولوجيا الإعلام والاتصال التي أصبحت أكثر قدرة على تلبية حاجيات الإنسان عبر مناطق نائية من العالم.
- **الثورة الخامسة:** وهي المرحلة التي لا تزال متواصلة إلى حد الآن، وبناءا على ذلك يمكن تقديم التعاريف التالية لمفهوم الاتصال الحديث.

[1] عصام سليماني الموسى، **مدخل في الاتصال الجماهيري**، إثراء للنشر والتوزيع، ط 6، الأردن، 2009، ص 19.

يعرف قاموس التكنولوجيا الرفيعة "**High-Teght-Dictionary**" الإعلام الجديد بأنه:" اندماج الكمبيوتر وشبكات الكومبيوتر والوسائط المتعددة"[1] ، ويرى جونز "**Jones**" أنه:" مصطلح يستخدم لوصف إشكال من الاتصال الالكتروني أصبح ممكنا باستخدام الكمبيوتر كمقابل الإعلام القديم الذي يشمل الصحافة المكتوبة من جرائد ومجلات والتلفزيون والراديو إلى حد ما وغيرها من الوسائل الساكنة **static**..."[2].

وتعتبر كلية "شريدان" التكنولوجية "**Charidan**" "الإعلام الجديد كل أنواع الإعلام الرقمي الذي يقدم في شكل رقمي وتفاعلي، وهناك حالتين تميز بها القديم عن الجديد حول الكيفية التي تم بها بث مادة الإعلام والكيفية التي يتم من خلالها الوصول إلى خدماته، فهو يعتمد على اندماج النص والصورة والفيديو والصوت مع بضعها البعض، فضلا عن استخدام الكمبيوتر كآلية رئيسية له في عملية الإنتاج والعرض، أما التفاعلية فهي تمثل الفارق الرئيسي التي تميزه وهي من أهم سماته، على ذلك يمكن تقسيم الإعلام الجديد إلى الأنساق الأربعة التالية:

- الإعلام الجديد القائم على شبكة "الانترنت" "**On Line**" وتطبيقاته وهو جديد كليا بصفات ومميزات غير مسبوقة وهو ينمو بسرعة تولدت عنها مجموعة من تطبيقات لا حصر لها.
- الإعلام الجديد القائم على الأجهزة المحمولة، كما في ذلك من أنواع جديدة من التطبيقات على الأدوات المحمولة المختلفة ومنها أجهزة الهاتف والمساعدات الرقمية الشخصية وغيرها.
- نوع على منصة الوسائل التقليدية مثل الراديو والتلفزيون التي أضيفت اليها ميزات جديدة مثل التفاعلية والرقمية والاستجابة للطلب.
- الإعلام جديد القائم على منصة الكمبيوتر"**Offggne**"..."[3].

---

[1] عباس مصطفى صادق، **الإعلام الجديد، دراسة في مداخلة النظرية وخصائصها العامة**، www.sife.iugazaedu.ps تاريخ النشر: مارس 2012، تاريخ الاطلاع: 06 مارس 2017 سا 11.

[2] Steve Jones, **Encyclopedia of media :and essential reference to communication and technology sage publication.**

[3] عباس مصطفى صادق، **الإعلام الجديد، دراسة في مداخلة النظرية وخصائصها العامة**، مرجع سابق، ص 202.

وجاء في الموسوعة الحرة أن الإعلام الجديد:" مصطلح حديث يتضاد مع الإعلام التقليدي، كون الإعلام الجديد لم يعد له نخبة متحكمة أو قادة إعلاميين بل أصبح متاحا لجميع شرائح المجتمع وأفراده للدخول فيه واستخدامه والاستفادة منه طالما تمكنوا وأجادوا أدواته"[1].

بينما يرى فهد عبد الرحمان الشميري بأنه:" العملية الاتصالية الناتجة عن اندماج ثلاثة عناصر هي الكمبيوتر، الشبكات والوسائط المتعددة"[2].

وفي نفس السياق تندرج رؤى "جيماسي ارليكليد" "**J.CR.Licleder**" التي أطلقت عليها تسمية"**man.coputer.symbiosis**"والتي ساهمت في تطوير أسس فكرية تفاعلية بين الإنسان والكمبيوتر وهو التفاعل الذي أنتج حالة الإعلام الجديد التي نعيشها اليوم.

وعلى ضوء البحوث التطبيقية التي قدمها عديد الباحثين بدأت ملامح الإعلام الجديد تتضح من خلال عمليات التنظير التي ركزت على النموذج الإنساني الصاعد ولعل من أبرز هؤلاء الباحثين " نيكولاس نيغروبونتي **N.Negroponte**" الذي طرح أهم الخصائص التي يستمد منها الإعلام الجديد مقارنة بالإعلام التقليدي وذلك من خلال:" استبدال لوحدات أحادية الرقمية بأدوات رئيسية في حمل المعلومات التي يتم توصيلها في شكل الكتروني وليس في شكل فيزيائي"[3].

كما حاول "فين كروسبي""**Vin Grosbie**" تحقيق إضافات ملموسة للبحوث السابقة عندما لجأ إلى مقارنة الإعلام الجديد بالأعلام التقليدي من خلال النماذج الاتصالية الكلاسيكية يتلخص القول أن الإعلام الجديد" يتميز من خلال الوسائل الفردية التي يمكن أن تصل في وقت واحد إلى عدد غير محدود من البشر وأن كل واحد من هؤلاء البشر له نفس درجة السيطرة ونفس درجة الإسهام المتبادل في هذه الرسالة".

---

[1] الموسوعة الحرة،**مفهوم الإعلام الجديد**، ص 2.
[2] فهد عبد الرحمن الشميري، **التربية الإعلامية**، ط1، مصر، دار اقرأ الدولية، 2011، ص 122.
[3]Nicholas Negro ponte Being Digital, Publisher vintage, USA,1996,P37.

يثير مصطلح الاتصال الحديث جدلا ظاهرا وتباينا في وجهات النظر حول تعريف المفهوم بسبب الواقع الجديد الذي فرضه تعميم استخدام التكنولوجيا الحديثة التي فتحت على العالم آفاق لا حدود لها، حيث مست في جوهرها أشكال ومضامين العملية الاتصالية ككل وفي سياق التحولات ذاتها يتركز النقاش حول الدور الوظيفي والاستراتيجي الذي أصبح يؤديه الاتصال الجديد في مجال الصراعات والمصالح الجيوستراتيجية للدول.

ولأن الظاهرة الاتصالية في ذاتها تكتسب بصفة طبيعية سمات العصر الذي تولد فيه وتتأثر بسماته وخصائصه، فإن العالم اليوم يشهد تقدما مشهودا وغير مسبوق في ظل ما أنتجته تكنولوجيا الإعلام والاتصال، لقد أفرزت نمطا إعلاميا جديدا يصفة الباحثون بإعلام عصر المعلومات الذي ظهر بفعل تمازج ظاهرتين اجتماعيتين ميزتا العصر الجديد هما ظاهرة "تفجر المعلومات""**L'explosion de la Communication**"•، و"ظاهرة الاتصالات عن بعد" "**Télécommunication**" ، واللتان بفضلهما يشهد العالم انفجار اتصاليا مذهلا وثورة تكنولوجية، وألغى الحواجز والحدود بين الأفراد والمجتمعات، وسمحت للجميع من الولوج إلى منطق الآنية والفورية عبر أصقاع العالم بسرعة لا تضاهى، وتجدر الإشارة في هذا المقام إلى أن هناك من الباحثين من يستعمل لفظ الإعلام الجديد بدل الاتصال الحديث، وأحيانا يحدث العكس، ويبرر هذا التوظيف للمفاهيم بما يعتبره بعض الباحثين إشكالية المعنى، بحيث يتم التعامل أحيانا كمرادفين يعوض أحدهما الآخر، بينما يرى البعض الآخر أن علاقة الإعلام بالاتصال لم تعد نفسها في ظل عولمة المفاهيم التي أفرزت واقعا جديدا تداخلت فيه الأشكال بالمضامين، ولم يعد بالإمكان الفصل بين مجالات عديدة من ضمنها الإعلام والاتصال، وقد أصبحت المادة الإعلامية خاصة المرئية منها قطعة من الاستعراض والترفيه والتمشهد على حساب القيم الإخبارية المتعرف عليها، وهكذا أصبح يطلق تسمية "الإعلام الجديد" على الطريقة الاتصالية الناتجة عن اندماج تقنيات

•**تفجر المعلومات: l'explosion de l'information:** يشير مصطلح اتساع المجال الذي تعمل فيه المعلومات ليشمل مجالات النشاط الإنساني إذا تحول إنتاج المعلومات إلى صناعة لها سوق كبير يختلف كثيرا عن باقي الأسواق المعروفة، ولعل من أهم سمات هذه الظاهرة إمكانية النشر والتعديل والعرض والتحميل عبر شبكات الحاسوبية، والقدرة على الجمع بين النص والصورة والحركة وعروض الفيديو والوسائط المتعددة وانتشار المكتبات الالكترونية التي تضم في قرص صغير رما تضمه مكتبات صغيرة، ويكيبيديا، عصر المعلومات، http//:ar.m.wikipedia.org . تاريخ التصفح 2017/01/16 سا 22.

الاتصال الحديثة ومن" ثم تعددت التسميات تبعا لتعدد تطبيقات التكنولوجيا الرقمية بحيث ظهرت مفاهيم "الإعلام العصري"،"الإعلام الرقمي"، الإعلام التفاعلي"،"الإعلام الشبكي"و"إعلام الوسائط المتعددة".

وأما هذا الواقع وتشابك وتداخل المفهومين (الإعلام والاتصال) هناك من الباحثين من حاول إيجاد حل توافقي يطرحه مصطلحا جديدا هو "الاتصال الإعلامي الحديث"••.

ومن التسمية التي نراها الأقرب إلى مضمون الدراسة التي توظف مفهوم الاتصال الحديث الذي نقصد به ذلك نوع من الإعلام الذي استفاد من التكنولوجيا الحديثة للاتصال ليوظفها في التعامل مع المسائل الإنسانية المرتبطة بالأحداث الكبرى ذات الطابع الاستعجالي والاستثنائي كالأزمات الدولية وكيفية تعاطي الخطاب الإعلامي التلفزي معها ضمن منظومة الاتصال الحديث.

وبالتالي فإن بحثنا يأخذ بمفهوم الاعلام الخارجي (الدولي) الذي يعرف بانه "جهود مقصودة تحاول نشر الأفكار والآراء لمعتقدات بين جماهير الدول الأخرى ليجعلها تعتنق وتتبنى وتؤمن أو تتعاطى مع قضايا الدولة القائمة بالاتصال الدولي"[1].

د) المنظمات غير الحكومية:

يرتبط ظهور المنظمات الدولية غير الحكومية ارتباطا وثيقا بفكرة التنظيم التي لجأت إليها دول العالم بدافع الحاجة إلى التعاون والتنسيق الذي يكفل الحقوق ويدافع عن المصالح ويحفظ السيادة ويضمن فعالية أكبر لنشاط الهيئات والمنظمات الدولية.

لقد كان للتحولات العميقة التي شهدها المجتمع الدولي بعد نهاية الحرب البادرة تأثيراتها المباشرة على العلاقات الدولية، حيث أفرز العهد الجديد مفاهيم جديدة غيرت طبيعة النظام

•• وردت التسمية في كتاب جديد لكل من ريتشارد فوكس وجيفر راموس، تحت عنوان حول الأثير الثورة الاتصالية الإعلامية على السياسة في الولايات المتحدة الأمريكية بفضل الخصائص التي أصبح Ipolitics يتمتع بها الاتصال الحديث من كوكبية وفورية والكفاءة البالغة والأبعاد الجديدة التي اكتسبها أهمها البعد الشخصي وهي أربع خصائص تميز الاتصال الإعلامي للحرب كما ورد في الكتاب لمعرفة المزيد ينظر:www.google.dz/amp/s/www.albayan.ae عرض ومناقشة محمد الخولي، تاريخ النشر 2018، تاريخ التصفح 2018/04/10 سا 12

[1] أحمد بدر، **الإعلام الدولي، دراسات في الاتصال والدعاية الدولية**، مكتب غريب، القاهرة، 1987، ص 20.

الدولي مع بروز تحديات أمنية أفضت إلى أنواع غير مألوفة من مظاهر الصراع ليتجاوز الصورة التقليدية التي رسمتها الدول والحكومات، وبالتالي لم يعد مبدأ تحصين الحدود وتنمية القدرات العسكرية قادرا لوحده على استجابة لتداعيات المرحلة الجديدة، مما يستوجب البحث عن فواعل جديدة تم إشراكها في تفعيل الأمن الإنساني بآلية جديدة والتكفل بقضايا الإنسان وانشغالاته في مختلف مناحي الحياة، فظهرت كيانات جديدة تتمثل جزء من أعباء المجتمع الدولي منها المنظمات الغير حكومية كطرف مهم وفاعل في العلاقات الدولية.

المنظمة الغير حكومية يقابلها باللغة الفرنسية "**ONG**"وباللغة الانجليزية"**NGOS**".

لقد أطلقت تسمية المنظمة غير الحكومية لأول مرة بمناسبة تأسيس "منظمة الأمم المتحدة""**ONU**"، ولكن ظهورها كما تشير إلى ذلك بعض الدراسات يعود إلى سنة 1617، وهذا ما يؤكد أن التسمية سبقت الهوية بحوالي أربعة قرون•.

وقد أثار مصطلح منظمات "غير حكومية" جدلا فقهيا واسعا حول الصفة القانونية التي تتمتع بها هذه المنظمات في مقابل صلاحيات الدولة وحقها في ممارسة سيادتها كاملة، وقد كان لهذا العامل تداعيات على علاقة المنظمات غير الحكومية بالدول والحكومات كما سنوضح ذلك لاحقا.

ولمعرفة ماهية المنظمات غير الحكومية، نقدم أهم التعاريف الواردة مع الإشارة إلى أنه تم اعتماد معايير مختلفة في وصف المفهوم، تبعا لتنوع نشاطات هذه المنظمات الإنسانية.

وفق وثائق الأمم المتحدة الصادرة سنة 1944تمثل المنظمات غير الحكومية: "كيانا غير هادف للربح، وأعضاؤه مواطنون أو جماعة من المواطنين ينتمون إلى دولة واحدة أو أكثر،

• تعتبر منظمة الأصدقاء كوكاس التي ظهرت سنة 1624م أقدم منظمة ذات طابع ديني هدفها تقديم المساعدات الإنسانية، وهي مجموعة من المسيحيين البروتستانت نشأت في القرن 17 بإنجلترا على يد جورد فوكس، ويطلق عليها أيضا تسمية الصاحبيون الذين عرفوا برفضهم للحرب، جمعية الأصدقاء الدينية، www.armwikipedia.org تاريخ النشر، 2013/02/16، تاريخ التصفح، 2016/03/12، سا 23:06.

وتتحدد أنشطتهم بفعل الإدارة الجماعية لأعضائها استجابة لحاجات عضو واحد أو أكثر من الجماعات التي تتعاون معها المنظمات غير الحكومية"[1].

وبقدم البنك الدولي التعريف التالي للمنظمة غير الحكومية: "هي مؤسسات وجماعات متنوعة الاهتمام، إما مستقلة كليا أو جزئيا عن الحكومات، تتسم بالعمل الإنساني والتعاوني وليس لها أهدافا تجارية"[2].

حددّت منظمة اليونسكو مفهوم المنظمة بأنها:" كل منظمة دولية لم تنشأ عن طريق اتفاق بين الحكومات وتتسم أهدافها ووظائفها بطابع غير حكومي وتضم نسبة كبيرة من المجموعات أو الأفراد كأعضاء منضمين من بلاد متعددة وتتوافر لها هيئة إدارية لها تكوين دولي"[3].

يعتبر المجلس الأوروبي أن"**NGOS**":" هي كل مؤسسة خاصة أو جمعية تنطبق عليها الشروط التالية:

- يجب أن يكون هدفها ليس الكسب أو الربح وذات فائدة دولية على أن تمارس عملها على الأقل في دولتين.
- أن تكون قد أنشئت في دولة ما، وبالتالي تصبح خاضعة للقانون الداخلي لهذه الدولة، أي أنه حتى تبدأ المنظمة عملها يتوجب عليها الحصول على موافقة الدولة التي تحتوي على مقرها العام حسب القوانين الداخلية لهذه الدولة، وتخضع بالتالي لسلطتها"[4].

وبالإضافة إلى هذه التعاريف الصادرة عن بعض المنظمات الدولية والتي ركزت في مجملها على ثلاثة عناصر هي:

---

[1] نجوى سمك والسيد صدقي عابدين، **المنظمات غير الحكومية في ظل العولمة، الخبرتان المصرية واليابانية**، مركز الدراسات الأسيوية،القاهرة، 2001، ص 48.

[2] موقع من نحن www.ingo.accounteability/charter.org تاريخ النشر 2009/04/18، تاريخ التصفح، 2016/07/17، سا 16.

[3] عمر سعد الله، أحمد **بن ناصر، قانون المجتمع الدولي،الجزائر**، ديوان المطبوعات الجامعية ، ط4، 2017 ، ص 314.

[4] مليكة عياد، **دور ومكانة المنظمات غير الحكومية في العلاقات الدولية**، رسالة دكتوراه، كلية العلوم السياسية والإعلام، قسم العلوم السياسية والعلاقات الدولية، 2002-2003، ص 39-40.

- **الطابع غير الحكومي للمنظمة**: وهو ما يميزها عن طريق المنظمات الحكومية.
- **الطابع غير الربحي:** لا تمارس أي نشاط تجاري هدفه الكسب.
- **الطابع غير السياسي:** ليس لديها طموح في السلطة.

هناك تعاريف أخرى للمنظمات غير الحكومية وردت من باحثين وفقهاء القانون منها:

يعرف "جوزيف ناي" المنظمة غير الحكومية بأنها:" منظمات وطنية لا تنتمي لحكومة ما، وهي تعبير عن الوعي العالمي والرأي العام العالمي حيث تقوم بالضغط على الحكومات من أجل تغيير سياساتها"[1].

وعلى نفس المنوال يصفها "نيكولاس بولتيس **Nicolas politis**" بأنها:

تتوفر على العناصر التالية[2]:

- أن تكون منبثقة عن المبادئ الخاصة.
- أن تكون دولية في تركيبها.
- أن لا تسعى لتحقيق الربح.

ويقدم محمود خلف التعريف التالي:" هي تلك المنظمات المكونة من ممثلين خاصين أي أفراد أو جماعات أو حتى كيانات خاصة مستقلة عن الحكومات الوطنية"[3].

ويعتبر "مارسال مول" **"M.merle"** المنظمة غير الحكومية، كل جمعية أو حركة مكونة بصفة دائمة من طرف خواص منتمين لدول مختلفة لمتابعة أهداف غير الربح والكسب"[4].

ويلاحظ من خلال التعاريف التي وردت، سواء أكانت من منظمات وهيئات دولية أو من باحثين مهتمين بالموضوع أنها تشترك جميعها أو جلّها في توصيف المنظمات غير الحكومية

---

[1] فؤاد جدو، **دور المنظمات غير الحكومية في النزاعات الدولية، نموذج منظمة أطباء بلا حدود**، مذكرة ماجستير، جامعة محمد خيضر، كلية الحقوق والعلوم السياسية، قسم العلوم السياسية والعلاقات الدولية، 2009-2010، ص63.

[2] Nicolas Politis, **les conditions juridiques des associations internationales**, Paris, 1993, P 465

[3] سعيد عبد المسيح شحاتة، **دور NGOS على الصعيد الدولي، الحاضر والمستقبل**، المجلة السياسية الدولية، العدد 119، 1995، ص 22.

[4] Michael Yaziji and Jonathan doh, **NGO and corporation: conflict and collaboration**, new York, Cambridge university press, 2009, P04.

اعتبارا لثلاثة عناصر مشتركة هي، عنصر الطواعية في أداء عملها، واستقلالها عن أي انتماء وأن نشاطها ذو طابع إنساني لا يهدف لتحقيق الربح.

ولعّل التعريف الذي يقدمه **"PAUL Streeten"** هو في اعتقادنا الأكثر تفصيلا ووضوحا في تحديد ماهية المنظمة حيث يرى أن :" المنظمات غير الحكومية أو المنظمات الطوعية هي عبارة عن منظمات غير ربحية بعضها ديني والبعض الآخر منها علماني، بعضها محلي والبعض الآخر أجنبي، وبعضها منظمات مهنية، وأخرى غير مهنية، هدف هذه المنظمات الرئيسي هو المساهمة في الحد من المعاناة البشرية والتنمية في البلدان الفقيرة، وهي تشمل الجمعيات الأهلية والتعاونيات، المجموعات، الكنيسة، النقابات، الجماعات البيئية، الجمعيات الاستهلاكية، الجمعيات النسائية، الاتحادات الانتمائية، الاتحادات الفلاحية، فضلا عن المنظمات الدولية الكبرى مثل المنظمة العفو الدولية، منظمة أوكسفام، أصدقاء الأرض اللتان تشكلان جزء من المجتمع الوطني والعالمي"[1].

وتأخذ الدراسة بالتعريف الذي أفرده**"Thomas Terarv"** الذي يعتبر المنظمات غير الحكومية :" كل الجماعات الضاغطة الناشطة على المستوى الدولي والتي لا تتخذ الربح ولا العنف كوسيلة لها على التوالي، وهي تسعى وراء أهداف عامة وتبحث للتأثير على مخرجات السياسة الدولية..." لأنه في اعتقادنا الأقرب إلى مضمون الدراسة التي تخوض في تفاصيل العمل الإنساني الذي تتولاه منظمات دولية غير حكومية متخصصة في المسائل الإنسانية في بؤر الصراع المختلفة ضمن سياقات جغرافية معروفة وبأهداف محددة سلفا.

ه) الخطاب الإعلامي:

الخطاب لغة: من الفعل الثلاثي خطب بمعنى تكلم وتحدث، والخَطْبُ: الشأن أو الأمر، صَغُرَ أو عَظُمَ يقال ما خطبك، أي ما أمرك، وتقول: هذا خطب جليل وخطب يسير،

[1] http://www.inf.org.streeten,l'inportance du développement humain, 1996.

والخطب هو الأمر الذي تقع فيه المخاطبة والشأن والمال ومنهم قولهم: جل الخطب أي عظم الأمر والشأن"[1].

الخطاب اصطلاحا: هو كل ملفوظ يندرج تحت نظام اللغة وقوانينها فهو نص، وإذا ما خرج ليندرج تحت السياقات الاجتماعية سمي خطابا، فالخطاب إذن يضطلع بمهمة توصيل رسالة[2].

يعرف مفهوم **الخطاب اصطلاحا** بأنه:" مجموعة متناسقة ومترابطة من الجمل والأقوال، تحمل في سياقاتها معلومات ومعاني تهّم المتلقي أو المرسل إليه ويعرف كذلك بأنه: فعل كلامي يهدف إلى التأثير على المتلقي"[3].

يصف عديد الباحثين مفهوم الخطاب بأنه من المفاهيم الصعبة نظرا لتعدد مرجعياته ومجالات توظيفه، بحيث يأخذ معناه الاصطلاحي من الحقل المعرفي الذي ينتمي إليه، حيث نتكلم عن الخطاب الأدبي، الخطاب السياسي، الخطاب الديني، الخطاب الإعلامي،...لذلك فهو يفتقد لعنصر الدقة في تحديد ماهيته نتيجة الغموض الذي يكتنفه.

الخطاب عند "بنفيست" "Benveniste" "كل تلفظ يفترض متحدثا أو مستمعا يكون للطرف الأول فيه التأثير في الطرف الثاني بشكل من الأشكال"[4].

الملاحظ على هذا التعريف أنه يرتكز في تعريفه للمفهوم على عملية التأثير وهو نفس ما يذهب إليه "تودوروف" "Todrouf" في تعريفه عندما يصفه بأنه:" أي منطوق أو فعل كلامي يفترض وجود راوي ومستمع، وفي بنية الراوي التأثير على المستمع بنية ما"[5].

---

[1] محمد مصابيح، **مفهوم النص والخطاب**، www.mashiri.net تاريخ النشر 2009/02/06، تاريخ التصفح: 2015/03/18.

[2] محمد مصابيح، **مفهوم النص والخطاب**،مرجع سابق.

[3] محمد الباردي، **الخطاب في الدراسة العربية الحديثة**، مركز النشر الجماعي، تونس، 2004، ص 01.

[4] محمد الباردي، **الخطاب في الدراسة العربية الحديثة**، م س، ص 01.

[5] قاموس المعاني، **ما مفهوم تحليل الخطاب**، www.almaany.com تاريخ النشر:2013/11/24، تاريخ التصفح: 2018/03/14، سا 23.

في حين هناك من الباحثين من يركز في تعريفه لمفهوم الخطاب على بنية الخطاب ذاتها، وهو ما ذهب إليه "مشيال فوكو" "M.Foucaut" حيث يصفه الخطاب بأنه: "النصوص والأقوال كما تعطي مجموع كلماتها، ونظام بنائها وبنيتها المنطقية أو تنظيمها البنائي"[1]

عند الباحثين العرب المهتمين باللغة، يأخذ لفظ الخطاب أبعادا دلالية متعددة إلى درجة الإلتباس، حيث يقول أحد الفلاسفة العرب "لن نبالغ كثيرا إذ قلنا إنّ لفظ الخطاب هو أكثر الألفاظ تداولا في الخطاب العربي المعاصر...وطبيعي أن يلحق اللفظ العياء فيفتقد كل دلالاته أو على الأقل لا يعود يعني شيئا"[2].

وتأتي الدراسات التي قدمها الجابري في نظر عديد النقاد في مقدمة الدراسات التي تطرقت لمفهوم الخطاب، وأخرجته من "دائرة الدراسات التقنية إلى حيز الدراسات الاجتماعية والأيديولوجية، يرى "الجابري" أن الخطاب " هو بناء من الأفكار إذا تعلق الأمر بوجهة نظر يعبر عنها تعبيرا استدلاليا، وإلا فهو أحاسيس ومشاعر، فن أو شعر يحمل وجهة نظر أو هو هذه الوجهة"[3].

لقد أدت محاولة تقديم تعريف شامل لمفهوم الخطاب من الناحية اللغوية إلى الوقوع في نوع من الخلط بين المفهوم وبين بعض المفاهيم القريبة مثل مفهوم النص، ومفهوم الكلام اللذين يوصف بأنهما من "الجيران الأقربين" للخطاب، حيث يعتبر النص وحده معقدة من الخطاب "فإذا كان عالم النص هو الموازي المعرفي للمعلومات المنقولة والمنشطة بعد الاقتران في الذاكرة من خلال استعمال النص، فإن عالم الخطاب هو جملة أحداث الخطاب ذات العلاقة المشتركة في جماعة لغوية أو مجتمع ما".[4] مع أن كلا المفهومين يشكلان أداتين لإنتاج المعرفة الإنسانية، إلا أن الخطاب أعّم وأشمل، وهو ما يذهب إليه الجابري عندما

---

[1] الزواوي بغورة، **مفهوم الخطاب في فلسفة ميشل فوكو**، المجلس الأعلى للثقافة، 200، ط1، ص 32.

[2] جمعان عبد الكريم، **مفهوم الخطاب في الدراسات اللغوية والنقدية**، www.alquds.co.uk تاريخ النشر: 2007/09/30، تاريخ التصفح: 2015/09/09.

[3] مهبول الوداد، **مفهوم الخطاب** www.startimes.com تاريخ النشر: 2013/07/02، تاريخ التصفح: 2015/09/09، سا: 23:00

[4] الخطاب وأنواعه، **الخطاب بين المفهوم والاصطلاح**، www.maamri-ilm2010.y007.com تاريخ النشر: 2011/01/12، تاريخ التصفح: 2015/09/10، سا: 11:00.

يربط النص بالخطاب، فالنص في مفهومه رسالة من كاتب إلى قارئ، فهو خطاب وبالتالي هو وسيلة ذو اتصال بين مرسل ومستقبل.

لقد شكل مفهوم الخطاب ولا يزال محور اهتمام الباحثين، حيث تتعدد وتتشعب الدراسات بمضامين مختلفة، جعلت من إشكالية الخطاب مسألة جوهرية في فهم العملية الاتصالية سواء على المستوى اللغوي المرتبط بالكلام أو غير اللغوي المرتبط بالسياق.

وتتعدد أنواع الخطاب وفق العلوم والمعارف الإنسانية وتبعا لمعايير تصنيفه، حيث يفرق الباحثون بين أنواع كثرة من الخطابات، فهناك الخطاب العلمي والخطاب الأدبي والخطاب الديني، وهنالك كذلك الخطاب الإعلامي وهو ما يهمنا في هذه الدراسة.

بعدما عمدنا إلى تحديد مفهوم الخطاب لغةً واصطلاحاً، وقدمنا أهم التعاريف، سنركز بطبيعة الحال على مفهوم الخطاب الإعلامي لأنه يدخل في صميم دراستنا.

يعرف أحمد العاقد الخطاب الإعلامي بأنه:" مجموع الأنشطة الإعلامية التواصلية الجماهيرية، التقارير الإخبارية، الافتتاحيات، البرامج التلفزية، المواد الاذاعية وغيرها من الخطابات النوعية"[1].

ويقدم "ابرير بشير" التعريف التالي لمفهوم الخطاب الإعلامي:" هو منتوج اخباري منوع في إطار بنية ثقافية محددة، وهو شكل من أشكال التواصل الفعال في المجتمع له قدرة كبيرة على التأثير على المتلقي، وإعادة تشكيل وعيه، ورسم رؤاه المستقبلية، وبلورة رأيه بحسب الوسائط التي يستعملها والمرتكزات المعرفية التي يصدر عنها"[2].

الخطاب الإعلامي:" صناعة ثقافية، إذ يتم نقل صورة واقعية لما يحدث في الواقع ونقل الأخبار الدقيقة، وكذا التحليلات الموضوعية للأخبار ومختلف وجهات النظر عبر هذا

---

[1] با يوسف، دراسات إعلامية: **سيمولوجية النص والخطاب**، www.ostadabayoucef.blogspet.com تاريخ النشر: الخميس 23 ماي 2013، تاريخ التصفح: 16 أوت 2016 ، سا 15:00.

[2] بشير ابريل، **استثمار علوم اللغة في تحليل الخطاب الإعلامي**، مجلة اللغة العربية، العدد 23، دار الخلدونية للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، ص 14.

الخطاب الذي يعدّ التعبير الموضوعي عن عقلية الجماهير وروحها، وميولها، واتجاهاتها في نفس الوقت"[1].

تتعدد أنواع الخطاب الإعلامي تبعا للوسيلة التي يستعملها فقد يكون شفويا أو مكتوبا أو مسموعا ومرئيا، كما يتنوع الخطاب الإعلامي كذلك وفق طبيعة الرسالة المراد تبليغها، حيث يتم التمييز بين:

- الخطاب الاشهاري.
- الخطاب الصحفي.
- الخطاب السياسي.

و) الخطاب الإعلامي البصري:

يحيلنا مفهوم الخطاب الإعلامي البصري إلى ذلك النوع من الخطاب الذي يتخذ من الصورة لغة تواصل وأحد أهم الوسائط الأكثر ثراءاً في عملية التبليغ، فالخطاب الإعلامي كما أشير إليه، يمارس وظيفته التأثيرية الاقناعية، بحسب الوسائط التقنية التي يوظفها، والمرتكزات التي يصدر عنها، لما لتلك الوسائط من قدرة وفعالية في تحقيق مآلات ومسارات الخطاب الإعلامي.

وبالتالي فإن الخوض في ماهية وخصوصية الخطاب البصري، معناه الانتقال من المستوى تبليغي إلى مستوى آخر، حيث نتجاوز مستوى النص واللغة التلفظية إلى المستوى الايقوني، عندئذ تحلّ الصورة محلّ النص المنطوق، أو المكتوب، كمكون معياري من مكونات السلطة الاقناعية للخطاب البصري، لأن الصورة في حد ذاتها سلطة لما تمتلكه من طاقات تعبيرية خلاقة، وبلاغة إقناع عالية التأثير، ولعل من سمات العصر الذي نعيشه هو انتشار الصور بشكل غير مسبوق، حيث أصبح ثابتا أننا نعيش عصرا ثقافيا جديدا في صفاته وخصوصياته تبسط فيه الصورة سلطتها على القيم والأخلاق والسلوك والعلاقات

[1] بلقاسم دفة، **استراتيجية الخطاب الحجاجي، دراسة تداولية في الإرسالية الاشهارية العربية**، مجلة الخب، أبحاث في اللغة والأدب العربي، 2004، ص 514.

والعواطف، والأذواق والقناعات لدرجة أنّ التفكير خارج إطار الصورة غير ممكن أو كما يقول أرسطو (التفكير مستحيل من دون صور)[1].

ولعل الثورة التكنولوجية في عالم الاتصال ساهمت إلى حد كبير في تحولات عميقة على مستوى بنية المشهد الاتصالي العالمي، حيث أصبح ثابتا أننا نعيش عصرا ثقافيا جديدا في صفاته وخصوصياته تبسط فيه الصورة سطلتها لتصبح أهم الوسائط المعرفية والثقافية، وبالتالي فنحن أمام ظاهرة جديدة ومتجددة منظمة ومعقدة، أكثر من ذلك إنها ظاهرة كثيرة الحركة والتغير، فهي لا تعرف التوقف، بل لا تعطي حتى الانطباع أنها سوف تتوقف يوما، لكي تسمح للباحثين والمهتمين بالظاهرة الاتصالية من التقاط النفس، ومن ثم فهم وتفسير الظاهرة، ولعّل الصعوبات المنهجية والمعرفية التي يصادفها الباحثون، إنما تأتي من هذا التحول العميق في المفاهيم بفعل ثورة الاتصالات الإنسانية المحكومة بفعل سطوة ثلاثية (التسارع، الآنية، المؤقتية)[2] على حد تعبير **"Alvin Toffler"**.

الخطاب الإعلامي:" هو نسق سيميائي دال قابل للقراءة والتأويل عابرا للتخصصات والمعارف المتعددة، موظفا ومستثمرا إياها حسب ما تقتضي الأوضاع"[3].

هناك من يعتبر الخطاب الإعلامي صناعة ثقافية تتداخل في إنتاجه وسائط متعددة، وهو بذلك يستعمل الكلمة المكتوبة (الصحافة) والكلمة المسموعة (الإذاعة) والصورة السمعية البصرية (التلفزيون) لتحقيق أهدافه،" فعلى الصعيد اللغوي يشمل جميع المستويات اللغوية التلفظية التي تطال النصوص في الصحف، والنصوص الإذاعية، والأشرطة التلفزية، وأما على الصعيد غير اللغوي، فتوجد الصورة وأنواعها، وطاقاتها التعبيرية، في أبعادها المختلفة المطبوعة والمرئية وما يصاحب ذلك أيضا من أنظمة واتساق غير لغوية بما في ذلك

1 ماجد فاض الزبون، **الإعلام وثقافة التفكيك**، https :books.google.dz، تاريخ النشر 2013، تاريخ التصفح:2017/02/23، سا:22:15

2 بوحنيفة قوي، **الاتصال ودمقرطة المسار السياسي، مجلة الاتصال والتنمية**، دار النهضة العربية، العدد 03، بيروت، لبنان، 2011.

3 رهانات الإعلام في **عالم متغير**، جريدة العلم، نوفمبر 2015.

الحركات الجسدية والأنساق الرمزية التي تشمل مكونات الأحداث الاحتفالية والاستعراضية"[1].

في الدراسات النقدية المعاصرة، يوصف الخطاب الإعلامي البصري بأنه: مجموعة من النصوص والممارسات الخاصة بإنتاج النصوص، وانتشارها، واستقبالها، مما يؤدي إلى فهم أو إنشاء الواقع الاجتماعي عن طريق استخدام اللغة، نطقا، أو كتابة أو من خلال النشاط السيميائي، مثل الصور، والرسوم البيانية، والاتصال غير الشفوي، كالإشارات والإيماءات الجسدية[2].

يرتكز الخطاب الإعلامي البصري على دعامتين هما اللغة المنطوقة، والصورة سواء أكانت متحركة أم ثابتة، وسواء اعتمد الخطاب على الجانب اللغوي أو على المستوى الايقوني، أي اعتمد على الصورة في تحقيق سلطته الاقناعية لتحقيق فعالية التأثير والإقناع، فإن التطور الحاصل في مجال صناعة الإعلام، حوّل الخطاب الإعلامي إلى ظاهرة اجتماعية جديرة بالاهتمام، وتأتي أهمية الخطاب الإعلامي بالدرجة الأولى من تعدد الخصائص التي يتمتع بها.

ز) الخطاب الإعلامي خطاب إقناعي تأثيري:

يقصد بالإقناع "عملية إيصال الأفكار، والاتجاهات، والقيم، والمعلومات، إما إيحاءا، أو تصريحا، عبر مراحل معينة، في ظل حضور شروط موضوعية وذاتية مساعدة، وعن طريق عملية الاتصال...في حين أن مصطلح التأثير يشير إلى الحالة التي يكون عليها المتفرج بعد التعرض لعملية الاقناع، واستقبال الرسائل، وتفاعله معها..."[3].

إن الخطاب المرسل يحمل عادة مضمونا، وله مقاصد مضبوطة، يحاول المتلقي فك رموزها، وإعادة تركيبها، ومحاولة تفسيرها وفق المكونات الخطابية على ضوء المعطيات

[1] بشير ابرير، **استثمار علوم اللغة في تحليل الخطاب الإعلامي**، مجلة اللغة العربية، ع 23، دار الخلدونية للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، ص 140.

[2] محمد شومان، **تحليل الخطاب الإعلامي، أطر نظرية ونماذج تطبيقية**، الدار المصرية اللبنانية، مصر، ط1، 2007، ص 25.

[3] عامر مصباح، **الاقناع الاجتماعي، خلفيته النظرية وآلياته العملية**، ديوان المطبوعات الجامعية، ط2، الجزائر، 2006، ص16-18.

الرمزية والتداولية للرسالة الإعلامية ولا تتحقق هذه العملية إلا إذا توفرت مجموعة من العناصر أهمها:

- العنصر الجمالي (جمالة النص والصورة).
- العنصر البلاغي.

إذا كانت الغاية الأساسية التي ينشدها الخطاب الإعلامي هي تحقيق تفاعل إيحائي مع المضمون لدى المتلقي ذلك "أن كل خطاب يسعى إلى إقناع من يتوجه إليه"[1] عن طريق توفر ما يسمى بالسمات الاقناعية في الخطاب أو الرسالة الموجهة، والتي يلخصها الدكتور محي الدين عبد الحليم في العناصر التالية:

- يجب أن يراعي في الرسالة أن تهتم أكبر عدد ممكن من الجماهير المستقبلة، وأن تشعر هذه الجماهير بحاجتها لموضوع الرسالة، وأن تعالج مشاكلهم وأن تتناول مختلف قضاياهم.
- يجب أن تُعدّ بما تتناسب والظروف الخاصة التي تحكم كل وسيلة.
- يجب مراعاة المستويات المختلفة للجمهور المستقبل للرسالة الإعلامية.
- يجب أن لا تأتي الرسالة متناقضة مع عادات المجتمع وتقاليده.
- يجب أن تتميز بالبساطة والوضوح..."[2].

وبناء على ما ورد من تعاريف لمفهوم الخطاب الإعلامي، وكذا أنواعه، فإن الباحث يأخذ إجرائيا بمفهوم الخطاب الإعلامي الذي يركز على التغطية الإخبارية للأحداث الكبرى التي تشغل الرأي العام الدولي كالأزمات والكوارث، ويتخذ من الصورة التلفزيونية دعامة أساسية في التبليغ بغرض التأثير، وتحقيق الأهداف المنشودة من العملية الاتصالية نفسها.

---

[1] محمد سالم محمد الأمين، **الحجاج في البلاغة المعاصرة، بحث في بلاغة النقد المعاصر**، دار الكتاب الجديد، ط1، لبنان، 2008، ص 181.

[2] محي الدين عبد الحليم، **الإعلام الإسلامي وتطبيقاته العملية**، ط2، القاهرة، مكتبة الخانجي، 1984، ص 34.

ثامنا: منهجية الدراسة

استخدم الباحث المنهج الوصفي التحليلي في التعامل مع ظاهرة التفاعل بين الإعلام في شكله الجديد وبين العمل الإنساني عبر مختلف المراحل التي مرّ بها مركزا على البعد الاتصالي للظاهرة الإنسانية، وقد اعتمد الباحث على رصد أهم العناصر التي تتحكم في الظاهرة، مع محاولة التشخيص الدقيق للواقع الجديد التي آلت اليه المسائل الإنسانية على ضوء المعالجات الإعلامية من الناحية الكمية بتوضيح حيثيات الظاهرة وخصائصها وكذا حجمها ودرجة ارتباطها مع الظواهر الاجتماعية الأخرى. ومن الناحية الكيفية عمد الباحث إلى تطعيم الدراسة ببعض النماذج من الواقع الإنساني المعاصر، بهدف إزالة كل لبس عنه وتفسيرا للظاهرة ضمن نطاقها الاجتماعي المتسم دوما بالتعقيد.

ويعرف المنهج الوصفي الذي ارتبط منذ البداية بدراسة المجالات الإنسانية المختلفة ويعتبر الأكثر استخداما في هذا المجال حتى الآن[1] بأنه:" دراسة الظاهرة كما هي في الواقع، ووصفها وصفا دقيقا، وجمع المعلومات عنها والتعبير عنها كميا وكيفيا، تمهيدا لفهم الظواهر وتشخيصها وتحليلها وتحديد العلاقات بين العناصر أو بينها وبين ظواهر أخرى وصولا إلى إمكانية التحكم فيها"[2]،

ولما كان البحث الذي نحن بصدد إنجازه يطمح للوصول إلى المعاني الخفية والدلالات الضمنية التي يحملها الخطاب الإعلامي (البصري) في تعامله مع المسائل الإنسانية أرتأينا أن التوصل إلى الإجابات الكافية حول التساؤلات المطروحة في الموضوع تقتضي بالضرورة اعتماد مقاربة التحليل السيمولوجي لعينات قصدية وثيقة الاتصال بموضوع الدراسة،

[1] عمار بوحوش، محمد محمود الذنيبات، **مناهج البحث العلمي وطرق إعداد البحث**، ديوان المطبوعات الجامعية، بن عكنون، الجزائر، ط1، 2009، ص 138.

[2] البحث العلمي، **قواعده ومناهجه**، سلسلة المعارف العلمية، www.elmaaref.org/books تاريخ التصفح 18 فبراير 2018، سا11h30.

ذلك أن المقاربة السيميولوجية تكشف عن الدلالات الحقيقية لمضامين الخطاب الإعلامي.

يرى ""رولان بارث" "Barthe Roland" أن التحليل السيميولوجي هو شكل من أشكال البحث الدقيق في المستويات العميقة للرسائل الإعلامية والألسنية، بحيث تحتم على الباحث التزام الحياد نحو الرسالة والوقوف على العوامل الثقافية والسيكولوجية والاجتماعية المؤثرة في الرسائل البصرية، كما أن التحليل السيميولوجي:" يغوص في مضامين الرسالة والخطابات الإعلامية، ويسعى لتحقيق التحليل النقدي، فهو تحليل كيفي واستقرائي للرسالة ذو مضمون كامن وباطن"[1].

تاسعا: تبرير الخطة

لأن الدراسة تخوض بطبيعة الحال في مسائل الخطاب الإعلامي أثناء الأزمات الإنسانية وتحاول تفسير طبيعة هذه العلاقة الجدلية بين الإعلام (الإعلام المرئي) والعمل الإنساني، ارتأينا معالجة الموضوع وفق خطة تأخذ بعين الحسبان هذه الخصوصيات، لذلك عمدنا إلى تصميم الخطة بخمسة فصول، وفصل منهجي، وخصصنا ثلاثة فصول للبحوث النظرية والمفاهيمية وفصلين تطبيقين ضمناهما تحليلا لعناصر الدراسة مع اخضاعها لمقاربة سيميولوجية لعينات نعتقد أنها تخدم بحثنا.

الفصل الأول: العمل الإنساني: المنطلقات المفاهيمية والفكرية، ويتضمن ثلاث مباحث، المبحث الأول تطرقنا فيه إلى المعاني ودلالات الأعمال الإنسانية، بحيث عمدنا إلى تأصيل المفهوم بداية بالخطوات الأولى للعمل الإنساني، ومن ثم الوقوف على ماهيته ، والتعاريف المختلفة التي قدمت له، وفي المبحث الثاني عددنا مبادئ العمل الإنساني في تطوره وكذا العوامل المؤثرة في مختلف ظواهر هذا التحول

[1] محود إبراقن، **المدخل إلى سيميولوجيا الاتصال**، ط1، بنغازي، ماي 1995.

المتسارع لهذه الظاهرة، وخصصنا المبحث الثالث إلى التطور التاريخي للعمل الإنساني.

وفي الفصل الثاني تناولنا مسألة التنظيم والمنظمات الدولية غير الحكومية (ONG) وينقسم الفصل بدوره إلى ثلاثة مباحث تناولنا في المبحث الأول: المنظمات الدولية غير الحكومية: النطاق المفاهيمي، وفي المبحث الثاني ركّزنا على إستراتيجية الخطاب الإعلامي البصري (الذي يعتمد على الصورة التلفزيونية) وكذا منطق التحول الذي شهده العمل الإنساني ضمن فضاء الاتصال.

وفي المبحث الثالث تطرق الباحث إلى الواقع الجديد الذي تدار ضمنه المسائل الإنسانية، ودور الإعلام الحديث في تحديد استراتيجيات ومآلات العمل الإنساني بفعل إكراهات الميدان، وتأثيرات العولمة.

وخصصنا الفصل الثالث للمسألة الإنسانية في الاتصال الحديث: رهانات الواقع الجديد، حيث تم إسقاط ما تناولنا من جوانب النظرية المحيطة بالمسائل الإنسانية على الواقع الميداني من خلال عينات مستسقاة من أزمات إنسانية معقدة محاولة لإبراز الفروق والاختلالات التي تميز الخطاب من جهة، ومقاصد هذا الخطاب من جهة ثانية في محاولة الإجابة على تساؤلات الدراسة حول مدى استقلالية العمل الإنساني عنه ومدى وفائه للمبادئ التي تحكمه أمام التحديات العسيرة التي فرضها واقع الميدان والإكراهات السياسية والجيوسياسية، وذلك من خلال تقديم نماذج للتعامل إعلاميا مع أزمات نجمت عنها حالات إنسانية معقدة. ومن ثم وضع إجابة للاستفهامات التي طرحت وتُطرح باستمرار حول منهج التعامل الدولي مع الأزمات ومعايير إدارتها إعلاميا.

وركزنا في الفصل الرابع على العمل الإنساني وإشكالية التدخل، حيث قسمناها إلى مبحثين، المبحث الأول تحت عنوان القانون الدولي ومنطلق والتدخل الإنساني، ويتضمن مطلبين: الأول القانون الدولي الإنساني: المفهوم والنشأة، أما الثاني فتطرقنا فيه إلى التدخل الإنساني: الأسس والمنطلقات، وفي المبحث الثاني فتطرقنا

فيه إلى التوظيف السياسي للقضايا الإنسانية في الأزمات والكوارث، وهو بدوره يتفرع إلى مطلبين: الأول تضمن آليات التوظيف السياسي للمسائل الإنسانية، والثاني تطرقنا فيه إلى الإعلام الدولي وإدارة الأزمات، أما المطلب الثالث فجاء تحت عنوان الربيع العربي في الخطاب الإعلامي الحديث.

أما الفصل الخامس فخصصناه لمقاربة سيميولوجية للخطاب الإعلامي البصري، حيث تفرع إلى ثلاثة مباحث أوّلها التحليل السيميوطيقي (السيمولوجي) المفهوم والنظرية، أما المبحث الثاني فقد تطرقنا فيه إلى خطوات تحليل الصورة، على مستويين: المستوى التقريري، والمستوى التضميني، وجاء المبحث الثالث تحت عنوان: التحليل السيميائي للرسائل البصرية موضوع الدراسة.

الفصل الأول: العمل الإنساني : المنطلقات المفاهيمية والفكرية

تمهيـد

قضت مشيئة الخالق أن يولد الإنسان بطبعه تواقا للحرية والأمن والعدالة، يمقت الظلم والاعتداء، ميالا إلى بناء جسور التواصل، بارعا في التعبير عن الذات قادرا على التفاعل الاجتماعي مستعدا لتوظيف قدراته العقلية والجسمية لتحقيق احتياجاته، فضولي بطبعه، فهو بحاجة دائمة إلى فهم ما يحدث، محاولا تفسير الظواهر الطبيعية، وفك رموزها، ومعرفة القوانين التي تحكمها.

هذه الاستعدادات الفطرية أهلته لأن يتبوأ مكانة مرموقة في مختلف التشريعات السماوية، حيث جعلت منه سيد الكون وخليفة الله في الأرض وميزته عن سائر المخلوقات.

" ولقد كرّمنا بنيِ آدمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي البَّرِ وَالبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلاَ" سورة الاسراء، الآية 70.

الإنسان كائن لا يعيش إلا في وسط اجتماعي، ولا يمكن له أن يستغني عن علاقته مع مجموعات متعاونة ومتناسقة، فهو الضامن الذي يحقق له احتياجاته الاجتماعية والنفسية.

إن المخلوقات في هذا الوجود تتنوع تنوعا مذهلا، قد يعجز العقل البشري عن الإحاطة بدقائقه وتفاصيله، هذا الاختلاف والتنوع والتباين في الصفات، والاستعدادات والقدرات تجعلها ذات قابلية للتفاعل "هذا التفاعل موجود في كل المستويات وفي كل مكان، فهو موجود في العالم البيولوجي، حيث الصراع الفردي وصراع الأجناس جزء هام من هذه الصورة"[1].

إن الطبيعة البشرية غالبا ما تكون محفوفة بالمخاطر المترتبة عن بعض السلوكات السلبية التي تؤجج الشعور بالقلق والتوتر والشك، داخل النفس البشرية.

[1] احمد محمد كنعان، **تاريخ الصراع** www.islamcyria.com تاريخ النشر:2014/08/11، تاريخ التصفح: 2014/09/24 سا:21.

يقول أحد المفكرين:" عندما يوجد فرد يسود السلام، وعندما يوجد اثنين ينشأ الصراع وعند وجود أكثر فتبدأ التحالفات"[1].

ينقل لنا التاريخ البشري أمثلة متعددة عن هذا القانون التاريخي الذي يحكم حياة الإنسان في تفاعله مع الإنسان داخل مختلف الوحدات الإنسانية سواء أكانت هذه الوحدة أسرة أو قبيلة أو أمة أو غير ذلك، فإن جميعها تخضع لهذا المنطق، وإن اختلفت أشكاله، وتباينت نتائجه.

إن العلاقة بين البشر:" هي أهم عوامل السعادة في حالة صحتها وتناغمها وهي أيضا عوامل شقاء في حالة اضطرابها وتعثرها..."[2] فمحاور العلاقات البشرية ترتكز على ثلاث محاور هي:

- المحور الداخلي (العلاقة بالنفس).
- المحور الأفقي (العلاقة بالناس).
- المحور الرأسي (العلاقة بالله).

ثمة قوانين عديدة تحكم العلاقات الإنسانية أهمها قانون الحب، وقانون الصراع، فإذا كان الأول (قانون الحب) ينبع من إحساس الفرد بأن الحياة آمنة وان الآخرين طيبون، ولا يهددون وجوده، ويوفرون احتياجاته، فيكبر على هذا الإحساس النبيل، فإن القانون الثاني (قانون الصراع)"يتولد عن الإنسان إذا نشأ في بيئة مهددة لا تعطيه احتياجاته الأساسية، لذلك ينمو لديه الإحساس بأن الحياة غير آمنة وان الآخرين لا يوثق بهم، وأن عليه أن يأخذ حقه بذراعه عنوة، وان يتصارع طوال الوقت مع الآخرين الذين يحاولون في نظره، أن يسلبوه ذلك الحق"[3] عندئذ يظهر الصراع ويتخذ أشكالا متعددة، فمن مجرد خلاف بسيط، إلى نزاع ظاهر إلى صراع مستمر، إلى أزمات وحروب مستمرة مع ما تخلفه من مآسي ودمار، وتدمير للممتلكات، وسلب للثروة.

---

[1] سوسن العساف، **المرأة العراقية بين ديمقراطية الاحتلال الأمريكي ومبدأ التدخل الإنساني**، www.books.google.dz تاريخ النشر، 2013، تاريخ التصفح: 2017/02/28.

[2] ويكيبيديا، **نظرية الصراع**، 2012/02/13 تاريخ التصفح/ 2014/09/10، سا: 20:14.

[3] محمد المهدي، **ضبط إيقاع العلاقات الإنسانية**، www.elazayem.com تاريخ التصفح: 2014/09/13، سا: 14:00.

إن الاختلاف في الرؤى والمصالح في منظور الأشخاص والدول والمنظمات عامل حاسم لازدياد مبررات الصراع، وتنامي الخوف والشعور بالتهديد والخطر، كما يتجلى ذلك في الحالات الاستثنائية كأوقات الحروب، والنزاعات المسلحة، والحروب الأهلية، وكذلك في حالة الأزمات والكوارث الطبيعية المختلفة التي يواجهها الإنسان، والتي تعرض حياته وممتلكاته للخطر.

لقد اقترن وجود الإنسان على الأرض بوجود الخلاف والنزاع بأشكال مختلفة لعلّ أخطرها الحروب كظاهرة، حيث بدأت محدودة الوسائل والخسائر لكنها تقع، وتحت دوافع مختلفة سواء بغرض الحصول على الصيد أو بحثا عن المياه، أو بغرض الدفاع عن الشرف، أو حتى بدافع السلب والنهب، لكن الظاهرة تطورت بشكل رهيب، وبوتيرة تصاعدية مذهلة، لتنتقل من القبيلة إلى الدولة ومن ثم اتخذت طابعا كونيا كما يحدث في التاريخ المعاصر.

ليست الحروب وحدها من يفتك بالإنسان، هناك مآسي أخرى مصدرها الطبيعة، إن الزلازل والأوبئة والمجاعات والجفاف ظواهر طبيعية لكنها فتاكة، وتشكل على مر الزمن تحديا كبيرا للمجتمعات البشرية التي ما فتئت تعاني من آثارها ومخلفاتها، ولكنها بالمقابل جعلت حاجة الناس إلى الشعور بالأمن، والتخلص من الخوف، دافعا حاسما لدى الإنسان في البحث عن عناصر توفر له الحماية، وتؤمنه من القلق والخوف.

من هنا، أخذت المسألة الإنسانية تتبلور بشكل لافت، حيث ظهرت في البداية كممارسة قديمة، جاءت أولى خطواتها على شكل أعمال تضامنية جوارية بدأت على مستوى العائلة والحي ليتسع نطاقها تدريجيا، لتشمل المجتمعات البشرية تعبيرا عن التضامن الإنساني بمفهومه الواسع.

سنحاول فيما يلي التطرق إلى ماهية العمل الإنساني وكذا التطور الذي يشهده، وما هي العوامل الرئيسية التي ساهمت في بلورة المفهوم.

المبحث الأول: الأعمال الإنسانية: المعاني والدلالات

تمهيد:

وُجِد العمل الإنساني بوجود الإنسان وذلك كاستجابة لحاجة فطرية تدفعه تلقائيا إلى خدمة الآخر كلما اقتضت الضرورة ذلك، فهو والحال هذه تركة قيمية وقيمة ثابتة لا تتغير أيا كان الزمن والمكان، لقد عرفتها المجتمعات القديمة، واجتمعت حوله مختلف الأديان السماوية والوضعية، وكذلك الفلسفات الإنسانية الكبرى والثقافات البشرية المختلفة.

لقد ارتبط العمل الإنساني منذ البداية بالوازع الأخلاقي، وظل ينظر إليه من هذه الزاوية كعمل إنساني نبيل، ووثيق الصلة بالأعمال الخيرية والمساعدات الإنسانية في أحرج الأوقات وأصعبها مثل أوقات الكوارث والأزمات.

وقبل التطرق إلى التطور التاريخي لمفهوم العمل الإنساني، وكذا التعاريف التي قدمت بشأنه، نرى من الأهمية بمكان تحديد المفهوم لغة واصطلاحا، وكذا شرح وتبيان أهم المفاهيم المتشابهة أو القريبة من مفهوم العمل الإنساني.

مصطلح العمل الإنساني يتركب من كلمتين: "العمل"، "الإنساني".

العمل في اللغة:" مصدر عمل، يعمل عملا، ويراد به المهنة والفعل فيقال اعمله غيره واستعمله، واعتمل الرجل: عمل بنفسه"[1].

ويرى ابن فارس أن:" العين والميم واللام أصل واحدة صحيح، وهو عام في كل فعل يفعل، والعمل يستعمل في الأعمال الصالحة والسيئة"[2].

وكمصطلح: هو من المفاهيم التي وردت بشأنها تعاريف متباينة تبعا لاختلاف وتباين الإطار المعرفي والنظري الذي يتم فيه توظيف المصطلح.

[1] ابن منظور، **لسان العرب**، 475/11.
[2] ابن فارس، **مقاييس اللغة**، 145/4.

فمن الناحية الفلسفية يعرف "العمل بأنه "نشاط الإنسان الإرادي المقترن بالجهد أي التعب والمشقة لفرض نافع منفعة بشرية غير التسلية واللهو"[1].

في الاقتصاد يعرف العمل على بأنه:" استخدام الإنسان لقواه الفيزيائية والذهنية في سبيل إنتاج الثروة والحصول على المنفعة"[2].

ويعرف علماء النفس العمل بأنه:" كل سلوك بشري أو نشاط إنساني يكون صادرا عن بواعث ودوافع معينة، فطرية كانت أم مكتسبة لإشباع حاجاته الطبيعية، والنفسية والاجتماعية"[3].

في علم الاجتماع ينظر إلى العمل بأنه مفهوم يتصف بالتعقيد، ويخضع لمعيار النسبية، حيث يختلف باختلاف السياق الاجتماعي والزماني الذي يوظف فيه، ويعرفه معجم مصطلحات العلوم الاجتماعية بأنه:" مجهود إرادي عقلي أو بدني يتضمن التأثير على الأشياء المادية وغير المادية لتحقيق هدف اقتصادي معين كما انه وظيفة اجتماعية تتحقق فيها شخصية الفرد"[4].

يستنتج من التعاريف السابقة أن العمل هو جهد يبذل سواء أكان بدنيا أو فكريا وذلك لتحقيق حاجات نفسية أو اجتماعية مختلفة أو بغرض تحقيق غاية يستفيد منها الغير وقد يكون بمقابل (الأجر) وهو الأصل وقد يكون من دون مقابل وهنا يتخذ طابع التطوعي الخيري أي الطابع الإنساني.

أما الشق الثاني من المصطلح فهو "الإنساني" والإنساني من الإنسانية، ويراد به مجموعة من الأفكار والتوقعات الحميدة الصادرة عن الفرد والتي تدمج ما بين العقل والروح لتبين أهمية وجود الإنسان وقيمته في المجتمع"[5]، فهو ممارسة إنسانية وسلوك اجتماعي يمارسه

---

[1] عبد المحسن عبد الجار الله الخرافي، **مفهوم وتاريخ العمل الإنساني، الكويت**، مركز التطوير والتدريب، الاتحاد العالمي للمؤسسات الإنسانية، www.aou.edu.uplonds.com تاريخ النشر: جانفي 2015، تاريخ التصفح: أفريل 2018، سا: 13:00.

[2] محمد بدوي، **علم الاجتماع والنظم الاقتصادية**، القاهرة، دار المعارف، 1980، ص 390.

[3] مصطفى فهمي، **الدوافع النفسية، القاهرة**، مكتبة الانجلوالمصرية، 1955، ط3، ص 150.

[4] أحمد زكي بدوي، **معجم مصطلحات العلوم الاجتماعية**، بيروت، مكتبة لبنان، 1986، ص 60.

[5] عبد المحسن عبد الله الجار الله الخرافي، **مفهوم وتاريخ العمل الإنساني**، مرجع سابق، ص 04.

الإنساني من تلقاء نفسه وبكامل إرادته ورغبته دون انتظار أي مردود مالي أو مادي"[1]، أو هو:" جهد بدني او فكري أو عقلي او قلبي يأتي به الإنسان أو يتركه تطوعا دون أن يكون ملزما له من جهة الشرع ولا من غيره"[2].

وقبل تقديم أهم التعاريف التي قدمت للمفهوم العمل الإنساني ينبغي الإشارة إلى ان مختلف الدراسات التي حاولت تحديد ماهية المفهوم، انطلقت من منظورين: المنظور العربي الإسلامي الذي يربط بين العمل الإنساني والعمل الخيري الذي يقوم على مبدأ التطوع بينما في الدراسات الغربية. "ينظر للعمل الإنساني كنشاط يتركز حول تقديم المساعدة والإغاثة لمن هم في خطر يهدد حياتهم وممتلكاتهم، وهو ما يفرض على الباحث توضيح أهم الفروق والاختلافات الموجودة بين مفهوم العمل الإنساني من جهة ومفاهيم قريبة منه مثل العمل التطوعي أو العمل الخيري.

تواجه محاولة تقديم تعريف شامل ومتكامل لمفهوم العمل الإنساني صعوبات جمة وذلك لما يشوب المفهوم من تعقيد، وكذا بسبب الخطورة التي تنطوي عليها صياغة تعريف معين أو محاولة تأويل الصيغ الحقيقية التي من شانها تقديم إضافات لمفهوم العمل الإنساني.

يعرّف العمل الإنساني في المنظور الغربي بأنه:" ذلك النشاط الهادف إلى تقديم المساعدة والإغاثة للأفراد الذين يواجهون خطر يهدد حياتهم مثل القتل والجوع والمرض والنزوح واللجوء...وغيرها من الأخطار التي تهدد حياة الناس وتؤثر على حقهم في الحياة بكرامة"[3].

العمل الإنساني إذن هو:" الدعم الذي يقدمه شخص أو مجموعة أشخاص ضمن تنظيم دولي للمساعدة تحكمه مجموعة من المبادئ، ويندرج تحت مجموعة من القيم توصف بالكونية وذلك لفائدة الساكنة التي تعرف ظروفها بسبب الكوارث والنزاعات المسلحة داخلية

[1] محمد بن صالح القاضي، **الأعمال التطوعية في الإسلام**، ورقة عمل مقدمة إلى اللقاء السنوي الرابع للجمعيات الخيرية.
[2] محمد بن صالح القاصي، المرجع نفسه.
[3] عبد المحسن عبد الله الجار الله الخزافي، **مفهوم وتاريخ العمل الإنساني**، مرجع سابق، ص 24.

كانت أم دولية والتي من شأنها أن تهدد السلامة الجسدية التي تجعل حياتهم في خطر محدق"[1].

ويختصر "جاك لوبا""Jacques le Bas" مفهوم العمل الإنساني في:" حركة إنقاذ من خلال الذهاب إلى الآخر لغرض مساعدته"[2].

العمل الإنساني في القاموس الصغير هو:" مجموعة المنظمات الإنسانية والنشاطات التي تؤديها"[3].

ويرى "ريفمان""Ryfman" أنه ينبغي الأخذ بعين الاعتبار أن مفهوم العمل الإنساني يشتمل تداخل مفاهيم وقيم ضمن العملية الترابية لأنه مرتبط بعدة عناصر هي:[4]

- **الحركة le mouvement:**ويقصد بها عملية التنقل من مكان إلى آخر، ومن وضعية طبيعية، حيث تتوفر شروط الحياة إلى وضعية غير طبيعية أي متأزمة أو في حالة أزمة، سواء أكانت هذه الأزمة طبيعية أو كان للإنسان يد فيها.
- **الفاعل Acteur:** ويشمل كل جهة تتصرف تلقاء الأزمة ضمن فضاء التدخل الميداني، وقد تكون هذه الجهة فردا أو منظمة أو وكالة أو حتى دولة.
- **المتدخل Opérateur:** ويقصد به كل فاعل إضافي ميداني يدعم حضوره جهود الجماعة.
- **الوقت le temps:** ومعناه زمن تسجيل الحضور والتصرف وفق ما يقتضيه الموقف، وقد يتخذ التدخل صفة الاستعجال urgent أو يتم متأخرا نسبيا أو يتخذ الصفتين معا.
- **الفضاء الإنساني les espace humanitaire:** ويقصد به الكاتب بطبيعة الحال الحقل أو الفضاء الذي يتم ضمنه تقديم المساعدة أو التدخل، وهو بدوره يرتبط بمجموعة من العناصر الأخرى كردود فعل الرأي العام إيجابا أو سلبا، السلطة المحلية، وكذلك الامتداد

[1] Ryfman, **La Question Humanitaire**, Ibid, P17.
[2] J.Lebas.Veber.G.Brucker, **médecine humanitaire, Rammaroncolc medecine sciences**, Paris, 1994, P11.
[3] Ryfman, Ibid, P15.
[4] Zsuzsa Anna, **les ONG humanitaire**, op, cit, P11.

الجيوسياسي للأزمة، وكذا الصعوبات التي تواجهها، ثم في الأخير درجة الحماية المتاحة.

- **المستفيد le bénéficiaire:** أي السكان المنكوبين، ضحايا الأزمة أو الكارثة.
- **طبيعة الدعم l'assistance et la nature de celle-ci:** أي الإمكانيات المسخرة، سواء أكانت هذه الإمكانيات مادية أم بشرية، وكذا المهمة المنوطة بكل طرف.
- **مرجعية القيم les références des valeurs et idéaux:** وهي قيم كونية ثابتة ومشتركة مضمونها عدم التخلي عمن هم في الأزمة، أو من هم بحاجة إلى دعم ومساعدة، وبالتالي عدم ترك الأزمة تتفاقم دون التدخل، وعدم الاستسلام للكوارث والأزمات واعتبارها قدرا محتوما.
- **احترام المبادئ الأخلاقية وأخلاقية العمل الإنساني Respect de principes déontologiques et de règles éthiques:** هذه العلاقة المبنية أصلا على ثوابت مشتركة كتقديم الدعم والمساعدة، دون تمييز أو تحيز مع التركيز على فعالية الأداء.

1) العمل الخيري:

الخير لغة ضد الشر، ومصدره خيرا ويشمل في اللغة على معاني مختلفة منها المال عند كثرته، والكرم والشرف والأصل والفضل والمعروف ويطلقه البعض على الخيل لما فيها من خير"[1].

وقد وردت كلمة خير في القرآن الكريم 180 مرة، والخير في القرآن تعني مطلق الخير، وله عدة دلالات منها المال، **(إن ترك خيرا الوصية..)**، والطعام **(رَبِّي إِنِّي لِمَا أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٍ)** سورة القصص، الآية 24، ويعني القوة **(أهم خير أم قوم تبع) سورة** الدخان، الآية 37، ويكون بمعنى العبادة **(وأوحينا إليهم فعل الخيرات) سورة** الأنبياء، الآية 73.

اصطلاحا: "هو كل مال أو جهد أو وقت يبذل من أجل نفع الناس وإسعادهم والتخفيف من معاناتهم"[2].

[1] ابن منظور، **لسان العرب**، 264/4 ماء خير.
[2] عبد الكريم بكار، **ثقافة العمل الخيري**، دار السلام للطباعة والنشر، ص 12.

ويتضمن العمل الخيري بجملة خصائص منها:

- أنه عمل تطوعي لا يهدف إلى ربح.
- اتساع ميادين ومجالات خدماته لتشمل مختلف احتياجات الناس.
- يساهم في تكريس ثقافة المحبة والتآلف بين الناس.
- يعمق الإحساس بالمسؤولية لدى الأفراد والجماعات.
- يساهم في ترقية المجتمعات وتقدمها.

كما أن للعمل الخيري أسس وقواعد ينطلق منها أهمها: المنطلقات الدينية، ودوافع الحاجة الإنسانية، وكذا الظروف الاجتماعية.

وفي الدراسات العربية التي تناولت مفهوم "العمل الإنساني" وعلى ندرتها، عادة ما يوظف مصطلح "العمل الخيري" كبديل أو كمرداف لمصطلح العمل الإنساني، بحجة أن كل عمل خيري هو عمل إنساني، كما قدمت بعض التعاريف للمفهوم على اعتبار أنه :" كل مال أو جهد يبذل من أجل نفع الناس وإسعادهم والتخفيف من معاناتهم"[1].

أو "هو عمل حرّ، يقوم به الإنسان بكامل رغبته لأسباب تتجاوز الربح المادي"[2].

كما حاول بعض الباحثين إعطاء معنى أوسع وأشمل لمفهوم العمل الخيري باعتباره "عمل مشترك فيه جماعة من الناس لتحقيق مصالح عامة أو أغراض إنسانية أو دينية أو عملية أو صناعية أو اقتصادية بوسيلة جمع التبرعات وصرفها في أوجه الأعمال الخيرية بقصد نشاط اجتماعي أو ثقافي أو إغاثي بطرق الدعاية او المعاونة ماديا ومعنويا داخل الدولة أو خارجها، من غير قصد الربح لمؤسسيها سواء سمي إغاثة، أو جمعية، أو مؤسسة أو هيئة، أو منظمة خاصة، أو عامة"[3].

[1] عبد المحسن عبد الله الجار الله، **مفهوم وتاريخ العمل الإنساني**، مرجع سابق، ص 04.
[2] مصطفى فهيمي، **الدوافع النفسية**، مرجع سابق، ص 15.
[3] احمد عطية الله، **دائرة المعارف الحديثة**، مكتبة الانجلوالمصرية، ط2، 1979، ص 29.

تعميم مصطلح "العمل الخيري" بدل مصطلح "العمل الإنساني" في عديد الدراسات والبحوث العربية جعله يتخذ بعدا دينيا وأخلاقيا أكثر منه إنسانيا على اعتبار أن مصطلح "العمل الإنساني" في تركيبته اللغوية، يحتمل التأويل فقد "يفهم منه أنه عمل موجه للإنسان بأجر أو بغير أجر، أن يكون الدافع لذلك يركز البعض على التمييز بين "العمل الإنساني الربحي" و"العمل الإنساني غير الربحي" أو "العمل الإنساني الخيري التطوعي"[1]. وبالتالي فإننا نجد أنفسنا أمام أربعة مصطلحات توظف في الغالب كمفاهيم مترادفة هي العمل الإنساني، العمل الخيري، العمل التطوعي والعمل الاغاثي.

كما يتسع مفهوم العمل الخيري ومدلوله ليشمل الجوانب المعنوية كالإحساس بالآخر والتعاطف معه ومواساته وتوجيهه نحو ما ينفعه في دنياه وآخرته ويهدف العمل الخيري إلى تحقيق غايات متعددة من أهمها[2]:

- إرضاء الله وابتغاء الأجر والثواب.
- القيام بمهمة الاستخلاف في الأرض وإعمارها.
- هداية العالمين ودعوتهم إلى الإسلام.
- تحقيق النهضة المجتمعة على كافة الأصعدة.
- إقامة مورد اقتصادي ثابت شامل مستقل وفاعل.
- فعل الخير بما يضمن للآخرين حياة كريمة.
- تقديم المساعدات إلى كل من يحتاجها في أي مكان حول العالم وبغض النظر عن الدين أو الوطن أو الجنس أو اللون.

والعمل الإنساني (الخيري) في الإسلام يسبب السعادة في الدنيا والنجاة في الآخرة، ولا أدّل على ذلك الكلمات العظيمة التي قالتها أم المؤمنين السيدة خديجة (رضي الله عنها) للرسول (صلى الله عليه وسلم) وهو يعود من غار حراء يحدثها بشان الملك الذي نزل عليه هو يقول لها خشيت على نفسي فتقول " فوالله لا يحزنك الله أبدا، إنك لتصل الرحم وتصدق

[1] عبد المحسن عبد الله، **مفهوم وتاريخ العمل الإنساني** ، مرجع سابق، ص 13.
[2] المرجع نفسه، ص 12.

الحديث وتحمل الكلّ وتكرم الضيف وتعين على نوائب الدهر" (أخرجه الحاكم عن عائشة رضي الله عنها)، وفي المقابل فإن عدم إطعام المسكين يدخل النار لقوله تعالى:" **ما سلككم في الصقر، قالوا لم نكن من المصلين ولم نكن نطعم المسكين..**" سورة المدثر، الآية 42-43.

وللعمل الخيري (الإنساني) في الإسلام غايات وأهداف لعل من أهمها:

- مرضاة الله بالامتثال لأوامره، واجتناب نواهيه، بالتصدق وتقديم العون والمساعدة.
- تحقيق النهضة الاجتماعية، والرقي بالمجتمع عن طريق تحقيق مشاريع اقتصاد مربحة.
- تعزيز الشعور بالانتماء إلى الجماعة بالتعاون على البر والتقوى.
- تحقيق الأمن والاستقرار في النفوس وفي المجتمعات.

وكما أن العمل الخيري (الإنساني) في الإسلام غايات ينشدها داخل المجتمع، فإن له كذلك ضوابط، ومقاصد، ودوافع، ومتطلعات، فهو مطلب ديني، وحاجة إنسانية، وضرورة اجتماعية ينبغي الحرص على تأديتها على أكمل وجه حتى تحقق الأهداف المنشودة، لذلك وضع الإسلام ضوابط يجب مراعاتها عند مباشرة العمل الخيري ولعل من أهمها[1]:

- الأصل في العمل الإنساني (الإنسان قبل البنيان).
- ينبغي أن يحقق المصلحة المعتبرة شرعا وعرفا كإنقاذ النفس من الموت.
- أن لا ينال باذله ضر من عمله الإنساني يفوق المصلحة المرجوة منه.
- أن يراعي في تقديمه الأكثر حاجة من غيره.
- أن لا يوظف في معصية الله وأن يراعي حرمة المحتاج وكرامته.
- أن لا يؤدي العمل الخيري مقابل شرط الدخول في الإسلام (الإكراه في الدين).
- أن تحفظ أسرار المستفيدين من تحت دافع الرياء والمن.

[1] عبد المحسن عبد الله، **مفهوم وتاريخ العمل الإنساني**، مرجع سابق، ص 16.

دوافع العمل الخيري (الإنساني) في الإسلام: الدوافع والمقاصد

الدوافع:

تختلف الدوافع التي تحّرك الناس على عمل الخير في المنظور الإسلامي عنها عند الغرب، مع العلم أن هناك قواسم مشتركة يلتقي عندها الاثنين هي خدمة الإنسان ومساعدته كقيمة إنسانية ثابتة في كل الأديان والأعراق والأجناس، ولعل أهمّ الدوافع التي تميز العمل الخيري في الإسلام عن غيره هي:

- يؤدي العمل الإنساني في لقاء وجه الله لنيل الثواب.
- التعاون على البر والتقوى: قال الله تعالى: **"وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الإثم والعدوان، واتقوا الله إن الله شديد العقاب"** سورة المائدة، الآية رقم 02، ويقول الرسول (ص):" **أحب الناس إلى الله أنفعهم للناس، وأحب الأعمال إلى الله سرورا تدخله على مسلم، أو تكشف عنه كربته، أو تقضي عنه دينا، أو تطرد عنه جوعا، ولأن أمشي مع أخ لي في حاجة أحب إلي من أن اعتكف في هذا المسجد(مسجد المدينة المنورة) شهراً، ومن كف غيضه ستر الله عورته ومن كظم غيظه ولو شاء أن يمضيه أمضاه، ملأ الله عز وجل قلبه أمنا يوم القيامة ومن مشى مع أخيه في حاجة حتى أثبتها له، أثبت الله عزّ وجّل قدمه على الصراط يوم تزلّ فيه الأقدام"**[1].
- نصرة الإسلام والمسلمين: فالمسلمون إخوة في الدين (**إنما المؤمنون إخوة والمسلم للمسلم كالبنيان المرصوص يشّد بعضه بعضا**)، كما روي عن الرسول (صلى الله عليه وسلم) ، لذلك يصبح واجبا تعظيم حقوق المسلمين وحرصهم على التكافل والتراحم بالبر والتقوى لا على الإثم والعدوان.

[1] أخرجه الطبراني في الكبير، رقم 13646 والأوسط رقم 6026.

المقاصد:

المقاصد كما يعرفها بعض العلماء هي: الغايات التي وضعت الشريعة لأجل تحقيقها لمصلحة العباد"[1].

وهناك من يعرفها بأنها: "المعاني العامة والأحكام الكلية التي تستنبط من استقراء النصوص وعِللها، وتفهم منها حكم الشرع، والأهداف القريبة والبعيدة من التشريع".[2]

ويفرق الفقهاء بين نوعين من المقاصد هي:" مقاصد الشرع- مقاصد المكلف"[3]

- **مقاصد الشرع:"** هي قصد الشارع في وضع الشريعة ابتداءا ومن جهة قصده في وضعها للإفهام، ومن جهة قصده في وضعها للتكليف بمقتضاها، ومن جهة قصده في دخول المكلف تحت حكمها"[4] وهي ثلاثة أقسام:

أ- **الضروريات:** وهي التي لابد منها في قيام مصالح الدين والدنيا وهي خمسة:

- حفظ الدين.
- حفظ العقل.
- حفظ النسل.
- حفظ المال.
- حفظ النفس.

ب-**الحاجيات:** وهي "المفتقر إليها من حيث التوسعة ورفع الضيق المؤدي في الغالب إلى الحرج والمشقة اللاحقة بقوت المطلوب، فإذا لم تراع دخل على المكلفين على العملية الحرج والمشقة ولكنه لا يبلغ مبلغ الفساد العادي المتوقع في المصالح العامة"[5].

ج- **التحسينات:** ومعناها الأخذ بما يليق من محاسن العادات وتجنب المدنسات التي تأنفها العقول الراجحات"[6].

---

[1] أحمد الريسوني، **نظرية المقاصد عند الإمام الشاطبي**، الدار العالمية للكتاب الإسلامي، 1992، ط2، ص7.
[2] مصطفى نمر، **أصول النزر في مقاصد التشريع الإسلامي وبيان علاقة القواعد الفقهية بها**، دار النوادر، 2013، ط1، ص 42.
[3] إبراهيم بن موسى بن محمد الشاطبي، **الموافقات**، ص 19.
[4] إبراهيم بن مرسي محمد الشاطبي، **الموافقات**، مرجع سابق، ص 2-8
[5] إبراهيم بن مرسي محمد الشاطبي، المرجع نفسه، ص 2-21.
[6] إبراهيم بن مرسي محمد الشاطبي، المرجع نفسه، 2-22.

- **مقاصد المكلف:** هي "المقاصد التي يقصدها المكلف في سائر تصرفاته اعتقادا وقولا وعملا، والتي تفرق بين صحة الفعل وفساده، وبين ما هو تعبد وبين ما هو معاملة وبين ما هو ديانة وما هو قضاء، وبين ما هو موافقة للمقاصد وما هو مخالف لها"[1].

العمل الخيري (الإنساني) وعلاقته بمقاصد الشرع:

إن المقصد العام للشريعة الإسلامية هو العبادة لقوله تعالى: **" و ما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون"** سورة الذاريات، الآية 56، ثم يأتي المقصد الثاني وهو عمارة الأرض لضمان استمرار الحياة على صلاح وعدل واستقامة، وحفظ نظام التعايش فيها لذلك يصبح العمل الإنساني في أصله مقصد من مقاصد الشريعة لما يحققه من فوائد ومساعدات وحاجات للإنسان المحتاج.

علاقة العمل الإنساني بمقاصد المكلف:

يرتبط العمل الخيري بمقاصد المكلف من حيث انه يقوم على شرط النية في القصد لأن ممارسة أعمال خيرية استجابة لغاية من غايات العمل الإنساني في الإسلام وهي ابتغاء رضى الله، وتحقق لصاحبها الأجر والثواب كاملا، أما في حالة ارتباطها بفعل غير وجه الله سواء أكان طلب للسمعة أو رياءي، ولا أجر عن العمل ولو أداه على أكمل وجه، لذلك فإن قاعدة الأمور بمقاصدها، فالأعمال بالنيات كما يقول رسول الله (ص)، وان المشقة في العمل تجلب التيسير وان الضرورات تبيح المحظورات وان إزالة الضرر واجبة، وهذه كلها تمثل في مجملها القواعد الفقهية الكبرى في الشريعة الإسلامية.

إن مجالات العمل الخيري في الإسلام واسعة، لأنها ترتبط ارتباطا وثيق بالحاجة الإنسانية فمتى دعت الحاجة إلى فعل الخير يفعل أيا كان مجاله تعليما، اجتماعيا، دعويا، صحيا، عسكريا، ثقافيا•.

[1] نور الدين بن مختار الخادمي، **علم مقاصد الشريعة**، مكتبة العبيكان، ط1، 2001، ص 71.

• في كتابه "أصول العمل الخيري في الإسلام" يفصل الدكتور يوسف القرضاوي في الموضوع ، حيث يحدد ثلاثة وستون مظهرا من مظاهر العمل الخيري في القرآن والسنة وفق نصوص القرآن الكريم والسنة النبوية.

تطور العمل الخيري الإسلامي:

العمل الخيري كما أشرنا إلى ذلك سلفا، قيمة إنسانية مشتركة بين البشر وسلوك حضاري تقاس على أساسه درجة تقدم الأمم أو تخلفها بالنظر لأهميته في النهوض بالمجتمع اقتصاديا واجتماعيا وثقافيا، لذلك فإن الحرص على تفعيل مضامينه وإعطائه البعد الاجتماعي والأخلاقي والإنساني تعتبر أولوية قصوى في الإسلام.

لقد ربطت الشريعة الإسلامية السلوك الإنساني بالعبادة ارتباطا وثيقا بدليل عدد الآيات القرآنية الكريمة التي وردت، والأحاديث النبوية الشريفة التي ذكرنا بعضها، وقد يكفي التوقف عند هذا الحديث النبوي الذي ورد عن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) لتأكيد المكانة المرموقة التي يتبوؤها العمل الخيري (الإنساني) في الإسلام حيث يقول الرسول (صلى الله عليه وسلم): **إن لله عبادا اختصهم لقضاء حوائج الناس، حببهم للخير وحبب الخير إليهم، أولئك الناجون من عذاب القيامة"**[1].

إن تاريخ الحضارة الإسلامية غنّي بالشواهد التي أصّلت الأعمال الإنسانية الخيرية، انطلاقا من السيرة النبوية، وسلوك السلف الصالح، ودأب التابعين على الاستمرار في النهج الذي سطرته الشريعة الإسلامية وجسدته أخلاق وسلوكات ومواقف الرسول (صلى الله عليه وسلم) في أسمى معانيها، ولم تنقل لنا الدراسات التنظيرية إلا النزر القليل عن الأعمال التطوعية الخيرية الكبرى التي شهدها التاريخ الإسلامي المعاصر، وفي العصر الحديث حاول العمل الخيري الإسلامي مواكبة الأحداث الدولية الكبرى، ونشاط الحركات الإنسانية العالمية (الغربية) سواء تعلق الأمر بالأعمال الاغاثية المحلية أو تلك التي تحققت تحت الرعاية الأممية بمنظماتها المختلفة (حكومية وغير حكومية)، حيث سجل العمل الإنساني (الخيري) الإسلامي حضوره في عديد المجالات الإنسانية المعقدة التي تنجم عادة عن كوارث طبيعية وأزمات إنسانية، ومع تسارع الأحداث وكثرة الصراعات والنزاعات الدولية المختلفة التي تركز أغلبها في المناطق الإسلامية، واجهت الأعمال الإنسانية صعوبات

[1] دروس جامع الأحمدي، الدرس 072، http://nabulsi.comتاريخ النشر 08 يناير 1998.

ميدانية موضوعية أعاقت كثيرا تطور منظومية العمل الخيري الإسلامي وخلقت فجوة عميقة بين الجوانب النظرية والأمور التطبيقية لهذه الممارسة الإنسانية النبيلة.

إن الظروف التاريخية المعقدة التي عرفها العالم الإسلامي بسبب تفشي ظاهرة الاستعمار ونتائجها الوخيمة على المجتمعات الإسلامية، مع بروز ظاهرة الصراع التي حولت عديد الدول الإسلامية إلى بؤر للنزاعات المختلفة، كل هذه العوامل مجتمعة، ألقت بظلالها على المبادرات الإسلامية في مجالات العمل الإنساني الخيري، وبالتالي أصيبت المؤسسات الإنسانية الإسلامية بالوهن، وتقهقر دورها بفعل تأثير العوامل الداخلية والخارجية في الدول الإسلامية، ويلخص أحد الباحثين هذه العوامل في التالي[1]:

- حالة الارتباك لدى المنظمات الدولية في سد الفراغ والعجز المتزايد في تحقيق برامج العمل الإنساني.
- انحسار العمل الخيري الإسلامي عن الساحة الدولية من العوامل المساعدة على ارتفاع معدلات الفقر والمرض والجهل والتهجير في بعض دول العالم كما في العراق وسوريا واليمن وفلسطين•.
- تعطيل معظم برامج الطوارئ والاغاثات، وغياب صور التنمية عن المجتمعات الفقيرة.
- زيادة حالات التوتر والصراع والحروب وآثارها الكارثية على بعض الدول الإسلامية مثل العراق، لبنان، اليمن، فلسطين، في ظل انحسار وجود المؤسسات وغيابها عن الشراكة العالمية وهو ما يعني تمدد غيرها ممن يبدأ بجمعيات ومنظمات إنسانية وتتطور إلى ميليشيات عسكرية مؤججة بالصراع لتنتهي بثورات انقلابية.
- خسارة موارد بشرية كثيرة من المتطوعين في المجتمعات الإسلامية، خاصة من دول الخليج، رغم وجود الموارد الكبيرة والطاقات ذات الخبرة العالمية، وتجميد مئات

[1] محمد بن عية الله السلومي، **الحرب على الإرهاب وآثارها على العمل الخيري**، ورقة علمية في مؤتمر العمل الإنساني الدولي بين الشرق والغرب، الدوحة، 26-27 مارس 2017.

• يؤكد البنك الدولي في تقريره عن نسبة الفقر في العالم أن تفشي الظاهرة في اليمن مثلا بلغت نسبته 85% من مجموع السكان البالغ عددهم 26 مليون نسمة بفعل النزاعات الداخلية: ينظر المرجع أعلاه.

الملاين من الأموال التابعة للمؤسسات والمنظمات الخيرية الإسلامية في ظل دعاوى ومزاعم تدعيم الإرهاب.

ويختم الباحث قوله "الحقيقة تقول بحيرة وخجل: هذه إحصائيات خطيرة في ساحات إسلامية وسط مخزون كبير من الأموال والاقتصاديات الإسلامية كذلك والإحصائيات تعكس صورة من العار والخيانة بحق الإنسانية !...فهل على الأمم المتحدة أن تتبنى الضغوط على الحكومات المعنية من الغربية والعربية لشركات مؤسسات الإغاثة الإنسانية الإسلامية في المنظومة الدولية وليست لإقصائها؟ وهل حان الوقت لتنادي بتحرير الأموال المعطلة والحسابات المجمدة في المؤسسات الإسلامية ودفعها لمستحقيها تلبية لنداء الشركاء والقانون ولتغطية الاحتياجات الفعلية؟"[1].

2) **العمل الاغاثي: الأشكال والاهداف**

العمل الاغاثي هو" أحد الأوجه الرئيسية للعمل الخيري العام، لأن منطلقاته وأهدافه واعتباراته ومقاصده واحدة، فهو يعد تخصصا مهما ورئيسا من مجالات العمل الخيري المتعددة، مثل (الدعوة، التعليم، الرعاية الاجتماعية، الرعاية الصحية وغيرها)[2].

ويعرفه "موريس توريللي" بأنه:" مجموع الخدمات الصحية أو المواد الغذائية أو المساعدات المقدمة من الخارج لضحايا أي نزاع دولي أو داخلي"[3].

وهو سلوك حضاري في التواصل مع آخرين في الظروف الصعبة كظروف الأزمات والكوارث بتقديم الدعم والمساعدة وتخفيف المعاناة على المتضررين لذلك يمثل العمل الاغاثي صورة من صور التكافل الاجتماعي والإنساني التي أقرها الدين والأخلاق والضمير الإنساني.

[1] محمد عبد الله السلومي، **الحرب على الإرهاب وآثارها على العمل الخيري**، مرجع سابق.
[2] ماجد بن عبد العزيز التركي، **مفاهيم العمل الاغاثي** www.saaid.net/awshatah/dole تاريخ التصفح: 12 أفريل 2018.
[3] محمد حميد عبد الحميد، **الإغاثة الإنسانية بين الإسلام والقانون الدولي الإنساني**، الواقع والتطلعات، www.babu.edu.jo.com تاريخ التصفح: 2018/05/07، سا:12

3) العمل التطوعي:

مصطلح التطوع في قاموس المعاني: من تطوع، يتطوع تطوعا ولغة تطوع أي لان، يلين لينا[1].

في معجم اللغة العربية: تطوع الشخص، أي تقدم لعمل ما مخيرا، قدم نفسه لإنجاز عمل أو مهمة بدون مكافأة أو أجر.

تعرف الموسوعة الحرة (ويكبيديا) التطوع بأنه " عمل اجتماعي إرادي، غير ربحي، دون مقابل أو أجر مادي يقوم به الأفراد أو الجماعات، من اجل تحقيق مصالح مشتركة، أو مساعدة وتنمية مستوى معيشة الآخرين من جيرانهم أو المجتمعات البشرية بصفة مطلقة، سواء كان هذا الجهد مبذولا بالنفس أو بالمال، وهو حركة اجتماعية تهدف إلى تأكيد التعاون، وإبرازا لوجه الإنساني والحضاري للعلاقات الاجتماعية، وإبراز أهمية التفاني في البذل والعطاء عن طيب خاطر (أي بدون إكراه أو إجبار) في سبيل سعادة الآخرين، يعبر عنه في بعض المجتمعات كانعكاس لوعي المواطن، وإدراكه لدوره في المجتمع، وبالتالي انتمائه لهذا المجتمع"[2].

- التطوع هو: "ما تبرع به الشخص من ذات نفسه مما لا يلزمه فرضه"[3].
- التطوع اصطلاحا هو:" الجهد الذي يبذله أي إنسان اتجاه المجتمع الخاص به من أجل تحمل المسؤولية الخاصة في إرضاء الدوافع الإنسانية والمشاعر الداخلية اتجاه المجتمع"[4].

[1] www.arabaoluteering.org.12:20 تاريخ التصفح : 25 مارس 2014 ، سا

[2] http://ar.wikipedia.org13:00 تاريخ التصفح 2014/03/25 سا:

[3] ابن منظور، **لسان العرب**، بيروت، دار صادر، دار بيروت للطباعة والنشر، 1956، المجلد8، ص 243.

[4] محمد بن عبد الله الهران، صلاح بن محمد رحال، **دور العمل التطوعي في تنمية المجتمع ونموذج مقترح لتفعيله**، الرياض، المملكة العربية السعودية، جامعة الملك سعود، ص08.

أهمية العمل التطوعي:

يقوم العمل التطوعي على مبدأ المشاركة، حيث يعمل المتطوع على مشاركة غيره في عديد القضايا التي تمس حياتهم وقضايا مجتمعاتهم وبالتالي فهو يحقق مجموعة من الغايات أهمها:

- التأثير الإيجابي في الأفراد وخاصة الشباب.
- تعويد الفرد على تحمل المسؤولية الاجتماعية.
- يساعد على التقليل من الأمراض والآفات والعلل الاجتماعية كالسلوكات المنحرفة.
- تحقيق تنمية قدرة المجتمع على التكفل بنفسه.
- تكميل العمل الحكومي وتدعيمه لصالح المجتمع، عن طريق رفع مستوى الخدمة أو توسيعها.
- التطوع ظاهرة مهمة للدلالة على حيوية الجماهير وايجابياتها، لذلك يؤخذ كمؤشر على مدى تقدم الشعوب.
- إبراز الصورة الإنسانية للمجتمع وتدعيم التكامل بين الناس.
- يزيد التطوع من لحمة التماسك الوطني[1].

أهداف العمل التطوعي:

يرى الدكتور وجدي بركات أن العمل التطوعي يحقق غايات وقائية إنمائية وعلاجية[2]:

- تعمل الجهود التطوعية على تخفيف المشكلات الاجتماعية التي تواجه المجتمع المحلي.
- تؤدي الجهود التطوعية إلى نمو روح التضامن والتماسك بين المواطنين في المجتمع وتقلل من فرص الصراع والنزاع.
- يساهم في تنمية الشخصية المتوازنة للفرد.

[1] حميد بن خليل الشابجي، **العمل التطوعي: أهميته، معوقاته، وعوامل نجاحه**، مركز أسيار للدارسات والبحوث والإعلام، www.asbar.com تاريخ التصفح: 23 جويلية 2014 سا:12:30.

[2] وجدي بركات، **التوعية بالعمل التطوعي وأهميته داخل المدرسة والمجتمع**، https:// uqu.edu.sa.files2/tivy.com تاريخ التصفح: 2013/10/12.

- إرشاد الفرد للقيم السليمة، ونبذ السلوكات السلبية الهدامة.
- الشعور بالانتماء للجماعة التطوعية، وهذا الشعور يشبع الاحتياجات الاساسية للإنسان.
- التعرف على المهارة والإمكانيات الفردية، ومن ثم نقلها بطريقة علمية في المستقبل.
- تساعد الفرد على وضع أهداف لنفسه تتفق مع قدراته واستعداداته.
- ينمي التطوع علاقات الأفراد الاجتماعية ويزيد من تفاعلاتهم الإيجابية مع بعضهم البعض.
- يزيد من وعي الفرد اتجاه القضايا والموضوعات سواء داخل محيطه أو مجتمعه الخارجي.

ويقدم المختصون في مجال الاجتماعي العديد من التعاريف لمفهوم التطوع منها:

- "العمل التطوعي مجهود قائم على المهارة أو خبرة معينة كل منها يتطوع في مجاله والذي يبذل عن رغبة داخلية، بغرض أداء واجب اجتماعي دون توقع جزاء مالي بالضرورة"[1].
- "هو عمل غير ربحي لا يقدم نظير أجر معلوم، وهو عمل غير وظيفي يقوم به أفراد من أجل مساعدة وتنمية مستوى معيشة الآخرين من جيرانهم أو المجتمعات البشرية بصفة مطلقة"[2].
- التطوع هو:" الخدمات التي يقدمها الفرد خارج إطار عمله، دون توقعه لأية منفعة أو أي مردود مادي، على أن تعود هذه الخدمات بالخير على المجتمع ككل"[3].

بين العمل الإنساني والعمل التطوعي:

يعتبر العمل الإنساني أحد أركان العمل التطوعي، بحيث يرى عديد الباحثين أن العمل التطوعي هو السعي والمبادرة بالمساعدة وتقديم خدمة ما، قبل طلب الجهة أو الجهات

[1] خالد أبو بكر، **التطوع طريق المجتمع لمستقبل أفضل** http :www.islamonline.net/arabic/index.shtml
تاريخ التصفح: 2014/07/24 سا: 10:05 www.saaid.net [2]
تاريخ التصفح: 2014/06/11 سا:13:00 http:///www.qrcs.org [3]

المحتاجة، أما العمل الإنساني فهو العمل على إجابة أو الاستجابة بالجهة المحتاجة بتقديم المساعدة بعد الطلب.

يرى الغامدي أن:" العمل التطوعي أشمل من العمل الخيري، خصوصا إذا نظرنا إليه من جانب العمل الإنساني التطبيقي البحت والذي يكون دافعه إنسانيا غير منطلق من معتقد أو شريعة لأن الإنسان قد "يتطوع" بعمل ما لكنه لا يدخله في الخيرية كمفهوم شرعي، بينما يأتي العمل الخيري وتطبيقاته منحصرين فيما حثت عليه الشريعة الإسلامية وأوحى بها الدين الحنيف من الإحساس بالإنسان عامة والمسلمين خاصة، والعناية بالحيوان والبيئة وغيرها، وأكثر النصوص الشرعية التي يحث على عمل الخير وتقديم العون والمساعدة يقصد بها العمل الخيري ولا يقصد بها العمل التطوعي، في حين ان كثيرا من الباحثين المهتمين بالعمل التطوعي يقعون في هذا الغلط المنهجي عندما يستدلون بالآيات والأحاديث النبوية الشريفة في تأصيل العمل التطوعي ولا يلتفتوا لهذا التفريق المهم"[1].

المطلب الثاني: العمل الإنساني: الأسس والمنطلقات

إذا كان العمل الإنساني كما أسلفنا قد وجد بوجود الجنس البشري على الأرض فإن فكرة تقديم العون والمساعدة للآخر فكرة متأصلة في أعماق النفس البشرية بدافع الوازع الإنساني الذي تحركه الفطرة، فالإنسان كائن اجتماعي وانتماؤه إلى الجنس البشري يجعل من كل الأعمال التي يؤديها ذات أبعاد اجتماعية ينتج عنها حقوق وواجبات اتجاه المجتمع الذي يعيش فيه.

ويتفق الباحثون حول تحديد أهم الأسس والدوافع التي تحرك العمل الإنساني، وبالتالي تعطيه أبعاده الاجتماعية والإنسانية والنفسية.

[1] أيمن الغامدي، **الإسلام اليوم، قراءة في واقع العمل الخيري**، 2012/06،العدد 82.

العمل الإنساني: الأسس الفلسفية والدينية

تجتمع كل الأديان السماوية حول قيمة الإنسان في الحياة والأولوية التي يتمتع بها عن بقية المخلوقات فهي تدعو جميعها إلى احترام الإنسان للإنسان، وتحث على الإخاء والتعاون والمساواة والرحمة بين جنس البشر جميعهم حتى يتحقق الاستقرار النفسي، وتستمر حياة الناس في كنف التكافل والتضامن والحفاظ على كرامة الإنسان.

نستعرض فيما يلي مفهوم العمل الإنساني في الديانات السماوية الثلاث: اليهودية والمسيحية والإسلامية.

أ- **العمل الإنساني في الديانة اليهودية:** تدعو الديانة اليهودية وهي أقدم الشرائع السماوية إلى العدل والمساواة، حيث تضمنت الوصايا العشر لسيدنا موسى عليه السلام التعاليم الدينية التي تضبط واجبات الناس نحو بعضهم ونحو ربّهم، كما دعت إلى الإحسان إلى الضعفاء من اليتامى، والنساء، والأرامل، والفقراء، وتكريس العدالة الاجتماعية معتبرة ذلك من صميم العمل المقدس، لذلك كان اليهود يتصدقون في كل جمعة بالطعام وكان ربّ العائلة يتنازل عن عشر محصوله للرهبان والأغراب واليتامى والأرامل والفقراء"[1].

ب- **العمل الإنساني في الديانة المسيحية:** ولأن الأديان السماوية تكمل بعضها جاءت المسيحية لتكريس سلوك الإحسان والإحساس بالآخرين، وتحث على رعايتهم ومد يد العون للمجتمع منهم، واهتمت بالأيتام والأرامل "واعترفت بنظم اجتماعية كالتبني لليتامى والمساكين وإنشاء بيوت المحبة (الملاجئ) ورعاية الغرباء ... وكانت الأديرة المسحية هي المؤسسات التي تقدم المساعدات للمحتاجين والفقراء بصورة مساعدات مالية أو تقديم الطعام والملابس والمأوى للمحتاجين"[2].

---

[1] **الرعاية الاجتماعية في الأديان السماوية**، موسوعة زنوبيديا http://zainopedia.blogdpot.com تاريخ النشر: سبتمبر 2011.تاريخ التصفح: 04 أفريل 2017، سا: 10:30.

[2] **التكافل الاجتماعي في الديانات السماوية**، www.swa3edmaser.blogspot.com تاريخ النشر:02 ديسمبر 2014، تاريخ التصفح: 13 ماي 2017، سا:06:00.

ج- **العمل الإنساني في الإسلام:** جاءت الديانة الإسلامية جامعة شاملة وخاتمة لما سبقها من الأديان والأعراف لتعطي لمفهوم العمل الإنساني (الخيري) عمقه ودلالته الحقيقية لتحقيق الرعاية الاجتماعية التي تقوم على أسس التعايش السلمي بين الأجناس والأديان تحقيقا للطمأنينة **"يا أيها الناس إن خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا، إن أكرمكم عند الله أتقاكم إن الله عليم خبير"** سورة الحجرات، الآية 13، وتكفل الإسلام باليتيم والطفل والمرأة والوالدين وأوصى بالنفقة والحضانة والإحسان وكرّس مفهوم العمل الخيري الإنساني في أسمى صورة " **يا أيها الذين آمنوا اركعوا واسجدوا واعبدوا ربكم وافعلوا الخير لعلكم تفلحون"** سورة الحج، الآية 177.

ونجح الدين الإسلامي في ترسيخ ثقافة التكافل والتعاون والإغاثة، وربطها بالفوز بالجنة في الآخرة، كما دعت تعاليم الإسلام السمحاء بوضوح إلى احترام الإنسان بغض النظر عن دينه ولونه وعرقه **(إن أكرمكم عند الله أتقاكم)** ، وجعل مساعدة الناس وقضاء حوائجهم من أعظم الأعمال والعبادات ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: أحب الناس إلى الله أنفعهم للناس، وأحب الأعمال إلى الله سرور تدخله على مسلم أو تكشف عنه كربه أو تقضي له دينا أو تطرد عنه جوعا ولان أمشي مع أخ لي في حاجة أحب إلي من المعتكف في هذا المسجد....ومن يمشي مع أخيه في حاجة حتى أثبتها له الله عز وجل قدمه على الصراط يوم نزّل فيه الأقدام"[1].

1) الأسس الفلسفية:

يجد العمل الإنساني في جذوره الفلسفية أرسطو طاليس الذي يرى أنه مادام الهدف الذي يسمى إليه الناس دوما هو السعادة التي لا تحقق إلا من خلال أداء الواجب للتحقيق لتلك الحياة السعيدة التي يحكمها العقل وحده، وأن الفضيلة الأخلاقية تكمن في تجنب التطرف في السلوك واعتماد الحد الوسط لان فضيلة الكرم أو الإحسان هي الحد الوسط بين البخل والتبذير والإنسان عند أرسطو ميال بطبعه إلى الخير والسعادة وعلى طريق الفضيلة ، وهذه

[1] أخرجه الطبراني في الكبير رقم 13646 والأوسط رقم 6026.

النزعة الغريزية تتجلى بوضوح في ميول الإنسان وسلوكاته ، فالخير الأسمى الذي يضمن للإنسان امتلاك السعادة القصوى هو الذي يتحقق بالحياة الفاضلة وممارسته الأفعال الإنسانية الحقة التي وحدها تحقق الكمال الإنساني للفرد، لأن الفضيلة عند "أرسطو" تكمن أساسا في العطاء وخدمة الغير، ولكن الإحسان إلى الغير يتوقف حسبه على الحاجة فوضع الإنسان في غير أهله ليس فضيلة ويولي "أرسطو" أهمية قصوى لمعيار الاستحقاق، فليس معقول في نظر الفيلسوف أن نعمل على إغناء الناس في حين كان من الأجدر إبقاءهم على فقرهم، ولذلك يستثني "أرسطو" العبيد من حق التضامن والمساعدة الخيرية.

ظهرت في عصر النهضة دراسات فلسفية عديدة تناولت القيم الإنسانية والسلوكات الاجتماعية للفرد داخل المجتمع، حيث قدم "آدم سميث" في كتابه الأول نظرية " الشعور الأخلاقي"، حيث استخلص أن الدافع الشخصي للفرد هو أكبر ضمان للصالح العام، فالأول وسيلة والثاني هو الغاية والهدف، وأن السلوك الإنساني يخضع لستة بواعث هي " حب الذات، التعاطف، الرغبة في الحرية، الإحساس بالملكية، عادة العمل، الميل للمبادلة"[1].

كما ظهرت في روما ما قبل الميلاد أفكار وفلسفة "شيشرون""**Ciceron**" من خلال إنتاج ضخم يعتبر نموذجا مرجعيا للتغير اللاتيني الكلاسيكي، ولعل أعظم ما أسهم به "شيشرون" في الفكر السياسي إلى جانب شرح وتحليل لنظرية الرواقيين في القانون الطبيعي التي انتقلت من الأفكار إلى القرب لتكون مرجعه الأساسي حتى في القرن التاسع ميلادي، لذلك هو يعتبر أب الفلسفة السياسية في روما...كما ترك "شيشرون" بحثا في الواجبات " يكمن دوره أساسا في جعل الأفكار اليونانية تتلاءم مع نمط التفكير الروماني، كما يرى الكثيرون أنه عبر "شيشرون" تم نقل النزعة الإنسانية الأخلاقية والسياسية إلى أوروبا الغربية...ويمكن القول أنه جمع إلى الشكل القانوني العميق للفكر الروماني أفكارا فلسفية ذات مصدر يوناني، حيث مع هذا الفكر حل مفهوم الشعب المتلاحم محل الناس المتحدين سياسيا فقط عن اليونان، وهذا التلاحم يتم عبر صلة حقوقية"[2]

[1] إيمون باتلر، آدم سميث، مرجع سابق، **مقدمة موجزة**، ترجمة على الحارس، منبر الحرية، القاهرة، 20/4، ط 1، ص 65.
[2] www.ar.mwikipedia.org/wiki/ شيشرون

في هذا السياق يرى "آدم سميث" أن الاهتمام بالنفس والعدل وعمل الخير أمور جميعها مهمة، غير أن النموذج المثالي لابد أن يتجسد في تعاطف شخص محايد (المراقب المحايد) تعاطفا كاملا مع مشاعرنا وأفعالنا وهنا تكمن الفضيلة".

وكما حاول الفلاسفة أن يحدوا من التأثير الديني (الكنيسة) على فضيلة الإنسان في مذهبه الأخلاقي حاول الفيلسوف "كانط" "**EMMANUEL KANT**" أن يحرر السلوك الأخلاقي من قيود الميول والأهواء ويرى أن الأفعال الإنسانية لا تكون خيرا إلا إذا صدرت عن واجب لا عن ميول أو رغبات، فإذا أراد الإنسان أن يقدم يد المساعدة من أجل إنقاض غريق، فإنه لكي يصبح تصرفه أخلاقيا ينبغي أن يكون باعث الواجب هو الكافي للإقدام على الفعل، وبالتالي فإن غرس الأفعال الخيرة في النفوس يعد واجبا أيضا، فالواجب عند "كانط" منزّهٌ عن كل غرض، مترفع إلى عالم الحقائق في ذاتها، "عندئذ يتصرف ككائن أخلاقي فيخضع سلوكه لمبدأ الواجب ويزاول أفعاله بإرادة حرة و لا يتقيد بغير نفسه التي تعتنق مبدأً أخلاقيا تدين له بالولاء"[1].

ففي "كتابه "Doctrine de la vert**u**" يخصص "كانط" "**E.KANT**" حيزا لتحليل واجبات الإنسان اتجاه الآخر، حيث نلمس من جملة الواجبات المتناولة في المؤلف ما يشير إلى ما يسمى في وقتنا الراهن بالمساعدة الإنسانية حينما يتكلم عن "واجب الحب" [2] Devoir d'amour اتجاه الأخر تماما مثل حب النفس وهو قانون الكمال الأخلاقي، حيث أن كل إنسان ينتظر من الآخر حسن المعاملة والاعتبار، لذلك يرى "كانط" أنه من قبيل الأنانية والنشاط أن لا يتصرف به بمثل اتجاه هؤلاء الآخرين لاسيما المحتاجين منهم الذي يعتبره واجب كوني اتجاه الناس الذي تجمعهم الطبيعة ويخضعون جميعهم لمنطق الحاجة.

ويعتبر رجل القانون الهولندي "Grotius" أول من نشر سنة 1625 كتاب حول القانون الدولي حول الحرب والسلم يحدد فيه الأشخاص غير المقاتلين الذي ينبغي حمايتهم في كل

ينظر: Philippe Rayfman, la question humanitaire, Op,Cit, P29.

[1] مصطفى حلمي، **فلسفة كانط الأخلاقية (الواجب)** www.alukah.net تاريخ النشر: 2012/12/01، تاريخ التصفح 05 ماي 2018، سا 19:44.

[2] Pierre desenarciens, **l'humanitaire en catastrophe, presses de sciences politiques**, 1999.PP.31-32.

الظروف من نساء وأطفال ورجال الدين والحرفيين...الخ، ثم تلاحقت جهود المفكرين طيلة القرن 16 و17 في أوروبا ووسعت من قائمة الفئات الواجب حمايتها بالإضافة إلى فئة المسنين، الممرضين، المرضى، وكذلك سجناء الحرب من الجنود، ولم يتخلف عن هذه الجهود العسكرية كل مفكري القرن 18.

ففي قاموسه الفلسفي (1764) عمد "فولتير "VOLTIR"• إلى شجب الحرب "سبع سنوات"• (1756-1763) حيث وصفها بالقصة الكرنفالية التي تخفي ورائها البربرية واللاانسانية، وعلى خطى فولتير، ذهب معاصره "جون جاك روسو" "D.D.Rousseou في "نظرية العقد الاجتماعي" إلى اعتباره الحرب مسألة دول وأن الأشخاص ليسوا أعداءا إلا العسكريين وليس بصفاتهم الشخصية ودعا للعودة إلى طبيعة الإنسان السعيدة البريئة والقضاء على مجتمع المراتب والطبقات التي أفسدته أشكال الحكم والدين والمؤسسات المختلفة، وربط تحقيق الحريات والمساواة بسيادة الشعوب والديمقراطية المباشرة القائمة على "العقد الاجتماعي" الذي يقوم على إرادة مواطنين أحرار متساوين وصالحين ليست إرادة أكثرية بل جماعية"[1].

كانت من نتائج عصر الأنوار أن الأفكار الفلسفية التي حملها "التنويريون" (نسبة إلى عصر التنوير)، أثرت بشكل مباشر على العمل الإنساني بعيدا عن هيمنة الدين والكنيسة، بحيث بدأت تأخذ ابعادا إنسانية وأخلاقية، لاسيما على مستوى المفاهيم بحيث كان من رفض هذا التأثير بعد أن بدأ يتراجع مفهوم العمل الخيري الذي اعتبر مفهوما دينيا أمام مفاهيهم الإحسان، الإنسانية، فضل الإنسانية...الخ، فكان ذلك ايذاناً بدخول البشرية عهدا جديدا عرف

• **فولتير:** هو فرانسوا ماري أروويه: المشهور باسم فولتير كاتب وفيلسوف فرنسي منن عصر الأنوار ، عرف بنقده الساخر وذاع صيته بسبب سخريته الفلسفية الطريفة ودفاعه عن الحريات المدنية خاصة حرية العقيدة والمساواة وكرامة الإنسان ويعتبر من أعظم المفكرين الذين دافعوا عن حقوق الإنسان وكرامته، بحيث لعبت كاتباته في قيام الثورة الفرنسية.

• حرب سبع سنوات: هي حرب نشبت بين مملكة فرنسا ومملكة بريطانيا، وضمت الحرب تحالفات أخرى مثل إمبراطورية روسيا، مملكة اسبانيا، وتعتبر أول نزاع مسلح على المستوى العالمي" حرب سبع السنوات، www.wikipedia.org

[1] عصر التنوير، **الموسوعة العربية** www.arab.engy.com

بعصر "النزعة الإنسانية"• التي تمتد جذورها الأولى إلى العصر اليوناني القديم الذي يجعل من الإنسان مقياسا للأشياء جميعها.

"لقد أفرز هذا التوجه الفكري الجديد نسقا من الآراء المبنية على احترام كرامة الإنسان والاهتمام برفاهيته وتطوره الشامل وخلق الظروف الملائمة للحياة الاجتماعية، وقد نشأت الأفكار ذات النزعة الإنسانية نشوءا تلقائيا خلال الصراعات الشعبية ضد الاستغلال والخطيئة"[1].

إن الحديث عن مفهوم الخير يدخل ضمن جدل القيم في الفلسفة، كما يرى عديد الباحثين في تاريخ الفلسفة الذي يعتبرونه موضوعا فلسفيا معقدا بامتياز لطالما أرّق الفلاسفة باختلاف مشاريعهم البحثية، لكن هذا لم يمنع الفكر الفلسفي من المساهمة في وضع اللبنات الأولى التي تأسس عليها العمل الإنساني في العالم.

2) الأسس التاريخية للعمل الإنساني:

يعترف الباحثون بصعوبة التأريخ لبداية العمل الإنساني لأنه يرتبط أولا بسلوك إنساني بدأ مع بداية تفاعل الإنسان مع الآخر داخل مختلف الوحدات البشرية سواء داخل الأسرة أو القبيلة أو غيرها، وثانيا تأتي هذه الصعوبة أيضا من كون أن الأعمال الأولى للإغاثة ارتبطت حتما بالكوارث الطبيعية والأزمات الكبرى، وفي مقدمتها الحروب.

فالحروب وحدها كما يقول "روني برمان" "Rony Braumant" هي التي تحرك العمل الإنساني بل إنه ولد من رحم الحروب"[2]، و"الحروب كما أشرنا لذلك سلفا وحسب الإحصائيات بلغت إلى يومنا هذا خمسة عشر ألف حربا ما بين حروب ونزاعات بمعدل

• **النزعة الإنسانية:** هي اتجاه فكري أكتمل ظهوره في عصر النهضة الأوروبية ويتلقى فيه الكثير من المذاهب الفلسفية والعلمية والأدبية والأخلاقية وتمثل النزعة الإنسانية مذهبا فلسفيا أدبيا لا دينيا تلعب عليه النظرة العادية لتتخذ من الإنسان مقياسا للقيمة وأول من استخدم هذا المصطلح هو المؤرخ الألماني "جورج فويت" عام 1856 في فترة عصر النهضة الأوربية، مفهوم النزاعات الإنسانية www.mawdo03.com، تاريخ النشر 2014، تاريخ التصفح: 12 أفريل 2018.

[1] عبد الوهاب المسيري، وعزيز العظمة، **العلمانية تحت المجهر**، دار الفكر، دمشق، ط1، 2000، ص330-331.

[2]Rony Braumant, **Humanitaire, le dilemme**, Paris, Textuel, 2002, P51.

حربين إلى ثلاثة حروب في السنة"[1]، لذلك يكتفي المهتمون بتاريخ الظاهرة بالتركيز على الأزمات الإنسانية التي ساهمت في بلورة معالم العمل الإنساني بالشكل الذي هو عليه اليوم، مستثنية بذلك لكل المبادرات الإنسانية التي عرفتها الإنسانية عبر مختلف مراحل التاريخ الإنساني، كونها في نظرهم لم ترق إلى أن تكون نشاطا إنسانيا بالشكل الذي ظهر عليه فيما بعد.

ومع أن فكرة مساعدة الآخرين فكرة متأصلة في الذات البشرية منذ نشأتها، إلا أن التطور التاريخي في نظر الغرب، ظل لصيقا بتطور مفهوم الإنسانية مع اختلاف واضح من حيث الشكل الذي تم من خلاله التعاطي مع هذه الظاهرة، وذلك قبل أن يظهر الإسلام وينتشر ليوضح للعالمين حقيقة الإنسان والوجود كخليفة الله في الأرض وقد علّمه الأسماء كلها ، وكرّمه على سائر المخلوقات ودعا إلى احترامه وحثه على سلوك طريق التسامح وحب الأخر والرفق في التعامل معه كإنسان أولا والسهر على راحته وخدمته ومساعدته بالشكل الذي يرقى إلى رضى الله وقيمته كإنسان قبل كل شيء.

الفرع الثاني: الأسس الأنثروبولوجية والسيكولوجية للعمل الإنساني

يرى بعض الباحثين أن عملية التطوع في تقديم العون والمساعدة، لا ينبع فقط من دوافع إنسانية أو دينية بحتة وان العمل الإنساني وإن كان يستند لمعايير التطوع الإرادي إلا أن طابع المجانية أو بدون مقابل يخضع حتماً لعامل النسبية، فالمتطوع أو المتبرع في نظر هؤلاء الباحثين عندما يقدم على عملية المساعدة إنما بغرض تحقيق مصلحة معينة ليست بالضرورة مادية، فالشعور بالسعادة والغبطة عقب التبرع يحقق لصاحبه الغبطة والشعور بالأهمية والسمو، وفي هذا الشأن يرى (مارسل موس Marcel Mauss) في كتابه "محاولة تبرع Essai de Don" أن كل شيء يحدث أثناء عملية التبرع أو المنح لا يعدو أن يكون سوى عملية تبادل التي تخضع بدورها لثلاثة إكراهات هي[2]:

[1] تاريخ الحروب والكوارث، ويكيبيديا الموسوعة الحرة، www.wikipedia.org ، تاريخ التصفح: 2014/09/27.
[2]Ernest, Marie M'bonda, **action humanitaire en Afrique : lieux et enjeux**, Edition des archives contemporaines, Paris, 2008, P28.

- إلزامية التبرع **Obligation de Donneur.**
- إلزامية الاستلام **Obligation de Recevoir.**
- إلزامية الدفع **Obligation de Rendre.**

وبالتالي فجميعنا في نظر الكاتب ملزم بالتبرع، ملزم بالاستفادة من التبرع وجميعنا ملزم بإعادة ما استلمه، ويقدم الكاتب المقولة التالية: رفض التبرع وعدم الاكتراث بالدعوة تماما مثل رفض الإستلام أو المساعدة، مثل إعلان حرب، معناه رفض التحالف معناه رفض العيش في المجموعة.

« Refuser de donner, négliger d'inviter comme refuser de prendre équivaut à déclarer la guerre, c'est refusér l'alliancie et la communion »[1]

ومعنى هذا حسب الباحث أن كل مساعدة أو دعم يتلقاه الفرد يلزمه أخلاقيا دينيا وشرعيا، وبالتالي فإن عملية التبرع هي أشبه ما تكون بالمسممة بمبدأ انتظار المقابل.

وعلى نفس المنوال يشير "جورج سيمال" George Simmel"، وهو يحاول تفسير علاقة الدعم والمساعدة التي تحدث بين المجتمع وشريحة الفقراء أو المحتاجين، حيث يرى "أن المجتمعات الأوربية ترمي من وراء تلك المساعدة حماية نفسها، أكثر من حمايتها لهؤلاء الفقراء أنفسهم، لأن هؤلاء الفقراء هم جزء من المجتمع ولكن وجودهم بهذا الشكل داخل المجتمع يتسولون ويملؤون الساحات العمومية والشوارع فوضى وضجر، إنما هم في الأخير عبء يهدد المجتمع نفسه بالخطر وإفساد الحياة العامة"[2].

إن لدى المانحين الحاجة لمدح سلكوهم وتعظيم عملية التبرع وتقدير الإحسان الذي يقومون به، فهم يتمنون باستمرار الشعور بالارتياح الكبير، وهم يرون هذا السلوك مقبولا ومعترفا به في المجتمع انطلاقا من دوافع نفسية أساسها حب الذات، وتقدير الجهد المبذول

[1] Ernest, Marie M'bonda, Op.cit,p29.
[2]SERGE Paujan et FENNZ Schultheies, introduction in Georg Simmel, les pauvres, 2004, p30.

وبالتالي فإن هذه المشاعر مجتمعة إنما هي في نهاية الأمر دافع من دوافع الإقبال على العمل الإنساني.

المبحث الثاني: مبادئ العمل الإنساني

إذا كان العمل الإنساني يوصف بأنه ذلك النشاط الهادف إلى تقديم المساعدة أو الإغاثة للأفراد الذين يواجهون خطرا يهدّد حياتهم، فإنه بذلك يقوم على مجموعة من المثل والمبادئ تميزه عن باقي الأنشطة الإنسانية وتشكل قاعدة عمل أساسية لجميع الفاعلين في حقل المجال الإنساني وهي:

المطلب الأول: مبدأ الإنسانية

يعرّف "قاموس الوسيط" الإنسانية بأنها "جملة الصفات التي تميز الإنسان أو جملة النوع البشري الذي تصدق عليه الصفات"[1].

وتعود كلمة إنسانية "Humanity" باللغة الإنجليزية إلى الكلمة اللاتينية"Humanitas" التي تعني الطبيعة البشرية، وقد عرفها الفلاسفة القدماء بأنها:" المعنى الذي تقوم عليه ماهية الإنسان، وان الإنسان لا يبلغ أعلى المراتب إلا إذا تحولت قوته إلى أفعال، وبذلك يصبح الإنسان كاملا"[2].

ويختلف مفهوم الإنسانية تبعا لاختلاف زاوية الرؤيا التي ينظر منها، وقد أخضع المفهوم لاعتبارات فلسفية واجتماعية مختلفة ففي الفلسفة اليونانية مثلا يعتبرون أن عبادة التماثيل والأصنام انتقاصا للإنسانية، ومع تطور البشرية، حاول المفكرون الانجليز إعطاء تعريف للمفهوم حيث اعتبره تعبيرا عن مدى محبة الناس بعضهم لبعض بغض النظر عن مستوى تفكيرهم وعقليتهم، ومع مطلع القرن 18 ظهرت في أوروبا أفكار جديدة لمفهوم الإنسانية تقوم على أساس تمجيد الجنس البشري، باعتباره أفضل مخلوق لأنه يمتلك عقلا يجعله قادرا

[1] المعجم الوسيط، www.almaany.com./dr/dict/ar/-3r

[2] ما تعريف الإنسانية، https://mawdoo3.com تاريخ التصفح: 2017/02/16، الساعة:19:38.

على التعبير والتفكير، وقد وصل الأمر ببعض المفكرين آنذاك إلى اعتبار الإنسانية ديناً بديلا للبشرية...[1]

أما المفكر الألماني "كانط" فيعتبر الإنسانية:" تعبير عن هدف الأخلاق كما أنها أساس فكرة الواجب عند الإنسان، بينما يعرفها "أوغست كونت" مجموعة الصفات التي تكوّن كائنا اجتماعيا يتطور مع مرور الزمن"[2].

وتقوم الإنسانية في الإسلام على مبدأ الإخاء الإسلامي، فالبشر جميعهم من رجل واحد وامرأة واحدة وتضمهم هذه البنوة الواحدة المشتركة والراحم الواصلة **"يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة..."** سورة النساء، الآية 1، وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم **"كلكم من آدم وآدم من تراب"**، "وقد حرص الإسلام على تطبيق هذا الإخاء الإنساني الرفيع وأقام على أساسه مجتمعا ربانيا إنسانيا فريدا تضمحل أمامه فوارق الجنس واللون والقبلية والطبقة"[3].

تعرف الحركة الدولية للصليب الأحمر والهلال الأحمر مبدأ الإنسانية بأنه "ضمان معاملة الأفراد بطريقة إنسانية في جميع الظروف"[4]، وهو المبدأ الذي يضمن التعامل مع المتضررين من الأزمات الدولية والكوارث المختلفة بنفس المستوى مع الرعاية والدعم ضمن مختلف الأنشطة الاغاثية التي يتطلبها الموقف الازموي، ويفترض من المنظمات الإنسانية أن تكون مستقلة وألا نخضع في ممارسة نشاطها سوى للقيود الإنسانية التي يفرضها العمل الإنساني وحده•.

---

[1] رشيد الشيحاني، **مفهوم الإنسانية**، www.kitabat.info.subject.php، تاريخ النشر 2017/10/09، تاريخ التصفح: 2018/07/18: ساعة:22:00

[2] **تعريف الإنسانية**، تاريخ النشر: 2018/04/30، تاريخ التصفح: 07 ماي 2018 ، ساعة: www.mawdoo.com11

[3] موقع سيدنا محمد (ص) تاريخ التصفح 01 ماي 2018. ، ساعة: www.muhammad.pbuh.com19

[4] القاموس **العملي للقانون الإنساني**، مرجع سابق.

• **ملحق (الإنسانية):** تنص المادة 03 فقرة 02 من نظام اللجنة الدولية للصليب الأحمر والهلال الأحمر على أن:" المميز للجنة الدولية هي صليب أحمر على خلفية بيضاء وشعارها الرحمة في قبل المعارك "والإنسانية طريح السلاح".
جان بكتيه، المبادئ الأساسية للصليب الأحمر والهلال الأحمر، ط1، اللجنة الدولية للصليب الأحمر، 1975، ص 03.

المطلب الثاني: مبدأ الاستقلال

يفترض في العمل الإنساني أن يتم بمنأى عن كل ضغوط أي كان نوعها ومصدرها سواء أكانت ضغوطا سياسية أو مالية أو عسكرية وأن الالتزام الوحيد يكون أمام الضمير الإنساني في الدفاع عمن هم بحاجة إلى مساعدة إنسانية، لذا يستوجب على كل منظمة إنسانية إثبات استقلالها عن كل القيود حتى يتسنى لها القيام بدورها في تقديم الرعاية الإنسانية وفق المبادئ التي يقوم عليها العمل الإنساني نفسه.

المطلب الثالث: مبدأ عدم التحيز

ومعناه عدم ممارسة أي تمييز أثناء أداء المهام الإنسانية على أساس الجنسية أو العرق أو المعتقدات الدينية أو الطبقة الاجتماعية أو الآراء السياسية، بل ينبغي في تقديم أعمال الإغاثة الإنسانية الاسترشاد فقط باحتياجات المتضررين مع إعطاء الأولوية لأكثر الحالات تضررا وإلحاحا.

إن احتياجات الضحايا هي المعيار الوحيد الذي ينبغي على المنظمات الإنسانية العمل به أثناء تقديم المساعدات والحماية اللازمة تبعا للظروف العامة المحيطة بالواقع، كما ينبغي الامتناع عن تقديم المساعدات وفق أجندة طرف أو آخر له مصلحة في الأزمة أو الصراع القائم، وبموجب المادة 70 من البروتوكول الأول الإضافي من أحكام القانون الدولي الإنساني: "يعد عدم التحيز شرطا أساسيا لأعمال الإغاثة التي تتم في حالة النزاع المسلح الدولي، وأن أعمال الإغاثة تقدم عندما لا تتوفر لدى السكان المؤن الكافية، وأن تكون الأعمال إنسانية، وغير متحيزة من حيث الطابع وأن تتم دون تمييز مجحف"[1].

[1] النظام الأساسي للحركة الدولية للصليب الأحمر والهلال الأحمر (أكتوبر 1986) الديباجة "عدم التحيز".

المطلب الرابع: مبدأ الحياد

الحياد "هو عدم التحيز، وفي السياسة هو تبني الدولة موقفا يبعدها عن التكتلات، أي رغبة في الابتعاد عن النزاعات"[1].

كما يعرف الحياد بأنه: "التزام تقطعه الدولة على نفسها بعدم التدخل في شؤون الأسرة الدولية إذا كان هذا التدخل يفض إلى استخدام القوة المسلحة..."[2]

ظهر مصطلح الحياد أول مرة في القرن الرابع عشر، وتقول الدراسات أن "غروشيوس" يكون أول من وظف المفهوم عند تناوله لقواعد الحرب الباردة، حيث أشار إلى أن الدول بإمكانها أن تلتزم الحياد حيال نزاع مسلح قائم وذلك في القرن 16.

ويفرق الباحثون بين الحياد المؤقت والحياد الدائم، فالأول ظهر سنة 1713 نتيجة "اتفاق اوترخت" بين فرنسا وبريطانيا كأول اتفاق يتناول التزام الحياد في وقت النزاعات المسلحة البحرية، تلاه "تصريح فينا" في 20 مارس 1815 والمتعلق بحياد دولة سويسرا الذي أكدته "اتفاقية فرساي" سنة 1919 كأول حياد دائم"[3].

"في سنة 1856 يأتي "إعلان باريس" الذي اعتبر كبداية لتقنين مفهوم الحياد، والتأكيد على الالتزام القانوني الذي يقع على عاتق الدول المتحاربة حيال الدول التي تعلن عن رغبتها في عدم دخول الحرب"[4].

غير أن الحياد كمبدأ قانوني لم يظهر إلا مع توقيع اتفاقية لاهاي سنة 1899 حول قانون الحرب التي نصت على ضرورة المحافظة على الحياد كمبدأ قانوني أثناء الحروب والمنازعات.

---

[1] **مفهوم الحياد، القوات اللبنانية،** www.lebanese.forves.com تاريخ النشر: 11 أي 2015، تاريخ التصفح: 2018/05/10.

[2] الحياد، تركمستان في عيون العرب http://turkmemenistant/ar.wordpress.com، تاريخ: 2016/08/02، سا:00

[3] الموسوعة العربية، **الحياد،** www.arabency.com/ar.com

[4] الموسوعة العربية، مرجع سابق.

ثم تأتي اتفاقيات جنيف الأربع سنة 1949 لتعلن إقحام مفهوم الحياد في فضاء العمل الإنساني أثناء النزاعات المسلحة وضرورة الالتزام به في سبيل حماية الضحايا وهو ما يشكل في ذاته ركيزة أساسية من ركائز "القانون الدولي الإنساني".

حيث يفرض مبدأ الحياد على جميع المنظمات العاملة في المجال الإنساني القيام بعمليات الإغاثة الإنسانية مع الحرص على الالتزام بالحياد التام حيال النزاع وكذا ضحايا الأزمات الدولية، وذلك بالبقاء على مسافة واحدة من أطراف الصراع والاكتفاء بتقديم المساعدات، وذلك بهدف جعل أطراف النزاع يتقبلون عمليات الإغاثة كعمل إنساني غير عدائي على اعتبار أن المنظمات الإنسانية ليست طرفا في الصراع، وان تحرص تلك المنظمات الإنسانية على عدم الاشتراك في حالات الجدال بكل أشكاله، بحيث يبقى تقديم المساعدات خارج نطاق السياق السياسي والديني والعرقي والإيديولوجي في جميع الأوقات.

لابد من الإشارة أن القانون الدولي الإنساني لم يتضمن سوى مبدأين أساسيين هما: مبدأ الإنسانية ومبدأ عدم التحيز، وهو ما نصت عليه "اتفاقيات جنيف الأربع"• التي يستند إليها القانون الدولي الإنساني، ولكن تفاصيل المبادئ العامة للعمل الإنساني وردت في مدونة قواعد السلوك "للحركة الدولية للصليب الأحمر والهلال الأحمر"• وفي ما يسمى بالميثاق

• **اتفاقيات جنيف:** وهي أربع اتفاقيات دولية وتعرف بأنها مجموعة من القوانين الدولية التي تدخل في صميم القانون الدولي الإنساني والتي تهدف إلى توفير الحماية والضمانات الدولية للمدنيين خلال النزاعات المسلحة، وقد صدرت اتفاقية جنيف في عام 1949 وتضم أربع اتفاقيات هي:

- اتفاقية جنيف الأولى 1864: وقد نصت على تحسين حالة الجرحى والمرضى من أفراد القوات المسلحة في الميدان.
- اتفاقية جنيف الثانية 12 أوت 1949: وتنص على تحسين حالة الجرحى والمرضى الناجين من السفن الغارقة من أفراد القوات المسلحة الغارقة.
- اتفاقية جنيف الثالثة 15 أوت 1949 بمعاملة أسرى الحرب.
- اتفاقية جنيف الرابعة 1949 وتتعلق بحماية المدنيين وقت الحروب.

كما تم ضم بروتوكولين اثنين في 08 يونيو 1977 خصص البروتوكول الأول: للحروب بين الدول فيما خصص الثاني للحروب داخل الدولة الواحدة (أهمها الحروب الاهلية)، وقد تم إضافة بروتوكول ثالث سنة 2005، يخص شعار المنظمة.
اتفاقيات جنيف الأربع: www.arm.wikipedia.org

• **المنظمة الدولية للصليب الأحمر والهلال الأحمر**: هي منظمة مستقلة ومحايدة تقوم بمهام الحماية الإنسانية من تقديم المساعدات لضحايا الحرب والعنف المسلح وتعدد نشأة اللجنة إلى الجهود الإنسانية التي قام بها السويسري دونان إبان الحرب الفرنسية النمساوية في معركة سلوفرينو بإيطاليا في 24 يونيو 1859، حيث قام بتوجيه نداءين ضم الأول الدعوة إلى تشكيل جمعيات الإغاثة في وقت السلم تضم ممرضين مستعدين لرعاية الجرحى إبان الحرب، وأما النداء الثاني فيدعوا فيه إلى الاعتراف بأولئك المتطوعين الذين يتعين عليهم مساعدة الخدمات الطبية التابعة للجيش وحمايتهم بموجب اتفاق دولي، وفي 1863 تشكلت جمعية جنيف للمنعة العامة التي انبثقت عنها اللجنة الدولية لإغاثة الجرحى التي أصبحت فيما بعد اللجنة الدولية للصليب الأحمر، وفي أعقاب الحرب العالمية الثانية عقد مؤتمر دبلوماسي دامت مداولاته أربعة أشهر

الإنساني لمشروع "سفير"•، حيث يضاف إلى المبادئ الأربعة سالفة الذكر (مبدأ الإنسانية، مبدأ الاستقلال، مبدأ عدم الانحياز، مبدأ الحياد) ثلاثة مبادئ تتبناها الحركة الدولية للصليب الأحمر والهلال الأحمر هي: الخدمة التطوعية، مبدأ الوحدة، ومبدأ العالمية.

- **الخدمة التطوعية:** التطوع كما أشرنا إلى ذلك في تعريفنا للعمل الإنساني هو من أهم الخصائص التي يتميز بها عمل الناشطين في مجالات الأعمال الإنسانية والاغاثية ومعنى ذلك أن الخدمة التطوعية لا تسعى إلى تحقيق ربح جرّاء الخدمات الإنسانية التي تقدمها، وقد ورد في ميثاق الحركة الدولية للصليب الأحمر والهلال الأحمر أن:" الحركة هي منظمة تقوم على الأساس التطوعي وإذا فشلت الحركة في إدراك قيمة التطوع، فإنها ستكون عرضة لأن تتحول للبيروقراطية، وستخسر المصدر الأساسي للدافعية والإلهام والمبادرة، وستقطع الجذور التي تحافظ على الصلة بينها وبين الاحتياجات الإنسانية وقدرتها على تلبية هذه الاحتياجات..."[1].
- **مبدأ الوحدة:** ويعني هذا المبدأ، وجود تنظيم دولي واحد في العالم يحمل على عاتقه مهمة حماية ضحايا الحروب والنزاعات المسلحة بموجب اتفاقيات جنيف 1949 وذلك تفاديا للوقوع في مشكل ازدواجية القرارات وبالتالي التأثير على سرعة التدخل وفعاليته.
- **مبـــدأ العالميـــة:** تتســـم الحركـــة الدوليـــة للصـــليب الأحمـــر والهـــلال الأحمـــر بالطـــابع الـــدولي لنشـــاطها، فهـــي تتنشـــر فـــي كـــل أنحـــاء العـــالم، وهـــو مـــا يســـمح لهـــا إمكانيـــة التـــدخل بفعاليـــة لتأديـــة عملهـــا، وبغـــرض تحقيـــق هـــذا المبـــدأ

واعتمدت على إثره اتفاقيات جنيف الأربع التي عززت حماية المدنيين في أوقات الحرب، ثم أكملت هذه الاتفاقيات في سنة 1977، ببروتوكولين إضافيين، وهكذا تحولت هذه اللجنة التي بدأت مبادرة سويسرية خاصة إلى منظمة دولية منتشرة في 80 بلدا عبر العالم وتوظف 12 ألف شخصا.

Michel Mercier, comite international de la Croix-Rouge, le savoir, suisse, Paris, 1996, P33.

ويكيبيديا: اللجنة الدولية للصليب الأحمر، تاريخ النشر 2012/08/12 www.wikipedia.org

• **مشروع سفير**: هو مبادرة طوعية تجمع مجموعة كبيرة من الوكالات الإنسانية حول هدف مشترك ينجلي في تحسين جودة المساعدات الإنسانية وتعزيز مساءلة الجهات الفاعلة أمام منشئيها والمانحين والسكان المتضررين، وقد أنشئ المشروع منذ سنة 1979 كمنظمة لا تقوم على العضوية وتتكون من ممثلين في شبكة عالمية من الوكالات الإنسانية ليصبح مجتمعا يضم عاملين في مجال الاستجابة الإنسانية في جميع أنحاء العالم ويرتكز مشروع السفير على دليل بعنوان الميثاق الإنساني والمعايير الدنيا في جال الاستجابة الإنسانية التي تحضى بأكبر قدر من الشهرة والاعتراف الدولي ويهدف المشروع إلى تمكين جميع الأشخاص المتضررين من الكوارث والنزاعات في العالم من إعادة تأسيس حياتهم واستعادت كسب الرزق بطرق تكفل احترامهم وتعزز من كرامتهم.

مشروع "سفير" www.spttereprohect.org تاريخ التصفح: 2018/03/16 سا: 06:39.

[1] الاتحاد الدولي لجمعيات الصليب الأحمر والهلال الأحمر، المبادئ الأساسية السبعة، www.ifrc.org.

عمدت اللجنة إلى توسيع دائرة نشاطها عبر العالم بتعداد بشري قوامه 11 ألف موظف اغلبهم من مواطن البلدان التي تعمل فيها بالإضافة إلى 800 شخص يعملون في مقر اللجنة الدولية للصليب الأحمر يسهرون على تنفيذ سياسيات المؤسسة وتحقيق استراتيجياتها.

لاشك أن هذه المبادئ السبع مجتمعة استطاعت أن تحقق للعمل الإنساني الكثير سواء فيما يتعلق بمصداقيته في عيون الضحايا بالدرجة الأولى ومن ثم الدول المعنية بالنزاعات المسلحة، بحيث استطاعت المنظمات الدولية الإنسانية أن تثبت وجودها في عديد النقاط الساخنة واستطاعت رغم صعوبة الظروف أن تحقق الدعم والمساعدة الإنسانية وتحقق من حجم المعانات الإنسانية في بؤر التوتر المتعددة، ولكن رغم هذا النجاح المؤكد، إلا أن المتغيرات السياسية والدولية والإقليمية، أفرزت واقعا جديدا أكثر تعقيدا أثّر على المردود السلوكي للفاعلين في مجالات العمل الإنساني، وبالتالي توسّعت الهوّة بين الخطاب الذي يتبناه العمل الإنساني نظريا اعتبارا للمبادئ التي تحكم نشاطه، وبين الممارسة الميدانية ومن ثم أخذت تطرح استفهامات عديدة حول مدى فعّالية العمل بمبادئ القانون الدولي الإنساني وعما إذا كانت هذه المبادئ لا تزال قادرةً على إثبات فعاليتها في منطق النزاعات المختلفة، وهو ما سنتطرق إليه في المبحث التالي:

المبحث الثالث: التطور التاريخي للعمل الإنساني

سنتطرق في هذا المبحث إلى أهم المراحل التي مرّ بها العمل الإنساني في رحلة تطوره وكذا العوامل التي ساهمت في التحول الذي عرفه طيلة هذه المرحلة.

المطلب الأول: مراحل تطور العمل الإنساني

المرحلة الأولى: تأثير الوازع الديني

مع أن فكرة مساعدة الآخرين والتضامن معهم، فكرة متأصلة في الذات البشرية منذ نشأتها، فقد جُبلت النفس فطريا على فعل الخير، إلا أن التطور التاريخي للعمل الإنساني في نظر الغرب ظل لصيقا بتطور مفهوم الإنسانية "حيث يتسق ويتواءم معها انحدارا وصعودا وضيقا واتساعا فكلما علا واتسع مفهوم الإنسانية، علا واتسع معه العمل الإنساني والعكس بالعكس"[1] ومعنى هذا أن دراسة التطور التاريخي للعمل الإنساني يقوم على دراسة وفهم تطور مفهوم الإنسانية عبر التاريخ، مع أن المفهوم نفسه ظل يثير خلافا فلسفيا ومفاهيميا بين الباحثين والفلاسفة منذ القديم إلا أن المفهوم ارتبط مع بداية التاريخ البشري بإقبال الناس بشكل وظيفي على التعاون والمساعدة، وقد أقرت الديانات السماوية كما أشرنا ذلك في الفصل الأول بأهمية العمل التطوعي الخيري كركيزة للتقرب إلى الخالق، وبذلك اتخذ العمل الإنساني مع بداياته الأولى الطابع الديني الذي يجد جذوره ومضامينه في الديانات السماوية الثلاث: اليهودية، المسيحية والإسلام.

ففي الديانة اليهودية وردت الكثير من النصوص التي تحدد نماذج لما يعرف بالرعاية الاجتماعية والعمل التطوعي ولعل أهم ما في ذلك ما تضمنته الوصايا العشر التي نزلت على سيدنا موسى عليه السلام ومنها[2]:

- طوبي لمن ينظر للمساكين في يوم الشر ينجيه الرب.
- افتح يدك لأخيك المسكين الفقير في أرضك.
- من يرحم الفقير يقرض الرب وعن مصروفه يجاز.

---

[1] عبد الله المحسن الجزافي، **مفهوم وتاريخ العمل الإنساني**، مرجع سابق، ص 18.

[2] سفر الامتثال، أصحاح 19، الكتاب المقدس، www.enjell.com تاريخ التصفح: 2018/06/19، سا:11:27.

وقد ورد في شرائع بني إسرائيل أن العمل على قتل واستحياء نفس واحدة بمعدل قتل الناس جميعا، والعمل على دفع القتل والضرر عن نفس واحدة عملا عظيما يعدل إحياء الناس جميعا.

ويفسر الشوكاني :" معنى فساد في الأرض مثل هدم البنيان وقطع الأشجار وتغوير الأنهار بالإضافة إلى قتل النفس، وبالمقابل فإن إحياء النفس يتم بتوفير كل ما يساعد الإنسان في حياته مثل تقديم الطعام وإزالة الأذى من الطرق وانجائه من الغرق أو الحرق أو الهلاك"[1].

وفي الديانة المسيحية تعتبر المحبة هي جوهر المسألة في العمل التطوعي، فقد دعت المسحية إلى رعاية الأيتام والأرامل، وإنشاء بيوت المحبة ولعبت الكنيسة دورها في التكفل في المشروعات الخيرية، وفي نصوص العهد الجديد توجه الكثير من الأمثلة عن أهمية فعل الخير:[2]

- بالصدقة يقبل الصوم ومعها تقبل الصلاة.
- من سألك أعطه، ومن أراد أن يقترض منك فلا ترده.

"إن المحبة في المسيحية تقتضي تخصيص الوقت الآخر للقائه وخدمته، وهي ليست محبة الإشباع للمشاعر العاطفية، ولا هي محبة مصلحة ولا مجد، ولا عرق، و لا دين وليست محبة من أجل المال، بل هي محبة من أجل الله والإنسان"[3].

وفي الإسلام فإن العمل الإنساني أو العمل الخيري هو مطلب ديني، وحاجة إنسانية وضرورة اجتماعية وهو يرتبط ارتباطا وثيقا بالعقيدة والعبادة، لذلك أوصى الدين الإسلامي خيرا بالمريض واليتيم وابن السبيل

[1] محمد بن علي بن محمد الشوكاني، **فتح القدير**، الجزء الثاني، دار الفكر، بيروت، ص 35.
[2] ياسمين أبو فخر، **سلسلة مفاهيم العمل التطوعي**، www.ensan.online تاريخ النشر: 2017/07/26، تاريخ التصفح: 2017/08/30.
[3] العمل التطوعي من وجهة نظر المسيحية، www.qenshrin.com تاريخ النشر، 2018/03/21، تاريخ التصفح: 2009/03/30

والملهوف والمظلوم، فالعبادة في الإسلام شاملة قوامها العلاقة مع الله والعلاقة مع النفس، والعلاقة مع الناس، فكما أوجب إغاثة المستغيث وإنقاذ المهددين تحت أي ظرف، اعتبر في نفس الوقت الممتنع عن الإنقاذ حيث القدرة عليه قتلا متعمدا ويوجب العقاب الدنيوي والأخروي.

المرحلة الثانية: الطابع الفلسفي للعمل الإنساني

تتكامل الجهود الفكرية للفلاسفة عبر كل المراحل التاريخية التي عرفها الفكر الفلسفي الإنساني، حيث تأخذ حقوق الإنسان شكلها وتحققها بعدا فلسفيا وعقديا وسياسيا، فأما البعد الفلسفي فهو يتصّل بأصل هذه الحقوق ومرتكزات إقرارها ومتعلقاتها، وأما البعد العقدي فهو يتصل بها كقناعة لها قدسية ترتبط بالإنسان وبحياته في ممارستها وجودا وعدما، أما البعد السياسي فهو بُعد التفصيل والممارسة التي ينبغي أن تكون مجردة من المصلحة الخاصة، وذلك حتى تحقق قواعد الحماية لهذه الحقوق وأهدافها في حفظ كرامة الإنسان ومكانته وامتيازاته"[1].

إن الأساس الفلسفي للحقوق الطبيعية للإنسان هو القانون الطبيعي، فالفرد في آدميته له حقوق يستمدها من طبيعته، وهي حقوق فوق التشريعات والاتفاقات.

لقد أرسى مفكرو اليونان القدامى أسس البعد الأخلاقي الشخصي تساؤل حول مفهوم الحياة الطبيعية وكيف ينبغي أن يعيش المرء حياته، وجاءت الإجابات الفلسفية لتعتبر أن الباب لتلك السعادة الشخصية هي التخلص من الحس الأناني في خدمة الآخرين وفق القاعدة الذهبية رداً على فعل الآخرين ما نحب أن يفعلوه لك". خاصة مع ظهور ما يعرف

[1] احمد مبارك سالم، **حقوق الإنسان ين الفلسفة والعقيدة والسياسة**.، https://www.policemc.gov.bh تاريخ التصفح: 2017/09/09، سا:10:00.

بـــ"الانسانوية"• فـــي عصـــر النهضـــة مـــا بـــين القـــرنين (14و17م) وتنـــامي فكرة الاعتماد على الفعل بدل الاعتقاد الديني.

المرحلة الثالثة: الطابع الإنساني

النزعـــة الإنســـانية هـــي تلـــك الفلســـفة التـــي تضـــع الإنســـان والقـــيم الإنســـانية فـــوق كـــل شـــيء، وقـــد انطلقـــت الحركـــة الإنســـانية مـــن ايطاليـــا فـــي القـــرن الرابـــع عشـــر ثـــم انتشـــرت فـــي أوروبـــا، وتقـــوم هـــذه النزعـــة علـــى فرديـــة الإنســـان وأهميتـــه ومكانتـــه فـــي الكـــون، وعليـــه يقـــاس كـــل شـــيء ونجـــد هـــذه النزعـــة جـــذورها فـــي الفكـــر الفلســـفي اليونـــاني القـــديم، ثـــم تطـــورت واكتمـــل نضـــجها فـــي عصـــر النهضـــة الأوربيـــة، حيـــث ركـــزت علـــى الإنســـان وتحريـــره مـــن قيـــود العصـــور الوســـطى وســـيطرة الكنيســـة، ومـــن ثـــم إعـــادة الاعتبـــار لكرامتـــه وحقوقـــه، ومـــن عصـــر النهضـــة إلـــى قـــرن الأنـــوار الـــذي أعلـــن ثـــورة علـــى المفـــاهيم والقـــيم الســـائدة معـــا، فعلـــى مســـتوى المفـــاهيم تراجـــع مفهـــوم عمـــل الخيـــري"Charité" أمـــام مفهـــوم الإحســـان"Bienfaisance" كمـــرادف لمصـــطلح العمـــل الخيـــري،" وقـــد اســـتمر المصـــطلح الأخيـــر مرتبطـــا بتصـــورات العصـــر الفيكتـــوري عـــن ســـخاء وعطـــف الطبقـــات العليـــا فـــي المجتمـــع علـــى الطبقـــات الـــدنيا، أمـــا فـــي الولايـــات المتحـــدة، فهنـــاك تمييـــز بـــين المفهـــومين، إذ يشـــير الإحســـان إلـــى المـــنح والعطـــاء الموجـــه لمعالجـــة مشـــكلة أو قضـــية مـــا، فـــي حـــين أن العمـــل الخيـــري يوّجـــه مـــوارده لمعالجـــة أســـباب المشـــكلة من جذورها، والوقاية منها، وتفادي وقوعها"[1].

• **الإنسانية أو النزعة الإنسانية:** هي اتجاه فكري ظهر واكتمل في عصر النهضة الأوربية وتلتقي عنده الكثير من المذاهب الفلسفية والعلمية والأدبية والأخلاقية، وتمثل الانسانوية مذهبا فلسفيا أدبيا لا دينيا، تغلب عليه النظرة المادية، الإنسان هو مقياس كل شيء.
ينظر: الهامرجع سابقرحان، **مفهوم النزعة الإنسانية**،www.mawd003.com

[1] إبراهيم البيوني خالد، **مقاصد العمل الخيري والأصول الإسلامية للمشاركة الاجتماعية**،
htpp://books.google.de.books تاريخ النشر: يناير 2012، تاريخ التصفح: 2013/10/26، سا: 13:00

وأما على مستوى القيم تركزت "عصور العقل" على إعادة تعريف مفهوم حب الخير للناس أو حب الناس خارج الفضاء الديني (المسيحي).

- وفي العصر الحديث: يتكلم الباحثون عن المراحل الست التي مرّ بها العمل الإنساني الحديث هي[1]:

- إنشاء الصليب الأحمر سنة 1863 التي اعتبر الفعل التأسيسي لظهور العمل الإنساني الحديث كنتيجة مباشرة لاتفاقيات جنيف.
- مرحلة هيكلة العمل الإنساني وظهور أولى الجمعيات الإنسانية، مثل جمعية (أنقذوا الأطفال، Save the Children سنة 1919) التي كانت تهدف إلى مساعدة ضحايا الحربين العالميتين الأولى والثانية، وكان لتأسيس منظمة الأمم المتحدة سنة 1945 دورا هاما في حماية الأمن والسلام وتكريس احترام القانون الدولي الإنساني وفق اتفاقيات جنيف.
- مرحلة نهاية الصمت والحياد (حرب بيافرا "Biafra"وظهور منظمة أطباء بلا حدود "MSF") بحيث تسببت النتائج الوخيمة لحرب بيافرا بسبب المجازر والتجاوزات الخطيرة التي وقعت والصور المرعبة التي تناقلتها عدسات الكاميرا لضحايا المأساة وهم يموتون جوعا، وهو ما دفع بالضمير الإنساني العالمي للتحرك،.
- المرحلة الرابعة وهي مرحلة نجاح العمل الإنساني: حيث كثرت الحروب الداخلية، والصراعات السياسية مع دخول الصورة التلفزيونية على الخط لنقل وتغطية الأحداث (1970-1980)، كما في أنغولا، الكومبودج، أفغانستان...وغيرها.
- انشقاق منظمة أطباء بلا حدود بسب خلاف حول ما يسمى سفينة نحو فيتنام، وظهور أطباء العالم سنة 1980، وظهور ما يعرف بالعمل الإنساني الاستعجالي.
- مرحلة ما بعد الشيوعية: الفضاء الإنساني (1990) وظهور النظام العالمي الجديد أكثر عدلا من طرف الولايات المتحدة الأمريكية، بحيث يعتبر العمل الإنساني عاملا مركزيا،

[1] Stephanie.dupont.free.fr/humanitaire.htm, les six étapes fondatrices de l'humanitaire moderne .

كما لم تعد هناك تدخلات عسكرية بدون مبررات إنسانية (رواندا، الصومال، كوسوفو، البوسنة، تيمور...الخ).

كما أن هناك من يلخص تطور العمل الإنساني الحديث في المراحل التالية[1]:

المرحلة الأولى: من معركة سوليفرنو (1859) إلى بداية حرب بيافرا 1967 وتتميز هذه المرحلة بـ:

- إنشاء لجنة الصليب الأحمر (1863).
- ظهور أفكار دونان وتأثيراتها على:
  - ✓ مبدأ تقديم الإسعافات للجرحى في الحروب بغض النظر عن انتماءاتهم.
  - ✓ البحث عن مساندة الرأي العام للضغط على الحكومات.
- إنشاء اللجنة الدولية لإسعاف الجرحى: حيث كانت بمثابة الخلية الأولى نحو ظهور اللجنة الدولية للصليب الأحمر.
- وضع المعايير القانونية الدولية التي سمحت للجمعيات الإنسانية الصاعدة من مباشرة عمليات المساعدة.
- انعقاد أولى اتفاقيات جنيف وهي بمثابة الحجر الأساسي لأول إطار قانوني وتشريعي للعمل الإنساني والذي أصبح يعرف فيما بعد بالقانون الدولي الإنساني".
- بدأ عدد من الجمعيات الوطنية للإغاثة في الظهور.
- ظهور المنظمات الدولية.
- ظهور المنظمات الدولية غير الحكومية.

المرحلة الثانية: ما بعد "بيافرا"[2] قرن العمل الإنساني

---

[1] Ryfman, Op.Cit, P34.

[2] Zsuzsa Anna Fevenczy :**les ONG humanitaires leur Financement et les Medias : Centre international de formation européenne**, Nice,Juin 2005,p14

في شهر ماي سنة 1967 أقليم "بيافرا" التابع للتراب النيجيري يحاول تكوين دولة مستقلة، وهو ما فسرته الحكومية المركزية بمحاولة التمرد وحركة انفصالية، لذا وجب مواجهتها بالصرامة، وبكل الوسائل والقوة مما عجّل باندلاع مواجهات عسكرية دامية خلفت طيلة ثلاث سنوات حوالي مليون ضحية بسبب الحرب والمجاعة التي تفشت فيها.

وتوصف هذه الحرب بالمنعرج الحاسم في تاريخ العمل الإنساني الحديث، بل هناك من الباحثين من يرى أن العمل الإنساني العصري ولد من رحم بيافرا (1967-1970)، بحيث تزامنت هذه الحرب مع دخول البث التلفزي عصرا جديدا وقد استطاع الوصول إلى تغطية القارات الأربع وبالتالي تقريب الرأي العام العالمي من الأحداث الكبرى والمؤثرة في المجتمع الدولي. وهو ما سمح للمنظمات الإنسانية غير الحكومية وفي مقدمتها اللجنة الدولية للصليب الأحمر بالدخول في عملية استعجاليه غير مسبوقة، دفعت بالعمل الإنساني الحديث إلى الولوج إلى العالمية وقد لقيت صور الضحايا والأجساد البشرية التي نخرتها المجاعة وصور الموت جوعا أمام عدسات الكاميرا رواجا عالميا، وحركت الضمير الإنساني العالمي نحو الدخول في عملية تبرع وجمع الأموال للضحايا بشكل غير مسبوق، ومن ثم ظهر جيل من الفاعلين الإنسانيين في شكل منظمات دولية غير حكومية التي تنامى عددها بشكل كبير بداية من سنة 1970 جيل يوصف لدى الباحثين بجيل الإغاثة والدعاية.

وفي الواقع أن حرب بيافرا لم تكن مجرد حركة تمردية أو نزاع داخلي تعرفه دولة بل كشفت تطورات الأحداث المتلاحقة أن الحدث تحكمه رهانات عسكرية وإستراتيجية كبرى حركتها المنظمات الإنسانية ونشطتها الصورة التلفزية على اعتبار أنه وبمجرد انتهاء الحرب ظهرت إلى الوجود مفاهيم جديدة سيكون لها وقعها الكبير في تاريخ المجتمع الدولي والعلاقات الدولية الحديثة، هذه المفاهيم هي "حق التدخل الإنساني" و"واجب التدخل الإنساني"، فإذا كان الثاني وهو "واجب التدخل الإنساني" يأخذ واجبا إنسانيا في التحرك نحو إغاثة المحتاجين والمتضررين أثناء الأزمات الكبرى فإن الأول: "حق التدخل الإنساني" على ما يلفه من غموض أثار جدلا واسعا وكانت له تداعيات على مفاهيم السيادة

الوطنية، العمل الإنساني، الأمن الداخلي، الأمن والسلام العالميين، وهو ما نتعرض له بكثير من التفصيل في الفصل التطبيقي.

وهناك من يربط تطور العمل الإنساني بتطور طبيعة الفاعلين من الجمعيات الأهلية التي تنشط ضمن ما يعرف بالمجتمع المدني والتي عرفت حسب هذه النظرة تطورا تاريخيا وفق عدة مراحل هي[1]:

- مرحلة الجمعيات الخيرية: التي تهدف إلى تقديم المساعدة المادية للمحتاجين في فترات الصراع الذي يخلف ضحايا وحاجات إنسانية متباينة.
- مرحلة الجمعيات الخدماتية (الخدمية): التي تهدف إلى تقديم الخدمات في عدة مجالات مثل الصحة، التعليم، التربية، الثقافة....الخ.
- مرحلة الجمعيات التنموية: التي ارتبط نشاطها بمفهوم التنمية الشاملة.
- مرحلة جيل الجمعيات الدفاعية المنظمات الحقوقية التي تركز جهودها على الدفاع عن حقوق الإنسان بمعناها الواسع سواء أكانت سياسية اقتصادية أو ثقافية أو اجتماعية وتسمى كذلك بمنظمات التنظير الاجتماعي.

المرحلة الثالثة: ما بعد الحرب الباردة: تميزت المرحلة التي عقبت الحرب الباردة بين المعسكرين الشرقي والغربي بتزايد الاهتمام بالعمل الإنساني وقد أصبح مدرجا في الأجندات السياسية للدول والحكومات ما ساهم في ارتفاع وتيرة المعونات الإنسانية، بحيث قفزت المساعدات من ملياري دولار سنة 1990 إلى 6 مليار دولار أمريكي عام 2000[2]، وبالتالي شجع هذا العامل على تزايد عدد المنظمات الإنسانية غير الحكومية بشكل كبير وقد شهد العمل الإنساني في هذه الظروف المستجدة تغييرا لافتا على مستوى المضامين والأهداف دفعت به إلى اقتحام مجال جديد هو عالم السياسة مع ما بين المجالين من اختلاف وتباين إلى حد التناقض وبدأ الانشغال بعدها منصبا حول البحث عن الاحترافية التي تتطلب بالضرورة أن يتحول النشاط الإنساني إلى حقل مستقل تحكمه قواعد خاصة وبالتالي تجاوز المراحل

[1] سعد الدين إبراهيم، **دور المنتظمات غير الحكومية في تطور المجتمع الأهلي**، عمان، مطابع الدستور، 2000، ص 96.
[2] سعيد طه، **تلخيص العمل الإنساني في مرحلة ما بعد الحرب الباردة**، مرجع سابق.

السابقة التي كانت تكتفي بتوفير الحاجات الإنسانية الملحة وكذا التعامل مع نتائج الأزمات والكوارث لا غير، لقد كبر طموح الفاعلين في الحل الإنساني ليشمل قطاعات ومجالات لم يعرفها من قبل مثل قضايا حقوق الإنسان والمجالات الخدمية بشتى أنواعها كما أشرنا إلى ذلك من قبل.

هذا التحول كانت له أبعاد وتأثيرات على طبيعة العمل الإنساني أولا، وكذا على المبادئ الأساسية التي ظلت تحكم الممارسة الإنسانية وفق مبادئ العمل الإنساني وقيمته الراسخة وعلى رأسها الحياد والاستقلالية والنزاهة.

لقد كانت لعملية ولوج عالم السياسة تداعياتها على الطابع الأخلاقي الذي ظل يطبع ويميز النشاط الإنساني، بحيث أصبحت كل الأنشطة الإنسانية ذات أبعاد سياسية فرضت عليه تحمل مسؤوليات ليست من اختصاصه وبذلك أصبحت المنظمات الإنسانية غير الحكومية التي ظل نشاطها يقتصر على تقديم المساعدة والإغاثة "أصبحت تدعو الدول والحكومات إلى وضع حد للنزاعات والصراعات بسبب تعقد وتزايد المشكلات الإنسانية"[1].

وهو ما اعتبر تخليا صريحا عن مبدأ مقدس للعمل الإنساني هو "الحياد"، كما تأثر مبدأ الاستقلالية بهذا التحول في نشاط المنظمات الإنسانية بعد أن قبلت عديد المنظمات الدولية غير الحكومية تمويل نشاطها من قبل الدول التي تكون عادة سببا في نشوء الصراعات وكثرة المآسي والأزمات الإنسانية وهو ما اعتبر انحرافا خطيرا في طبيعة العمل الإنساني ترتب عنه خلط وتداخل بين المبادئ الإنسانية والمصالح السياسية وبالتالي أدخل العمل الإنساني في أزمة معقدة كانت لها تداعيات ليس فقط على النشاط الإنساني نفسه لكن وعلى قضايا السلم والأمن الدولي والعلاقات الدولية ككل.

المطلب الثاني: عوامل تطور العمل الإنساني

لاشك أن التطور الذي شهده العمل الإنساني منذ أن تجلت ملامحه الأولى كنشاط منظم تؤديه منظمات دولية متخصصة، مرّده إلى توفر جملة من العوامل المتداخلة والمتلاحقة على

[1] سعيد طه، **تلخيص العمل الإنساني في مرحلة ما بعد الحرب الباردة**، مرجع سابق.

فترات تاريخية متعاقبة والتي لا يمكن حصر جميعها بالشكل الكافي، وقد تطرقت عديد الدراسات خاصة الغربية إلى هذا الموضوع من زوايا مختلفة، وتبعا لاختلاف الجهة نفسها التي تحاول التأصيل للموضوع، ومن هذه الدراسات ما يذهب إليه "مايكل برانيت" عندما يلخص تلك العوامل التي ساهمت في التحول العميق الذي شهده النشاط الإنساني في ثلاثة عوامل أساسية هي[1]:

1) التوسع ودخول عالم السياسة:

- التحولات الجيوسياسية: والتي نجمت عن نهاية الحرب الباردة والصراع شرق غرب ساهم في زيادة الطلب على العمل الإنساني في نظر الكاتب وقد صادفت هذه المرحلة ارتفاعا في حجم الكوارث والأزمات الإنسانية وكبر معه اهتمام الدول والمنظمات بالعمل الإنساني من خلال زيادة وتيرة المساعدات الإنسانية كما بدأت تتعامل مع هذا النشاط كوسيلة لتعزيز أهدافها السياسية الخارجية.
- ظهور حالات الطوارئ الإنسانية المعقدة: ومعناه صراعات معقدة تتطلب توفر منظومة مساعدات عاجلة واستجابات واسعة من المجتمع الدولي بالنظر لما يترتب عن تلك الصراعات من آثار ازموية يرافقها فشل تام للحكومات وكثرة أعداد اللاجئين والنازحين وانتشار الأمراض والأوبئة وغياب الخدمات كل هذه العوامل أدت بدورها إلى توسع نطاق وأهداف العمل الإنساني.
- دور المعونات والمساعدات الإنسانية في تمويل النشاط الإنساني التي تركزت في دول عرفت بتأثيراتها الكبيرة على مستوى العلاقات الدولية مثل الولايات المتحدة الأمريكية، كندا، اليابان وإلى جانب المفوضية الأوروبية للشؤون الإنسانية.
- التغير الذي حدث في البيئة القانونية بسبب مظاهر العولمة وآثارها على تحول في مفاهيم مثل سيادة الدول، سلطة القانون، حرية الأسواق، مبادئ الديمقراطية، كل هذه العناصر أدت إلى تزايد نطاق العمليات الإنسانية الكونية التي تجاوزت قدرات الدول وحدودها، وبالتالي أصبح العمل الإنساني عملا عابرا للقارات ومتجاوزا للحدود الجغرافيا للدول والمفاهيم السيادة على الحدود.

[1] سعيد طه، **تلخيص دراسة العمل الإنساني في مرحلة ما بعد الحرب الباردة للباحث**، مايكل بارنيت، مرجع سابق.

2) **الاختلاف في الاستجابة:** من قبل المنظمات الدولية غير الحكومية، بحيث تفاوتت درجة استجاباتها لتداعيات التحول واتساع دائرة العمل الإنساني، حيث ظهرت ثلاث مستويات لتحرك تلك المنظمات هي:

- منظمات استجابت بسرعة لهذا التحول ومنها: اللجنة الدولية للصليب الأحمر ومنظمة أوكسفام فعمدت إلى توسيع نطاق عملياتها باقتراح حلول تعالج جذور المآسي الإنسانية.
- منظمات اعتمدت خيارا براغماتيا بميلها إلى النشاط السياسي.
- منظمات اختارت الالتزام بمبادئ العمل الإنساني.

3) التوسع والتحول المؤسسي:

يعتقد "ميكل بارنيت" أن العمل الإنساني لم يكن حقلا مستقلا قبل 1990 بسبب غياب الحضور الفعلي للمنظمات الإنسانية على الساحة الدولية عدا بعض المنظمات الدولية الكبرى (مثل "اللجنة الدولية للصليب الأحمر"، و"منظمة أطباء بلا حدود"، "ومنظمة أوكسافم"، و"منظمة كير" و"منظمة إنقاذ الأطفال")، والتي لم يكن لها تنسيق بينها، وكانت نظرة هذه المنظمات للعمل الإنساني تقدم على أساس أنه مجرد التزام أخلاقي وليس مهنة أو حقل مستقل، لكن هذه النظرة تغيرت بعد سنة 1990، حيث أصبح العمل الإنساني حقلا قائما بذاته وقد اتسع نطاقه وتزايد عدد الفاعلين من المنظمات الإنسانية الحكومية وغير الحكومية وأصبح التنسيق بينها ضرورة ملحة أملتها التحولات الجديدة، وكمثال على ذلك إصدار "مدونة سلوك"• نتيجة عمل تنسيقي بين اللجنة الدولية للصليب الأحمر وجمعيات الصليب الأحمر والهلال الأحمر، عام 1992، كما قامت المنظمات غير الحكومية بدورها بتدشين مشروع أسفير "Spheve Proget".

لقد كانت لهذا التحول الذي عرفه العمل الإنساني تداعيات على أداء المنظمات لعملها وفق المبادئ الأساسية التي قام عليها العمل الإنساني أصلا، وظلت تلك المبادئ عوامل مناعة

• **مدونة سلوك:** وتسمى أيضا المدونة الأخلاقية: هي وثيقة تتبناها المنظمات وتتألف من ثلاثة مستويات هي: مدونات أخلاق العمل، ومدونة سلوك الموظفين، ومدونة الممارسات المعنية، والغاية من ذلك هي مساعدة أعضاء المنظمة في التمييز بين القرار الصحيح والقرار الخاطئ في سلوكهم ومعاملاتهم.
ينظر: ويكيبيديا، الموسوعة الحرة، المدونة الأخلاقية.

تحميه من التأثيرات الخارجية، وتلمع صورته باستمرار، حيث أن ولوج عالم السياسة وقبول مساعدة الدول والحكومات والتطور المؤسس الذي عرفته المؤسسات الدولية غير الحكومية، كلها عوامل عرّضت العمل الإنساني للتحكم الخارجي، وأثرّت على هوية المنظمة الدولية غير الحكومية وسلوكياتها، ومن ثم أصبح بإمكان الدول والمؤسسات الدولية التحكم فيها، وإجبارها على التحرك بما يتعارض ومبادئها بفرض أجندتها باعتبارها أطراف ممولة.

بناء على ما تم التطرق اليه، يتضح جليا مدى التحول الذي طرأ على العمل الإنساني وكذا التحديات التي أخذت تطرح في نطاق عملية التحول نفسها، والتي أفرزت بدورها واقعا جديدا، تتعقد فيه الأدوار والمصالح في بيئة دولية جديدة تتجاذبها عوامل مؤثرة عجلت بتعميق ظاهرة التحول التي عرفتها المسائل الإنسانية في العصر الحديث، هذا ما سنحاول ايضاحه في الفصل اللاحق من هذه الأطروحة.

الفصل الثاني: مسألة التنظيم والمنظمات الدولية غير الحكومية (ONG)

تمهيد:

أصبح مصطلح "المنظمة الدولية غير الحكومية" في وقتنا الراهن كثير التداول، واسع الانتشار، سريع التطور، لذلك تواجه الدراسات الأكاديمية صعوبات في تقديم إطار معرفي موحد لهذه الظاهرة الفريدة والمتميزة، حيث استطاعت أن تشدّ إليها اهتمام الدول والحكومات ومراكز البحث العالمية من أجل فهم واقعها، وتحليل مضامينها، واستشراف مستقبلها على ضوء المتغيرات الدولية المتسارعة التي تميز عالم اليوم.

ولعل هذا التطور والاهتمام بالمنظمات الدولية غير الحكومية لم يحدث صدفة، بل تجمعت عوامل عدة لظهور ونمو وانتشار هذه الظاهرة الاجتماعية، بحيث استفادت من تاريخ طويل وشاق عرفه النشاط الإنساني الخيري والتطوعي.

لقد شهدت نهاية القرن الماضي أحداثا متسارعة أفرزت تحديات نتج عنها واقع جديد صعّب على الدول مواكبة هذه التحولات بالاعتماد على السياسات التقليدية التي يميزها التحرك على انفراد في مواجهة هذا الواقع، ويعتبر العديد من الباحثين في مجالات السياسة أن فترة ما بعد الحرب الباردة هي اللحظة الزمنية الفارقة بين عهدين يختلفان تماما من حيث طبيعة التهديدات التي برزت بأشكال جديدة أكثر تعقيدا، لم يكن بمقدور الدول وحدها مواجهتها لتحقيق استقرارها، وأمنها بالاعتماد على مبدأ حماية الحدود الجغرافية، وتحصينها، وكذا تقوية القدرات العسكرية الذاتية، لأنها تواجه أشكالا جديدة من التحديات لم تكن معروفة، لذا أصبح من الضروري التكيف مع الوضع الجديد ومن ثم إعادة النظر في كثير من المفاهيم التي ظلت متداولة لعهود طويلة في حياة المجتمعات الإنسانية.

هذه العوامل مجتمعة عجلت بظهور تنظيمات دولية أكثر استجابة للمتغيرات الجديدة لتبدأ من حيث عجزت الدول في إدارة السياسات الدولية وفق منطق جديد وآليات أكثر نجاعة، ولعلّ من أهم تلك الفواعل "المنظمات الدولية غير الحكومية" (O.N.G).

سنتطرق فيما يلي إلى التعريف بالظاهرة وتحديد خصائصها وتصنيفاتها، وكذلك طبيعة التطور الذي عرفته، والعوامل التي ساهمت في زيادة نشاطها، وكذلك الآليات المستعملة في تطبيق الاستراتيجيات الكبرى للمنظمة الدولية غير الحكومية.

المبحث الأول: المنظمات الدولية غير الحكومية: النطاق المفاهيمي

يصف الباحثون القرن الحالي بعصر المنظمات غير الحكومية، لقد أصبحت محلّ اهتمام واسع لدى الدول والحكومات والإعلام، وذلك بالنظر للدور الذي ما فتئت تلعبه في العلاقات الدولية، وبقدر الاهتمام التي تحظى به، ببقدر ما اتسعت دائرة الجدل والنقاش حول طبيعة النشاط الذي تقوم به، وكذا الدور الذي تلعبه سواء على الساحة المحلية أو الإقليمية أو الدولية، مثلما سنوضح ذلك في مراحل لاحقة من هذه الدراسة وبالعودة إلى تحديد ماهية المنظمات غير الحكومية، لابد من الإشارة إلى كثرة التعاريف التي تناولت المفهوم، بحيث أن كل تعريف ركّز على زاوية معينة أو على حقبة تاريخية عرفتها هذه المنظمات.

الفرع الأول: المنظمات الدولية غير الحكومية: التعريف والمفهوم

يتفق الباحثون أن مفهوم المنظمة كمصطلح، ظهر وثيق الارتباط بظاهرة التنظيم الذي عرفه المجتمع الدولي منذ القدم، ولعّل إشكالية التنظيم كظاهرة قديمة عرفتها المجتمعات البشرية تحت أشكال متعددة، تختلف في جوهرها عن المفهوم الحديث، حيث قامت هذه الظاهرة على أسس أدبية وفلسفية بحتة، كما أنها اقتصرت على فئات معنية تجمعها قواسم مشتركة من أهمها المكانة الاجتماعية، وهو ما تؤكده مختلف الدراسات التي تناولت مسائل الحضارة الإنسانية القديمة التي عرفت نشوء تنظيمات وفق معايير دينية متدرجة، لذلك نرى من الضروري الولوج إلى فهم موضوع المنظمة غير الحكومية من فكرة التنظيم الدولي الذي يعتبره الباحثون أصل فكرة ميلاد المنظمة الدولية.

ويتداخل المفهوم اصطلاحا مع مفاهيم قانونية أخرى، مثل "النظم الدولية" و"التنظيم الدولي" و"المنظمة الدولية".

فالنظم الدولية: كما يعرفها (هوريو) "هي كائن اجتماعي دائم الوجود والتطور من خصائصه الذاتية خلق القانون وتطبيقه والنظر به بما يتلاءم وحاجات الجماعة المتغيرة"[1].

[1] سمير دز، **المنظمات الدولية الفاعل الجديد في العلاقات الدولية**، موسوعة الدراسات السياسية والاستراتيجية، قسم المنظمات الدولية وقضايا التكامل، الجزائر، فبراير، 2015 ، ص 35.

أما **التنظيم الدولي**: "فيقصد به التركيب المعنوي للجماعة الدولية منظورا إليه من وجهة نظر ديناميكية تشمل احتمالات تطوره إلى ما هو أفضل"[1].

أما المنظمة الدولية هي: كل هيئة دائمة بالإرادة الذاتية وبالشخصية القانونية الدولية، حيث تتفق مجموعة من الدول على إنشائها كوسيلة من وسائل التعاون الاختياري بينها في مجال أو مجالات معينة يحددها الاتفاق المنشئ للمنظمة[2].

وهناك من الباحثين من يطلق تسمية "المنتظمات" بدل المنظمات الدولية حيث يرى " أن المنتظم الدولي هو مؤتمر دولي الأصل فيه أن يكون على مستوى الحكومات، مزودة بأجهزة لها صفة الدوام والتعبير في إرادة الذاتية"[3].

ويعرف محمد المجذوب المنظمات الدولية بأنها:" تنظيم دولي يتمتع بصفة الدوام وبالشخصية الدولية"[4].

ويرى شلبي إبراهيم بأنها:" هيئة دائمة ذات إرادة مستقلة تتفق الدول على إنشائها لمباشرة الاختصاصات التي يتضمنها الميثاق"[5].

يلاحظ ضرورة توفر شروط معينة في المنظمة حتى تستجيب لهذه الصفة وهي: الديمومة والإدارة المستقلة.

من الناحية القانونية ينظر إلى المنظمة على أنها: "شخص اعتباري من أشخاص القانون الدولي ينشأ عن اتحاد إرادات لأجل حماية مصالح مشتركة ويتمتع بإرادة ذاتية في المجتمع الدولي في مواجهة الدول الأعضاء"[6].

---

[1] سمير دز، **المنظمات الدولية الفاعل الجديد في العلاقات الدولية**، مرجع سابق، ص 37.

[2] جميل محمد خالد، **أساسيات الاقتصاد الدولي**، http://books.google.dz.books، تاريخ النشر: 2014، تاريخ التصفح: 2016/12/25، سا:10:15.

[3] سمير دز، مرجع سابق، ص 40.

[4] مبروك غضبان، **التنظيم الدولي والمنظمات الدولية، دارسة تحليلية وتقييمية لتطور التنظيم الدولي**، الجزائر، ديوان المطبوعات الجامعية، 1994، ص 79.

[5] إبراهيم الشلبي، **التنظيم الدولي، دراسة في النظرية العامة والمنظمات الدولية**، الدار الجامعية للطباعة والنشر، بيروت، 1984، ص 11.

[6] أحمد باناجة، سعيد محمد، **الوجيز في قانون المنظمات الدولية والإقليمية**، بيروت، دار النشر، ص 09.

تعريف المنظمة:

يشير مصطلح المنظمة في تطبيق معجم المعاني الجامع إلى "هيئة تكون لها أهداف محدّدة، وقانون يرسم أعمالها، ومبادئ تعمل على تحقيقها في مجال اهتماماتها في السياسة أو النقابة أو الثقافة"[1].

ومصطلح المنظمة من جمع منظمات في العلوم الإدارية يقابله مصطلح تنظيم في العلوم السياسية وكلاهما مشتق من فعل نظم باسم فاعل منظم، واسم مفعول منظّم أي انتظم في هيئة.

لقد وردت تعاريف عديدة للمفهوم ولكنها جميعها يتفق حول أصل الحاجة وكيفية تحقيقها، حيث أن حاجة الناس تتعدد وتتنوع تبعا لتنوع القدرات الفردية، وتباين الأهداف والغايات، لذلك فإن " الإنسان في سعيه، حاول التغلب والانتصار على محدودية قدراته الجسمانية عن طريق التعاون والتنسيق مع غيره من الأفراد سعيا منه لتقديم المساعدة والحصول عليها من أجل تلبية حاجاته وحل مشكلاته، إلى أن أصبح يعيش في بيئة كلها تعجّ بالمنظمات تهيمن على كل نشاطاته المتنوعة"[2].

ومع أن المصطلح يبدو بسيطا منذ الوهلة الأولى إلا أنه يحقق إجماع الباحثين، بحيث تباينت آرائهم تبعا لمجالات بحوثهم، ومنطلقاتهم الفكرية والنظرية، ويمكن تلخيص أهم المدارس التي نظرت لمفهوم المنظمة إلى ثلاثة: المدرسة التقليدية، مدرسة العلاقات الإنسانية، مدرسة النظم الحديثة"[3].

---

[1] http//www.almaany.com 2015/01/10 تاريخ التصفح

[2] بشير غضبان، **مناقشة مفهوم المنظمة من خلال وجهات نظر متعددة**، المنتدى العربي لإدارة الموارد البشرية، http//www.hdd.discussion.com تاريخ النشر: 2009/11/14، سا:14:17.تاريخ التصفح 2015/01/11، الساعة 10.

[3] بشير غضبان، المرجع نفسه.

أولا: المدرسة التقليدية: ترى أن المنظمة هي عبارة عن:" التكوين أو البناء الهيكلي الذي ينشأ في الأساس عن تحديد العمل وتجميعه وتقسيمه، وتعين السلطات والمسؤوليات وإنشاء وتأسيس العلاقات بين الأجزاء المكونة للمنظمة"[1].

ثانيا: مدرسة العلاقات الإنسانية: وتسمى أيضا بالمدرسة السلوكية

عرفت مدرسة العلاقات الإنسانية المنظمة بوصفها مجموعة من الأفراد ينشطون من اجل تحقيق هدف أو أهداف مشتركة.

ثالثا: مدرسة النظم الحديثة: تعرف مدرسة النظم الحديثة المنظمة بأنها عبارة عن نظام (نسق) وما هي إلا وحدات اجتماعية مقصودة لتحقيق أهداف معينة"[2]

الملاحظ من التعاريف التي أوردتها المدارس النظرية الثلاث أنها ركزت كل منها على جانب معين دون الآخر، فبينما تركز النظرية التقليدية على الجانب البنيوي التنظيمي للمنظمة، ترى النظرية السلوكية الإنسانية أن العامل البشري كونه العامل الحاسم في تحقيق أهداف المنظمة، في حين يرى دعاة النظم الحديثة أن العملية النظامية المتكاملة بين الأفراد هي التي تعطي للمنظمة القدرة والفعالية كي تكون كيانا متعاملا ومنظما.

وبناء على ذلك يمكن تلخيص أهم التعاريف التي قدمت بشأن المنظمة وفق الزاوية التي ينظر منها، فبينما يرى علماء الإدارة والتنظيم أن المنظمة هي عبارة عن "كيان ذو شخصية جماعية إنسانية موحدة لها مظهرها المزدوج، مظهر التنظيم الداخلي ومظهر الشكل الخارجي، مما يؤدي إلى اكتساب المنظمة للشخصية بالنسبة لغير المنخرطين، وهو ما يمكننا من الدخول في علاقات واقعية أو قانونية خارج نطاقها، وتصبح بذلك كتلة مشيدة هندسيا، يلعبون فيها الأفراد أدوارهم ويكتسبون قيمة جديدة، بحكم تمركزهم في كيان تأقلم مع الأجزاء التي اندمجت فيه"[3].

---

[1] بشير غضبان، **مناقشة مفهوم المنظمة من خلال وجهات نظر متعددة**، مرجع سابق.
[2] بشير غضبان، **مناقشة مفهوم المنظمة من خلال وجهات نظر متعددة**، المرجع نفسه.
[3] اميمية الدهان، **تغيير وتطوير المنظمات**، ب، ش، 1981، ص 28.

أما في منظور علماء الاجتماع فإن المؤسسة هي" مجموعة من الأحكام والقوانين الثابتة والراسخة في المجتمع التي تحدد التصرف والعلاقات الاجتماعية للأفراد والجماعات"[1] في أشبه ما يكون بالعضو الواحد داخل الجسم، وهنا يفرق علماء الاجتماع بين مفهومي المنظمة والمؤسسة:

"فالمؤسسة هي الإجراءات والأحكام المثبتة المستقرة التي تميز وتحدد الجماعة، بينما الجماعة التي تستعين بهذا الإجراءات والأحكام التي تنظم وتسير أعمالها وشؤونها هي المنظمة...والشخص ينتمي إلى المنظمة ولا يمكن أن نقول إنه ينتمي إلى المؤسسة..."[2].

بينما تعتبر المنظمة في نظر علماء الاقتصاد أنها عبارة " عن أداة "Outil" لإنتاج السلع والخدمات".

الفرع الثاني: نشأة المنظمات غير الحكومية

يقدم "مارسيل ميرل" التعريف التالي للمنظمات غير الحكومية: "هي كل تجمع أو جمعية، أو حركة مشكّلة بطريقة دائمة من طرف أفراد ينتمون إلى بلدان مختلفة بغرض متابعة أهداف غير ربحية"[3].

يلاحظ أن هذا التعريف أنه يركز على طبيعة تشكيل المنظمة وعلى الطابع غير الربحي وهما عنصران من مجموعة العناصر التي تميز هذا الصنف من المنظمات عن باقي التنظيمات التي تعتمد على الطابع الربحي، لذلك فهو يهمل عنصرا هاما تتصف به المنظمات غير الحكومية وهو الطابع الاستقلالي لنشاطها عن تأثير الدول والحكومات وهو ما يتضمنه التعريف التالي: "المنظمات غير الحكومية هي منظمات تعتمد على فواعل مستقلة من غير العمل التطوعي والعمل من أجل تقديم الخدمات"[4].

[1] معجم علم الاجتماع، **مفهوم المنظمة**، ص 211.
[2] بشير غصبان، **مناقشة مفهوم المنظمة من خلال وجهات نظر متعددة** ، مرجع سابق.
[3] Josépha laroche, **Politique Internationale**, paris, librairie, générale de droit et de juridiprudence, Eja, 2eme, ed. 2000, P134.
[4] Sara michel, **the role of NGOS in humansecurity** ,U.K Harvard university, 2002, P04.

في هذا السياق يقدم "جوزيف ناي" "Joesph Nye" التعريف التالي:" هي منظمات غير وطنية، لا تنتمي لحكومة ما، وهي تعبير عن الوعي العالمي والرأي العام العالمي، حيث تقوم بالضغط على الحكومات حتى تغيّر سياساتها"[1].

بينما يرى "انيكولاس بوليتس""Nicolas Politis" أن المنظمات غير الحكومية تتوفر على العناصر التالية:

- أن تكون منبثقة عن المبادرة الخاصة.
- أن تكون دولية في تركيبها.
- ألا تسعى لتحقيق الربح"[2].

ويقدم "محمود خلف" التعريف التالي:" هي تلك المنظمات المكونة من ممثلين خاصين أي أفراد أو جماعات أو حتى كيانات خاصة مستقلة عن الحكومات الوطنية"[3].

ويعتبرها "مارسل مول" "M.Merle":" كل تجمع او جمعية أو حركة مكونة بصفة دائمة من طرف خواص منتمين لدول مختلفة لمتابعة أهداف غير الربح والكسب"[4].

يلاحظ من جملة التعاريف التي قدمت للمنظمات غير الحكومية أنها تشترك جميعها أو جلها في توصيفها اعتبارا لثلاثة عناصر مشتركة هي عنصر الطواعية في أداء عملها، واستقلالها عن أي انتماء، وأن نشاطها إنساني بحت لا يستهدف تحقيق ربح، وهي العناصر نفسها التي يلاحظ تكرارها في أغلب التعاريف.

---

[1] فؤاد جدو، **دور المنظمات غير الحكومية في النزاعات الدولية ، نموذج منظمة أطباء بلا حدود**، مذكرة ماجستير، جامعة محمد خيضر، كلية الحقوق والعلوم السياسية، قسم العلوم السياسية والعلاقات الدولية، 2009-2010، ص 63.

[2] Nicolas Politis, **les conditions juridiques des associations internationales**, Paris, 1993, P465.

[3] سعيد عبد المسيح شحاتة، **دور NGOSعلى الصعيد الدولي، الحاضر والمستقبل**، المجلة السياسية الدولية، ع1/9، 1995، ص 221.

[4] لطفي قواسمي، **دور المنظمات غير الحكومية في ترقية المسؤولية الاجتماعية للقطاع الخاص، منظمة أصدقاء الأرض العالمية نموذجا**، مذكرة ماجستير، جامعة الحاج لخضر، باتنة، كلية الحقوق، قسم العلوم السياسية، 2012-2013، ص 11.

"ويستنتج من التعاريف التي قدمت للمنظمة الدولية غير الحكومية أن المفهوم تم توظيفه وفق سياقات عديدة"[1]، منها اجتماعية، اقتصادية، ثقافية وسياسية، وهو ما صعب من مهمة تقديم تعريف جامع للمنظمة.

كما تم تصنيف المنظمات غير الحكومية وفقا لمعايير مضبوطة ترتكز على طبيعة النشاط الذي تؤديه وكذا الحيز الجغرافي الذي تتحرك ضمنه وكذلك وفق الإطار القانوني الذي تمارس ضمنه المنظمة نشاطها وبناءا على ذلك يأتي تصنيف المنظمات غير الحكومية على النحو التالي[2]:

- **وفق مجال العمل:** ويدخل تحت دائرة تصنيف المنظمات النشطة في مجال حقوق الإنسان بمفهومه الواسع مثل منظمات رعاية حقوق الإنسان ومنظمات حماية حقوق الطفل، ومنظمات ترقية حقوق المرأة ومنظمة رعاية ذوي الاحتياجات الخاصة.
- **وفق آلية العمل:** ويضم هذا المعيار عديد المنظمات غير الحكومية النشطة في مجالات التنمية.
- **تصنيف وفق النطاق الجغرافي**: حيث يتم التمييز بين المنظمات الدولية والمنظمات الإقليمية والمنظمات المحلية.
- **تصنيف وفق معيار الوضع القانوني**: وهذا النوع من التصنيف يراعي الوضعية القانونية للمنظمة داخل البلد محل النشاط، حيث تكتسب المنظمات هويتها القانونية وفق التشريعات الداخلية للبلد الذي يضم المقر الرئيسي لها.

ويعتبر يسري مصطفى:" أن التصنيفات المرتكزة على هذه المحددات ليست مسألة شكلية، بل لها أهميتها على صعيد بناء هوية واضحة للمنظمة وبالتالي على صعيد الممارسة العملية"[3].

التعريف الفقهي: ويتبناه "انطوان ڤزانو""Antoine Gazano"، حيث يعرّف المنظمة غير الحكومية بأنها:" جمع لأشخاص طبيعيين أو معنويين خواص من جنسيات مختلفة، دولية

[1] Nicolas Politis, op, cit, P467.
[2] يسري مصطفى، **المنظمات غير الحكومية**، المركز القاهرة لدارسة حقوق الإنسان، القاهرة، 2008، ط2، ص 29.
[3] بيسري مصطفى، المرجع نفسه، ص 34.

بطابعها، بوظائفها ونشاطها ولا تهدف لتحقيق الربح، وتخضع للقانون الداخلي للدولة التي يوجد فيها مقرها"[1].

التعريف القانوني: تضمن القرار 288 الصادرة عن هيئة الأمم المتحدة في 1950/02/07 اعترافا قانونيا بالمنظمات الدولية غير الحكومية، حيث قدم المجلس الاقتصادي والاجتماعي للأمم المتحدة تعريفا للمنظمة بأنها "كل منظمة دولية لم يتم إنشاؤها بموجب الاتفاقيات بين الحكومات بما فيها المنظمات التي تقبل إعطاء تعينهم السلطات الحكومية، ويشترط أن لا يعرقل الأعضاء المنتمون إلى هذه الفئة حرية التعبير داخل هذه المنظمات"[2].

وضمن نفس الإطار القانوني يقدم القانون الفرنسي الصادر سنة 1901 المنظمات غير الحكومية بأنها:" عبارة عن اتفاق يتم بين شخصين أو مجموعة من الأشخاص للعمل بصورة دائمة من أجل تحقيق الأهداف المشتركة من غير تحقيق ربح"[3].

المفهوم الرسمي: لقد أدى اعتراف الأمم المتحدة بالمنظمات غير الحكومية إلى إطلاق تسمية "**NGOS** " عليها واعتبار كل منظمة غير ربحية يكون الانتماء إليها إراديا وطوعيا تنظم على مستوى المحلي والوطني والدولي ولها أهداف محددة تسعى إلى تحقيقها، تقاد من طرف أشخاص لهم اهتمامات مشتركة، وتؤدي مهاما عديدة ومتنوعة من الخدمات والوظائف الإنسانية على غرار تحفيز الموطنين على الاهتمام بأعمال الحكومات ومراقبة السياسات وتشجيع المشاركة السياسية على المستوى المحلي، وتعمل كآليات للإنذار المبكر وتساعد على رصد وتنفيذ الاتفاقيات والمعاهدات الدولية"[4].

لقد ركزت التعاريف السابقة على ثلاثة عناصر أساسية تعتبر من صميم المميزات التي تتصف بها المنظمات غير الحكومية وهي:

---

[1]ANTOINE Gazono, **les relations internationales**, Paris, Gualion, 2001, P96.

[2] الشريف الشريفي، **المنظمات غير الحكومية ودورها في ترقية حقوق الإنسان** ، شهادة الماجستير، جامعة أبو بكر بلقايد، تلمسان، كلية الحقوق، قسم الحقوق، 2008-2007، ص 06.

[3] Yves Beigbeder, **les rôles internationaux des organisations non gouvernementales**, paris, Lgdi, 1992, P 50.

[4] Steve Charmavitez, non **gouvernementale Organisation and international law the American journal of international law**, vol, 100, 2006, P351.

- **نفي صفة التبعية للحكومة:** وهو ما يميزها عن الصنف الثاني من المنظمات هي المنظمات الحكومية.
- **الطابع غير الربحي:** لأنها تعتمد على العمل التطوعي الخيري بتقديم الخدمات والمساعدات المتنوعة تبعا لتخصص كل منظمة والمجال الذي ينشط ضمنه.
- **لا تسعى للوصول إلى السلطة:** لأنه لا تمارس أي نشاط سياسي يهدف إلى تحقيق غاية أو مصلحة عامة.

ولعل هذه السمات الثلاث التي تتميز بها المنظمات غير الحكومة عن باقي أنواع وأصناف المنظمات الأخرى، هي التي تم على أساسها إعطاء تسميات عديدة للمنظمات، فهي المنظمات غير الربحية كما توصف في الولايات المتحدة الأمريكية وهي المنظمات الأهلية في الدول العربية وهي المنظمات التطوعية، كما تنعتها بعض المنظمات الدولية الحكومية في إشارة إلى هذا العنصر الذي تتصف به دون غيرها من المنظمات الدولية.

المطلب الثاني: تصنيف المنظمات الدولية غير الحكومية

يستند الباحثون والفقهاء القانون الدولي في تصنيفهم للمنظمات الدولية على جملة من المعايير هي[1]:

- التقسيم على أساس الاختصاص (الأغراض).
- التقسيم على أساس جغرافي (نطاق العضوية).
- التقسيم على أساس الصلاحيات.
- التقسيم على أساس أعضاء المنظمة (الانتماء)

1- **معيار الاختصاص (الأغراض)**:توجد منظمات عامة ومنظمات خاصة:

أ- **المنظمات العامة:** هي التي ارتبط ظهورها بتحقيق أهداف متعددة الجوانب، قد تكون سياسية أو اقتصادية أو ثقافية، مثل منظمة الأمم المتحدة، منظمة الوحدة الإفريقية، الجامعة العربية...

[1] مهداوي عبد القادر، **تصنيف المنظمات الدولية**، محاضرات قانون المنظمات الدولية لكلية الحقوق والعلوم السياسية، جامعة قاصدي مرباح، السنة الجامعية: 2014-2015، ورقلة، الجزائر.

ب-**المنظمات الخاصة:** وهي التي يقتصر نشاطها على مجال واحد، فقد تكون ذات نشاط اقتصادي مثل (صندوق النقد الدولي)، أو ذات طابع ثقافي مثلا كمنظمة الأمم المتحدة للتربية والعلوم والثقافة (اليونسكو)...

2- **التقسيم على أساس جغرافي (نطاق العضوية):** يعرف بين منظمة عالمية ومنظمة إقليمية:

أ- **المنظمة العالمية**: وهي التي تكون مفتوحة أمام جميع الدول متى توفرت شروط العضوية المنصوص عليها في ميثاق المنظمة.

ب-**المنظمة الإقليمية:** وتسمى أيضا بالمنظمات الجهوية وتضم الدول الواقعة في منطقة جغرافية معينة وتتنوع أسس قيام هذه المنظمات، فقد تكون على أساس قومي (جامعة الدول العربية) أو على أساس جغرافي (منظمة الوحدة الإفريقية، الاتحاد الإفريقي حاليا) وقد تكون على أساس أمني مثل حلف الشمال الأطلسي (الناتو) وقد تكون على أساس اقتصادي كالمنظمة العالمية للتجارة وتقوم كذلك على أساس ديني مثل منظمة المؤتمر الإسلامي.

3- **التقسيم على أساس الصلاحيات:** ويميز على أساسه بين المنظمات ذات صلاحية واسعة ومنظمات ذات طابع استشاري كإبداء الرأي وتقديم المقترحات.

4- **التقسيم على أساس أعضاء المنظمة:** حيث توجد منظمات حكومية ومنظمات غير حكومية.

- **المنظمات الحكومية:** وهي التي تشكل من الدول فقط مثل: منظمة الأمم المتحدة، جامعة الدول العربية...
- **المنظمات الغير حكومية:** وهي محور هذه الدراسة، ويقصد بها كما أشرنا إلى ذلك سابقا المنظمات التي يتم تأسيسها من قبل أفراد متطوعين مثل، منظمة أطباء بلا حدود، منظمة العفو الدولية، جمعيات حقوق الإنسان.

الفرع الأول: خصائص المنظمات الدولية غير الحكومية

إن ارتباط المنظمات الدولية غير الحكومية بقطاع العمل الخيري، أضفى على نشاطها طابع التنوع في ممارسة مهامها الإنسانية بفعالية، بالنظر إلى المميزات العامة التي تتصف بها، ويمكن تلخيصها في التالي:

- **أن تنشأ مستقلة عن الدولة:** ينبغي التوضيح منذ البداية بأن كلمة "غير حكومية" ليست تسمية خاصة بالمنظمات غير الحكومية، حيث أن مصطلح الفواعل غير الحكومية في نظرية العلاقات الدولية يشمل تنظيمات، وشركات، وهيئات أخرى مدنية وعسكرية، كما أنه مفهوم يخضع لعامل النسبية على اعتبار أن ظهور المنظمات غير الإنسانية وإن لم يكن للحكومات دور جلي فيه كونها نشأت باتفاقية عامة، إلا أن هذه الصفة لا تنفي تماماً تأثير الحكومات على "ONG" لاسيما على المستوى العملي، كما سنوضح ذلك لاحقا لدى تعرضنا إلى الجوانب التحليلية للعمل الإنساني ودور المنظمات غير الحكومية.
- **ألا تكون ذات طابع ربحي:** يفترض في "ONG" أن تقوم على معايير إنسانية من سماتها التضامن والتطوع، ولا ترمي إلى تحقيق مكاسب مادية، أي أنها بعيدة كل البعد عن الطابع التجاري.
- **أن تكون على درجة عالية من الشرعية**: حيث أن تأسيسها على قيم ومبادئ أخلاقية قوية، كالعمل الخيري، والتضامن، والصدق في المعاملة يحتم على أعضائها توخي الحذر في التعامل مع الرأي العام والحكومات، وكذلك الإعلام لتأكيد مصداقيتها وترسيخ شرعيتها حتى يتسنى لها مواصلة نشاطها الإنساني بفعالية[1].
- **اختلاف البنية الشبكية•**: إن تنوع نشاط المنظمات غير الحكومية وتعدد مجلات تحركها يفرض عليها الارتباط بشبكة واسعة من العلاقات، حيث يضمن دخول هذا

[1]Sara Michel, Op, Cit, P03.

•**البنية الشبكية**: يوظف المفهوم ضمن مجالات مختلفة مع أن أصل الكلمة يرتبط بعلم الهندسة الإلكترونية وتعني ذلك أن ONG تعمد على هذه الآلية من آليات عملها تحت ضغط القضايا المعقدة التي تواجهها لاسيما في مجال الأزمات الإنسانية والأمن الإنساني، حيث تلجأ إلى إشراك فاعلين جدد في إدارة الأزمات لضمان تحقيق النجاح وحماية الأفراد من التهديدات وهو ما يتطلب مد شبكة تواصل وتفاعل عالميا أو محليا تمكن المنظمة من تبادل المعلومات بالتالي ضمان فعالية التدخل،

البنية الشبكية المعقدة توفير المعلومة التي تسمح لتحسين الأداء وتيسير سبل الوصول إلى تحقيق أهداف هذه المنظمات، لاسيما في تعاملها مع الهيئات الدولية كمنظمة الأمم المتحدة، وكذا الشركاء الميدانيين الذين تعتمد عليها المنظمة غير الحكومية في مواجهة الأزمات وحل المشاكل التي تواجهها.

- **الخبرة العالية:** لأن عملها يقوم على أساس التطوع والتضامن، وهما في حد ذاتهما صفتان تبعثان على الجهد والعطاء والتفاني في أداء المهام المنوطة بكل من أعضاء المنظمة وهو ما يجعلها في موقف مخالفاتها لعمل الحكومات التي غالبا ما تعتمد على جهاز إداري بيروقراطي ثقيل يغيب فيه الحافز على البذل، ومحاولة منها لتطوير أدائها تسعى "ONG" دوما إلى تحسين أساليب العمل وزيادة الكفاءة التي تؤهلها لمواجهة الاحتمالات الصعبة الطارئة لاسيما في وقت الأزمات والكوارث المختلفة.

وهناك من الباحثين من يتكلم عن خصائص أخرى تتميز بها المنظمات غير الحكومية مثل ارتباطها بالضمير الحي في تعاملها مع المتبرعين وأن تستفيد من الهبات والصدقات وحتى الدعم الحكومي كالإعفاء من الرسوم، وتلقي المنح في جلب المنافع للآخرين[1]ولكن الملاحظ من جملة الخصائص التي تتمتع بها هذه المنظمات أن ركزت بصفة واضحة على الجوانب التنظيمية لما لها من أهمية قصوى في تفعيل آليات التدخل وتحسين الأداء.

الفرع الثاني: أنواع المنظمات الدولية غير الحكومية

يخضع عامل تحديد أنواع المنظمات الدولية غير الحكومية لعدة معايير ، تختلف باختلاف الزاوية التي يتحدد على ضوئها نشاط المنظمة.

وفي الغالب ما يتم التمييز بين أنواع المنظمات غير الحكومية وفق التقسيم التالي[2]:

ويسمى كذلك بالتنظيم الشبكي أو استراتيجية التشبك التي يعرف بأنه: "اختيار أفضل الوسائل والبدائل لتحقيق أهداف أو غايات تعبر عن حاجة أو حاجات أساسية مشتقة عن بيئة معينة.
ينظر: وجدي محمد بركات، استراتيجية التشبيك كمدخل لتفعيل دور الجمعيات رعاية الطفولة لمواجهة العنف ضد الأطفال في عصر العولمة، مجلة الطفولة، ع 09، جانفي 2008، ص 20.

[1] كمال منصوري، **المنظمات غير الحكومية ودورها في عولمة النشاط الخيري والتطوعي**
www.alawamtoday.com تاريخ النشر 2015/10/10، تاريخ التصفح: 2016/03/21 سا 12:00.

[2] JAMES Robonson, **Elective Affinities in Latin America TNA and the state**,2006, Ecnologiceo Autonoms de Mexico, 2006,P04.

- **منظمات غير حكومية دفاعية:** وهي التي تحمل على عاتقها الدفاع عن مصالح المجموعات الضعيفة التي تعجز عن الدفاع عن مصالحها وقضاياها بنفسها.
- **منظمات غير حكومية عملياتية:** وهي التي تقتصر وظيفتها على تقديم السلع والخدمات لمنهم بحاجة إليها، لاسيما تهدف إلى تطوير برامج التنمية.
- **منظمات غير حكومية هجينة:** وهي المنظمات التي تجمع بين الوظيفتين السابقتين.

ويعتبر التعريف الذي قدمه"Clark" سنة 1991 أكثر التعاريف شمولية وإلماما بمفهوم المنظمات غير الحكومية حيث يميز الباحث بين ستة أنواع من المنظمات هي:"[1]

- وكالات الرفاهية والإغاثة.
- منظمات الإبداع التقني.
- مقاولو الخدمات العامة
- منظمات تنمية القاعدة الشعبية.
- منظمات الدفاع والشبكات.

وبناء على ذلك يمكن تفسير مفهوم المنظمة الدولية "غير الحكومية وفق المعايير التالية: المعيار الاجتماعي، المعيار الاقتصادي، المعيار السياسي، المعيار الأخلاقي".

1) **المعيار الاجتماعي:** وفق هذا المعيار توصف المنظمات غير الحكومية بأنها تجمعات أو حركات تضم عددا من الأفراد لا تتمثل فيها الحكومات وليس لها هدف ربحي، وينجلي البعد الاجتماعي للمنظمة في طبيعة الخدمات الاجتماعية التي تقدمها لاسيما في مجال المساعدات الإنسانية والحقوقية والتنموية...الخ.
2) **المعيار الاقتصادي:** إن الطابع غير الربحي للمنظمة غير الحكومية أهلها لأن تلعب دورا مميزا في مجالات التنمية سواء على المدى الطويل أي ترتكز المنظمات غير الحكومية جهودها على إحداث عمليات تنموية هامة، بحكم الإمكانات الحالية المتوفرة وكذلك مواجه بعض الحالات الطارئة كما هو الشأن في حالة الأزمات المختلفة.

[1] أسماء مرايسي، إدارة المنظمات الدولية غير الحكومية لقضايا حقوق الانسان، دراسة حالة: منظمة العفو الدولية، مذكرة ماجستير في العلوم السياسية، جامعة الحاج لخضر، باتنة، 2011-2012.

3) **المعيار السياسي والقانوني:** إن الطابع غير الحكومي للمنظمات غير الحكومية ينزع عنها صفة الرسمية ويمنحها صفة الاستقلالية في اتخاذ القرار لأن طبيعة عملها الإنساني مثل حماية حقوق الإنسان مثلا أو دعم مصالح المواطنين اليومية يجعلها في موقف المواجهة مع الحكومات مما قد يترتب عنه تباين في السياسات بين نشاط المنظمة وإرادة الدول.

كما يعتبر طابع الشخصية الاعتبارية للمنظمة يضمن لها حقوق قانونية لا يمكن المساس بها، وبالتالي يجعلها في منأى عن هذه القيود التي تفرضها عادة بعض الدول.

4) المعيار الأخلاقي:

إن دافع الإرادة الذاتية للأعضاء المنتمين إلى المنظمات غير الحكومية يضفي على نشاطها الطابع التطوعي الذي يستند بدوره إلى منطلقات أخلاقية يحكمها الضمير الإنساني، وبالتالي نشاط المنظمة ذو أبعاد إنسانية بحتة، وبالعودة إلى المعايير الأربع المذكورة التي يتم على أساسها تحديد هوية المنظمات الدولية غير الحكومية، نلاحظ أن الأخذ أو الاعتماد على مجموع تلك المعايير، هو الذي يعطي لمفهوم المنظمة تعريفاَ متكاملا يشمل جميع أصنافها ومجالات تخصصها ونشاطها.

لقد تم تصنيف المنظمات الحكومية وفق معايير محددة ترتبط أساسا بطبيعة النشاط الذي تؤديه وكذا الحيز الجغرافي الذي تنشط ضمنه، وفق الوضع القانوني الذي تمارس في إطاره المنظمات غير الحكومية نشاطها، وبناء على ذلك تصنف المنظمات غير الحكومية على النحو التالي[1]:

- **تصنيف وفق مجال العمل:** ويدخل تحت دائرة هذا التصنيف المنظمات غير الحكومية النشيطة في مجال حقوق الإنسان سواء (المرأة، الطفل، ذوي الاحتياجات)
- **تصنيف وفق آلية العمل:** حيث توجد منظمات دفاعية، تربوية أو منظمات تنشط في مجال التنمية.

[1] يسيري مصطفى، **المنظمات غير الحكومية**، مرجع سابق، ص 340.

- **تصنيف وفق النطاق الجغرافي:** حيث يتم التمييز بين المنظمة الدولية والمنظمة الإقليمية والمنظمة المحلية.
- **تصنيف وفق الوضع القانوني**: داخل البلد المعين حيث تكتسب الهوية القانونية وفق التشريعات الداخلية للبلد، حيث يوجد المقر الرئيسي للمنظمة.

ينبغي الإشارة أن معايير تصنيف المنظمات غير الحكومية ليست مسألة شكلية كما يعتقد حتى وإن بدا الأمر كذلك، بل على العكس من ذلك تماما، حيث تتجلى أهميته في كونه يعطي للمنظمة هويتها الحقيقية، مع العلم أن معايير التصنيف المذكورة ليست الوحيدة، بل هناك نوع آخر لا يتعلق بالمنظمة غير الحكومية لوحدها، بل على أساس كيانات تنشأ جماعيا وفق عمل تنسيقي بين مجموعة من المنظمات يجمعها نفس مجال العمل وفي نطاق جغرافي معين وتتحرك جماعيا نحو تحقيق أهداف محددة في إطار عمل مشترك تتولاه اتحادات أو شبكات أو فيدراليات.

المبحث الثاني: المنظمات غير الحكومية: التطور والانتشار

تزايد نشاط المنظمات الدولية غير الحكومية بشكل مثير للانتباه لاسيما مع نهاية القرن العشرين مما حدا بالكثير من الباحثين باعتبارها ما يحدث بثورة المنظمات غير الحكومية أو ثورة "القطاع الثالث"•، وذلك بالنظر للدور الحاسم الذي أصبحت تلعبه هذه المنظمات في شتى مجلات السياسة الدولية.

ولعل من سمات هذا التطور اللافت، العدد المتزايد للمنظمات، وكذا الميادين المختلفة التي اكتسحتها في وقت قصير، فضلا عن الثقة التي أخذت تتمتع بها، والدعم الكبير الذي تتلقاه من لدن الفاعلين في حقول السياسة والإعلام.

• تطلق تسمية القطاع الثالث على جميع المنظمات والمؤسسات والجمعيات والأنشطة الأهلية والخيرية والمدنية والحقوقية والثقافية غير الحكومية، ويسمى بالقطاع الثالث لأنه يأتي بعد كل من القطاع العام (الحكومي) (الأول) والقطاع الخاص (الثاني)، ولقد بدأت ملامح تشكل القطاع الثالث مع بداية الثمانينات من القرن الماضي ليتحول تدريجيا إلى أهم عوامل نجاح الإدارة الحديثة نظرا لأهميته في توفير الشراكة والمسؤولية المجتمعية.
ينظر: محمد بن عبد الله السلومي، ما هو القطاع الثالث،www.3rdsecteur.org تاريخ التصفح: 2015/80/27، سا: 15.

"ولقد شهد القطاع الخيري والتطوعي خاصة في الدول الغربية نمواً متسارعا، حيث بات يمثل حيزا مهماً من الثروة الوطنية لما يملكه من أصول، وما يوفره من خدمات اجتماعية كثيرة، وتموله شبكة واسعة من المؤسسات الخدمية في مجالات حيوية عدة كالتعليم والصحة والثقافة والفنون والبيئة والبحث العلمي وحقوق الإنسان والأسرة ورعاية الطفولة والمساعدات الدولية وغيرها من الخدمات والمنافع العامة"[1].

المطلب الأول: مراحل تطور المنظمات غير الحكومية

يعتبر "توماس ريتشارد دافيس" "Thomas Richard Davis" أن التطور الذي عرفته المنظمات الدولية غير الحكومية مردّه إلى خمسة عوامل أساسية هي[2]:

- **التطورات التكنولوجية:** حيث أتاحت عولمة تكنولوجيا الإعلام والاتصال الفرصة للمنظمات من أن تتزايد في قوتها، بحيث أصبح بالإمكان التواصل والاتصال بين سكان العالم لتوحيد التحرك جماعيا وبفعالية نحو تحقيق الغايات المرجوة، كما مكن هذا التطور المنظمات في تحسين أدائها والتنسيق مع بعضها ضمن ما يعرف بظاهرة "التشبيك" للوصول إلى تحقيق الأهداف المسطرة سلفا.
- **نمو الاقتصاد العالمي:** بفضل العولمة الاقتصادية التي ساهمت في تقريب الرؤى وتوحيد أساليب التعامل مع اقتصاد عالمي فرض منطقه على الجميع.
- **العوامل الاجتماعية:** هذه العوامل ساعدت على تطوير الوعي العالمي وبالتالي انعكس على جوانب أخرى لا تقل أهمية منها الجوانب النفسية والديمغرافية.
- **تأثيرات السياسة الخارجية:** حيث ساعدت عملية الديمقراطية إلى استتباب السلام والأمن الدولي جراء التطور الذي مس العلاقات الدولية، والذي سمح بدوره من تحسين مبادئ القانون الدولي بمختلف فروعه.
- **التأثيرات السياسية الداخلية:** ويتعلق الأمر بالخصائص التي أصبحت تميز المنظمات غير الحكومية نفسها اعتبارا للأهداف التي تتوخاها وبالنظر للتنسيق الفعال

[1] كمال منصوري، **المنظمات غير الحكومية ودورها في عولمة النشاط الخيري والتطوعي**، www.iefpedia.com تاريخ النشر: مارس 2010، تاريخ التصفح: 2017/03/18 سا: 21:44.

[2] L.Sylvie Brunel, **Ona et mondialisation, Paris, cahiers Français la documentation françaises**, N305, P68.

بينما كل ذلك يساهم في توسع نشاطها ويضفي عليه فعالية كبيرة في التعامل مع المسائل التي تواجهها.

لقد ساهمت هذه العوامل مجتمعة في إعطاء دفع لنشاط المنظمات غير الحكومية وتحفيزها على البذل وتوسيع دائرة تحركها ضمن مجال تخصصها.

تشير الدراسات الدولية أن المنظمات غير الحكومية وقبل أن تصل إلى ما وصلت إليه اليوم قد مرت بثلاث مراحل متلاحقة حسب "Korten" الذي يتكلم في هذا الموقف عن ثلاثة أجيال متلاحقة من المنظمات وهي[1]:

- **جيل الإغاثة والرعاية:** حيث اقتصر دور المنظمات في هذه المرحلة على تقديم الخدمات ورعاية الفقراء ومساعدة المتضررين من الكوارث الطبيعية والأزمات كالحروب والمجاعات وركزت جهودها على توفير الحاجيات الظرفية كالغذاء والدواء والإيواء.
- **جيل التنمية المعتمدة على الذات:** وقد ظهرت بوادر هذا التوجه مع أواخر السبعينات من القرن الماضي، بحيث عمدت مجموعة من المنظمات الدولية غير الحكومية إلى إنشاء مشاريع اقتصادية متنوعة من شأنها أن تؤدي إلى زيادة القدرة لدى المنظمات على مواجهة الاحتياجات المتزايدة التي يقتضيها العمل الإنساني.
- **جيل التنمية المستدامة:** التي تركز على الإنسان ويرى "كورتن" بان الاستراتيجية الإنمائية التي محورها الأفراد تقوم على احتياجات الأفراد وحقوق الأفراد خاصة الأكثر فقرا والأقل حظا في المجتمع.

المطلب الثاني: عوامل الانتشار

لقد كان لظهور المنظمات الدولية غير الحكومية والسرعة التي تكاثرت بها، والمكانة التي أصبحت تتبوؤها في العلاقات الدولية كفاعل مؤثر، أثره على مختلف الدراسات التي تناولت الظاهرة وحاولت رصد أهم العوامل التي ساهمت في ظهور وانتشار المنظمات غير

[1] ديفيد كوتلين"K.David"، **العمل الخيري التطوعي والتنمية، استراتيجيات الجيل الثالث من المنظمات غير الحكومية**، ترجمة بدر ناصر الميطري، الأمانة العامة للأوقاف، الكويت، 2001، ص02.

الحكومية وتعاظم الأدوار التي أصبحت تضطلع بها، وتتفق معظم الدراسات والبحوث حول وجود عوامل داخلية وأخرى خارجية ساهمت في تكريس هذا الواقع الجديد.

1- **العوامل الداخلية:** وهي التي ترتبط بالجوانب التنظيمية الداخلية للمنظمة ولعّل من أهمها:

- عامل التطوع الذي يحقق الانتماء للمنظمة، سهل لمختلف الشرائح الاجتماعية من الالتحاق بالمنظمات وبالتالي تحقيق العضوية.
- شكل التنظيم الداخلي الذي يقوم على معايير الكفاءة العالية والمرونة والدقة في التخطيط والتحرك.
- ميزة الثراء والتنوع في الأنشطة التي تقوم بها المنظمات.
- الاعتماد على النظام الشبكي واعتماد أسلوب الشراكة الموسعة بتوظيف التكنولوجيا الحديثة ساهم في زيادة فعالية المنظمات.
- عامل الاستقلالية عن الدول والحكومات في إدارة القضايا التي تديرها المنظمات عن طريق الاعتماد على التمويل الذاتي ساهم في تقوية المنظمات وتقوية مصداقيتها.

2- **العوامل الخارجية:** ويمكن تلخيصها في العوامل التالية[1]:

- نهاية الحرب الباردة التي أنهت بدورها ظاهرة الاستقطاب التي ميزت لفترة طويلة السياسة الدولية بسبب الصراع بين الشرق والغرب.
- التكنولوجيا الحديثة وظهور ما يعرف بالنظام الإعلامي الدولي الجديد الذي وسّع من دائرة نشاط المنظمات غير الحكومية وأتاح لها فرصة الانتشار حول العالم وبالتالي تحقيق التواصل عن قرب مع الأفراد والجماعات في أية نقطة من العالم وبوسائل تكنولوجية ذات جودة عالية.
- عامل انتشار الديمقراطية الذي وسّع من دائرة المشاركة في اتخاذ القرارات داخل المنظمات وهو ما عزّز من مصداقيتها وأضفى على نشاطاتها طابع الشرعية.

[1] DAVID Levis, **The Management of Non-Gouvermmental Developement Organization**, London Routledje, 2001, P32.

- تعاظم أهمية القانون الدولي على حساب القوانين الداخلية للدول، ساهم في توسيع صلاحيات المنظمات[1].

ومن منظور مختلف، يعتقد "كيم ريمان" أن معظم الدراسات والبحوث التي حاولت فهم عوامل انتشار المنظمات الدولية غير الحكومية، انطلقت مما يسميه "بالتفسير القاعدي "Botton-Up" ومعناه تناول الظاهرة من زاوية التطور الحاصل في هياكل النظام الدولي بفعل ثورة المعلومات وتراجع دور الدولة القومية، وكذا تأثير العوامل الاقتصادية والاجتماعية، ويقدم الباحث بديلا لهذا الطرح يفسّر عوامل ظهور ونمو وانتشار المنظمات غير الحكومية ينطلق من تحليل الهياكل العلوية "Top-Down" والذي يقوم بدوره وفق بعدين اثنين هما:

1- **البعد الأول:** "ويتمثل في الفرص السياسية على الصعيد الدولي من خلال أشكال الدعم المالي عبر آليات التمويل وتزايد قنوات المشاركة والتمثيل والتفاعل السياسي والاجتماعي في عالم ما بعد الحرب الباردة، حيث وفرت بيئة مواتية لنمو المنظمات غير الحكومية وانتشارها على الصعيد الدولي"[2].
2- **البعد الثاني:** ظهور معايير وسلوكات مؤيدة للمنظمات غير الحكومية من قبل الدول الغربية عن طريق ظاهرة الترويج لنشاطاتها، كل هذه العوامل ساهمت بصورة جلية في خلق بيئة مادية جديدة عجلّت بنمو وانتشار هذه الفواعل الدولية.

ومهما تباينت الطروحات حول عوامل تطور وانتشار المنظمات الدولية غير الحكومية فإن الأدوار التي أصبحت تضطلع بها، والآليات التي توظفها ضمن استراتيجيات التدخل أصبحت واقعا ملموسا يفسر إلى حد بعيد كيف استطاعت هذه المنظمات أن تستفيد من الواقع الجديد الذي أفرزته التطورات المتسارعة ضمن البيئة العالمية أهلّها للتموقع بقوة ضمن الفضاء الدولي، وبالتالي تولت أدوارا في غاية الخطورة كآلية من آليات التدخل في التوجهات

[1] مسعود مرسي الريفي، **أثر العولمة في المواطنة**، المجلة العربية للعلوم السياسية، العدد 19-2008، ص 112.
[2] سعد الله، **نظرة من الأعلى، السياسة الدولية، المعايير والنمو العالمي للمنظمات غير الحكومي للباحث كيم ريمان** (2006)، www.google.com/amp/s/tsadali.word.fr تاريخ التصفح: 2018/08/18.

الكبرى والسياسات الخارجية للدول، وهو ما سنحاول توضيحه لدى تطرقنا للاستراتيجيات والآليات التي تعتمدها المنظمات غير الحكومية في نشاطها العالمي.

المبحث الثالث: المنظمات الدولية غير الحكومية، الاستراتيجيات والآليات

المطلب الأول: استراتيجيات التدخل

لعلّ التأثير المتزايد للمنظمات الدولية غير الحكومية في العالم بفعل الدور الذي أصبحت تؤديه في رسم السياسات العالمية لاسيما في مجالات حماية الإنسان، حتّم عليها البحث عن آليات ووسائل تمكنها من أداء دورها على النحو المرغوب فيه، ولأن دراستنا تركّز على المنظمات الدولية غير الحكومية النشطة في مجال حماية الإنسان وحقوقه، فسنحاول تحديد الأساليب التي توظفها هذه المنظمات لتحقيق أهدافها.

إن المكانة التي أصبح يحظى بها ملف حقوق الإنسان وقد اتخذ بعدا دوليا ليتصدر أهم القضايا العلمية الشائكة التي تطرح باستمرار تحديات كبيرة، ليس فقط على الدول ولكن أيضا على المنظمات الدولية الإنسانية لاسيما المنظمات الدولية غير الحكومية، كل هذه العوامل فرضت على هذه التنظيمات الدولية استخدام وتوظيف آليات وميكانيزمات متعددة ضمن ما تسميه بأنظمة التخطيط الاستراتيجي "Strategic Planning"• حتى تمارس مهامها وتؤدي وظائفها على النحو الذي يضمن تحقيق الأهداف التي تتبناها والمسؤوليات الملقاة على عاتقها، لاسيما بعد تنامي النقاشات حول مدى أهمية حقوق الإنسان وحمايته التي أصبحت من صميم مسؤولية كل الفواعل الاجتماعية.

• **التخطيط الاستراتيجي:** هو عبارة عن أسلوب عمل مبني على التحليل الجيد لبيئة المنظمة (داخلية وخارجية) لغرض تحديد الجوانب الإيجابية والسلبية الخاصة بالمنظمة (الفرص، التهديدات ونقاط القوة والضعف) والعمل على تطوير الأهداف والاستراتيجيات اللازمة لبقاء المنظمة واستمرارها، كما يعرف بكونه عملية نظامية لتحديد كيفية انتقال المنظمة من الواضع الراهن إلى مستقبلها المرغوب، وبالتالي فهو عملية اتخاذ قرارات تستند بالأساس على مجموعة من التساؤلات: أين نحن؟ وأين نرغب أن نكون؟.
www.uobabylon.edu.iq تاريخ التصفح: 2018/08/17، سا: 16

وفي دراسة بعنوان "ملاحظة حول المنظمات الدولية غير الحكومية NGO وسياسة التأثير" Anote of NGOS and Policy Influence"، حددت "Covet Jane" جان كوفاي خمس استراتيجيات تستخدمها المنظمات في نشاطها اليومي لتحقيق أهدافها وهي:[1]

- إستراتيجية التعاون : Collaboration
- إستراتيجية التعليم: Education
- إستراتيجية الإقناع: Persuation
- إستراتيجية التقاضي: Litigation
- إستراتيجية المواجهة Comportation

الفرع الأول: إستراتيجية التدخل على أساس مبدأ التعاون

مثلما يتعدد نشاط المنظمات الدولية غير الحكومية تختلف أهدافها وتتباين الطرق التي تعتمدها لتحقيق تلك الأهداف، لكنها تشترك في تغليب المقترب التعاوني على غيره من المقاربات التي لم تعد تثبت نجاعتها مع التحول العميق الذي يشهده المجتمع الدولي، ناهيك على أنّ الاكراهات الميدانية والتجارب السابقة للمنظمات، جعلتها تقتنع بان الأسلوب الأكثر تقبل، والأقل مخاطرة هو الأسلوب التعاوني المبني على علاقات الثقة والودّية هو الكفيل بتحقيق الأهداف المتوخاة، وهي ما يسميه البعض بالآليات السلمية لتطبيق قواعد القانون الدولي الإنساني من طرف المنظمات الدولية غير الحكومية، والمقصود بالآليات السلمية هنا، هي جملة الإجراءات والتدابير التي تقوم بها المنظمات الدولية دون اللجوء إلى استخدام القوة العسكرية باعتماد أسلوب التفاوض في فض النزاعات الدولية بالطرق السلمية أو ما يعرف في قاموس القانون الدولي الإنساني "بالمساعي الحميدة"•، وتلعب المنظمات الدولية

[1] Morton Winston :**NGO strategies gor promation corporate social Responsability international Affaires**, 16 N°02 , p71.

• يعرف فقهاء القانون الدولي "المساعي الحميدة" بأنها "عمل سياسي ودّي تقوم به دولة أو مجموعة من الدول أو حتى فرد ذي مركز رفيع كالأمين العام للأمم المتحدة في محاولة لجمع الدول المتنازعة مع بعضها، وحثها على البدء في المفاوضات أو استئنافها، من دون أن تقوم الدولة أو الفرد الذي يقوم بالمساعي الحميدة بتقديم مقترحات أو وضع شروط بين الأطراف المتنازعة، وإلا فإن ما يقدمه يكون مجرد مشورة ليس لها صفة الإلزام، ويمكن للأطراف المتنازعة قبولها أو رفضها من دون أن يشكل ذلك خرقا لقواعد القانون الدولي. ينظر: المساعي الحميدة في حل النزاعات الدولية، http://pulpit.alwatan.voice.com.print، تاريخ النشر: 06 نوفمبر 2013، تاريخ التصفح: 2016/11/09، سا: 22:00.

غير الحكومية دورا كبيرا في حماية وترقية حقوق الإنسان خاصة في فترات الصراع وذلك كآلية من آليات تنفيذ قواعد القانون الدولي الإنساني، وهنا يختلف الدور الذي يضطلع به هذا النوع من المنظمات مقارنة مع المنظمات الدولية الحكومية تبعا لاختلاف طابعها وظروف نشأتها ومصادر تمويلها وكذا مدى تبعيتها أو استقلالها عن الحكومات والدول، وسنركز في دراستنا بطبيعة الحال على المنظمات الدولية غير الحكومية دون سواها أثناء النزاعات الدولية المسلحة.

تؤكد الدراسات أنه هناك عوامل عديدة توفرت للمنظمات الدولية غير الحكومية"ONG" أهلتها لتلعب أدواراً حساسة في حماية تقديم الإغاثة الدولية وحماية حقوق الإنسان ومن أهمها:

- هامش الحرية التي تتمتع به في ممارسة أدوارها بالمقارنة مع غيرها من المنظمات النشيطة في الميدان، فهي تتكون من أفراد مستقلين، جمعت بينهم الرغبة في التطوع وخدمة الآخر دونما مقابل.
- طبيعة التمويل الذي تتلاقاه وسّع من دائرة نشاطها وجعلها أكثر مقدرة على الحفاظ على مبدأ استقلالها وحيادتها.
- إن تمتع هذه المنظمات بدور المراقب الاستشاري لدى هيئة الأمم المتحدة•أعطاها ثقلا دوليا وقدرة على المناورة والتأثير الفعال في تطويق المنازعات الدولية الأكثر تعقيدا في العالم.

إن هذه المهمة الاستشارية بين الأمم المتحدة والمنظمات الدولية غير الحكومية، تولدت عنها بطبيعة الحال علاقة تكامل وتبادل، بحيث يمكن للمنظمة الأممية أن تطلب من المنظمات الدولية غير الحكومية القيام بدراسات، وتقديم تقارير في مجالات معينة كما يتسنى

ورود فخري، **تعريف ومفهوم المساعي الحميدة، القانون الدولي**، http://www.mohamah.net تاريخ النشر: 2017/08/27، تاريخ التصفح: 2017/11/07، سا 18:42.

• تنص المادة 71 من ميثاق الأمم المتحدة على أن:" للمجلس الاقتصادي الاجتماعي أن يجري الترتيبات المناسبة للتشاور مع الهيئات غير الحكومية التي تعني بالمسائل الداخلة في اختصاصه".

للمنظمة أن تبادر من تلقاء نفسها أثناء القيام بنشاطات معينة والتعبير عن رأيها كتابيا وشفويا[1].

وبالتالي فإن "حق المبادرة"• المكفول بموجب قواعد القانون الدولي الإنساني، يسمح للمنظمة غير الحكومية من أن تتحرك في فضاء الأزمات والصراعات الدولية بكثير من الارتياح والثقة بالنفس في تنفيذ حيثيات عملها الإنساني في حماية اللاجئين والنازحين، وحماية الأسرى والمعتقلين المدنيين، وإدانة كل ما يعتبر انتهاكا لقواعد القانون الدولي الإنساني، بالإضافة إلى جهودها في الإغاثة الدولية بتوزيع المساعدات الإنسانية وفق شروط محددة مسبقا.

وبالعودة إلى مفهوم التعاون الذي تتوخاه المنظمات الدولية غير الحكومية كآلية لكسب المهارة اللازمة "في خلق واكتساب وتحويل المعرفة، وتعديل سلوكها إلى معرفة ورؤية جديدة"[2] لأنه يتصف بمجموعة من السمات والخصائص تتمثل في[3]:

- التعلم مقاربة إستراتيجية Learning Approach to Strategy.
- المشاركة في صنع القرار Participative Poticy .
- المعلومات: فالتعلم يساعد المنظمة على استخدام تقنيات المعلومات من أجل تعبئة الناس.
- المحاسبة والمراقبة Acconting and Control.
- التبادل الداخلي Internnal Exchange.
- مرونة المكافأة Reward Flexibility.
- إتاحة الفرص لربط شراكات إستراتيجية .

---

[1] عميمر نعيمة، **دمقرطة منظمة الأمم المتحدة**، ط1، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر، بيروت، لبنان، 2007، ص 361.

• تنص المادة 03 المشتركة على أنه:" يجوز لهيئة إنسانية غير متحيزة كاللجنة الدولية للصليب الأحمر، أن تعرض خدماتها على أطراف النزاع وعلى أطراف النزاع ان تعمل فوق ذلك عن طريق اتفاقيات خاصة على تنفيذ لأحكام الأخرى من هذه الاتفاقيات أو بعضها...".

ينظر: شريف عتليم، محمد ماهر عبد الواحد، **موسوعة اتفاقيات القانون الدولي الإنساني**، ط1، دار المستقبل، البعثة الأممية بلجنة الدولية للصليب الأحمر، القاهرة، مصر، ص 118.

[2] Bruce.B.Ritton, the learning NGO uk,interac, July, 1988, P02.

[3] Bruce.B.Ritton, Op, Cit, P02.

- التعلم من البيئة.
- التطور الذاتي.

كل هذه العناصر تضفي على نشاط المنظمة طابع المرونة في التعامل والتأقلم مع مختلف الظروف والبيئات، وفهم خصوصية كل بيئة والقوانين التي تحكمها، وبالتالي يعطي لطواقم المنظمات قدرات أكبر ومهارات عالية في ممارسة النشاط الإنساني الميداني بظروفه المختلفة وإكراهاته المعقدة.

الفرع الثاني: إستراتيجية التدخل على أساس التعليم

يعرف التعليم بأنه:" عملية منظمة مستمرة تهدف إلى رفع كفاءة الأفراد وتزويدهم بالمهارات اللازمة لتمكينهم من أداء الأعمال المطلوبة منهم بنجاح"[1].

إن المنظمات الدولية غير الحكومية وانطلاقا من الأهمية التي توليها للعنصر البشري الذي يتوقف عليه مدى نجاح أو فشل المنظمة في القيام بواجبها الإنساني، وفي رقابتها تلجأ إلى تبني هذا الأسلوب بهدف تفعيل دور أعضاء المنظمة ويسمح بتحسين الأداء الجماعي وفق خصوصيات الموقف، وتحرص المنظمات الدولية غير الحكومية على احترام البرنامج المسطر في عملية التدريب من حيث تنظيم ورشات حقوق الإنسان، وتنظيم دورات تدريبية والتنويع في النشاطات الثقافية وإنشاء مراكز لترقية وحماية حقوق الإنسان للكبار والصغار وتحفيزهم عبر مسابقات تنافسية لاختيار مدى تجاوبهم مع هذا المبدأ العالمي (مبدأ حقوق الإنسان)، وبالتوازي مع كل هذه الأنشطة لا تغفل المنظمات الدولية غير الحكومية عن دور الإعلام لما له من دور فعال في النشر والتبليغ خاصة الإعلام السمعي البصري بما يتميز به من قوة التأثير وسرعة الانتشار.

[1] وائل محمد ثابت، **مشاكل التدريب الإداري في المؤسسات غير الحكومية في قطاع غزة**، فلسطين، مجلة جامعة الأزهر، المجلد 12، العدد 1، 2002، ص04.

الفرع الثالث: إستراتيجية التدخل على أساس الإقناع

تدرك المنظمات الدولية غير الحكومية أهمية الدور الذي يلعبه الرأي العام في نجاح ودعم مختلف النشاطات التي تؤديها المنظمات، لذلك تسعى باستمرار من أجل التأثير على توجهاته وقناعاته عن طريق توظيف وسائل الإعلام والاتصال في هذه العملية الحساسة، لقناعتها بأهمية المعلومة في تغيير سلوك الرأي العام حتى يتخذ المواقف التي تخدم رسالتها، كما سنوضح ذلك في الفصل المتعلق بالإعلام والعمل الإنساني، فالإعلام والحال هذه، يلعب دورا مزدوجا يخدم توجهات ومصالح المنظمة، فمن جهة يخاطب الرأي العام وينقل له المعلومات التي تتعلق بنشاط المنظمات، وأهمية الدور الذي تضطلع به في المجالات الإنسانية ومن جهة أخرى يكون عامل ضغط على الحكومات لدفعها نحو تدعيم نشاط تلك المنظمات.

المطلب الثاني: آليات التدخل

الفرع الأول: لجان تقصي الحقائق

هي واحدة من الآليات التي أصبحت تعتمد عليها الدول والمنظمات الدولية وذلك للتوصل إلى معرفة الحقائق والكشف عنها، ويعرف المركز الدولي للعدالة الانتقالية لجان تقصي الحقائق كالتالي:" هي هيئات للتحقيق ذات طابع مؤقت مرخص لها رسميا، يتم إنشاؤها في محاولة لتوضيح معالم فترة سابقة من القمع أو الصراع أو الفضائح، والانتهاكات الهمجية المتكررة لحقوق الإنسان ومعالجة ما يستوجب العلاج منها، وتمثل هذه اللجان هيئات قضائية كما أنها تنشأ لمدة محددة مسبقا، وتُصدر في نهاية مهمتها تقريراً عن النتائج التي توصلت إليها، والتي تشتمل عادة على اقتراحات وتوصيات للإصلاح في المستقبل، وفي كثير من الأحيان وبغرض التمييز بين لجنة وأخرى، يتم تسميتها باسم القضية التي تحقق فيها"[1].

[1] مركز العدالة الانتقالية، لجان تقصي الحقائق والمنظمات الدولية غير الحكومية، العلاقة الأساسية مبادئ فراتي التوجيهية للمنظمات غير الحكومية العاملة مع لجان تقصي الحقائق، نيويورك، م.ع.إ، 2004، ص04.

وتعتمد المنظمات الدولية غير الحكومية على هذه الآلية، إما على المستوى الوطني أو الدولي بالنظر لما لها من قدرة على تسليط الضوء على الحقائق الميدانية وكشف المستور منها بغية التوصل إلى تحقيق الإجابات الكافية والدقيقة عن حقيقة ما يقع من تجاوزات وانتهاكات لقواعد القانون الدولي الإنساني، كما تتميز لجان التحقيق التابعة للمنظمات الدولية غير الحكومية بكونها ذات مصداقية أكبر في نظر الرأي العام المحلي والدولي بسبب استقلالها عن سلطة الحكومات والدول، كما أنها تتمتع بصلاحيات واسعة تمكنها من تنفيذ مهامها بكل حرية وضمن الأطر الزمنية والقانونية والسياسية المسموح لها، ولعل من ضمن أهم الصلاحيات التي تتمتع هذه اللجان هي:[1]

- صلاحية استدعاء الشهود حول القضية المثارة.
- صلاحية التفتيش والضبط.
- صلاحية حماية الشهود.
- صلاحية تقديم التقارير ووضع التوصيات.
- القدرة على توسعة التحقيق بما يخدم مسار عمل اللجنة.

بدافع الحرص على مصداقية العمل الذي تؤديه المنظمات غير الحكومية من خلال عمل لجان تقصي الحقائق كإحدى أهم الآليات التي يتركز عليها نشاط هذه المنظمات، يشترط في عملية التقصي نفسها الاعتماد على أسلوب التدرج الحذر قي مباشرة عملها الميداني وفق مراحل متعددة يمكن اختصارها في ثلاث هي:

- **مرحلة التحضير:** تحرص المنظمات الدولية غير الحكومية في هذه المرحلة على تقسيم المهام وتجديد صلاحيات لجان تقصي الحقائق مع ضبط مهمة كل فرد من أعضائها وفق عاملي الخبرة والاختصاص، ومن ثم مباشرة عملية الاتصال بكل أطراف المهمة، مع إمكانية اللجوء إلى تبادل الخبرات والتعاون في عملية التقصي مع منظمات دولية أخرى ضمن علاقات تشابكية أو ما يعرف بعملية (التشبك).

[1] مركز العدالة الانتقالية، لجان تقصي الحقائق والمنظمات الدولية غير الحكومية، مرجع سابق، ص 37.

كما يشترط في كل مرحلة من هذه المراحل اعتماد أسلوب الوضوح والدقة في مختلف المراحل المتبعة مع الالتزام بالضوابط القانونية القائمة مع التركيز على العامل الأخلاقي في تحديد الصلاحيات وتوظيف الأعضاء الذين ينبغي أن يكونوا على قدر كبير من الاحترام والقبول.

- **مرحلة مباشرة عمل اللجنة:** وهنا لابد من احترام الشروط التالية:

- اعتماد التواصل وإقامة العلاقات بغية التنسيق على مستوى عال سواء بين المنظمات المعنية نفسها أو مع الضحايا والشهود بالإضافة إلى الإعلام.
- جمع المعلومات وتحليلها باعتماد الدقة في جمعها وتحديد مصادرها والتأكد من مدى صحتها قبل الشروع في مرحلة التحليل.

- **مرحلة النتائج:** ويتم التركيز خلال هذه المرحلة على مساعدة الضحايا الذين أثبت التحقيق والتقصي تضررهم، ومعاناتهم، وكذلك اطلاع الرأي العام على النتائج والجهود التي بذلتها لجان التقصي بهدف الوصول إلى الحقيقة، ولعّل أهم ما يميز هذه المرحلة هي عملية نشر التقرير النهائي لعمل اللجنة، وهي مرحلة حساسة في عمل لجان التقصي بالنظر لحجم الصعوبات والضغوطات التي تواجهها خاصة من طرف الحكومات التي عادة ما تعبر عن رفضها للتقارير أو تتحفظ عليه، وفي هذه المرحلة أيضا يتموقع الإعلام بقوة في محاولة منه الكشف عن النقاط الحساسة في التقرير وكشفها للرأي العام.

الفرع الثاني: تعزيز الرأي العام

يشكل الرأي العام عاملا مهما يتحدد على ضوئه مدى نجاح أو فشل المنظمات الدولية غير الحكومية في إدارتها لمختلف القضايا التي تدخل في دائرة اهتماماتها، ولقد أصبح مع تطور المجتمعات في مركز اهتمامات الدول والحكومات والمنظمات الإنسانية التي تعتمد عليه إلى حد الشراكة على اعتبار أن معظم نشاطات المنظمات الإنسانية ينبع من اهتمامات بالرأي العام الذي تعبر عن اهتماماته وتوجهاته وطموحاته، وكذلك يعتمد عليه كمعيار لنجاح

عملها لأنه يشكل مصدر ضغط على الحكومات والهيئات الرسمية المختلفة مما يخدم في النهاية قضايا واهتمامات تلك المنظمات.

وإدراكا منها لأهمية الرأي العام في التأثير سلبا أو إيجابا على مختلف النشاطات التي تقوم بها تحاول المنظمات الدولية غير الحكومية التأثير في الرأي العام وتوجيهه نحو الأهداف المسطرة عن طريق توظيف وسائل الإعلام والاتصال التي تساعد المنظمات على أداء عملها من خلال نقل المعلومات إلى الجمهور، وإخطاره بجهود المنظمات الإنسانية والتعريف بنشاطها كما يمثل الإعلام أيضا عامل ضغط على الحكومات ودفعها إلى مساندة ودعم الحملات التي تقوم بها المنظمات غير الحكومية كما أشرنا إلى ذلك سالفا.

الفرع الثالث: صياغة المواثيق والمعاهدات

تعتبر هذه الآلية القانونية على جانب كبير من الأهمية وقد أدركت المنظمات الدولية غير الحكومية هذه الحقيقة، حيث عملت على تقوية مشاركاتها في دعوة المجتمع الدولي إلى صياغة اتفاقيات تخدم في النهاية نشاط المنظمات، وقد نجحت هذه المنظمات في تقديم ترسانة قانونية دولية في مجال حقوق الإنسان وحمايته، ويعتبر إنشاء "المحكمة الجنائية الدولية"• ثمرة من ثمار جهود المنظمات الدولية غير الحكومية في سبيل إرساء قواعد العدالة الجنائية الدولية، وبالتالي الحد من الانتهاكات والتجاوزات ومتابعة مرتكبيها قضائيا، كما لعبت المنظمات الدولية غير الحكومية دورا بارزا في توقيع معاهدة روما التي دخلت

• **المحكمة الجنائية الدولية** ""هي منظمة دولية دائمة، تأسست سنة 2002، كأول محكمة قادرة على محاكمة الأفراد المتهمين بجرائم الإبادة الجماعية والجرائم ضد الإنسانية، وجرائم الحرب،وجرائم الاعتداء...،وتعتبر المحكمة الجنائية الدولية التي ظهرت إلى الوجود بموجب "قانون روما" أول هيئة قضائية دولية، تحظى بولاية عالمية وبزمن غير محدد لمحاكمة مجرمي الحرب ومرتكبي الفضائع بحق الإنسانية، وإبادة الجنس البشري، وقد بلغ عدد الدول الموقعة على قانون إنشاء المحكمة 121 دولة حتى سنة 2012، مع امتناع بعض الدول عن التوقيع على ميثاق المحكمة مثل الصين، الهند، أمريكا وروسيا، وقد تعرضت المحكمة إلى انتقادات كثيرة.
ينظر: المحكمة الجنائية الدولية، ويكيبيديا، الموسوعة الحرة، htpp://ar.wikipedia.org
وفي سنة 2010 اتفقت الدول الأعضاء في المحكمة الجنائية الدولية على إضافة "جريمة العدوان" إلى اختصاصات المحكمة لتصبح بذلك رابع جريمة تختص بها هذه المحكمة بعد كل من:

- جريمة الإبادة الجماعية.
- جرائم ضد الإنسانية.
- جرائم الحرب.
- جريمة العدوان.

ينظر: المحكمة الجنائية الدولية توسع صلاحياتها www.france24.com تاريخ النشر: 2017/12/16، تاريخ الاطلاع: 2018/01/02سا:20:05.

حيز التنفيذ في جويلية 2002 لتعلن رسميا قيام محكمة العدل الدولية في لاهاي، وبالتالي تم حسم الغموض والالتباس الذي كان حاصلا في ملف "الجرائم ضد الإنسانية"[1].

بالرغم من التطور اللافت الذي عرفه العمل الإنساني والتحول الذي طرأ على نشاط المنظمات الدولية غير الحكومية، بحيث تضاعف عددها، واتسعت انشطتها، وبقدر ما حققته من نجاحات ميدانية ملموسة لاسيما في مجال الإغاثة الإنسانية، بقدر ما كبرت حاجاتها لوجود عامل دعم ومساندة يسمع صوتها ويبرز حجم جهودها المنبوذة في بؤر التوتر والصراع ورصد العوائق والصعوبات التي تواجهها، وبالتالي حشد الدعم الضروري وتحقيق التفاعل الإيجابي مع مختلف نشاطاتها، هذه العوامل مجتمعة عجلت بظهور علاقة وطيدة مع وسائل الإعلام التي فرضت على المسائل الإنسانية الحديثة رهانات أخرى أكثر أهمية وأكثر تعقيد، وهو ما سنتطرق اليه في ثنايا الفصل الثالث.

[1] عمر كوش، **مفهوم الجرائم ضد الإنسانية في القانون الدولي** www.aljazeera.net تاريخ النشر: 2009/05/10، تاريخ التصفح: 2010/06/19، سا:11:20

الفصل الثالث: المسألة الإنسانية في الاتصال الحديث: رهانات الواقع الجديد

تمهيد:

تثير علاقة العمل الإنساني بالإعلام على مدى سنوات طويلة تساؤلات حول طبيعة هذه العلاقة، ومدى التفاعلية بين المسألة الإنسانية والعمل الإعلامي، بين الفاعلين في الحقل الإنساني، وبين رجال الإعلام، وإلى أي مدى قد تنعكس هذه العلاقة على خصوصية كل منهما؟

لقد تجلى واضحا منذ الخطوات الأولى للعمل الإنساني حاجته الملحة إلى من ينقل صورته، وصوته وجهده، ومعاناته بشكل فعال، فلقد ظل النشاط الخيري والإنساني على كثافته وأهميته غائبا أو مغيّباً عن الأعين، بحيث لم يتعد أخباره وفي أحسن الظروف حدود فضاء الكارثة أو الأزمة، وذلك قبل أن تأخذ تكنولوجيا الاتصال منحنىً تصاعدياً نجم عنه تطور مذهل وتحولات علمية خارقة لوسائل الإعلام والاتصال.

هذه الانتصارات التي حققتها وسائل الإعلام لاسيما البصرية منها، جعلت الحاجة تتسع وتكبر لدى الفاعلين في الحقل الإنساني إلى من ينقل الأخبار والمعلومات خارج فضاء الأزمة بشكل أوسع وأعمق، وذلك بغية الاطلاع على معاناة ومآسي الآخرين، وبالتالي لم يعد العمل الإنساني وحده من يمتلك المعلومة ومن يمتلك صلاحية نقلها وتوزيعها، بل أصبح للإعلام القدرة على تولي هذه المسؤولية على ما تنطوي عليه من مخاطر ذات عواقب على الجميع، ولكن كيف حدث هذا وكيف كانت البداية؟

يتكلم "Pierre Micheletti" عن "قصة لقاء"[1] وهو يشير إلى أصل البداية وقصة التعارف والتقارب بين العمل الإنساني والعمل الإعلامي قبل الشروع في رحلة نحو المستقبل بمحطات متعددة ضمن فضاء الاتصال.

في مقابل ذلك، عرفت عمليات الإنقاذ ونجدة المتضررين والمساعدات الإنسانية للضحايا في الأماكن المنكوبة، سواء بفعل الكوارث الطبيعية أو جراء الأزمات والصراعات المسلحة، عرفت تطورا مطردا، حيث بدأت كمساعدات إنسانية بسيطة، ثم أخذت تتحول تدريجيا إلى

[1]P.Micheletti, **Humanitaire : s'adapter ou renoncer, hachette livre**, Marabout, 2008, P134.

عمل إنساني يحاول أن يتعمق أكثر ضمن فضاء الأزمة ثم إلى نشاط إنساني دؤوب تحركه مؤسسات ومنظمات اجتماعية مختصة أصبحت فيما بعد تطلق على نفسها تسمية (المنظمات الإنسانية غير الحكومية (ONG) أما اليوم وبفعل التطور الجلي الذي حققه العمل الإنساني، أصبحنا نتكلم عن "المسألة الإنسانية"، لأنها ما فتئت تثير تساؤلات واستفهامات كثيرة بالنظر إلى المستوى الذي بلغته وكذلك أيضا بسبب ظاهرة التعقيد التي أصبحت تميزها.

المبحث الأول: الإعلام والعمل الإنساني: أصل البداية

يجب في البداية توضيح انه لا يوجد إجماع لدى المهتمين بدراسة المسألة الإنسانية وعلاقتها بالإعلام حول تاريخ معين يمكن اعتماده كمرجع ثابت في دراسة الظاهرة، فلقد جاءت كل محاولات التنظير إما تعكس جانبا معينا من جوانب التحول الذي عرفته المسألة الإنسانية أو محاولة دراستها من خلال بعض النماذج الميدانية التي عايشوها أو توفرت معلومات حولها، وفي المقابل ذلك يتكلم عديد الباحثين عن ثلاث محطات تاريخية بارزة، ساهمت في توسيع فضاء الأزمة، بالرغم من الاختلاف الظاهر بين طبيعة عمل كل من الإعلام والعمل الإنساني وخصوصيات كل منها وهذه المحطات الثلاث هي[1]:

- حرب القرم (1854-1856) "La guerre de Crimée".
- معركة سولفارينو (1859) "Solfeirino"
- حرب بيافرا (نيجيريا)"Biafra".

1) حرب القرم:

تطلق تسمية القرم على الحرب التي اندلعت بين الإمبراطورية الروسية والدولة العثمانية في الرابع من أكتوبر 1853، ثم توسعت لتشمل دولا أخرى مثل بريطانيا وفرنسا اللتان دخلتا الحرب إلى جانب الدولة العثمانية سنة 1854 "وكانت أسبابها الأطماع الإقليمية

[1]Ryfman,Ibid,P14.

لروسيا على حساب الدولة العثمانية وخاصة في شبه جزيرة القرم التي كانت مسرح المعارك والمواجهات"[1].

وترجع جذور هذه الحرب إلى العداء الكبير الذي طبع العلاقات العثمانية الروسية خاصة منذ سيطرة القياصرة على الحكم في روسيا، حيث كان للروس حزمة من الأطماع التوسعية اختلطت في بعض الأحيان "بعواطف دينية متعصبة"[2] متمثلة في حماية الأرثوذكس في العالم والسيطرة على القسطنطينية التي فتحها السلطان محمد الفاتح، وكذا السيطرة على الأماكن المقدسة المسيحية في فلسطين.

كانت هذه السياسة لروسيا سببا في قيام حروب طويلة وعنيفة مع العثمانيين أبرزها حرب 1853 التي بدأت بقيام روسيا باحتلال رومانيا التابعة آنذاك للدولة العثمانية، لكن السلطان العثماني عمر باشا استطاع أن يلحق هزيمة كبيرة بالروس على نهر الدانوب في 28 مارس 1854 ودخلت بريطانيا وفرنسا الحرب ضد روسيا إلى جانب الدولة العثمانية حفاظا على مصالحها، وخوفا من التوسع الروسي، وكانت أهم معركة هي (سيفاستوبول) في البحر الأسود التي استمرت حوالي عامين، وقتل خلالها حوالي 35 ألف شخص وتُوّجت بعقد اتفاقية باريس 1856.

لكن ما ميز هذه الحرب إلى جانب الخسائر الفادحة هو الحضور الإعلامي اللافت وذلك من خلال إرسال مراسلين عسكريين على جبهات القتال الذين عمودا إلى كتابة شهاداتهم الميدانية حول المأساة ولكن بوسائل بسيطة، "أقلام وأوراق" ولكنهم أسسوا رغم بساطة الإمكانيات لبداية عهد جديد للعمل الإنساني، كانت أولى ثماره تأسيس أول مدرسة ممرضين في لندن من طرف "فلولونس"(Florence, Nightingale)• الذي تأثرت بما حدث في هذه الحرب، وعايشت مأساة حقيقية وهي تتابع مئات الجنود يسقطون ضحايا الحرب، وكذا

[1] حرب القرم،https://arim.wikipedia.org تاريخ التصفح: 05 جويلية 2015، سا: 19:50.
[2] حرب القرم، م ن.
•**فلورنس نايتنجر (1820-1910):** ممرضة بريطانية ورائدة في مجال التمريض العصري واستعمال الإحصائيات في مجال الطب، عايشت في بداية حياتها الكثير من الأمراض والأوبئة وأبدت تأثرا واهتماما بتقديم المساعدة والإغاثة، وتعتبر سنة 1844 سنة فارقة في حياتها جراء وفاة مريض في مستوصف workhouse، حيث تحولت الوفاة إلى تضحية وتحولت فلوروس الى مناضلة للقضية وهو ما مهد لها الالتحاق كممرضة في حرب القرم، لتؤسس بعد ذلك أول مدرسة للممرضين جراء ما رأته في الحرب.

الأوبئة الفتاكة، فأبدعت في تقديم خداماتها العلاجية بتفان كبير جعلها تتبوأ مكانة تاريخية مرموقة في أوقات السلم والحرب.

ولعل اللافت هنا هو العلاقة الناشئة التي أخذت تتضح معالمها شيئا فشيئا بين العمل الإعلامي الذي جسده المرسلون العسكريون بالوسائل البسيطة، وأثره على تحريك وتفعيل العمل الإنساني سواء أثناء الحرب أو بعدها، إذ بمجرد أن وصلت تقارير المراسلين حول ظروف الحرب، وصعوبات تقديم الإسعافات الأولية الميدانية حتى تحركت المساعدات الإنسانية بضغط من الرأي العام المحلي آنذاك.

ويتوقف المؤرخون الباحثون في المسائل الإنسانية باستمرار عند "حرب القرم" كواحدة من المحطات التي ساهمت بالتعجيل في بلورة الحاجة إلى الإعلام من قبل العمل الإنساني ، حتى يستطيع أن يطوّر من أساليب التدخل والإغاثة، وبالتالي فإن جدلية العلاقة بين الظاهرة الإعلامية والظاهرة الإنسانية، مكنت لاحقا من إعطاء بعدا آخر أكثر عمقا وأكثر تعقيدا للمسألة الإنسانية.

2) معركة سولفيرنو "SOLFERINO"**:**

توصف هذه المعركة من الناحية السياسية بأنها أهم حلقة في كفاح إيطاليا الممزقة إلى دويلات تحت حكم الإمبراطورية النمساوية التي عرفت نهايتها مع انتصار الجيش الفرنسي بقيادة "نابليون" في التحالف مع "سردينيا" وخروج النمساويون من الجزء الشمالي من "لومبارديا".

ولكن ما يميز هذه الحرب أيضا هي أنها شكلت منعرجا حاسما في ظهور الحركة الدولية للصليب الأحمر والهلال الأحمر•.

• **الحركة الدولية للصليب الأحمر**: هي شبكة إنسانية عالمة تمديد العون إلى الأشخاص الذين يواجهون كوارث او نزاعات أو مشاكل صحية أو اجتماعية، وتتألف الحركة من اللجنة الدولية والهلال الأحمر، و19 جمعية وطنية للصليب الأحمر والهلال الأحمر.
تأسست اللجنة الدولية للصليب الأحمر سنة 1863 في جنيف (سويسرا) وتعمل الحركة على تحقيق مجموعة من الأهداف منها:
- روح التعاون والمودة.
- نشر الوعي الصحي.
- مساعدة المنكوبين والمتضررين من الحروب. المرجع: htpp://wikipedia.org

سولفيرنو وقصة نشأة القانون الدولي الإنساني (قانون الحرب)

"...رتبت الأقدار مجيء رجل الأعمال السويسري (هنري دونان•) "J.Henri.Dunant" إلى (كسيتليوني ديلاديف) للقاء الإمبراطور نابليون أملا في الحصول على تصريح تجارية لأعماله، وصل دونان بعد ساعات فقط من نهاية المعركة التي خلفت ما يقارب 40 ألف من جرحى الجيشين ينازعون لحظاتهم الأخيرة، بينما لم تكن الخدمات الطبية العسكرية كافية لإحتواء الوضع ولا كان لها أية حماية خاصة، فأسرع ببناء مستشفى صغير داخل الكنيسة ودعا أهلها للمساعدة في التمريض، محاولين إنقاذ من بقي على قيد الحياة من الجانبين وتكريم من مات منهم"[1].

وبعد أن انتهت الحرب عاد "دونان" بذكريات مروّعة سجلّها في كتابه المنشور سنة 1862 (تذكار سولفرينو) ضمّنه فكرتين أساسيتين اعتبرتا ثورة على نظام الحرب السائد، فطالب[2] بإنشاء جمعيات إغاثة مستقلة في كل بلد لإغاثة ضحايا الحرب.

لقد لقيت أفكار"دونان" صدى إيجابيا في سويسرا، ثم بدأ العمل لتحضير النواة الأولى لعقد مؤتمر دبلوماسي عالمي لبحث مقترحات دونان عام 1863، حيث تُوج المؤتمر بالمصادقة على إنشاء جمعيات الغوث الدولية التطوعية، حيث قامت 16 دولة بالتوقيع على الاتفاقية الدولية التي بموجبها أنشئت اللجنة الدولية للصليب الأحمر إتخذت من جنيف مقراً لها.

" ليتك هلكت فجأة أيها الشهيد البائس مضروبا برصاصة على أرض المذبحة، وسط تلك الأهوال العظيمة التي يسمونها المجد، بل ليت أولئك القرويين الذين آلت إليهم مهمة الدفن قد دفنوك حيّاً عندما إلتقطوك فاقد الوعي على جبل السرو أو في سهل "مديولي"، لما طال عندئذ عذابك الرهيب على الأقل، لكنك الآن تمرّ بعذابات متتابعة كُتب عليك أن تتحملها

ينظر: الحركة الدولية للصليب الأحمر والهلال الأحمر: www.ar.m.wikipedia.org تاريخ النشر: فبراير 2016، تاريخ التصفح: 28 جوان 2016، سا:23:00.

• **هنري دونان:** هو رجل أعمال سويسري ونشاط اجتماعي ومؤسس جمعية "الشبيبة المسيحية YMCA" وأول من فاز بجائزة نوبل للسلام في العالم، تزامن خلال رحلة قام بها عام 1859 إلى إيطاليا في فترة حرب سولفرينو حيث سجل ذكرياته وخبراته في كتاب أسماه (ذكريات سولفرنو) والذي مهد لتأسيس الصليب الأحمر عام 1863.

[1] في البدء كانت سولفرنيو " قصة نشأة القانون الدولي" www.sasapost7.com تاريخ النشر 17 جانفي 2015، تاريخ التصفح: 11 جويلية 2015، سا:12:00.

[2] ايليان فرنسيس، هنري دونان، **مؤسس الصليب الأحمر**، تاريخ النشر 4 أيار 2011، تاريخ التصفح: 11 جويلية 2015، سا 11:50.

ويدركك الألم المفرط ويليه الموت الموحش بكل أهواله وأخيرا يلتصق باسمك ذلك النعت المقتضب مفقود كمرثية وحيدة لك"[1].

3) حرب بيافرا:

"لقد تزامن وقوع هذا النزاع المسلح من الناحية الإعلامية مع حدوث نقلة نوعية فارقة في تاريخ الإعلام والاتصال، حيث تعتبر مرحلة الستينات التاريخ الفعلي لدخول البث التلفزي مرحلة متقدمة بعد جهود سنوات طويلة من الاغاثات المتعددة والمشتركة، ظهرت القنوات التلفزيونية الجديدة وتعمم البث التلفزي في القارات الأربع بدرجات، حيث ظهر جليا التحول التكنولوجي لوسائل الاتصال من خلال التطور الذي عرفته وسائل البث والتصوير، حيث مكنت من إجراء تحقيقات ميدانية وريبورتاجات تنقل الأحداث الدولية بشكل أفضل عما كان يحدث من قبل مع التلفزيون من قوة تأثير وسرعة جذب الناس وتوجيههم.

لقد حظيت الحرب بتغطية إعلامية استثنائية ، لعبت فيها الصورة التلفزيونية لأول مرة بعد الحرب العالمية الثانية دورا غير مسبوق في نقل الحدث عن طريق تغطيات إعلامية مصورة واسعة في فرنسا وبريطانيا والولايات المتحدة الأمريكية، حيث شاهد الجمهور لأول مرة صورة المجاعة والأشلاء المتناثرة لتعبّر عن حجم المأساة الإنسانية التي وقعت في مقاطعة (بيافرا) بنيجيريا، ولكنها في ذات الوقت أسست لفكرة الصورة كسلاح حرب الذي يتواصل إلى حد الساعة ولكن بشكل أكبر تعقيدا وخطورة، كما سنرى ذلك بشكل أكثر وضوحاً لدى تطرقنا للجانب التطبيقي (النماذج).

لقد تميزت التغطية الإعلامية في (حرب بيافرا) بالتركيز على حجم المأساة التي تحولت إلى كارثة دونما التركيز على خلفية الصراع الذي بدأ كمحاولة من مقاطعة الشرقية لفيدرالية نيجيريا للاستقلال، وإعلان "بيافرا" جمهورية مستقلة فتحولت الأزمة إلى صراع مسلح دام 30 شهرا وخلف عشرات الآلاف من الضحايا من الطرفين، وذلك رغم الحضور المبكر لوسائل الإعلام في فضاء الأزمة، وهو ما يؤكد أن الصراع كان محلّ رهانات سياسية كبيرة

[1] هنري دونان، **تذكار سولفرينو**، www.sasapost7.com تاريخ النشر: 17 جانفي 2015، تاريخ التصفح: 11 جويلية 2015، سا 12:10.

أثرت فيما بعد على شكل وحجم التغطية الإعلامية المصورة، وكذا الأهداف البعيدة لتحريك هذه القضية في هذا الاتجاه، وفي دراسة تحليلية قام بها "المعهد الفرنسي السمعي البصري" حول الريبورتاجات الميدانية التي أنجزت، وبثت عبر مختلف القنوات التلفزيونية الفرنسية وكان عددها 285 ريبورتاجا قصيرا موجها لنشرات الأخبار و 11 ريبورتاجا مطولا حول حرب بيافرا، اتضح كيف استخدمت الصورة التلفزيونية كسلاح حرب فعال من قبل المسؤولين في المقاطعة عن طريق تسويق المجاعة ككارثة إنسانية وتحميل السلطات النيجيرية مسؤولية المأساة ومحاولة اقناع العالم بأن ما يحدث في "بيافرا" مجزرة بكامل الأوصاف.

ولتجسيد فكرة التوظيف السياسي للصورة التلفزيونية ومحاولة الظهور بمظهر الضحية، تم استغلال صور المأساة والمجاعة كوسيلة فعالة للدعاية وتقديمها كدليل قاطع على وقوع المجازر، وذلك لتسهيل حركة الصحفيين وتأمين وصولهم إلى موقع الحدث بدعم فرنسي رسمي مؤكد نظرا لأن مصالح فرنسا أنداك تقتضي تفويض قوات فدرالية نيجيريا التي كانت تشكل بفعل قوتها الاقتصادية تهديدا كامنا بالنسبة لكل إفريقيا الفرنكوفونية[1].

لقد ظهر الدعم الفرنسي الرسمي للقضية جليا من خلال الخطة السياسية والإعلامية المحكمة التي وضعت قيد التطبيق والتي ترتكز على:

- القيام بالدعاية الإعلامية المركزة وتسويق خطاب إعلامي موجه للخارج للحصول على مساندة الرأي العام للقضية.
- وضع آليات ميدانية على المستوى الداخلي والخارجي لتحقيق الغاية من خلال:
  - إنشاء مديرية خاصة بالدعاية.
  - فتح مكاتب إعلام بالخارج لتحسيس الرأي العام العالمي بالقضية.
  - توفير الدعم المالي الكافي لإنجاح هذه الإستراتيجية.

[1]Jean Luis Clergerie**, la crise de Biafra,** limoges, Puf, 1994, p160.

وبالفعل تحركت المشاعر الإنسانية بفعل قوة الصورة العاكسة لجسامة المأساة ومعاناة المدنيين من النساء والأطفال، وشهدت أوروبا عامة، وفرنسا خاصة موجة عارمة من التبرع بفعل الحملات التطوعية لجمع التبرعات تحت تأثير الصور الصـــادمة الموزعة خاصـــة من" Vis news" "البريطانية"، و"يونايتد براس" الأمريكية والتي ركزت على صور المنازل المهدمة، حركة اللاجئين، الجثث المتناثرة وخاصة صور المجاعة وتكرر مصطلح المجزرة ومأساة إنسانية مرات عديدة وفي كل الريبورتاجات.

يكتب "جاك سيكلنيJacques Siclier" حول الطبيعة الإعلامية الفريدة التي خصت بها حرب بيافرا:

"لم يحدث وأن التقطت صور بهذه الفضاعة منذ اكتشاف المخيمات بألمانيا سنة 1945، فصُور الأطفال الشبيهة بالهياكل العظمية المشوهة توحي بمآسي إنسانية، إنها جهنم، ولكن كما يلزم من ريبورتاج وثائقي حتى تستيقظ الضمائر"[1].

لقد نشر هذا المقال وتبعه بجريدة "le monde"تعليقا على ريبورتاج عُرض على القناة الفرنسية الثانية شهر أوت 1968، وفي الحقيقة لم يكن الريبورتاج الوحيد الذي نقل صور الحرب وبكثير من الجرأة، فلقد حذت حذوه عديد القنوات التلفزيونية الفرنسية خاصة، وعمدت إلى التركيز على كل صورة تحقق الصدمة لدى المتلقين، والتفنن في نقل صورة المجاعة بالشكل الذي يحقق لها السبق، ولكن أيضا بتوظيف الصورة التلفزيونية بكل ما تحمله من قوة تأثير وتشخيص دراماتيكي الذي توفّره في مثل هذه الوضعيات، حيث عمدت مختلف القنوات على التركيز على عرض صور مؤثرة، ومثيرة للشفقة، وصادمة للرأي العام كصورة الطفل الهيكل، وصورة مقربة جدا تظهر ملامح وجه ضائع ونظرة فارغة فقدت القدرة على التعبير، وهي كلها توحي بهول الموقف، ولكن سرعان ما بدأت ملامح خطة إعلامية مدروسة سياسيا، عندما تم التركيز بشكل لافت وغير مسبوق على ظاهرة إعلامية غير مألوفة من قبل، حيث بدأ الإصرار واضحا على إقحام صور الممرضين والأطباء بمآزرهم، بجانب الضحايا على شكل أجسام هيكلية هزيلة... وبالفعل كانت هذه

[1]Jacques Siclier, **un peuple en train de nourrir**, le monde, 15/08/1968, P 04.

الخطة وهذا التركيز على هذا النوع من التغطية الإعلامية مدعاة لبداية حملة تطوعية إنسانية واسعة بداية من سنة 1968 وفي الوقت الذي تعقدت حالة المدنيين شهدت عمليات النجدة ارتفاعا كبيرا، فصور المساعدات الإنسانية تبوأت مكانة راجحة في التغطيات التلفزيونية للصراع، ففي شهر جانفي 1970 عرف عدد الريبورتاجات المصورة المخصصة للمساعدة الإنسانية ارتفاعا قياسيا"[1].

إن الدور الذي اضطلعت وسائل الإعلام وفي مقدمتها المحطات التلفزيونية الغربية في تكوين الرأي العام تجاه طرفي النزاع وتوجيهه بالشكل المسطر له، قد ذهب بالعديد من المحللين إلى الجزم بأن حرب "بيافرا" أديرت عبر شاشات التلفزيون أكثر منها على أرض الواقع ووصفت الصورة التلفزيونية بأنها سلاح حرب فتّاك، وأن الصراع حُسم بالصورة والكلمة أكثر من أي شيء آخر، وان قواعد العمل الإنساني الحديث ولد من رحم الصورة التلفزيونية.

المطلب الأول: رهانات التقارب

لعل الواضح من مأساة "بيافرا"، أن التغطية الإعلامية المكثفة خلقت جوا من التنافس غير المسبوق بين مختلف وسائل الإعلام وسط رغبة جامحة في نقل كل صغيرة وكبيرة عن المجاعة، ولئن اعتبر هذا التنافس طبيعيا بالنظر لطبيعة وخصوصية الإعلام الذي يسعى دوما لتحقيق السبق، فإن اللافت للانتباه هو أن هذا التنافس ، امتد ليشمل المنظمات الإنسانية نفسها، فلقد كان عددها كبيرا وهدفها واحد هو التجند من أجل تحسيس الرأي العام حول قضية "بيافرا"، وبالفعل تحقق ذلك، وتحولت نيجيريا بشهادة المؤرخين إلى مكان لأكبر برنامج استعجالي عرفه العالم منذ الحرب العالمية الثانية، لكن بفعل غياب التنسيق بين مختلف المنظمات الإنسانية تحول التكامل إلى تنافس لدرجة أن اللجنة الدولية للصليب الأحمر وجدت نفسها في مواجهة منظمات إنسانية أخرى، وأن المتبعين تكلموا لأول مرة عن "حرب المنظمات الإنسانية"[2]، هذه الظاهرة الجديدة التي أفرزت واقعا جديدا لم يعهده العمل

[1]INA, Documentation, la guerre de Riafra, 1968.
[2] Pierre Micheletti, Op, cit, p110.

الإنساني من قبل، حيث ظهرت جليا الخطوات الأولى للتقارب بين العمل الإنساني والعمل الإعلامي ليندمجا الاثنين معا ضمن فضاء الاتصال، ولعل تجليات هذا التقارب اتضحت مع إقدام طبيبين فرنسيين متطوعين ضمن اللجنة الدولية للصليب الأحمر بعد عودتهما من "بيافرا"على قرار نشر مقالات في الصحافة لما عايشاه في الواقع من حقائق لم ينقلها الإعلام الحاضر بالشكل الكافي أو الصحيح، هذا السلوك المنعزل فسّر على أنه بداية قطيعة حقيقية مع "قانون الصمت" و"منطق التحفظ" و"السرية" الذي هو في الأصل ثابت ومبدأ من المبادئ الأساسية للعمل الإنساني بشكل عام ومبادئ اللجنة الدولية للصليب الأحمر بصفة خاصة، لقد كتب" B.Kouchener" وهو واحد من الطبيبين المذكورين إلى جانب" Maw Recamier"في الموضوع:" كيف وأنت من اليسار وتسمح بإبادة مليون شخص. عن مجزرة بيافرا هي أكبر مجزرة في التاريخ الجديد بعد تلك التي حدثت لليهود، ينبغي أن لا ننسى هل أن قتل ملايين البشر ليس لها بعد سياسي".[1]

هذا السلوك الغامض الذي اعتبر سابقه في تاريخ العمل الإنساني عجل بتحرك لجنة الصليب الأحمر ضد الطبيبين، ولكن أسّس لفكر جديد للمسائل الإنسانية الذي لن تكون بعد هذا الموقف كما كان عليه الحال من قبل، في فرنسا أخذت المنظمة الإنسانية غير حكومية في الظهور كالفطريات أولها منظمة أطباء بلا حدود سنة 1971، ومنظمة الحركة ضد المجاعة"ACF"سنة 1979، "أطباء العالم""MDM"سنة 1980...الخ، هو شكل جديد للطموح لدى العمل الإنساني" أكثر حرية في التعبير عن آرائه بالمقارنة مع اللجنة الدولية للصليب الأحمر.

لقد سمح ظهور المنظمات غير الحكومية الجديدة المجهزة بوسائل اتصال عصرية أكثر دقة، وأكثر فعالية من نقل العمل الإنساني إلى فضاء آخر أكثر اتساعا وعمقا لدرجة انه لم يعد هناك حيز جغرافي خارج التغطية، لقد نقل الإعلام الجديد العمل الإنساني إلى من النسيان إلى الواجهة ومن المحلية إلى العالمية، وبالتالي أحدث خلخلة عميقة في الأفكار

[1] Pierre Micheletti, Op, cit, p111.

والقيم وعجل بظهور شكل جديد للطموح بخصوص المسائل الإنسانية المبني على الثالوث (الضحية-العمل الإنساني-الصحفي).

ولكن كيف حدث التقارب بين الإعلام والعمل الإنساني؟

لقد أشرنا في السابق إلى حاجة العمل الإنساني إلى من ينقل صوته ويسمع صوته خارج فضاء الأزمة وهي مهمة تكلف بها الإعلام بنجاح، واستطاعت القضايا الإنسانية ان توسع من دائرة نشاطها، ولكن بظهور الصورة التلفزية كوسيلة إعلامية فعالة تنقل المعانات البشرية، والتجاوزات والأزمات بمختلف أشكالها، حدثت نقلة معيارية سواء على ثوابت العمل الإنساني أو القيم التي تحكم العمل الإعلامي، ولعله من الأهمية بمكان التوقف بكثير من الاهتمام عند طبيعة الدور الذي يضطلع به الإعلام وقت الأزمات المختلفة.

المطلب الثاني: إعلام الأزمات: المفهوم، النشأة والتطور

يعتبر مفهوم إدارة الأزمات من المفاهيم التي أثارت و لا تزال تثير تساؤلات عديدة، وهذا بالنظر لعوامل الاختلاف، والتباين الواردة في وجهات النظر، والآراء لدى العديد من الباحثين، وهذا راجع لطبيعة هذا المفهوم نفسه، كونه يمثل اهتمام مشتركا بين علماء الإدارة، علماء النفس والاجتماع والسياسة، وهو ما يجعل من الإجماع على تعريفات موحدة لمفهوم إدارة الأزمات أمرا في غاية الصعوبة، فبينما يركز الإداريون على خصائص الأزمة في عملية إدارتها لأنه موقف أو حالة تتسم بالتهديد يتوجب على صاحب القرار التصرف بالسرعة التي يتطلبها الموقف، يحرص علماء النفس على التركيز على الآثار المترتبة عن الأزمة سيكولوجيا، ويهتم علماء الاجتماع بالتأثيرات التي تترتب عن الأزمة على مستوى العلاقات الاجتماعية السائدة، وكذا ردود الأفعال التي تتبعها.

الفرع الأول: إعلام الأزمات

يحيلنا مفهوم إعلام الأزمات إلى الحديث عن الوظائف الأساسية التي يؤديها الإعلام في المجتمع، ومع أنه لا إجماع بين الباحثين حول طبيعة الوظائف التي تضطلع بها وسائل الإعلام بالنظر إلى تعدد التعاريف وتنوعها إلى درجة التناقض حول خصوصيات الرسالة

الإعلامية، ودورها الخطير والمعقد في توجيه المجتمعات الحديثة، ويشبه المهتمون بهذا الحقل المعرفي الباحث في مجال الإعلام والاتصال أشبه ما يكون كمن يمسك برأس خيط غير أنه لا يمكنه التكهن بطول أو اتجاه أو النهاية المتوقعة له.

" إن التطور النظري الحاصل في علم الاتصال، أدى إلى إنتاج إشكاليات جديدة لا يمكن حلها إلا بالرجوع إلى الاعتماد على مقاربات (Approches) جامعة وشاملة، تأخذ بعين الاعتبار، تعقد العناصر الفاعلة في عملية التواصل ووضعها الديناميكي والمتغير من جهة إلى أخرى، وبذلك يصبح واضحا استحالة دراسة العملية الاتصالية من منطلقات جزئية منعزلة"[1].

وانطلاقا من الأهمية ذاتها التي يكتسيها الإعلام في المجتمع والتأثير السحري الذي أصبح يتمتع به لاسيما في الزمن الحالي، نعتقد أنه من الضروري التوقف عند المفهوم بغرض حَصر أهم التعاريف التي وردت حول إعلام الأزمات.

1) **مفهوم الإعلام**:

لقد تعددت التعاريف التي قدمت لمفهوم الإعلام، ولكنها جاءت في معظمها مركزة على طبيعة الدور المنوط به في المجتمع، حيث يعرّف "أوتو جروث" الإعلام بأنه:" التعبير الموضوعي عن عقلية الجماهير وروحها وميولها واتجاهاتها"[2].

ويعرف "فرنار تيرو""F.Terrou" الإعلام:" هو نشر الوقائع والآراء في صيغة مناسبة بواسطة ألفاظ أو أصوات أو صور، وبصفة عامة بواسطة جميع العلامات التي يفهمها الجمهور"[3].

ويرى "سمير حسين" أن الإعلام هو:" كافة أوجه النشاطات الاتصالية التي تستهدف تزويد الجماهير بكافة الحقائق والأخبار الصحيحة والمعلومات السليمة عن القضايا والموضوعات والمشكلات ومجريات الأمور بطريقة موضوعية"[4].

---

[1] أديب خضير، **الإعلام والأزمات**، ط 1، دمشق، المكتبة الإعلامية، 1999، ص 70.
[2] عبد اللطيف حمزة، **الإعلام، تاريخه ومناهجه**، القاهرة، دار الفكر العربي، 1965، ص 22.
[3] زهير إحدادن، **مدخل إلى علوم الإعلام والاتصال**، ط 4، ديوان المطبوعات الجامعية، 2007، ص 14.
[4] سمير محمد حسين، **الإعلام والاتصال الجماهيري**، القاهرة، عالم الكتاب، 1984، ص 22.

2) وظائف الإعلام:

من الواضح أن التطور الحاصل باستمرار في وسائل الإعلام صعّب من مهمة العديد من الوظائف الأساسية التي يضطلع بها الإعلام في المجتمع، حيث لم تكتف وسائل الإعلام الحديثة بالوظائف التقليدية مثل الوظيفة الإخبارية، وتوصيل المعلومة بغرض الإقناع والتوجيه ومن ثم تكوين المواقف والاتجاهات، بالإضافة إلى وظيفة التسلية، وكذا الدعاية والإعلان، بل إن التحولات العميقة والمستمرة لوسائل الإعلام جعلت الباحثين في حقل الإعلام والاتصال لا يكادون يتوقفون عن البحث عن وظائف جديدة بحجم خطورة الرسالة الإعلامية وكذا دور التكنولوجيا في تعقيد الوظائف الأساسية للإعلام لاسيما الإعلام السمعي البصري الذي يعتمد كليا على القوة التأثيرية الصورة التلفزية.

إن تناول موضوع الأزمات من المنظور الإعلامي ظل محدودا ولم يرق إلى مستوى التحول التكنولوجي الذي عرفته وسائل الإعلام والاتصال، أو إلى حجم المخاطر المتزايدة والتحديات الأمنية التي تهدد البشرية إلا مع أواخر القرن الماضي، حيث بدأ الاهتمام بالأزمات يتسع من خلال الدراسات والبحوث التي تناولت الظاهرة في سياق "نظريات التأثير الإعلامي"• حيث تجلت أهمية الدور الوسيطي التي تقوم به وسائل الإعلام في التعامل مع مختلف مظاهر الصراع والأزمات المختلفة، حيث يطالب الإعلام في المجتمع بمواكبة

• إذا كانت عملية تأثير وسائل الإعلام في الأفراد (المتلقين) حقيقة ثابتة تلاقي إجماع علماء الاتصال فإن السؤال الذي ظل مثيرا للجدل والاختلاف، هو كيف تؤثر وسائل الإعلام؟ وهو ما تعددت حوله النظريات الإعلامية وتباينت تبعا لاختلاف الرؤى والظروف المحيطة بالبحوث والدراسات، ولعّل من أهم النظريات التي أصلت لمفهوم التأثير هي:

1) **نظرية التأثير المباشر أو قصير المدى**: ترى هذه النظرية أن علاقة افرد بمضمون الوسيلة الإعلامية هي علاقة تأثير مباشر وتلقائي، يحدث خلالها التأثير بسرعة وفي فترة قصيرة.
2) **نظرية التأثير على المدى الطويل (التأثير التراكمي):** يعتقد أنصار هذا الاتجاه أن تأثير وسائل الإعلام يحتاج إلى فترة طويلة حتى تظهر آثاره من خلال عملية تراكمية ممتدة فيه تؤثر على المواقف والسلوكات والقناعات.
3) **نظرية التطعيم أو التلقيح:** بحيث أن الاستمرار في التعرض لوسائل الإعلام، يخلق لدى المتلقي حالة من اللامبالاة لذلك يقوم (التطعيم الإعلامي) بمفعول (التطعيم الطبي)، وبالتالي تضع في نفوسنا اللامبالاة وعدم الاحساس ضد العديد من المواقف والمبادئ.
4) **نظرية التأثير على مرحلتين:** ومعناه أن المعلومة تنتقل على مرحلتين: مرحلة التلقي ومرحلة تدخل قادة الرأي في المجتمع الذي يثيرون نقاشا في المجتمع، وبذلك يبدأ التأثير الفعلي.
5) **نظرية تحديد الأولويات:** بحيث تلجأ وسائل الإعلام إلى وضع أجندة تركز من خلالها على أنواع معينة من الأخبار دون غيرها، فتعطى الانطباع بأنه لا يحدث في العالمرجع سابقوى ذلك.
6) **نظرية حارس البوابة:** أي يتحكم رجال الإعلام في المادة الإعلامية التي تبلغ للناس.
7) **نظرية الاستخدامات والاتساع:** ترى هذه النظرية أن الجمهور هو من يستخدم المواد الإعلامية لإشباع رغباته.

ينظر: محمد بن عبد الرحمن الحفيف، كيف تؤثر وسائل الإعلام، دراسة في النظريات والأساليب، المملكة العربية السعودية، مكتبة العبيكان، 1415هـ، ط2، 1998، ص 16-26.

الأحداث والظواهر والتطورات لنقل الحقائق وتنوير الرأي العام، فهو والحال هذه يضطلع بالدور الوسيطي في التعامل مع الأحداث ونقل المعلومة، ويصبح الأمر أكثر أهمية وخطورة عندما يرتبط بالحالات الاستثنائية كالأزمات والكوارث، بحيث يتزايد البعد الإعلامي في التعامل مع الحالات الطارئة ويتعاظم معه اهتمام الرأي العام بهذه المسائل، وهو ما يفسر في النهاية الاستخدام المكثف لوسائل الإعلام أثناء وقوع الأزمات والكوارث، وذلك انطلاقا من حاجة الناس لمعرفة ما يحدث حتى يتخلص من ظاهرتي القلق والخوف المترتب عن هذه الوضعيات المعقدة والاستثنائية.

على ضوء ما تقدم حول الإعلام ووظائفه المتعددة في المجتمع تتضح أهمية وخطورة الدور الذي تضطلع به وسائل الإعلام في المجتمع ومدى قدرتها على التأثير في صناعة القرار، ويتعاظم دور الإعلام في المجتمع عندما يرتبط بالقضايا الكبرى التي تستقطب اهتمام الرأي العام كأوقات الكوارث والأزمات، فعندما تحدث أزمة دولية أو كارثة بيئية مثلا في إحدى مناطق العالم، تصبح وسائل الإعلام سواء أكانت محلية أو دولية أهم السبل لمعرفة تطورات الكارثة وتداعياتها من جهة، وأهم منبر لتوصيل الرسائل التي يود القائمون على إدارة الكارثة إبلاغها إلى المنكوبين وإلى بقية الأشخاص من جهة ثانية، وهذا المنحنى هو ما يعبر عنه الإعلاميون "بنظرية الاعتماد على وسائل الإعلام"• التي تفترض أن الجمهور يلجأ إلى وسائل الإعلام لتلبية حاجاته المعرفية، وبلورة مواقفه السلوكية في ظروف معينة،

• نظرية الاعتماد على وسائل الإعلام: (Dependency Theory)

كما توحي إليه التسمية، فإن علاقة الاعتماد على وسائل الإعلام تقوم حسب عديد الباحثين على ركيزتين هما:

الأهداف والمصادر: ومعناه أنه حتى تتحقق الأهداف الشخصية للأفراد والجماعات، فإنهم يلجؤون إلى وسائل الإعلام لأنها تمثل لهم أهم مصادر المعلومات التي تحقق لهم تلك الأهداف.

وتعدد البدايات الأولى لظهور ودراسات وأبحاث تهتم بنظرية الاعتماد إلى 1974 من خلال مجموعة من الدراسات والأبحاث التي أعدتها (ساندرا روكيتش) بمشاركة (ديفلر) اللذان وضعا نموذجا للنظرية بالاعتماد على دراسة المكونات الرئيسية للعلام وهي: الوسيلة الإعلامية، المجتمع، الجمهور، التي تربطها علاقة تكامل، وبالتالي يحدث التأثير الذي يؤدي إلى الاعتماد، بحيث أن المتلقي يعتمد على الأخبار المتداولة في المحيط الذي يعيش فيه، والمجتمع يعتمد على وسائل الإعلام في الحصول على المعلومات، مما يحثث الاعتماد على وسائل الإعلام كعامل مؤثر على الفرد والمجتمع معا، وقد تكون هذه التأثيرات مصرفية أو سلوكية.

ينظر: مجد خضر،نظرية الاعتماد على وسائل الإعلام http://mawdoo3.com تاريخ النشر: 24 أفريل 2016، تاريخ التصفح: 19 أوت 2017، سا:19:29.

طه نجم، نظرية الاعتماد على وسائل الإعلام، www.drtahanegn.bloyspot.com تاريخ النشر: 2011/11/29، تاريخ التصفح: 2012/03/02، سا: 23:11.

وأنه كلما زادت درجة عدم الاستقرار في أي مجتمع يزداد تعرض الجمهور لوسائل الإعلام، ولجوئهم إليها لمعرفة ما يدور حولهم من أحداث وتطورات"[1].

3) أهمية الإعلام ودوره في إدارة الأزمة:

يثير العديد من الباحثين مسألة الدور الذي تلعبه وسائل الإعلام المختلفة في إدارة الكوارث والأزمات عبر مختلف مراحل عمر الأزمة بداية بالدور التحذيري قبل حدوث الكارثة، أو الدور الإخباري أثناء وقوعها، وصولا إلى الدور الوقائي، وهذا انطلاقا من الحاجة إلى الأخبار، والمعلومات كظاهرة متأصلة في النفس البشرية، هذه الحاجة تزداد اتساعا وقت الكوارث والأزمات، بسبب الطبيعة السيكولوجية التي يتميز بها سلوك الإنسان، فهو بحاجة شديدة لمعرفة ماذا يحدث ولماذا حدث؟، وما هي تطورات هذا الوضع المتأزم؟، وكذا حاجته الملحة للتخلص من القلق والخوف المترتب عن هذه الوضعيات المعقدة والاستثنائية، وبالتالي يصبح مستعدا للتعامل مع كل مصادر المعلومة، وفي مقدمة تلك المصادر: وسائل الإعلام التي تتعامل مع هذا الواقع من خلال دورها الوسيطي في نقل وتقديم وشرح المعلومة، فبقدر ما يزداد اهتمام وسائل الإعلام بالكارثة، بقدر ما يكبر اهتمام الرأي العام بهذه الوسائل، وهو ما يفسر في النهاية الاستخدام المكثف لوسائل الإعلام أثناء الأزمات والكوارث.

البعد الإعلامي في إدارة الأزمات:

يوضح الدكتور "خضور" أهمية البعد الإعلامي في إدارة الأزمة النقاط التالية[2]:

- يشكل الإعلام المعاصر خط التماس الأول مع الأزمة، إن آنية الإعلام، وموضوعه ودوريته، ومرونته وتنوعه أمور تجعله ذو فعالية الأكثر تأهيلا للتعاطي مع الأزمة.
- أصبح الإعلام المعاصر الشاشة العريضة التي تظهر عليها، وتتوضح وتتكشف مختلف الأحداث الكبرى في المجالات كافة، وهذا ما يفسر تعدد وتوسع وتعمق

[1] عبد الله بدران، **الإعلام والكوارث البيئية**، المعالجة الإعلامية والأخطار الكبيرة، www.arabsja.org/node/29 تاريخ التصفح 19 نوفمبر 2015، سا 10:05.
[2] أديب خضور، **الإعلام والأزمات**، مرجع سابق، ص 52-53.

الروابط والهوامش المشتركة بين الإعلام والعلوم والمجالات المختلفة، حيث أصبحت اهتمامات الإعلام المعاصر عامة ومتنوعة وتتسع لتشمل مجالات الحياة كافة وخطابه عام، ومنتشر يتسع ليشمل المجتمع كافة.

- يزداد الإعلام المعاصر اهتماما بالقوى الفاعلة في المجتمع وفي النظام السائد.
- لقد أدى تراجع التجربة الشخصية المباشرة كأساس لتكوين الرأي العام في حياة الفرد المعاصر إلى تزايد أهمية الدور الذي تعلبه وسائل الإعلام.
- كما أن لطبيعة المعالجة الإعلامية تأثير واضح على أهمية البعد في التعامل مع الكوارث والأزمات، لأنها تخضع بدورها إلى معايير وضوابط ترتبط أساسا بطبيعة المجتمع، وتنوع العلاقات الاجتماعية، وكذلك شكل النظام السياسي القائم.
- إن التعدد والتكامل في الأداء الإعلامي يسمح لوسائل الإعلام من تشكيل منظومة واحدة كما تنطلق ضمن استراتيجية واحدة لتحقيق أهداف واحدة مع محافظة كل وسيلة إعلامية على شخصيتها ونوعها وطابعها الخاص.

تغتنم وسائل الإعلام الطابع الفجائي والمعقد للأزمة وغياب عامل الثقة لدى الناس وحاجاتهم للمعلومة، فتعمل على التموقع داخل فضاءات الأزمة وفق أهداف مسطرة سلفا وتبعا لمرجعياتها المادة والفكرية، حيث يختلف التعامل مع الأزمات تبعا لاختلاف وسيلة الإعلام نفسها، وأيضا وفق رؤى والمواقف السياسية، والاقتصادية التي تمتلك الوسيلة الإعلامية، وبناء على هذه المعطيات يتحدد دور الوسيلة الإعلامية وقت الكوارث والأزمات، كما سنوضح ذلك لاحقا لدى تطرقنا للإعلام في تعامله مع الواقع الإنساني وكيف يتحرك مع باقي الفاعلين لاسيما المنظمات الإنسانية المتواجدة في فضاء الأزمة.

الفرع الثاني: مفهوم إدارة الأزمات

تقول الدراسات أن مفهوم إدارة الأزمة "Crisis management" استخدم لأول مرة في مجال العلاقات السياسية الدولية مع بداية الستينات من القرن الماضي[1]، عندما نشبت أزمة

[1] أيمن غنيم، **إدارة الأزمات، المفهوم والتطبيق**، www.wpvschool.com/forums.showtheard تاريخ التصفح: 2017/11/16، سا: 23:00.

الصواريخ السوفيتية في كوبا، حيث تم استخدام كل الأساليب غير القتالية في تسيير هذه الأزمة، وهو ما حدا بوزير الدفاع للولايات المتحدة الأمريكية "ماكنامرا" "R.S.Mcnamara" إلى القول :" لقد انتهى (عصر الاستراتيجية)، وبدأ عصر جديد يمكن تسميته بعصر (إدارة الأزمات)[1].

إذا كان مفهوم إدارة الأزمة قد ظهر حديثا، فإن التعامل مع الكوارث والأزمات وجد بوجود الإنسان، حيث يرجع التطور التاريخي لهذا المفهوم إلى العهد الإغريقي، أين ارتبط مفهوم الأزمة بمفهوم الطب، ليعبر عن نقطة تحول مصيرية في تطور المرض الناجم عن الصراع بين الجراثيم ومقاومة الجسم لها، ثم مع بداية القرن التاسع عشر، بدأ يستخدم مفهوم الأزمة في التعبير عن ظهور المشاكل في حياة الدول وتطورها على المستويات السياسية والاقتصادية والاجتماعية قبل أن يعمّم استعماله على كافة التخصصات العلمية بما فيها علم النفس، علم الاجتماع، التاريخ...الخ.

لقد فرض تطور المجتمعات البشرية وازدهار الاقتصاد، وما ترتب عن التكنولوجيا الحديثة من تغيرات وتعقيدات، ومخاطر جعلت الحاجة إلى تطوير أساليب الحماية والوقاية بغية الحفاظ على حياة الإنسان وممتلكاته من أهم الأولويات.

ينقل لنا التاريخ البشري صورا رائعة عن جهود الإنسان الأولى في تعامله وتفاعله مع الطبيعة، قصد التكيف معها، وترويضها بما يتماشى وقدراته المحدودة وعقله البدائي، حيث حاول مرارا إيجاد تفسيرات للظواهر الطبيعية بإرجاعها إلى قوة غيبية خارقة، أي عن طريق الخرافات والأساطير، وشيئا فشيئا أخذت هذه التأويلات تتلاشى مع تعاقب مراحل مختلفة من التاريخ التي سمحت للإنسان في تغيير أنماط تفكيره البدائي إلى محاولة تفسير ما يقع من ظواهر تفسيرا أكثر واقعيا وإقناعا.

[1]عبد الرحيم محمد، **إدارة الأزمات**، http://www.drabdo.nireblog.com تاريخ النشر: 01 فبراير 2007، تاريخ التصفح: 02 نوفمبر 2010، سا:11:05.

مثال ذلك:" ما تحفظه لنا مدونة "حمورابي" من ابتكارات الحضارة البابلية في الرصد وأساليب التنبؤ بفيضانات نهري الدجلة والفرات، والتي شكلت فيها بعد نواة لعلم المائيات الحديث"[1].

ورغم قدم ظاهرة الكوارث عبر الحضارات المختلفة، إلا أن الاهتمام بعلم إدارة الكوارث والأزمات لم يبرز إلا حديثا نتيجة تعدد الكوارث وآثارها المدمرة من جهة، ومن جهة ثانية ارتفاع عديد الأصوات التي تنادي بضرورة اتخاذ شيء ما اتجاه هذه الأحداث الكبيرة والمفاجئة، ففي منتصف القرن العشرين، وعقب إنشاء منظمة الأمم المتحدة، بدأت عدة منظمات دولية في إبرام معاهدات واتفاقيات التي من شانها أن تحدّ من أسباب الخطر، وكانت آخر تلك الجهود إنشاء ما يعرف بالاستراتيجية الدولية للحد من مخاطر الكوارث وجاء في اتفاقية "هيوجو"• 2005 كإطار عمل جديد يضع كافة الوسائل التي تحد من مخاطر الكوارث وتحقق متطلبات التنمية المستدامة.

إدارة أزمة معناها البحث عن كيفية التغلب على آثارها، ومخلفاتها بكل الأدوات العلمية والوسائل الإدارية المتاحة، وهذا بغرض الحد من آثارها السلبية، وكذا الاستفادة منها في تحقيق أشياء إيجابية.

يعرف الباحث البريطاني "ويليامز "Williams" إدارة الأزمة:" بأنها سلسلة الإجراءات الهادفة إلى السيطرة على الأزمات، والحد من تفاقمها حتى لا ينفلت زمامها مؤدية بذلك إلى نشوب الحرب، وبذلك تكون الإدارة الرشيدة بالأزمة هي تلك التي تضمن الحفاظ على المصالح الحيوية للدولة وحمايتها"[2].

يرى " ماجد شدود" أن إدارة الأزمات:" يجب أن تنطلق من إدارة الأزمة القائمة ذاتها ويتحرك في إطار الاستراتيجية العامة للدولة، وهذا يتطلب تحديد الأهداف الرئيسية والانتقائية للدولة خلال الأزمة، والتحليل الاستراتيجي المستمر للأزمة، وتطوراتها،

[1] حسن أبشر الطيب، **علم إدارة الكوارث ما يزال في المهد**، يومية الدستور، العدد 14931، 10 كانون الأول، 2009.

• المؤتمر العالمي للحد من الكوارث الذي انعقد في اليابان سنة 2005 والذي دعت إليه الجمعية العامة للأمم المتحدة، ونجم عن المؤتمر ما أصبح يعرف باتفاقه هيوجو.

[2] أكاديمية جيهان الشاملة، www.gihane.com تاريخ التصفح: 2017/11/06، سا: 11:45.

والعوامل المؤثرة فيها، ووضع البدائل والاحتمالات المختلفة وتحديد مسارها المستقبلي، من خلال التنبؤ، حيث يتطلب ذلك معلومات وافرة ومعطيات مناسبة وإدارة رشيدة"[1].

هناك من الباحثين من يركز في تعريفه للكارثة على أهمية التأهيل والتكوين في نجاح إدارة الكارثة، فقد عرّفت إدارة الكارثة بأنها:" ذلك الفريق الذي يقوم بعملية الإدارة عن طريق مجموعة من الإداريين على مستوى عال من التدريب على مواجهة الكارثة"[2].

وهناك من يركز على عنصر الأهداف في التعامل مع الكوارث في تعريفه:

" إدارة الكارثة هي القدرة على التحكم في سير أحداثها، وإدارتها لصالح الدولة بهدف تخفيض حجم الخسائر إلى أقل حد ممكن، ويعتبر العنصر الحاكم فيها القدرات الخاصة لصانع القرار وفريق إداري للكوارث، والإمكانيات المادية المتاحة"[3].

وهناك أيضا من يركز في تعريفاته على الظروف المحيطة بالكوارث:

" إدارة كارثة معناه التعامل مع العناصر المكونة لها، والأطراف الداخلية فيها، وضرورة اتخاذ قرارات سريعة في مواجهة موقف طارئ تحت ضغوط حادة هي:

- ضيق الوقت.
- التهديد النابغ من وجود خطر تتبعه أحداث مميتة.
- عدم توفر المعلومات مما يؤدي إلى عدم التأكد[4].

واستخلاصا مما سبق ذكره فإن إدارة كارثة، معناه حسن التحكم في التعامل معها بالأساليب التقنية والعلمية والإدارية التي تسمح بالسيطرة على آثارها بتخفيف حجم الخسائر المترتبة مع استثمار عامل الزمن في ذلك.

---

[1] عبد الاله البلداوي، **ما هي الازمة وكيف ندير الازمات**، www.siion.org تاريخ التصفح: 2017/12/09، سا: 22:07.
[2] عبد الله موسى الكحيلي، مرجع سابق، ص 100.
[3] حواش جمال الدين، **دور القوات المسلحة في معالجة الأزمات والكوارث**، القاهرة، جامعة عين الشمس، أكتوبر، 1996، ورقة عمل في المؤتمر السنوي الأول لإدارة الأزمات والكوارث.
[4] عبد الله بن موسى الكحيلي، مرجع سابق ، ص 100.

الفرع الثالث: ظهور وتطور علم إدارة الأزمات

إن إدارة أزمة ما، معناه كيفية التعامل معها، والتغلب عليها بالأدوات العلمية المختلفة، وأيضا تجنب سلبياتها، وهذا قصد الاستفادة منها مستقبلا، باعتبار أن الأزمة ليست وليدة نفسها، بل تأتي من أسباب ودوافع داخل المجتمع، وهكذا تكون صلتها بالمجتمع صلة تتسم بالجدلية والتبادلية تأثيرا وتأثرا.

يعد علم إدارة الأزمات والكوارث من العلوم الإنسانية الحديثة التي ظهرت وتطورت استجابة لحاجة الناس إلى وسائل علمية مضبوطة، تعمل على مواجهة أخطار الأزمات والكوارث بطرق أكثر واقعية، فهو إذن علم له أصوله وقواعده، لأنه يتناول الكوارث والأزمات كظاهرة اجتماعية في إطار شمولي.

كما يصفه الكثير من الباحثين إضافة إلى أنه علم، فهو أيضا فن، لأن الطابع الفجائي للكارثة يستلزم رد فعل سريع وايجابي مع حسن التدبير، واتخاذ القرار الصائب في الوقت المناسب، وهو بذلك عبارة عن سلسلة معقدة من الإجراءات التي تتطلب تداخل العديد من الأجهزة سواء من الدولة إلى المجتمع إلى وسائل الإعلام، أو من المنظمات الإنسانية والمؤسسات الدولية...الخ.

لقد أصبح علم إدارة الكوارث والأزمات علما قائما بذاته، له شروطه ومواصفاته وأساليبه وخططه، وخبراؤه المتخصصون يعملون على تطويره داخل المعاهد والجامعات والمخابر، بل أن الكثير منهم يصفونه بعلم المستقبل، لقدرته على التكيف مع المتغيرات وتأثيره الواسع على شتى مناحي الحياة، كما يعتمد علم إدارة الأزمات والكوارث في تعامله مع هذه الظواهر على مجموعة من الأساليب والطرق، بعضها تقليدي وبعضها عصري متجدد، وهذا تبعا لعامل التغيير والتجدد الذي يتصف به هذا التخصص العلمي.

يرى " Quarantelli" (1987) وهو عالم مختص في الكوارث والأزمات، أن البحوث الخاصة بإدارة الكوارث بدأت مع نهاية الأربعينيات وقد مرت بثلاث مراحل هي[1]:

المرحلة الأولى (1950-1954): حيث انطلقت أولى البحوث على مستوى جامعتي شيكاغو وميرلاند، حيث تناولت الدراسة بعض الظواهر الطبيعية خاصة الكوارث وما يتبعها من ردود أفعال من طرف الجماهير، وكذا الإجراءات الكفيلة للسيطرة عليها قبل استفحالها حتى تتمكن الإدارة المعنية من كبت مشاعر الغضب والاستياء لدى الضحايا.

المرحلة الثانية (1957-1962): لقد ركزت الدراسات والبحوث في هذه الفترة على ردود الأفعال المرتبطة بحدوث الكوارث والسلوكات الإنسانية التي تتبعها تحت ضغط التهديد والإحساس بالخطر، الذي يرافق الإنسان حين وقوع كارثة ما.

المرحلة الثالثة: ويعتبرها الفترة الذهبية لعلم إدارة الكوارث خصوصا بعد أن تم تأسيس مركز بحوث الكوارث "جامعة أوهايو" سنة 1963، حيث ساهم هذا المركز في رسم معالم وحدود أكاديمية واضحة لإدارة الكوارث والأزمات، لقد استخدمت ولأول مرة الطرق الإحصائية في تفسير الظواهر الاجتماعية والنفسية في أوقات السلم والحرب وأثناء الكوارث والأزمات، مما أدى إلى توفر قواعد معلوماتية مكثفة مهدت لدراسات مستقبلية في ميادين البيئة والديموغرافيا وكذلك علم النفس.

يتفق الباحثون على أن هناك مراحل أساسية يجب مراعاتها عند ضبط الخطة الخاصة بإدارة الكارثة وهي:

المرحلة الأولى: مرحلة ما قبل الكارثة: وتسمى أيضا مرحلة الاستعداد والتحضير، وتتميز باتخاذ مجموعة من الإجراءات الضرورية تسمح بأخذ الاحتياطات اللازمة عند وقوع الكارثة للتخفيف من حدتها، وتقليص حجم الخسائر المادية والبشرية، وحتى تتحقق هذه الغاية لابد من وضع خطة واضحة تتضمن ما يلي:

[1] الكوارث وأبعادها الإنسانية، http://www.arab-training.com تاريخ النشر: أوت 2009، تاريخ التصفح: 2017/11/03.

- جمع المعلومات الضرورية ووضع الافتراضات والسيناريوهات المحتملة.
- سن القوانين المناسبة التي تحدد معايير البناء والأماكن المخصصة لهذا الغرض.
- وضع قائمة دقيقة لأهم الكوارث المحتملة التي تهدد المنطقة انطلاقا من التجارب الماضية، ومن الدراسات العلمية التي توضح طبيعة التركيبة الجيولوجية للأرض.
- إحصاء دقيق لعدد سكان تلك الجهة مع التركيز على الطبيعة السيكولوجية والنفسية والاقتصادية لهؤلاء السكان.
- القيام بحملات توعية وتحسيس واسعة ومستمرة بأخطار الكوارث وعواقبها مع تقديم وشرح السلوكات الواجب اتخاذها عند الضرورة.
- حصر الإمكانيات الواجب توفرها عند الحاجة.
- تسطير برنامج عمل طويل المدى يأخذ بعين الحسبان التحضير المادي واللوجستيكي لمواجهة الكارثة مع الاستعانة بتجارب الآخرين عند الضرورة.

المرحلة الثانية: وهي مرحلة المواجهة، حيث تمثل أخطر المراحل على الإطلاق بالنظر للعوائق والتعقيدات التي ترافق وقوع الكارثة، مثل عدم توفر الوقت الكافي، وغياب المعلومات، وانتشار مشاعر الفزع جراء الصدمة مع ما يتبعها من آثار خطيرة على كل القطاعات الحساسة داخل المجتمع، ولهذا ينبغي اتخاذ التدابير العاجلة لمواجهة هذا الوضع ومنها:

- تقويم الموقف بتحديد طبيعة الكارثة وقوتها التدميرية، وكذا الأخطار الواردة حدوثها لاحقا.
- اعتماد أسلوب التلطيف والتخفيف من قوة الكارثة، وهذا باستخدام وسائل الإنذار وإجلاء الضحايا، وتقديم الإسعافات الأولية والشروع في إزالة الأنقاض مع توفير الحماية الأمنية، والتأطير الطبي والنفسي اللازم.
- تقديم الاحتياطات الأولية الضرورية من أكل ولباس ومأوى وأدوية وفتح المسالك.
- تحريك عمل المنظمات الإنسانية وطلب الدعم المادي إذا اقتضت الضرورة.

المرحلة الثالثة: مرحلة ما بعد الكارثة: وتسمى أيضا مرحلة إعادة التوازن وتتميز خصوصا بتسطير خطط وبرامج استعجاليه قصد إعادة الإسكان والتعمير، وتجاوز النكبة ومخلفاتها بإعادة تأهيل المناطق المنكوبة.

يتضح من عرضنا للمراحل الثلاث التي يتضمنها التخطيط لإدارة الكارثة أهمية وجود خطة مسبقة، وواضحة المعالم، سهلة الإتباع وقابلة للتحقيق، ذات مرونة في حالة مراجعتها بما يسمح من مواجهة الكارثة، وإدارتها بفعالية ونجاح، ولكي تضمن نجاح الخطة لابد من مراعاة بعض المعايير أهمها:

- طبيعة المجتمع وثقافاته وعاداته وتقاليده.
- طبيعة المخاطر التي تهدد المجتمع ذاته.
- الحقوق الفردية للأشخاص.

الفرع الرابع: أهمية البعد الإنساني في إدارة الأزمات الدولية

عند وقوع الكارثة تنجم أوضاع خطيرة ومعقدة، تتسم بحالة كبيرة من التوتر والانفعال، وتفرض تحديا كبيرا على الجميع، سلطات، وسائل إعلام، رأي عام...الخ.

يستجيب الناس للتعامل مع الكوارث عندما يدركون مدى أضرارها، وتلعب العوامل الثقافية والاجتماعية والاقتصادية والسياسية دورا مهما في تحديد هذا الإدراك، ولاشك أن استخدام وسائل الإعلام في إدارة الكوارث يساهم بصفة فعالة في نجاح عملية التعامل مع هذه الأوضاع[1].

ويمر التخطيط الإعلامي لأي كارثة مهما كان نوعها، ومهما كانت الخسائر المترتبة عنها بثلاث مراحل هي:

[1] رمزي بهي الدين، **التناول الإعلامي للكوارث الطبيعية**، www.alkheranews.com تاريخ التصفح: 2017/11/20، سا: 15:00

المرحلة الأولى:

وهي المرحلة التي تسبق وقوع الكارثة يتم وضع الخطط الإعلامية في ضوء الاستراتيجيات العامة لإدارة كارثة، ويجب أن تتسم هذه الخطط بالشمولية والدقة والمرونة، بحيث يسهل تكييفها مع متغيرات ومتطلبات الكارثة، وتسمى هذه المرحلة أيضا بمرحلة التخطيط الدقيق بغية تحديد الهدف الإعلامي المراد التعامل معه، حيث يشترط وضع أسوء الاحتمالات والتصورات المفترضة.

ثمة أمور مهمة ينبغي أخذها بعين الاعتبار عند الشروع في الإعداد للمرحلة الأولى من التخطيط الإعلامي لإدارة كارثة وهي:

- ضرورة إعداد الخطة ضمن إطارها العام بما يتماشى وطبيعة المعطيات الاقتصادية والسياسية والاجتماعية والثقافية لمكان وقوع الكارثة، لأن هذه العوامل مجتمعة تساهم بقدر كبير في نجاح عملية التخطيط لإدارة الكارثة، حيث لا يمكن مثلا تطبيق خطة علمية جاهزة أعدت في أمريكا على واقع إفريقي، والعكس صحيح، لأن العوامل الثقافية والاجتماعية والسياسية ليست نفسها، وفي هذا الموضوع يقد "كريس بريدر"• مثالا حيا عندما يروي حادثة وقعت في قرية صغيرة في موزمبيق، كانت مهددة بخطر الفيضانات فعمدت السلطات على تركيب أنظمة عصرية للإنذار المبكر، لكن سكان القرية لم يصدقوا قرب حدوث الفيضانات، رغم أنهم استلموا الإنذار، لكنهم لم يستجيبوا، لأن نظام الإنذار التقليدي الذي يعتمدون عليه يقول أن النمل الأبيض يخرج من جحوره في حالة ارتفاع منسوب المياه الجوفية، ويعلق الكاتب على هذه الحادثة الطريفة على ما تنطوي عليه أخطار:" في هذه الحالة وفي حالة حدوث فيضانات فإنه سوف لن يكون لسكان القرية وقتا للإخلاء بعد خروج النمل من جحره"[1].

• كيس بريدر Kis.Brader المدير العام للصليب الأحمر الهولندي.

[1] إذاعة هولندا العالمية 16 جوان 2009، سا:06:53.

هذا يؤكد أهمية التعامل مع الكوارث انطلاقا من الواقع العام للمجتمع وخصوصياته، لأن استيراد تجارب جاهزة لتطبيقها على مجتمعات غير التي أوجدت من أجلها، مآلها الفشل دائما.

- تحديد الجماهير المستهدفة في كل مرحلة من المراحل.
- الدقة والشمول ووضوح الوسائل والأهداف.
- توخي الموضوعية والصدق وعدم المبالغة.

المرحلة الثانية:

هي مرحلة مواجهة الكارثة، حيث تأخذ المعالجة الإعلامية أهمية قصوى نظرا للدور الذي يضطلع به الإعلام كمصدر رئيسي للمعلومة، حيث تلجأ وسائل الإعلام إلى تزويد الناس بمعلومات شاملة ودقيقة عن الكارثة، حتى يتسنى لها مواجهة آثار هذه الوضعية، وتحمل نتائجها، ومحاولة اجتيازها، وتلعب وسائل الإعلام دورا أكثر أهمية في هذه المرحلة من خلال تفسير المعلومات وتحليلها وتقييمها وهو ما يعرف بعملية تكوين نسق فكري وقيمي عند المتلقي، قصد جعله في حالة من الإدراك والوعي بواقع الكارثة، في هذه المرحلة يلعب الإعلام أيضا دور الموجه للمجتمع من خلال التأثير في الفرد، وتحويله من مجرد متلقي إلى متفاعل، ومتجاوب مع وسائل الإعلام، وبالتالي تحقيق الاستجابة المرجوة.

المرحلة الثالثة:

مرحلة ما بعد الكارثة، وتسمى أيضا مرحلة التقييم العملي للمرحلتين السابقتين، من خلال تقديم تحاليل موضوعية عن طبيعة الكارثة، وأبعادها المتوقعة، كما يعمل الإعلام في هذه المرحلة على التصدي لكل الادعاءات والشائعات، بتقديم الحجج المقنعة قصد تحقيق إجماع حول الأهداف المتوخاة من عملية التعامل مع الكارثة إعلاميا.

الفرع الخامس: المعالجة الإعلامية للازمات الدولية

لا تنطلق وسائل الإعلام في تعاملها مع الأزمات والكوارث من فراغ، بل إن مسألة إدارة الكارثة إعلاميا ترتبط في جوهرها بعوامل كثيرة، تؤثر تأثيرا جليا في طبيعة المعالجة الإعلامية نفسها، حيث أن "طبيعة النظام السائد و"مستوى الخبرة الاتصالية للجمهور"•، وكذا طابع الملكية السائد في قطاع الإعلام ••ونوعية الدور المنوط بوسائل الإعلام داخل هذا المجتمع أو ذاك هي التي تحدد طبيعة التغطية الإعلامية للكارثة.

يتكلم الخبراء في هذا الشأن عن نوعين من التغطية الإعلامية في وقت الكوارث والأزمات هما[1]:

1) التغطية الإعلامية المثيرة:

وهي عادة ما تأتي استجابة لاعتبارات السلطة القائمة أو احتياجات السوق الإعلامية التي تركز على الوظائف التسويقية للأعلام دون الاهتمام بالوظيفة التربوية أو التثقيفية، ولهذا غالبا ما تكون التغطية مبتورة وسطحية لأنها تميل إلى التهويل، والمعالجة المثيرة التي غالبا ما تزول بانتهاء الحدث رغم محاولات التعتيم، والتضليل والتشويه للحقائق لدى الجمهور.

2) المعالجة المتكاملة:

تتميز هذه المعالجة على عكس الأولى بالعمق، والشمولية والمتابعة الدقيقة والجدية في إصلاح وتناول الحدث بكل تفاصيله ووقوعه وتطوراته وآثاره والأطراف المعنية به والأفاق، ولتحقيق هذه الغايات يتم استخدام أسلوبين مختلفين هما:

•**الخبرة الاتصالية للجمهور:** هو تراكمات مختلف التجارب السابقة الناتجة عن التعرض لوسائل الإعلام خلال الأزمات والكوارث وهو ما يولد لدى الجمهور فهما مسبقا لكيفية تعامل الإعلام مع مراحل الكارثة، مثلا: إن الخبرة الاتصالية لدى اليابانيين أكبر من التي عند الأمريكيين، والسبب هو تعود اليابانيين على التعامل مع وضعيات وخصوصيات الكارثة.

••**نظام الملكية السائد في المجتمع**: يخضع معيار حرية التعبير إلى طبيعة المسؤولية في أجهزة الإعلام المختلفة تبعا لاختلاف الأنظمة السياسية الموجودة، فقد تكون الدولة هي الجهة المالكة لوسيلة الإعلام، وقد تكون هذه الأخيرة تابعة للقطاع الخاص وقد تكون أيضا ملكية مختلطة، وفي كل الحالات فإن طابع الملكية هو المعيار الذي يتحدد على ضوئه شكل ومضمون الرسالة الإعلامية، ينظر: زهير إحدادن، مرجع سابق، ص 23.

[1] أديب خضور، إعلام الأزمات، مرجع سابق، ص 54.

- **النمط العقلي:** الذي يقوم على أساس تقديم المعلومات الصحيحة والموثقة.
- **النمط النقدي:** الذي يقوم على أساس تقديم المعلومات مع محاولة إشراك الجمهور المعني بربط المعالجة الإعلامية بمصالح واهتمامات ذلك الجمهور[1].

أ- أهداف التغطية المتكاملة:

- تكوين موقف دقيق ومتكامل ووعي عميق بالحدث من خلال المعرفة العلمية السليمة للمعطيات.
- إعطاء صورة متكاملة تتسم بالوضوح والاتساق والشمول لمختلف الجوانب بالاعتماد على خبراء مؤهلين.
- تجنب خطورة النظرة الأحادية أو الاقتصار على التغطية الجزئية للحدث، او الاهتمام بالأبعاد الخارجية وإهمال العوامل المحلية أو العكس، كما يواجه هذا النوع من التغطية في الغالب صعوبات موضوعية منها:

- عدم الوضوح وانعدام أو قلة المصادر المؤقتة والدائمة والمستجدة وغياب التنسيق بين الأطراف المختلفة المعنية بالحدث.
- نوعية السياسة الإعلامية المحددة من طرف أصحاب القرار.
- المستوى المهني والعلمي للإعلاميين المشاركين في التغطية.
- انتشار ما يعرف بالبيروقراطية الإعلامية.

تغتنم وسائل الإعلام الطبيعية السيكولوجية للكارثة المتسمة دوما بالتوتر وغياب الشعور بالثقة، والاطمئنان وحاجة الناس للمعلومات، فتستنفر قواها داخل المجتمع كقوة رأي أولي، لتتموقع داخل فضاءات وامتدادات الكارثة، وفق الأهداف المسطرة، وتبعا لمرجعياتها المادية والفكرية، حيث يختلف التعامل مع الكارثة تبعا لاختلاف وسيلة الإعلام نفسها، وأيضا وفق رؤى مواقف القوى السياسية والاقتصادية التي تملك أو توجه هذه الوسائل وبناء على هذه المعطيات يتحدد دور وسيلة الإعلام وقت الكوارث والأزمات.

[1] أديب خضور، **إعلام الأزمات**، مرجع سابق، ص 55.

إن السياسة الإعلامية داخل أي مجتمع ترتبط بصفة جوهرية بمجموعة من العوامل والضوابط، تؤكد في مجملها على العلاقة الجدلية بين الإعلام وتطبيقاته في المجتمع، من حيث مدى التحكم في الوسيلة الإعلامية من الناحية السياسية، وكذلك هامش الحرية التي تتمتع به كل وسيلة.

ب- صعوبات التغطية الإعلامية للأزمة:

في ظل الأهمية الكبرى لوسائل الإعلام أثناء الكارثة بحكم مرافقتها لمختلف الأطوار والمراحل التي تمر بها عملية إدارة الكارثة، ونظرا لطبيعة الوضع وحساسيته تظهر بعض المشاكل والصعوبات في التعامل مع وسائل الإعلام المختلفة، خاصة في تأثيرها على الرأي العام.

يحدد "شومان" أهم الصعوبات التي تطرح في هذا الاتجاه في نوعين هما[1]:

- عوائق ومشكلات تفرضها طبيعة الكارثة.
- عوائق ومشكلات تفرضها طبيعة وسائل الإعلام والسياسات التي تعمل من خلالها.

أولا: عوائق تفرضها طبيعة الكارثة

- الغموض ونقص المعلومات خاصة مع المراحل الأولى لإدارة الكارثة.
- تضارب الأخبار والمعلومات بسبب غياب المصادر الرسمية أو قلتها.
- صعوبات في التنسيق مع مختلف الوسائل الإعلامية بسبب الظروف التي تفرضها الكارثة.
- انتشار الشائعات.
- ضيق الوقت.
- المبالغة في نقل الواقع من طرف المتضررين.

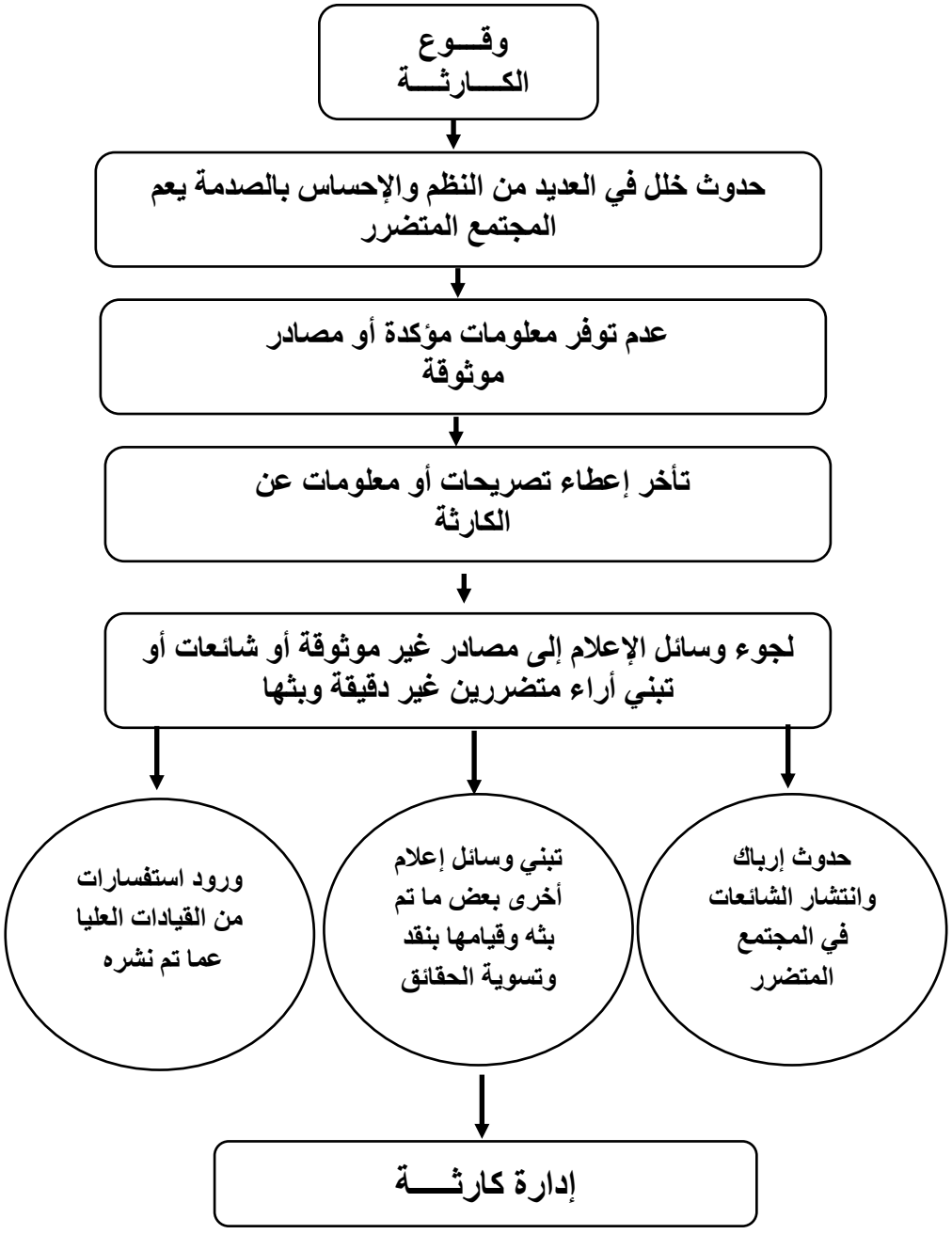
[1] عبد الله بن موسى الكحيلي، مرجع سابق، ص 50.

ثانيا: عوائق تفرضها وسائل الإعلام:

- تعدد وسائل الإعلام التي تغطي الحدث.
- التنافس الإعلامي أثناء التغطية.
- المستوى العلمي والمهني الإعلامي.
- نوعية وطبيعة السياسة الإعلامية.
- السعي وراء الإثارة والبحث عن الأخبار الغربية لجذب الجمهور.

ولعل المخطط التالي يوضح أكثر طبيعة العلاقة بين وسائل الإعلام وإدارة الكارثة

الشكل رقم 01: رسم توضيحي لشكل شائع من الضغوط التي تتعرض لها إدارة الكارثة بسبب وسائل الإعلام[1].



[1] عبد الله بن موسى الكحيلي، مرجع سابق، ص 47.

المبحث الثاني: إستراتيجية الاندماج في العمل الإنساني والعمل الإعلامي

تمهيد:

أظهرت التجارب الميدانية التي خاضها العمل الإنساني في بؤر التوتر والصراعات الدولية حاجة هذا النشاط الماسة إلى من يعرّف بمجهود الفاعلين الإنسانيين، وكذا الصعوبات والمخاطر التي تعيق تدخلاتهم، والمشاكل التي تعترض مهامهم الإنسانية بسبب تقّصي المعلومة، وعدم تلقي الدعم الكافي بالوسائل التي تضمن تدخلا فعالا لإغاثة المتضررين وضحايا الأزمات الدولية والإقليمية، وهو ما يفسر بطبيعة الحال الخطوات الأولى للتقارب بين العمل الإعلامي والعمل الإنساني، فقد وجد هذا الأخير ضالته في ما يمكن أن تقدمه وسائل الإعلام للعمل الإنساني، فأهمية الإعلام قبل كل شيء تكمن في عنصرين اثنين هما:

- القدرة على إيصال المعلومة.
- القدرة على التأثير.

ولعل هاتين الميزتين تخدمان بما فيه الكفاية أهداف المنظمات الإنسانية لحاجاتها الدائمة إلى الدعم العالمي، وتحسيس الرأي العام بما يحدث في بؤر الصراع العالمية من انتهاكات لحقوق الإنسان، ومعاناة لا حدود لها للمدنيين ضحايا الصراع.

سنحاول في هذا الفصل الوقوف عند أهم العوامل المساعدة على التحول المتسارع في علاقة العمل الإنساني بالعمل الإعلامي من مجرد قصة لقاء عابر إلى محاولة للتقارب، إلى رغبة ملحة وحرص شديد على الاندماج وفق استراتيجيات متباينة إلى حد التصادم نظرا للاختلاف على مستوى المبادئ التي تحكم النشاطين الإعلامي والإنساني.

إن الحديث عن علاقة العمل الإنساني بالإعلام هو قبل كل شيء حديثا عن علاقة التلفزيون بالمسائل الإنسانية على حد تعبير "باك مان" "Backman"، ففضل الصورة التلفزيونية على العمل الإنساني كبير، وكما أشرنا إلى ذلك سابقا يًعترف للإعلام بدوره في نقل الأعمال الإنسانية من حدود فضاء الأزمة إلى الأفق البعيد، أي أنه كسّر الحواجز

الجغرافية وقيود الطابع المحلي للأزمة، وأخرج العمل الإنساني من طي النسيان إلى أضواء العالمية، ويمكن تلخيص أهم ما قدم الإعلام للمسائل الإنسانية في:

- فك العزلة عن نشاط المنظمات الإنسانية خاصة بظهور التلفزيون.
- إخراج المآسي الإنسانية من طي النسيان ووضعت المسؤوليات تحت الأضواء الكاشفة.
- مضاعفة حجم المساعدات الإنسانية من خلال حرص وسائل الإعلام على الحث وتشجيع التبرع والمساعدة.
- توجيه الرأي العام العالمي حول موقف واحد إزاء المآسي والجرائم الإنسانية.

ولعل الأهم في كل هذا أن الإعلام حول العمل الإنساني من مجرد أعمال خيرية إغاثية إلى مسألة إنسانية في غاية التعقيد، حيث أعيد ترتيب الوظائف وتوزيع الأدوار ومن ثم تحول الرهان الإنساني والأخلاقي إلى رهان سياسي، كما سنوضحه لاحقا

المطلب الأول: سلطة الصورة

يقر الباحثون بصعوبة المهمة عند التطرق لمفهوم الصورة في الخطاب الإعلامي الحديث، لان الخوض في هذا الحقل الواسع أشبه ما يكون بالإبحار في فضاء واسع من الحقائق التاريخية، وفي محاولات لفهم ومرافقة الظاهرة الاتصالية وهي تتجدد وتتغير باستمرار، وبسرعة تجاوزت حتى تنبؤات كبار المختصين والمنظرين في مجال الإعلام والاتصال، يرى عديد الباحثين اليوم أننا أمام ظاهرة منظمة ومعقدة ومتشابكة بل إنها ظاهرة لا تتوقف عند نقطة معينة، ولا تعطي حتى الانطباع بأنها ستتوقف يوما عند مستوى معين، يسمح للباحث من تفسير الظاهرة والتقاط النفس.

إن الصعوبات المنهجية والمعرفية التي يصادفها الباحثون في هذا المجال، إنما تأتي من هذا التحول الرهيب في المفاهيم بفعل ثورة الاتصالات الإنسانية المحكومة " بفعل سطوة الثلاثية (التسارع، الآنية والمؤقتية)"[1] على حد تعبير"Alvin Toffler"(ألفن توفلر).

وإذا كان تطور الحضارة الإنسانية في مجمله يعود إلى عاملين اثنين هما[2]:

- تطوير الإنسان المتواصل لمهاراته الاتصالية.
- قدرته على التنظيم.

فإن الثابت أن الاتصال حقق حتى الآن ثلاث ثورات كما يراها "ماكلوهان" "M.Mcluhan"، وقد تمت على مراحل:

- **المرحلة الأولى:** وتبدأ باختراع الحروف الأبجدية، حيث انطلق الإنسان من العصر الشفوي إلى عصر الكتابة، وقد استعمل كل الوسائل المتاحة للكتابة، العظام، الطين، الحجر، وأخيرا الورق، فأخذت الكتابة تنتشر عن طريق النسخ على نطاق ضيق، حيث اقتصرت على فئة قليلة من الذين كانوا يمثلون صفوة الناس.
- **المرحلة الثانية:** تبدأ باختراع المطبعة في القرن الخامس العشر الميلادي، حيث تحققت الثورة الثانية للاتصال مباشرة بعصر جديد هو عصر الاتصال الجماهيري، مع ما حققته الطباعة للإنسان من مكاسب جديدة.
- **المرحلة الثالثة:** وهي مرحلة استخدام وسائل الاتصال الالكترونية في الثلث الأول من القرن الثامن عشر، لقد نجم عن ذلك شيوع للمذياع والتلفاز، ووسائل الاتصال الأخرى، وبذلك تحققت ثورة ثالثة هي ثورة الاتصال الالكتروني[3].

يحاول احد الباحثين تبسيط مراحل التطور التي شهدها الاتصال بقوله :" استعمل الإنسان الرموز اللغوية لتمثيل الأشياء المختلفة ولتعبير عن خبرته المجردة برموز دلالية لها معنى

---

[1] آلفن تولفر، **حضارة الموجة الثالثة**، ترجمة عصام الشيخ قاسم، الدار الجماهيرية للنشر والتوزيع والإعلان، ط1، 1990، ص 216.

[2] The Arab Image in the U.S. Press (peter lang, New York, 1984).

[3] زهير احدادن، **مدخل لعلوم الإعلام والاتصال**، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2007، ط4، ص 76.

يفهمها الآخرون ويستجيبون لها، وبسبب انفصال المجموعات الإنسانية عن بعضها في مناطق نائية، ونظرا لصعوبة الاتصال بينها نشأت اللغات المختلفة...وحين شعر الإنسان بحاجة إلى نقل المعاني والرسائل عمد إلى استعمال أساليب مختلفة كالإشارات الدخانية، قرع الطبول، إشعال النار على رؤوس الجبال...الخ، وعندما اكتشف أن الذاكرة لا تستوعب كل الخبرات لجأ إلى تطوير أدوات اتصال مناسبة، فاستعمل الرسم والنقش وكان ذلك تمهيدا لتطوير الكتابة وظهور الحرف الأبجدي"[1].

إذن أصبح اليوم ثابتا أننا نعيش عصرا ثقافيا جديدا له سماته وصفاته وخصوصياته، إنه عصر "الصورة" بدون منازع، حيث أن الصورة سواء أكانت ثابتة أو متحركة، سينمائية أو صحفية، أو حتى صورة الكترونية، بسطت سلطتها المطلقة على كل شيء على القيم والأخلاق على السلوكات الفردية والجماعية، على العلاقات الثنائية أو المتعددة، على الأحاسيس والعواطف، على الأذواق والقناعات، لذا أصبحنا نتكلم اليوم وبكل بساطة على سلطة الصورة أو سلطان الصورة.

يقول "إبراهيم سليمان العسكري":" لأول مرة في تاريخ البشرية الطويل على هذه الأرض، بات في مقدور ملايين البشر أن ينالوا قدرا من التجليات البصرية للتقنيات الحديثة، سواء كانوا فقراء يتجمعون حول بث الفضائيات في المقاهي الرخيصة، ورقميات التواصل في مقاهي الانترنت، أو ميسورين يمتلكون في بيوتهم أحدث أجهزة التلفزيون، واستقبال الفضائيات وأثمن أجهزة الكمبيوتر القادرة على الاتصال السلكي واللاسلكي بشبكة المعلومات العالمية، بل الكوكبية...إننا في مواجهة طوفان حقيقي من الصور[2].

لاشك أن لهذه الانتصارات الرائعة التي حققتها الصورة أسباب وعوامل متداخلة عجلت بفرض سطوة الخطاب البصري على ما سواه من الخطابات، وحوّلت عالم اليوم إلى سيل جارف من الصور لا يقف أمام تدفقه حاجز يذكر، وقبل التطرق إلى الأسباب التي كانت

[1] تاريخ الكتابة، الموسوعة الحرة، www.wikipedia.org تاريخ النشر: أوت 2012، تاريخ التصفح: 10 جانفي 2016، سا:10:55.
[2] سلطان إبراهيم العسكري، مرجع سابق، ص 20.

وراء هذا التحول نرى من الأهمية بمكان الصورة إلى أهم المحطات التاريخية التي عرفتها الصورة.

الصورة: القواعد التاريخية والفلسفية

تأتي كلمة الصورة في الاصطلاح بمعنى "الشكل" من صوّر وتصّور وتصوّرت الشيء معناه توهمته أو توهمت صورته فتصور لي، والتصاوير هي التماثيل، يقول ابن الأثري (1160-1232) :" ترد الصورة في كلام العرب على ظاهرها وعلى معنى حقيقة الشيء وهيئته وعلى معنى صفته، يقال صورة الفعل كذا وكذا أي هيئته وصورة الأمر كذا وكذا أي صفته، أما التصور فهو حصول صورة الشيء في العقل أي تخيل صورته في ذهنه"[1].

الصورة اصطلاحا عند أهل المنطق:" هي إدراك الماهية من غير أن يحكم عليها بالنفي أو الثبات"[2]، وفي علم النفس هي:" عملية استحضار المحسوس في العقل دون التصرف فيه"[3].

وفي اليونانية كلمة صورة ترمز إلى التشابه والمحاكاة، وتعني كذلك الكتابة المقدسة وقد ترجمت "Imago" في اللاتينية "Image" وتعبير "الأيقونة" في الفكر اللاهوتي عن اللامنظور وتتجلى بوصفها صورة صادقة مشابهة للإله، أي هي رمز صادقا للإله الحق، ويعتبر "تشارلز بيرس""Ch.Piecé" (1839-1914) أول من قدم تعريف الأيقونة حيث اعتبرها :" تلك العلاقة التي تحيل إلى مرجعها"[4] ، وقد ميّز بينها وبين الإشارة في حين يعتبر "ريجس دوبري" "R.Debray" ان كلمة الصورة في أصلها اليوناني واللاتيني لا تكاد تنفصل عن عالم الموت فالطيف أو الشبح يعني ببساطة التمثل بالصورة.

---

[1] ابن منظور، **لسان العرب**، دار الحديث، القاهرة، 2003، المجلد الخامس، ص 427.

[2] أبو يحيى زكريا بن محمد الأنصاري، **حاشية الأنصاري على شرح المحلي على جمع الجوامع في أصول الفقه**، http://books.google.dz تاريخ النشر: 2016، تاريخ التصفح: 2017/03/02، سا: 10:25.

[3] حسن شحاتة، **مستقبل ثقافة الطفل العربي**، رصيد الواقع ورؤى الغد، http://books.google.dz

[4] جولان لاينز، **علم العلامات**، ترجمة احمد خالص الشعلان، www.ahmedkhalishalan.blogspot.com تاريخ النشر: 28 سيتمر 2016، تاريخ التصفح: 03 فبراير 2017، سا:13:07.

الصورة عند البلاغيين العرب، برزت من خلال دراستهم للأسلوب القرآني والشعر العربي، ففي القرآن الكريم وردت كلمة "الصورة" ست مرات بصيغ مختلفة وبصيغة الماضي: **"ولقد خلقناكم ثم صورناكم"** سورة الأعراف، الآية 11، وبصيغة الماضي والجمع:" **وصوركم فأحسن صوركم"** سورة غافر، الآية 64، وبصيغة المضارع:" **وهو الذي يصوركم في الأرحام كيف يشاء"** آل عمران، الآية 6، ثم بصيغة اسم الفاعل:" **هو الله الخالق البارئ المصور"** سورة الحشر، الآية 240، وبصيغة المفرد "صورة": **"يا أيها الإنسان ما غرك بربك الكريم الذي خلقك فسواك فعدّلك في أي صورة ما شاء ركبك"** سورة الانفطار، 76.

ويرى كثيرا من المفسرين بأن الصورة في القرآن الكريم تعني (الشكل)، قال ابن كثير في تفسير قوله تعالى:**"وصوركم فأحسن صوركم"**[1]، أي أحسن أشكالكم، وقال القرطبي:" خلقكم في أحسن صورة"[2].

بينما يذهب الدكتور "أحمد راغب" إلى أن الصورة عند هؤلاء المفسرين تعني "الشكل الخارجي للإنسان، ولا تدل على الجانب المعنوي فيه، بينما إذا دققنا في استعمالات مادة الصورة في القرآن الكريم واختلاف صيغها، فنجد أنها وردت في صدد الحديث عن الإنسان، وفي سياق تذكيره بنعمة الله عليه في خلقه وتكوينه وتميزه عن سائر المخلوقات الأخرى، ولا يكون هذا التميز عن سائر المخلوقات الأخرى بالكل فحسب وإنما أيضا بالعقل والإدراك والشعور"[3].

في العصر الحديث أخذت عناصر الصورة في النقد الحديث أبعادا أكثر عمقا ودلالة، لقد اتسعت مفاهيمها:" لتشمل كل الأدوات التعبيرية مما يقودون عليه على دراسة ضمن علم البيان والبديع والمعاني والعروض والقافية والسرد وغيرها من وسائل التعبير الفني".

---

[1] ابن كثير، **تفسير القرآن**، ج4، ص 106.
[2] القرطبي، **الجامع لأحكام القرآن**، ج 15، 328.
[3] راغب احمد، **وظيفة الصورة في القرآن الكريم**، فصلت للدراسات والترجمة والنشر، حلب، ط1، 2001، ص20.

لقد أصبحت الصورة كما يراها فان "Van":" كلام مشحونا شحنا قويا يتألف عادة من عناصر محسوسة: خطوط، ألوان، حركة، ضلال تحمل تضاعيفها فكرة أو عاطفة، أي أنها توحي بأكثر في المعنى الظاهر، وأكثر من انعكاسات الواقع الخارجي وتؤلف في مجموعها كلا منسجما"[1].

والصورة كمنظومة رمزية متعددة الدلالات أصبحت اليوم تشكل عاملا مؤثرا وفعالا في بناء النموذج الإنساني والمجتمعي الجديد الذي تتحدد فيه طبيعة العلاقات وخصوصيات المواقف، لأنها تتعرف كسلطة رمزية وتأثيرية قادرة على التوجيه والتأثير على الوعي واللاوعي الاجتماعي، وبالتالي فهي "تمنح المتلقي فضاءا تأمليا يتسع لكل الأحداث التي تعبر عنها، ويستوعب الأطياف الوجدانية التي تنجم عن تفاعل المتلقي مع الصورة"[2].

بعد أن احتكرت الصحافة المكتوبة تشكيل وصياغة الرأي والتعبير لمدة عن ثلاثة قرون من بداية "القرن السادس عشر إلى نهاية التاسع عشر" استطاع التقدم العلمي والتكنولوجي وضع حد لهذا الاحتكار، فمن تسميات عديدة أطلقت على الصحافة المكتوبة "كصاحبة الجلالة"، و"السلطة الرابعة" إلى القرن العشرين وما عرفه من اختراعات فورية في مجال الاتصال الإنساني كاختراع التصوير، السينما الصامتة، الإذاعة مما تسبب في إنهاء احتكار الصحافة المكتوبة وأعاد ترتيبها لتصبح واحدة من وسائل الاتصال الجماهيري.

هذا التحول لم يحدث صدفة أو بطريقة سريعة وعفوية، بل كان التطور والنضج تدريجيا أخذ وقته الكافي مرافقا لتحوّلٍ مسّ الاقتصاد، السياسة، العلم، وهكذا جاء التطور على مراحل أهمها:

- في 28 جانفي 1895 تم الإعلان عن ميلاد السينما حيث عرض لأول مرة الإخوة "Lumière" شريطا حول الحياة في حالة حركة تم عرضها على شاشة قماشية بإحدى مقاهي باريس "Décapucine" ويذكر الجميع حادثة القطار وتصرف جمهور السينما.

[1] القط عبد القادر، **الاتجاه الوجداني البشري العربي المعاصر**، دار النهضة، ط2، 1981، ص 391.
[2] سعد محمد رحيم، **ثقافة الصورة**، مجلة الحوار المتمدن، العدد، 2295، 2008، 2008/05/28.

- وبالتوازي مع ذلك كانت بحوث أخرى ودراسات لا تكاد تهدأ في 1895 أي في نفس السنة عرض "ألكسندر ستيفانوفيتش" على جمهور من العلماء اختراعه "عاكس الرعد" كأول جهاز برقي لاسلكي في العالم الذي مهد فيما بعد لاكتشاف الأثير، ثم ظهور الإذاعي كحقيقة من حقائق الاتصال الجماهيري كان ذلك سنة 1917، بينما كان علماء آخرون من مناطق أخرى من العالم منهمكين في تجارب أخرى لتطوير اختراعاتهم.

يصف "جون بيير فارني""Jean Pierre Warnier" في مقدمة كتابه "عولمة الثقافة" بعض تجليات العصر الجديد الذي تضعه وسائل الإعلام خاصة المرئية (الصورة) فيقول:

"يرقص الناس رقصة التانغو في باريس، ورقصة الالبكونسي الكاميرونية في دكار، والصالصا الكوبية في لوس أنجلس، ويقدم ماكدونالد شطائر اللحم المفروم (الهامبرغر) في بكين، ونجد أطعمة كانتوت في سوهو، وتغزو الفطيرة الباريسية أفريقيا الغربية وفي بومباي نشاهد البابا على الموندفزيون، أما الفيليبين فينحبُون على الهواء مباشرة في مأتم أميرة بلاد الغال"[1].

يبين هذا الكلام كيف استطاعت التكنولوجيا الحديثة عن طريق الإعلام الحديث (الصورة) أن تلغي كل الحدود الفكرية والمادية وتختصر الزمان والمكان داخل جدران القرية الكونية التي تنبأ بها "ماكلوهان"، فتراجعت مفاهيم، واندثرت ثقافات، وبرزت بالمقابل سيمات ثقافية وقيمية جديدة، لقد تغيرت مفاهيم الدولة، الأمة، الأسرة، المدرسة، الأيديولوجيات...وصلت محلها مفاهيم جديدة مثل الفردنة، الخدمة الذاتية، الحياة الافتراضية، الكائن الافتراضي...الخ.

نحن الآن في زمن ثقافة الصورة وانتشار الثقافة البصرية وهيمنة الصورة التلفزيونية على كل وسائل الاتصال التقليدية، حيث أصبحت الصورة هي العلامة الثقافية الفارقة لأنها قلبت مفاهيم الاستقبال الثقافي، حيث أعادت إلى إقحام فئات بشرية واسعة في التأويل إلى الدائرة الثقافية بعدما لفضتهم الكتابة، وهمشتهم بسبب الأمية أو عدم قدرتها على القراءة "

[1] حسن البنا عز الدين، **الشفاهية والكتابة**، عالم المعرفة، الكويت، 1991.

وقد أفضى هذا إلى ظهور النخب الثقافية وعلى ضفافها هوامش عريضة من الأميين لا يعون ما يجري في عالم الثقافة الذي احتكرته الأنماط المتباينة...لقد جاءت الصورة لتكسر الحاجز الثقافي والتمييز الطبقي بين الفئات الواسعة من دوائر الاستقبال، وشمل ذلك كل البشر، لان استقبال الصورة لا يحتاج إلى إجادة القراءة وهو في الغالب لا يحتاج إلى الكلمات أصلا"[1].

يجمع عديد الباحثين في ميادين الاتصال على أن التحول الذي صنفته الصورة بأنه خطير لماذا؟

يقول "الغذامي" في هذا الموضوع:"...لقد توسعت القاعدة الشعبية للثقافة وتكسرت الحدود والطبقات والتميزات، وهي هنا تداخلت إمكانات التأويل الثقافي، حيث صار كل مشاهد يستقبل ويفهم ويفسر ما يراه دون حاجة إلى وسيط، ولم يكن هذا ممكنا في زمن ثقافة الكتابة، حيث شرط التعلم وحيث وجود الكاتب الوحي على النعي...هذا ما كسرته الصورة، وغيرت شروطه، إذ بإمكان المرء أن يشاهد أي صورة دون حاجة إلى لغة، و لا يحتاج إلى سياقات ثقافية ولا فكرية كي يفهم الصورة، وهذا أطلق إمكانيات التأويل الحر مثلما وسع دوائر الاستقبال وساوى بين الناس في ذلك، وتراجعت النخبة أو لعلها سقطت وسقطت معها الوصاية التقليدية ورموز الثقافة التقليدية والذين كانوا يحتكرون الحق في التأويل وإنتاج الدلالات"[2].

أبعاد الصورة:

يقدم "أبراهام مولر" (Abraham moler)[3] سبعة أبعاد للصورة هي:

- **البعد التصويري للصورة:** يعني قدرة الصورة على تمثل أشياء الواقع أو الكائنات الحسية.
- **بعد كثافة الصورة:** مدى قوة الصورة أو ضعفها.

[1] عبد الله الغذامي، **الثقافة التلفزيونية: سقوط النخبة وبروز الشعبي**، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، 2005، ط 2، ص 11.
[2] عبد الله الغذامي، **المرجع نفسه**، ص11.
[3] نصير بوعلي، **كيف تقرأ الصورة في زمن الأيديولوجيا والعولمة والقمة مقاربة في الترجمة والتأويل السيميولوجي**، مجلة الاتصال والتنمية، العدد 1، أكتوبر 2010، دار النهضة العربية.

- **البعد الجمالي:** أي العناصر والرموز المشكلة للصورة لأحداث شرط المتعة واللذة.
- **بعد حجم الصورة:** كبيرة أو صغيرة.
- **البعد القيمي للصورة:** من حيث التطور التقني الذي يلعب الآن دورا كبيرا في تغيير أشكال الصورة.
- **البعد التاريخي للصورة:** وهو الذي يرتبط بالزمن وبالسياق.
- **البعد الاجتماعي:** إن الذي يرتبط بالسياق السوسيوثقافي الذي يشكل اللقاء ما بين إيداع الكائن وفضائه الاجتماعي والتاريخي".

الثقافة البصرية:

يتطور عالم اليوم بسرعة مذهلة بسبب انتشار التكنولوجيا المتسمة بالمؤثرات البصرية إلى حد التخمة.

يقول" Hortain" : "أصبحنا نعيش في مجتمع موجه بصريا"[1].

وإذا كانت ظاهرة الثقافة البصرية قد تجلت معالمها جراء التحولات التكنولوجية التي جعلت الصورة تتبوأ مركز الصدارة، فإن مفهوم أو مصطلح "الثقافة البصرية" استخدمه "Debes Joho" لأول مرة عام 1969 حينما عرفها بأنها:" مجموعة من الكفايات المرتبطة بحاسة البصر، والتي يمكن تنميتها لدى المتعلم عن طريق الرؤية، وعن طريق تعاملها مع ميزات مختلفة يتعامل معها المتعلم من خلال الحواس الأخرى، وتعتبر عملية تنمية هذه الكفايات ضرورة للتعلم، فعند تنميتها يمكن للشخص المتعلم المثقف بصريا من أن يفهم ويفسر الأحداث البصرية والرموز البصرية والأشياء البصرية التي يتعرض لها في البيئة التي يعيش فيها سواء كانت طبيعية أو من صنع الإنسان"[2].

[1] هبة الشافعي، **الثقافة البصرية**:www.hebaalshafi.blogospot.com تاريخ النشر: 18 ديسمبر 2009، تاريخ التصفح: 2014/11/11، سا:08:20.
[2] هبة الشافعي، الثقافة البصرية، مرجع سابق.

بعد ذلك توالت التعريفات المختلفة للثقافة البصرية تبعا للتحول الذي عرض وسائل الاتصال الحديثة، حيث عرف "Joan Platt" 1975 بأنها:" القدرة على الفهم والتعبير عن أنفسهم من خلال المواد البصرية لتمكينهم من ربط الصورة المرئية بمعاني ما وراء هذه الصورة".

وفي سنة 1982 ظهر تعريف جديد للمفهوم من طرف لـ"Heiriech وMelenda" الثقافة البصرية هي القدرة على ترجمة الرسائل البصرية بدقة وإنتاج هذه الرسائل"[1].

وفي سنة 1986 قدم "Sinatra" تعريفا جديدا للمفهوم:" هي إعادة تشكيل الثقافة البصرية السابقة مع الرسائل الواردة للحصول على معنى مع التركيز على الإجراءات التي يتخذها المتعلم للتعرف عليها"[2].

وعندما نتكلم عن الثقافة البصرية وأهميتها في العصر الحديث فينبغي علينا التفريق بين الثقافة البصرية كظاهرة مجددة وبين التعلم البصري، الإدراك البصري، التفكير البصري.

فالتعليم البصري: بدأ في الظهور مع بداية القرن العشرين بظهور حركة تقدم على فكرة استخدام المواد البصرية في التعليم لأنها تجعل الأفكار محسومة بدرجة أكبر وبالتالي فإن التعلم البصري يقوم على فكرة لتوظيف العدد الثابتة والخرائط الحائطية لتلقين المعلومة.

الإدراك البصري: ومعناه قدرة العقل على ترجمة الصور البصرية التي تراها العين لتكوين صورة كلية عن العالم الخارجي وهي العملية التي تتطلب حسب "محمد الشرقاوي" (1988) مهارات كالقدرة على الإحساس بموقع وحجم وشكل وحركة الموضوعات المحيطة بالشخص المدرك إلى جانب قدراته على التحكم في العملية وقدرته أيضا على الانتباه للموقع المثير.

الاتصال البشري: ويتم عن طريق تقديم المعلومات في شكل بصري وهناك أساليب متعددة في هذا الشأن لغة الجسد، الفيديو والتلفزيون من خلال تقديم النصوص والصور وبالتالي فإن الاتصال البشري هو القدرة على توصيل فكرة في صورة بصرية مثلما هو جار اليوم عبر

[1] هبة الشافعي، الثقافة البصرية ، الثقافة البصرية، مرجع سابق.
[2] هبة الشافعي، الثقافة البصرية، المرجع نفسه.

وسائل الاتصال الحديثة، وباختصار الباحث هو:" نوع من الاتصال البشري الذي يشير إلى قدرة الفرد على استخدام البصريات بأنواعها المختلفة في التفاعل مع الآخرين والتفاهم معهم ومشاركتهم في الأفكار والمعاني والمعلومات والمشاعر والميول"[1].

أنواع الصورة:

يفرق الباحثون بين أنواع متعددة من الصور تبعا للمعايير المتبعة في تحديد النوع، ويعتبر التقسيم الموالي الأكثر انسجاما مع المراحل التاريخية التي مرت بها ظاهرة الصورة قبل أن تصل إلى ما هي عليه اليوم، وقد بسطت سلطانها على الجميع لدرجة أنها أصبحت لصيقة بالعصر الذي نعيشه، حيث يوصف بعصر الصورة كما أشرنا إلى ذلك سلفا.

وبناء على ذلك يمكن تحديد أنواع الصور على الشكل التالي[2]:

1) **الصورة التشكيلية:**

يرى "اندري مارتيني" "A.Martinet" أنه إذا كانت اللغة تقوم على التلفظ المزدوج (المونيمات والفونيمات) لتحقيق وظيفة التواصل فإن الصورة التشكيلية مبينة بدورها على التلفظ البصري المزدوج (الوحدة الشكلية والوحدة اللونية)[3] أو ما يسمى عند الاختصاصيين بالشكلم واللونم (Formeme, Coloreme)، فالصورة الشكلية بهذا المعنى تبني على الخطوط والأشكال والألوان والعلاقات وتعمد على رمزية الخطوط، فالخطوط العمودية توحي بالتسامي الروحي والحياة والهدوء والراحة...الخ، وأما الخطوط الأفقية فتشير إلى الثبات والتساوي والاستقرار والصمت والأمن، في حين تعتبر الخطوط المائلة على الحركة والنشاط وقد ترمز كذلك إلى الخطر والسقوط أو الانزلاق[4].

---

[1] هبة الشافعي، **الثقافة البصرية**، مرجع سابق.

[2] جميل حمداوي، **أنواع الصورة**، www.almtha9af.com تاريخ النشر:2015، تاريخ التصفح 2016/03/26 الساعة: 22:15.

[3] قدور عبد الله ثاني، **سيميائية الصورة**، مؤسسة الوراق للنشر والتوزيع، عمان الأردن، الطبعة الأولى، سنة 2007، ص 24.

[4] قدور عبد الله ثاني، **سيميائية الصورة**، المرجع نفسه، ص 107.

2) **الصورة الايقونية**:

يدل مصطلح الأيقونة حسب "Chs.Pierrce" على كل أنظمة التمثيل القياسي المتميز عن الأنظمة اللسانية، وتعبر الإيقونة عن الصورة القائمة على التمثل بين "الدال" و"المدلول"، وتشمل الرسومات التشكيلية والمخططات والصور الفوتوغرافية والعلامات البصرية[1].

3) **الصورة الفوتوغرافية:**

"وهي التي تختصر الواقع الحقيقي، مساحة وحجما، وزاوية ومنظورا وتكثيفا وخيالا وتخيلا وتتميز بطابعها المهني- التقني، وطابعها الفني الجمالي، وطابعها الرمزي الدلالي التعييني والتضميني، وثنائية الاستبدال والتأليف وثنائية الدال والمدلول وثنائية التزامن والتعاقب"[2].

4) الصورة الاشهارية:

تعرف الصورة الاشهارية بأنها:" تلك الصورة الإعلامية والإخبارية التي تستعمل لإثارة المتلقي ذهنيا ووجدانيا والتأثير عليه حسيا وحركيا، ودغدغة عواطفه لدفعه قصد انتقاء بضاعة أو منتوج ما..."[3].

ويرى "امبرتو إيكو" "Enberto Eco" أن الصورة الاشهارية تمثل نسق سمنطيقيا لأنها ترميزية بلاغية في مستويات الإدراكية والأيقونة"[4].

وترتبط الصورة الاشهارية بالإعلام الاستهلاكي الليبرالي، استجابة لمستلزمات اقتصاد السوق والترويج السلعي.

---

[1] جميل حمداوي، **أنواع الصورة** www.almotha.qaf.com تاريخ النشر: 2015، تاريخ التصفح: 2016/03/26.

[2] جميل حمداوي، المرجع نفسه.

[3] حمداوي جميل، **السيميولوجيا بين النظرية والتطبيق**، أوراق للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، 2010، ص 529.

[4] يخلف فايزة، **دور الصورة في التوظيف الدلالي للرسالة الإعلانية**، دراسة تحليلية سيمولوجية لعينة من الإعلانات، مجلة الثورة الإفريقية، جامع الجزائر، 1996، ص 42.

5) الصورة الكاريكاتورية:

ارتبطت الصورة الكاريكاتورية حسب الدارسات التاريخية بالصحافة الغربية منذ القرن التاسع عشر، كما أنها أصبحت مع مرور الزمن أداة للتواصل بين الأفراد والمجتمعات بما تثيره من قضايا تمس مختلف الجوانب الحياتية بأسلوب بسيط فيه كثير من الإبداع، وقد تم تعميم هذا الأسلوب الساخر ليأخذ منحنا آخر تجاوز مبدأ السخرية ليخوض في مآسي الناس ومعاناتهم كخطاب متداول على نطاق واسع، وقد أصبح هذا الفن في الوطن العربي فنّا هادفا ينشد الإقناع والتأثير على المواقف والسلوكات بهدف التحسيس بالواقع السياسي والاجتماعي والاقتصادي الذي يعيشه الوطن العربي وتوثيقه نحو تحقيق رؤيا استشرافية لحقيقة الوضع القائم.

ويعتبر "ماكسيم غوركي" "Maxim Gorky" (1936-1968) الفن الكاريكاتوري ذو طبيعة نفعية إذ يعكس أشياء مختلفة غير ظاهرة بوضوح وبأسلوب بسيط يعكس لنا وجوها وأنماطا جديدة معينة لتصرفات أناس يعيشون بيننا"[1].

وتعرف الصورة الكاريكاتورية بأنها:" تلك الصور المرسومة أو المنحوتة لشخص ما بغية السخرية منه أو انتقاده أو هجائه بتشويه صورته وهيئته ووجهه باستعمال آليات التضخيم والتكبير والتهويل أو آليات التقزيم والتصغير والتحفيز"[2].

6) الصورة المسرحية:

"هي الصورة المشهدية المرئية التي يتخيله المشاهد والراصد ذهنا وحسا وشعورا وحركة، وغالبا ما تكون هذه الصورة ركحية، وميزانسنية تتكون من مجموع الصور البصرية التخيلية المجسمة وغير المجسمة فوق خشبة الركح...وهي ليست بالشكل البصري

[1] عاطف سلامة، **ثقافة النص في الرسم الكاريكاتوري وتأويلات المتلقي**،www.alcornish.com تاريخ التصفح : 2018/04/28 سا:07:43.

[2] حمداوي جميل، **أنواع الصور**، مرجع سابق.

فقط، بل هي العلاقات البصرية فيما بين مكونات العمل والعرض المسرحي ذاته، والحوارية البصرية بين هذه المكونات والممثلين والمتفرجين"[1].

7) الصورة السينمائية:

توصف الصورة السينمائية بأنها علامة سيميائية بامتياز، وأيقون بصري ينقل الواقع حرفيا أو خياليا، وتعرف بأنها:" لقطة بصرية سيميائية متحركة مرتبطة بالقيم والإطار وزاوية النظر، وقوع الرأي وتخضع لمجموعة من العمليات الإنتاجية التقنية والصناعية مثل تمويل الكاستينغ وكتابة السيناريو والتمثيل والانجاز والتقطيع والتركيب والميكساج، ومن ثم العرض، ولا يمكن الحديث عن الصورة السينمائية إلا من خلال علاقتها بالمتلقي أو الراصد الذي يتلقى هذه الصورة، ويدخل معها في علاقة انتشاء وإدراك وتقبل ولذة حسية وذهنية ومن ثم لا يتحقق سبميوزيس الصورة السينمائية إلا بفعل المتلقي أو التقبل، لأن الراصد هو الذي يعيد بناء الصورة فيلميا ويعطيها دلالاتها الحقيقية أو المحتملة أو الممكنة"[2].

لقد أصبحت الصورة السينمائية قوية الحضور مع تعدد الوسائط التكنولوجية الذي أتاح لها التموقع في صميم الاهتمام الإنسانية وذلك لقدرتها على ترسيخ القيم الثقافية والرمزية والتاريخية في وعي الناس وذلك بالنظر لما تنطوي عليه من الثراء التعبيري أهلها لأن تشكل دعامة أساسية في تحقيق المتعة الذهنية.

ويعرفها البعض بأنها:" خطاب حركي مصور يحكي بفعل متتاليات عن واقع ما"[3].

المطلب الثاني: جدلية التأثير في الأزمة الإنسانية

في بيئة الصراع تتموقع ثلاثة أطراف فاعلة ومؤثرة في عملية تطور الأزمة انطلاقا من أهمية وطبيعة الأدوار التي يلعبها كل طرف من هذه الأطراف انطلاقا من أهمية وطبيعة الأدوار التي يلعبها كل طرف، ومن هذه الأطراف هي: الإعلام، المنظمات الإنسانية، الدول والحكومات المعنية بالصراع بشكل مباشر أو غير مباشر.

---

[1] حمداني جميل، **السيمولوجية بين النظرية والتطبيق**، الوراق للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، 2010، ص 560.
[2] حمداني جميل، المرجع نفسه، ص 565.
[3] سمير الزغبي، **جماليات السينما**، مطبعة نقوش،عربية، 2010، ص 67.

وتتخذ عملية التفاعل بين الأطراف الثلاثة للأزمة أشكالا مختلفة تتحكم فيها عوامل داخلية وخارجية ترتبط أساسا بـ:

- طبيعة الأزمة المطروحة.
- طبيعة المرجعيات السياسية الأيديولوجية للصراع.
- طبيعة القوى المالكة والمتحكمة في المنظومة الإعلامية.
- طبيعة المصالح السياسية الجيوستراتيجية التي يرجى تحقيقها.

وضمن خيوط هذه العلاقات الثلاثية يحاول كل طرف الاستفادة من الوضع المعقد التي يترتب عن الأزمة لتحقيق الغايات التي يصبو إليها.

ففي حين يتعامل الإعلام كوسيط بين الدول (السلطة السياسية)، وبين الرأي العام كونه يمثل وسيلة ضغط على الرأي العام بالنسبة للدولة، حيث يدفعه عن طريق نقل المعلومات والأخبار المتعلقة بجوهر الأزمة وتداعياتها، ومن ثم تحقيق التأثير التي يحرك الرأي العام نحو الضغط على الحكومات لإجبارها على اتخاذ القرار المناسب للوصول إلى حل وتجاوز الأزمة واتخاذ القرار المناسب.

تستفيد المنظمات الإنسانية (غير الحكومية) من هذه الظروف لتحقيق غاية مزدوجة هي:

- التعريف بنفسها ونشاطها وظروف عملها.
- تحقيق المزيد من الدعم المادي والمعنوي الذي يمكنها من مواصلة نشاطها في ظروف أحسن.

إن حضور وسائل الإعلام في فضاء الأزمة بالنسبة للمنظمة الإنسانية فرصة لتوعية الرأي العام والمجتمع الدولي بالمآسي الإنسانية الذي يحرك الرأي العام بالشكل الذي يضمن للمنظمات الإنسانية رفع حجم التبرعات ومضاعفة عدد المانحين وفضلا عن ذلك فإن

علاقة وسائل الإعلام بالمنظمات الإنسانية (غير الحكومية) هي علاقة مصالح مشتركة كونهما يواجهان معا نفس الصعوبات ونفس الأخطار التي ينطوي عليها العمل والتحرك

ضمن بيئة الصراع بما تمثله من عقبات اجتماعية ومعوقات إيديولوجية تختلف باختلاف بيئة الصراع نفسها وسنعود إلى هذه العناصر بالتفصيل في الفصل التطبيقي.

إن علاقة الإعلام بالمنظمات الإنسانية (ONG) هي بطبيعتها علاقة متغيرة وغير ثابتة تبعا للتنوع الذي يميز وسائل الإعلام نفسها، حيث نجد هناك إعلام حكومي (رسمي) وإعلام حر(مستقل) وإعلام الكتروني، لذلك تتسم علاقة المنظمات الإنسانية غير الحكومية بالإعلام بالجدلية تأثيرا وتأثرا، فكما تستفيد هذه الأخيرة من الإعلام كما أشرنا إليه، فإنها قد تكون ضحية له من خلال الحملات الإعلامية المضادة فيها والحال هذه بمثابة فرص وتحديات في ذات الوقت، لذلك نلاحظ حرص هذه المنظمات على توطيد علاقاتها بالإعلام رغم التناقضات الكبيرة التي يتميز بها كلا الناشطين من حيث معايير العمل والمبادئ التي تحكم طبيعة كل منها، ذلك أن العمل الإنساني في أصله يحتكم إلى مبادئ ثابتة لعل أهمها الحياد وواجب التحفظ إزاء ما يحدث في بؤر الصراع العالمية وهما الضامنان الوحيدان اللذان يكفلان للمنظمة الإنسانية حق الاستمرار في تقديم خدماتها الإنسانية من دعم وإغاثة وعلى النقيض من ذلك فإن أهم مبادئ العمل الإعلامي هو التبليغ ونقل المعلومات والأخبار واحتكاما للحق المقدس للإنسان (حق الإعلام).

وبين حق التحفظ، والتزام الحياد بالنسبة للمنظمة الإنسانية وحق الإعلام والتبليغ على أوسع نطاق، تتقاطع أهداف وغايات كل من العمل الإنساني والعمل الإعلامي بما يضعف إستراتيجية التحالف بينهما خاصة مع الوثبة التكنولوجية العملاقة التي حققتها وسائل الإعلام والاتصال الحديثة والتي ساهمت في إعادة التوازن النسبي بين القوى المتصارعة في فضاء الأزمة، حيث كسّر النقل المباشر لمآسي البشرية بالسيل الجارف للصور التلفزيونية كل معاني واجب التحفظ لدى المنظمات الإنسانية ودفع بها إلى اتخاذ قرارات لا تنسجم مع مبادئ العمل الإنساني الذي تحترفه، وقد حاولت الباحثة "باتريسيا آليوت" " Patricia Alliot" فك رموز هذه العلاقة بإعادة طرح تساؤل قديم:

" حر أو خاضع، قوي في مبادئه أو مطعون في حرمته، العمل الإنساني في مفترق الطرق بين حقيقة الفعل والبريق الإعلامي بين اكراهات العدالة ووسيلة النظام"[1].

إن العلاقة التفاعلية بين الإعلام والعمل الإنساني وما طرأ عليها من تغيير أثارت استفاهامات متكررة لدى الباحثين حول طبيعة هذه العلاقة، وهل هي مبنية على تكامل أو تبعية، متبادلة بين هذين النشاطين، لاسيما بعد أن تسنى للعمل الإنساني الولوج إلى فضاء الاتصال، حيث لم يعد ممكنا تقييمُ المنظمات الإنسانية خارج هذا الفضاء كما يرى "أنطوان فكارو""Antoine Vaccaro" أن عامل الدخول إلى فضاء المنظومة الاتصالية العالمية أعتبر تحولا جذريا واستراتيجيا في تاريخ العمل الإنساني وهو يفسر غموض العلاقة التي أصبحت تربط رجال الإعلام بالمنظمة الإنسانية[2]، والتي كان لها التأثير الكبير على مستقبل العمل الإنساني الذي أصبح يطرح مسألة إنسانية في غاية الخطورة والتعقيد ومن ثم تمكين وفهم منطق التحول للظاهرة الإنسانية في فضاء الاتصال، وبروز رهانات الواقع الجديد للعمل الإنساني والعمل الإعلامي.

المبحث الثالث: الإعلام والعمل الإنساني: منطق التحول

بفضل التكنولوجيا لوسائل الإعلام، ازداد عرض مآسي العالم بسبب الحروب والأزمات المختلفة، واتسعت دائرة التغطيات الإخبارية المباشرة والآنية، بحيث أصبحت الأحداث تنقل في زمنها الحقيقي، ولكن هذه المرة ليس الأهداف نفسها، لقد تحولت الأزمات الإنسانية بمثابة مادة دسمة لوسائل الإعلام تتعامل معها من منطلق زيادة نسب المشاهدة وإثارة مشاعر الجماهير، بعبارة أخرى تحولت هموم وأحزان الإنسانية إلى أكبر سوق استعراضية، بكل ما تحمله الكلمة من معنى، لقد انحرف الإعلام عن المبادئ الأساسية التي ظل لعقود طويلة يتعامل وفقها مع الأزمات الدولية بحرصه على نقل الخبر، والتعريف بحقيقة ما يحدث على الأرض في بؤر الصراع بكشف المستور، وفضح الانتهاكات الصارخة لحقوق الإنسان مع

[1] Patricia Alliot :**Media et Humanitaires, les liaisons dangereuses**, institut universitaires de technologie, octobre 22-2000, www.metamedias.blogspot.com

[2] Zsuzsa annna Tevenczy, **Les O.N.G Humanitaires leur financement et les medias**, Ibid, P49

شجب مرتكبيها والمسؤولين عنها، وبعيدا عن ذلك أخذت التلفزيونات العالمية تسعى لتحقيق السبق الصحفي الذي يتفنن في استعراض الأزمات والمآسي ضمن أكبر بلاتوهات الإنتاج التلفزي بحضور مشاهير الفن والرياضة وكبار الشخصيات السياسية، ونجوم المودة وعارضات الأزياء تحت مبرر جمع ما أمكن من الأموال ورفع من حجم عمليات التبرع لفائدة الضحايا والمنكوبين، لقد أصبح العمل الإنساني بمثابة سلطة تباع وتشتري وانضمت المنظمات الإنسانية إلى هذا التوجه الجديد أو ما اصطلح على تسميته بمنطق التحول الإعلامي والإنساني.

ولعل مسألة التمويل متعدد المصادر بالنسبة للمنظمات الإنسانية غير الحكومية عمل على تعميق الأزمة التي أصبح العمل الإنساني يتخبط فيها، فالمال بالنسبة للمنظمات الإنسانية هو عصب الحياة، والمحفز على الاستمرار ولعل إدراج المال على رأس أولويات المنظمات الإنسانية واللهث وراء جمعه بكل الأساليب الأخلاقية وغير الأخلاقية جعلها تتصرف دونما قصد ككل المؤسسات الاقتصادية الخاصة التي تعمد إلى عمليات التنافس التجاري وتقنيات التسويق "Marketing" لتحقيق الرواج لسلعها ولو كانت هذه السلع مآسي الإنسان وأحزانه.

إن الدخول إلى فضاء الاتصال بالنسبة للعمل الإنساني مهّد الطريق لولوج عالم السياسة وبالتالي باتت معاناة الأفراد المتضررين من مختلف أشكال الصراع بالرغم من طابعها الإنساني البحث، باتت تحمل أبعادا سياسية فرضت على المنظمات الدولية غير الحكومية قبول فكرة العمل إلى جانب الدول والحكومات ضمن الأجندة تتحرك وفقها مصالح الدول ولو على حساب المبادئ الأخلاقية والإنسانية، ووصل الأمر إلى حد أن طالب عديد المنظمات الإنسانية الدول بالتدخل عسكريا لوضع حد للصراعات والنزاعات التي ما فتئت تتكاثر وتتزايد وبالتالي ساهمت هذه الفواعل الإنسانية في إرساء أسس سلوك دولي غير مألوف هو "التدخل الإنساني" لحماية المدنيين، وهو ما وصف بالتحول الخطير في مبادئ العمل الإنساني ونشاط المنظمات الإنسانية.

يقول أحد الباحثين في ذات الموضوع:" إن العمل الإنساني الذي يكتفي بتخفيف المعاناة والآلام على الضحايا في أحسن أحواله ولو مؤقتا، ولا يركز عمله على علاج الأسباب

الحقيقة للمآسي والأزمات في جذورها الأصلية التي ترتبط بالنظام السياسي الدولي، فهو والحال هذه ليس فقط في خدمة هذا النظام، بل هو يعمل على تخليده، وبالتالي فإن العمل الإنساني في نظام غير إنساني هو وهم لكي لا نقول سخافة"[1].

"تطرح في الوقت الحالي إشكالية إعادة تعريف العمل الإنساني بعد كل التحولات العميقة التي مسته في الشكل والجوهر، وفي ظل البيئة الجديدة المحيطة به، والتحولات التي يشهدها من حيث التحول السياسي والمؤسسي والتي تركت بصماتها على المنظمات الإنسانية...التي لم تعد تلك المنظمات الاغاثية التي تهتم بتقديم أعمال الإغاثة الإنسانية مثلما كان الحال في القرن العشرين، بل باتت تشهد توسعا كبيرا في أهدافها... وقد تقع بعض المنظمات الإنسانية في فخ التسييس لنشاطها، وربما الابتعاد عن مبادئ الحياد والاستقلالية وهو ما حدث في حالة "منظمة أوكسفام Oxfam"التي شجعت تدخل الناتو في كوسوفو"[2].

هناك حالات أخرى تعكس بوضوح التحول العميق الذي شهده العمل الإنساني والذي كلفه الخروج عن إطاره الإنساني والأخلاقي، ويدخل فضاءا واسعا محفوفا بالخطورة والمغامرة كما سنوضح ذلك لدى تطرقنا بالتحليل للعينات المنتقاة في هذه الدراسة.

المطلب الأول: رهانات الواقع الجديد

إن العمل الإنساني اليوم، أصبح يشكل جزءا من البيئة الاتصالية الحديثة وقد استجابت المسألة الإنسانية بسرعة إلى الحاجة للالتزام المباشر أو غير المباشر للتحولات السياسية والجيوسياسية التي خلخلت أركان المجتمع الدولي وسهلت بأسلوب مذهل ظهور هذه الحركية، ولقد لعب التطور العلمي والتكنولوجي دورا محوريا في تشكيل عالم اليوم المتميز بتحكم التكنولوجيا الحديثة في صيرورة الحياة اليومية الإنسانية.

ومثلما تجلت أثار وملامح هذا التأثير على مختلف جوانب الحياة السياسية والاجتماعية والثقافية تأثرت بدورها الأعمال الإنسانية بهذا التحول إيجابا أو سلبا.

---

[1] محمد بلعلي، **العمل الإنساني والتبشير**، مرجع سابق، ص14.

[2] سعيد طه، **العمل الإنساني في مرحلة ما بعد الحرب الباردة للباحث مايكل بارنيت**، مرجع سابق.

لقد تحسنت عملية أداء المنظمات الإنسانية عن طريق تسريع وتيرة التحضير بدقة متناهية خصوصا في البحث والاتصال عن طريق توظيف الشبكة الدولية للمعلومات في استسقاء الأوضاع والظروف التي تعيشها الجماعات والأفراد في مناطق النزاع المختلفة من العالم بالاعتماد على ما تنقله وسائل الإعلام وكذا توظيف وسائل النقل والاتصال وكذلك تقنيات التصوير والرصد عن طريق الأقمار الصناعية وجمع المعلومات الأساسية وبالتالي تحديد الاحتياجات الحقيقية المطلوب توفرها.

كل هذه التطورات حققت نجاحات على المستوى المادي للعمل الإنساني، وساهمت إلى حد كبير في تكريس أسس العمل الاحترافي المبني على التخطيط العلمي والكفاءة العالية في الممارسة والتدخل، ولكن بالمقابل أفرزت العوامل التكنولوجية التي أصبحت تحاكي الواقع أو تحل محله إضافة إلى التغطية الإعلامية المبالغ فيها والتي غالبا ما تأتي على شكل سيل من الصور والتعاليق حول المآسي التي تترتب عن الأزمات الدولية المتفاقمة تتسبب في تحقيق عكس ما هو منتظر، بحيث يمكن أن تعطل تفكير المتلقي الذي لم يعد يتفاعل مع الحدث بكل تفاصيله المرعبة التي تحقق الصدمة لدى المتلقي، فتحرك فيه العاطفة بدل العقل وسرعان ما تزول آثار الصدمة، وتتلاشى تفاصيل الصور في مخيلة المتلقي عندما يعي أن هناك من يتكفّل مكانه بالمآسي والأزمات.

إن التحول الذي عرفه العمل الإنساني على مستوى المبادئ والسلوك الأخلاقي التي ظل يمثل عامل قوته ومصدر اعتزازه وقبوله لدى كل الأطراف الفاعلة في حركية المجتمع الدولي أدخل هذا النشاط الإنساني واقعا جديدا تم بموجبه التحرك وفق المبادئ التي حصنته لقرون طويلة وفتح الآفاق أمام كل الاحتمالات.

وفي محاولة منها لمعرفة السياقات المختلفة التي أصبح يتحرك ضمنها العمل الإنساني، قامت رئيسة وحدة البحوث في منظمة أطباء بلا حدود "كارولين أبو سعدي" بدراسة معمقة من إجراء أكثر من 7000 لقاء مع المستفيدين من العمل الإنساني في عشرة بلدان بهدف معرفة وفهم التطورات التي يحملها هؤلاء حول المساعدات الإنسانية، وقد خلصت الباحثة إلى مجموعة من النتائج أهمها:" إن فهم تصورات الآخرين مهم بشكل خاص في عالم متغير

يشهد تحديد علاقات قوى السياسات الاجتماعية العامة وتداخلا متعمدا بين العمليات الإنسانية والعسكرية مع محاولات تغيير الهدف للعمل الإنساني من قبل جهات فاعلة جديدة فتربط التصورات بالمشهد الجيوسياسي فضلا عن الصعوبات المتنامية في الوصول إلى السكان في المناطق المعزولة"[1].

المطلب الثاني: تداعيات التحول

يؤكد عديد الباحثين أن التحولات العميقة التي طرأت على مضامين العمل الإنساني وبفعل اكراهات الواقع، جعلت المنظمات الإنسانية غير الحكومية أكثر عرضة لعوامل التحكم الخارجي التي تؤثر بدورها على هوية العمل نفسه، وسلوكيات المنظمة، ومبادئها وبالتالي يصبح عامل القوة والسلطة هو المعيار المحدد لمسارات المسألة الإنسانية بدل الأخلاق وهناك أمثلة عديدة من الواقع تؤكد كيف تم إجبار المنظمات الإنسانية على العمل وفق مبادئ لا تمت بصلة إلى طبيعة العمل الإنساني بل تتعارض حتى مع مصالح وأهداف المنظمة نفسها، مثلما حدث في حروب الخليج وفي الصومال ودارفور وفي حالات أخرى ويخلص أحد الباحثين بالقول أن المنظمات الإنسانية والحال هذه باتت أمام خيارين لا ثالث لهما[2]:

- إما التمسك والمحافظة على مبادئ العمل الإنساني.
- المساومة وتقديم تنازلات للجهات المانحة.

وإذا كان الخيار الأول المتضمن التمسك بالمبادئ التي تحكم العمل الإنساني غير ممكن عمليا بعد أن تعقدت الأمور وتداخلت المفاهيم في الزمن الحالي، فإن الاحتمال الثاني سيبقى سيد الموقف خصوصا وأن كل المؤشرات والدراسات المستقبلية تؤكد على نشاط المنظمات الإنسانية غير الحكومية لم يعد ذا صلة بالجوانب الأخلاقية التي أصبحت تمثل الحلقة المفقودة أمام تفاقم الأزمات الدولية واستفحال ظاهرة الإرهاب الدولي ودخول مصطلح التدخل الإنساني قاموس العلاقات الدولية كبديل للعمل الإنساني لكن بقوة السلاح ومبرر المصالح

[1] كارولين أبو سعدي، **في عيون الآخرين**، منظمة أطباء بلا حدود، www.msf-me.org تاريخ النشر: 2011/12/14، تاريخ الاطلاع: 2014/06/16، سا: 21:15.

[2] سعيد طه، **العمل الإنساني في مرحلة ما بعد الحرب الباردة**، مرجع سابق .

السياسية لا الأبعاد الإنسانية، وهو ما سنتطرق اليه في الفصل اللاحق المعنون بالعمل الانساني وإشكاليات التدخل المتضمن العناصر التطبيقية المقترحة في البحث ذات الصلة برهانات التحول العمل الانساني ضمن الاستراتيجيات الاتصالية التي أفرزها الواقع الجديد، ومدى تأثيرها على مبادئ العمل الإنساني وسلوك المنظمات الدولية غير الحكومية.

الفصل الرابع :العمل الإنساني وإشكالية التدخل

تمهيد:

يقتضي الواجب الإنساني التحرك بكل ما هو متاح أخلاقيا لمد يد العون نحو الآخر ومساعدته حتى يتجاوز مراحل الخطر التي تفرزها الصراعات والأزمات الإنسانية المعقدة، وهو واجب أخلاقي وسلوك إنساني محمود، شرّعته الرسالات السماوية وأقرته القوانين الوضعية التي اتخذت من مبادئ حقوق الإنسان المعلنة باسم المجتمع الدولي انشغالا دائما يتحدد على ضوئه مدى قدرة هذا المجتمع أو ذاك على صيانة وحماية حقوق الفرد بغض الطرف عن لونه ودينه وعرقه، وكذا التدخل كلما دعت الضرورة لإغاثة المتضررين حيثما كانوا كضحايا للصراعات الدولية المتفاقمة، وهو حق وواجب منصوص عليه في الإعلان العالمي لحقوق الإنسان واتفاقيات جنيف، وكذا مواثيق منظمة الأمم المتحدة، وقبل ذلك ظل التدخل لصالح الإنسانية منوطا بتحقيق المصلحة العامة للمجتمع الإنساني غير أن مفهوم إغاثة المتضررين لم يعد نفس السلوك الإنساني كما بدأ تحركا تلقائيا فطريا تؤديه مجموعات انسانية استجابة للضمير والأخلاق، فظاهرة التحول المتسارع للمجتمعات الإنسانية وكذا التعقيد التي أصبح يميز العلاقات الدولية بفعل تداخل وتشابك المصالح واختلاف الرؤى، ساهمت إلى حد بعيد في إعطاء مفهوم التدخل معاني وأبعاد أخرى في غاية الأهمية والخطورة، دفعت بالباحثين المهتمين بالمسائل الإنسانية، لكي يعبروا عن مخاوف ويتحفظون حول خطورة هذا التحول.

يطرح موضوع التدخل الإنساني منذ ظهوره إشكاليات فقهية وتطبيقية واسعة بسبب اختلاف الرؤى وتداخل المصالح لدى الأشخاص والدول والمنظمات، وأيضا لكونه يرتبط بمسألة حساسة يلفها الغموض والخطر، وهي مسألة اللجوء إلى القوة لحل وفظ النزاع، كما أنه يصطدم بمبادئ تقليدية ظلت على مر الزمن معايير ثابتة في العلاقات الدولية مثل مبدأ السيادة المطلقة للدولة ومبدأ عدم التدخل في الشؤون الداخلية الذي يعتبر من وجهة نظر القانون الدولي انتهاكا صارخا لمفهوم السيادة ومبدأ المساواة في السيادة بين الدول ومنع اللجوء إلى القوة لحل النزاعات والحروب، ولا يزال النقاش مستمرا إلى الآن حول مدى

مشروعية التدخل الإنساني ومدى مطابقته مع المبادئ التي تحكم العلاقات بين الدول، حيث أثير خلاف فقهي واسع، وتعددت اتجاهاته بين معارض، ومؤيد، ومتحفظ.

انطلاقا من هذه الخلفية النظرية، نحاول الولوج إلى الجوانب التطبيقية للبحث بمحاولة فهم طبيعة التحرك الميداني لكل من الإعلام من جهة، والعمل الإنساني من جهة ثانية، وهذا عندما يتواجدان ويتواجهان في فضاء الأزمة، ومدى استجابة كل من الظاهرة الاتصالية والظاهرة الإنسانية للوازع الأخلاقي الذي سنته المبادئ التأسيسية التي يفترض أن يحتكم إليها وذلك حتى يتسنى لنا فهم حقيقة الخطاب المعلن والمقاصد الضمنية.

المبحث الأول: القانون الدولي والتدخل الإنساني

يرتبط مفهوم التدخل الإنساني بتاريخ الصراع، وتبرير استعمال القوة، فإذا كانت المجتمعات البدائية كما تثبته الدراسات التاريخية في غنى عن تبرير اللجوء إلى الاعتداء لتحقيق بعض الحاجيات الضرورية للحياة من مأكل ومشرب، فإن ظاهرة تنوع الحاجيات الإنسانية خلق دوافع لشن العدوان، وتزايد الأطماع في إخضاع الآخر بقوة السلاح ومن ثم سلبه ممتلكاته أصبح مبررا كافيا لشن العدوان.

وبقدر ما تجدّر مفهوم الحضارة في الحياة الإنسانية، بقدر ما تراجع مبرر إعلان الحروب، لاسيما بعد أن بدأت المجتمعات البشرية تعرف بعض التعقيد والتشابك في المصالح والحاجات إلى بناء علاقات تبادل وتفاعل في شتى مناحي الحياة، ومن ثم لم يعد للاعتداء معنى دون تقديم مبررات مقنعة توجب قيام حرب، أو الدخول في صراع لذلك لجأت الدول الاستعمارية عبر مراحل متلاحقة من التاريخ إلى البحث عن بدائل للطرق والأساليب القديمة في اللجوء إلى العدوان ولتحقيق النجاح لحملاتها الاستعمارية التوسعية في مشارق الأرض ومغاربها، فكان أن ظهرت مبررات غير معهودة، حيث عمدت تلك الدول إلى إضفاء الطابع الأخلاقي على نشاطها الاستعماري كأشبه ما يكون بمساحيق تجميل لتاريخ استعماري بغيض قوامه الظلم والاعتداء، ونهب خيرات وثروات البلدان والدول غير

متمدنة"•، لذلك ظهرت ملامح جديدة لمفهوم التدخل الذي يهدف إلى نشر العلم والفضيلة وتطوير الحياة المدنية، وكذرائع للتدخل في شؤون الدول الضعيفة، فكانت هذه الملامح إيذانا بظهور التدخل الإنساني الذي بدأ يترسخ تدريجيا في القاموس السياسي والعلاقات الدولية.

سنتطرق فيما يلي إلى مفهوم القانون الدولي الإنساني، نشأته، وكذا الأسس النظرية التي قامت عليها فكرة التدخل والعوامل التي ساهمت في تطور المفهوم

المطلب الأول: القانون الدولي الإنساني: المفهوم والنشأة

تتعدد تعريفات القانون الدولي الانساني لدى فقهاء القانون، لكنها تجتمع حول فكرة موحدة هي توفير الحماية للفرد وحقوقه، لاسيما فترات الصراع، وسنتطرق فيما يلي إلى اهم التعاريف التي أعطيت لهذا المفهوم.

الفرع الأول: ماهية القانون الدولي الإنساني:

يعرف "عامر الزمالي" القانون الدولي الإنساني بأنه:" فرع من فروع القانون الدولي العام، تهدف قواعده العرفية والمكتوبة إلى حماية الأشخاص المتضررين في حالة نزاع مسلح بما ينجر عن هذا النزاع من آلام، كما يهدف إلى حماية الأموال التي ليست لها علاقة مباشرة بالعمليات العسكرية"[1].

هناك من يقدم التعريف التالي "هو مجموعة قواعد القانون الدولي التي تستهدف في حالات النزاع المسلح حماية الأشخاص الذين يعانون ويلات هذا النزاع، وفي إطار أوسع حماية الأعيان التي ليست لها علاقة مباشرة بالعمليات العسكرية"[2].

وتعرفه اللجنة الدولية للصليب الأحمر بأنه:" مجموعة القواعد الدولية، الموضعية بمقتضى معاهدات أو أعراف والمخصصة بالتحديد لحل المشاكل ذات الصفة الإنسانية

• العالم في نظر الغرب مقسم إلى مناطق متمدنة، ومناطق نصف متمدنة وأخرى غير متمدنة، وهو ما يتيح التدخل الإنساني لفرض الحضارة والتمدن.
ينظر: أحمد سي علي، **دراسات في التدخل الإنساني**، مرجع سابق، ص 10.

[1] عامر الزمالي، **مدخل إلى القانون الإنساني**، المعهد العربي لحقوق الإنسان، تونس، ط1، ص 07.

[2] شريف علتم، **محاضرات في القانون الدولي الإنساني**، دار المستقبل العربي، القاهرة، ط1، 2001، ص 10.

الناجمة مباشرة عن النزاعات المسلحة الدولية أو غير الدولية والتي تعدُ لاعتبارات إنسانية من حق أطراف النزاع في اللجوء إلى ما يختارونه من أساليب أو وسائل للقتال وتحمي الأشخاص والممتلكات"[1].

يعرّف دليل "سان ريمون" لعام 1994 القانون الدولي الإنساني بأنه:" القواعد الدولية التي وضعتها المعاهدات أو الأعراف، وتحدد حق أطراف أي نزاع في اختيار وسائل او أساليب الحرب، أو تحمي الدول غير الأطراف في النزاع أو الأعيان والأشخاص الذين يتأثرون أو من المحتمل أن يتأثروا من النزاع"[2].

في حين ترى "ماري تيريزا دوتلي" أن القانون الدولي الانساني هو مجمل القواعد القانونية التي تكون الدول ملزمة باحترامها والتي تستهدف توفير الحماية لضحايا النزاعات الدولية وغير الدولية"[3].

الفرع الثاني: نشأة القانون الدولي الإنساني:

تعود نشأة القانون الدولي الإنساني حسب الدراسات التاريخية إلى أواسط القرن 19 عشر، عندما كانت معركة "سولفرينو""Solfirino" (1859) تدور رحاها بين جيش نابليون الثالث، والجيش النمساوي، وقد خلفت ما يقرب من 40 ألف من الجرحى في صفوف الجيشين كانوا ينازعون لحظاتهم الأخيرة في غياب تام للخدمات الطبية العسكرية، وتصادفت هذه الظروف الإنسانية الفظيعة تواجد رجل الأعمال السويسري "هنري دونان" الذي وتحت صدمة الواقع، سارع إلى بناء مستشفى صغير داخل كنسية القرية وطلب المساعدة من أهالي القرية لإنقاذ من بقي على قيد الحياة من الجيشين.

---

[1] اللجنة الدولية للصليب الأحمر، **الحرب والقانون**، www.icrc.org/ar/war-and-law

[2] دليل سان ريمون بشأن القانون الدولي المطبق في النزاعات المسلحة في البحار، أعده عدد من القانونيين الدوليين والخبراء البحريين الذي دعاهم المعهد الدولي للقانون الإنساني للإجتماع، المجلة الدولية للصليب الأحمر، العدد 309، 31 ديسمبر 1995.

[3] ماريا تيريزا دوتلي، **التدابير الوطنية اللازمة للبدء في تنفيذ القانون الدولي الإنساني**، تقديم أ.د مفيد شهاب، دراسات في القانون الدولي الإنساني، دار المستقبل العربي، القاهرة، ص 543.

أربع سنوات بعد الحرب قرر "دونان" تدوين ذكرياته عن "سولفيرنو" في كتاب نشر سنة 1862 تحت عنوان:" تذكار سولفرينو ضمنه فكريتين ثوريتين: الأولى إنشاء جمعيات إغاثة مستقلة في كل بلد لإغاثة ضحايا الحروب والثانية وضع اتفاقية دولية لتقنين قيامها ونظام عمالها"[1].

لقيت أفكار الرجل قبولا واسعا وتكللت بالدعوة إلى انعقاد مؤتمر دبلوماسي عالمي لبحث أفكار ومقترحات "دونان" وخرج المؤتمر باتفاق يقضي بإنشاء جمعيات الغوث الدولية التطوعية، عرفت باتفاقية جنيف الأولى سنة 1864 وقد وقعتها 16 دولة بموجب ذلك أنشئت اللجنة الدولية للصليب الأحمر في سنة 1899، تم توقيع اتفاقية جنيف الثانية التي عملت على تعميم الحماية على جرحى الحروب البحرية وناقشت إنقاذ الغرقى.

وفي سنة 1914 اندلعت الحرب العالمية الثانية وتميزت من الجانب الإنساني بنشاط اللجنة الدولية للصليب الأحمر التي تكفلت بالجرحى والمصابين في المعارك البرية والبحرية وانتهت الحرب سنة 1919 بنتائج فضيعة، حرّكت المجتمع الدولي نحو بحث انتهاكات الحرب وإعلان اتفاقية جنيف الثالثة عام 1929.

في سنة 1941 اندلعت الحرب العالمية الثانية، وقد تميزت بالتزام الدول المتقاربة بقوانين اتفاقيات جنيف الثلاثة لكنها شهدت في المقابل جرائم إبادة جماعية، حيث ألقيت القنابل الذرية على هيروشيما ونجاكازاكي لأول مرة في تاريخ البشرية والحروب.

بعد انتهاء الحرب سنة 1945 اجتمعت اللجنة الدولية للصليب الأحمر سنة 1949 لمناقشة النتائج وأسفرت عن توقيع اتفاقيات جنيف الرابعة، وتضمنت نفسها أربع اتفاقيات: الأولى تتمثل في إثراء الاتفاقيات الثلاثة الأولى مع إضافة اتفاقية رابعة عرفت باتفاقية جنيف بشان حماية المدنيين أثناء الحرب، وهي أول اتفاقية دولية تناولت أحوال المدنيين في الحروب[2].

---

[1] مي عبد الغني، **في البدء كانت سولفيرنو: قصة نشأة القانون الدولي الإنساني** (قانون الحرب)، htpp://www.sasapos7.com تاريخ النشر 2015/01/17، تاريخ التصفح: 2018/06/02، سا: 18:28.

[2] مي عبد الغني، **في البدء كانت سولفيرنو: قصة نشأة القانون الدولي الإنساني** (قانون الحرب)،مرجع سابق.

لقد حاولت اتفاقيات جنيف في مجملها الإحاطة بعمل المبادئ الإنسانية المطروحة كحماية الجرحى والمنكوبين في البر والبحر وأسرى الحروب وحماية المدنيين، وتوفير الخدمات الطبية وحماية أفرادها، لكن رغم كل هذه الجهود ظهرت ثغرات في القانون الدولي الإنساني مثل آليات سير العمليات القتالية، وحماية السكان المدنيين من آثار العمليات العسكرية وهو ما عجل بظهور بروتوكولين إضافيين سنة 1977 يكملان اتفاقيات جنيف ويتضمن البروتوكول الأول: توسيع مفهوم النزاع المسلح الدولي ليشمل حركات التحرر الوطني ومنع العمليات العشوائية أو الانتقامية في حق المدنيين، واعتبره جريمة حرب، بينما تضمن البروتوكول الثاني إرساء لقواعد قانونية تطبق خلال النزاعات المسلحة غير الدولية الناجمة عن حالات التمرد الداخلي للدول.

لم تتوقف جهود المجتمع الدولي إلى اليوم في البحث عن أنجع الوسائل والآليات التي تضمن احترام قوانين الحرب وحماية المشاركين فيها، حيث تواصلت الجهود بإعلان النظام الأساسي للمحكمة الجنائية الدولية سنة 2002.

المطلب الثاني: التدخل الإنساني: الأسس والمنطلقات

يميز الباحثون في تناولهم لمفهوم التدخل الإنساني بين فترتين: فترة ما قبل الحرب العالمية الثانية وفترة ما بعدها، بحيث تطورت مضامين ومعاني هذا المفهوم كما سنوضح ذلك من خلال التطرق إلى الأسس النظرية لفكرة التدخل والتطور التي عرفه.

الفرع الأول: الأسس النظرية لفكرة التدخل

إذا كان مصطلح التدخل لاعتبارات إنسانية جديد نسبيا في قاموس العلاقات الدولية، فقد تم توظيفه بشكل من الأشكال في المجتمعات القديمة ، وتتباين وجهات نظر الفقهاء حول تاريخ ظهوره، حيث هناك من يرى أن نظرية التدخل الإنساني ليست نظرية مستحدثة أو جديدة في القانون الدولي "فقد عرف القانون التقليدي الذي كان يجيز استخدام القوة واللجوء اليها كأداة

لتسوية النزاعات الدولية نظرية شاملة مشابهة لها تماما، وعرفت هذه النظرية بنظرية "التدخل لصالح الإنسانية"•.

هناك من الباحثين من يعتقد بأن النظرية المذكورة لها جذور في الفكر الديني، بحيث تتبنى الإسلام نظرية "الاستنقاذ"• كأساس لحماية المضطهدين من الظلم والاعتداء لقوله تعالى:" **"وما لكم لا تقاتلون في سبيل الله والمستضعفين من الرجال والنساء والولدان الذين يقولون ربنا أخرجنا من هذه القرية الظالم أهلها، واجعل لنا من لدنك وليا واجعل لنا من لدنك نصيرا"**[1] صدق الله العظيم، وفي الفكر الكنيسي يرتبط المفهوم بفكرة الحرب العادلة للقديس "أوغستين" و"توما الاكويني" ثم ما لبثت نظرية التدخل لصالح الإنسانية أن وجدت طريقها إلى الفقه القانوني بفضل "فيتوريا":" الذي يؤكد أن معالجة ملك ما لرعاياه بقسوة وجور تسمح للملوك الآخرين باستخدام القوة العسكرية ضده باسم الحرب العادلة"[2].

ولعّل من المذاهب الأكثر تأثيرا في التنظير لمفهوم التدخل الإنساني بمفهومه القديم، نجد مذهب القانون الطبيعي الذي يمثله عدد من الفقهاء من أمثال "جروسيوس" و"قاتيل"

• **تجد نظرية "التدخل لصالح الإنسانية"** جذورها في الديانات الساموية، ففي الفكر الديني الاسلامي، تعتبر فكرة الجهاد في سبيل الله اعلانا صريحا عن التدخل لصالح حماية الإنسانية، وفي الفكر الكنيسي تجد الفكرة صادها في أفكار القديس "اوغستين" و"توما الأكوني"، التي تشير إلى فكرة الحرب العادلة، الذي أصبح اليوم مفهوما واسع التداول في القائد العسكري المعاصر، ثم ما لبثت هذه الأفكار ان تسللت إلى الفقه القانوني الدولي على يد "فيتوريا" الذي يعتبر أن جور الملوك وظلمهم كفيل بالسماح باستعمال القوة من طرف ملوك آخرين لردع الظلم، كما حاول مذهب القانون الطبيعي تطوير الفكرة باعتبارها حقا طبيعيا لكل الشعوب لمحاربة الاستبداد، قبل أن يتراجع هذا المذهب أمام بروز ما يعرف بمذهب القانون الوضعي على يد "أوبنهام" الذي يقر بحق التدخل بغرض إقامة نظام قانوني متحضر وانساني، ينظر أحمد سي علي، **دراسات في التدخل الإنساني**، م س، ص 20.

• **تقوم نظرية الاستنقاذ** في الإسلام على أساس الأخوة الإسلامية التي توجب التدخل لحماية المضطهدين في دينهم أو المأسورين أو المتعرضين للظلم وذلك برفعه عنهم وتخليصهم منه بشتى الوسائل المشروعة والمتاحة ولما كان الإسلام دين حرية وعدالة ومنهج حياة تقوم على العدل والحق وتنبذ الظلم والجور والاستبداد والعبودية لغير الخالق الواحد، ربط الإسلام بين حماية المستضعفين ونظرية الدفاع عن مصالح الأمة دينية كانت أم دنيوية، ولتحقق نظرية الاستنقاذ في الإسلام بطريقتين هي:

السبل الشخصية للاستنفاذ: التي توجب على الضحايا ممن هم عرضة للاضطهاد التحرك بالقيام بأي عمل يخلصهم من الاستضعاف ويعيد إليهم حريتهم المسلوبة مثل الهجر، الهرب، أو المقاومة امتثالا لقوله تعالى:**" إن الذين توفاهم الملائكة ظالمي أنفسهم قالوا فيم كنتم، قالوا كنا مستضعفين في الأرض قالوا ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها، فأولئك مأواهم جهنم وساءت مصيرا"** صدق الله العظيم.

السبل الدبلوماسية للاستنفاذ: وهي مهمة تقع على عاتق المسلمين اعتبارا لأخوة الدين التي تفرض عليهم اتخاذ كل الوسائل المتاحة كالحال والمعاملة بالمثل أو استعمال الوساطات، وهي كلها وسائل سلمية وفي حالة أن تعذر تحقيق الاستنقاذ يصبح ضروريا وواجبا التفكير في الوسائل القصرية التي قد تصل إلى حد استعمال القوة".

التدخل الإنساني لحماية الأقليات بين القانون الدولي العام ونظرية الاستنقاذ في الإسلام، المجلة الإفريقية للعلوم السياسية.

تاريخ النشر 23 أكتوبر 2012 www.maspolitique.com تاريخ التصفح 16 جوان 2017 سا:18:00.

[1] سورة النساء، الآية74.

[2] أحمد سي علي، **دراسات في التدخل الإنساني**، مرجع سابق، ص 20-21.

و"بوفوندروف" الذي دافعوا عن الفكرة كحق طبيعي للشعوب في التدخل لمحاربة استبداد دول أخرى.

ثم ما لبث هذا المذهب أن تراجع تأثيره أمام ظهور مذهب جديد هو "مذهب القانون الوضعي" الذي أعطى تفسيرا جديدا لنظرية التدخل لصالح الإنسانية، حيث كرّس "أوبنهايم" في كتاباته فكرة الرأي العام الدولي الذي يمتلك وظيفة المطالبة بالتدخل في حالة ما إذا ثبت تعرض دولة ما للاضطهاد أو ما يتعارض مع المبادئ الإنسانية المتعارف عليها، وهو ما يذهب إليه "انطوان روجيه"، حيث يرى أنه يمكن للدولة اللجوء إلى القوة إذا ما اقتنعت أن دولة أخرى ترتكب جرائم في حق الإنسانية عن طريق القمع وانتهاك كل طقوس الإنسانية.

ولعّل الاختلاف بين الفقهاء حول الأصول النظرية لفكرة التدخل الإنساني هو الذي صعّب من مهمة تحديد ماهية المفهوم نفسه لذلك جاءت التعاريف التي قدمت المفهوم متباينة إلى حد التضارب، ويفرق الباحثون في هذا المجال بين فريقين من فقهاء القانون الدولي: فريق يجسد المعنى الضيق للمفهوم كالذي يقدمه "Stewell": "التدخل لاعتبارات إنسانية هو استخدام القوة العسكرية لهدف مبرر يتمثل في حماية رعايا دولة أخرى من المعاملة الاستبدادية والتعسفية المتواصلة والتي تجاوزت حدود السلطة التي يفترض أن تتصرف ضمن حدودها حكومة الدولة المعنية على أساس العدالة والحكمة"[1].

ويقترب "دافيد شيفر" "David Scheffer" من التعريف نفسه بوصفه للمفهوم بأنه:" تلك المجالات التي تستخدم فيها الدولة القوة العسكرية بطريقة منفردة للتدخل في دولة أخرى لحماية جماعات من السكان الأصليين، مما يهدد حياتهم أو الانتهاكات الأخرى التي تهدد حقوقهم الإنسانية والتي ترتكب بمعرفة الحكومة المحلية أو تكون مشاركة فيها"[2].

من جهته يقدم "محي الدين عوض" التعريف التالي للتدخل الإنساني:" هو ضغط فعلي تمارسه دولة على دولة أخرى بقصد إلزامها بالعدول عن تصرفات تعسفية تأتيها بالنسبة

[1] عماد الدين عطا الله المحمد، **التدخل الإنساني في ضوء مبادئ وأحكام القانون الدولي العام**، دار النهضة، القاهرة، 2007، ص209.

[2] أبو العلاء أحمد عبد الله، **تطور مجلس الأمن في حفظ السلم والأمن الدوليين**، مجلس الأمن في عالم متغير، دار الجامعة الجديد، مصر 2008، ص 152.

لرعاياها أو رعايا غيرها من الدول المقيمين على أرضها أو الأقليات الجنسية أو الدينية أو السياسية أو الدينية أو السياسية المقيمة بإقليمها"[1].

وبتوجه أكثر عمقٍ واتساعٍ، يحاول أنصار المعنى الواسع للتدخل الإنساني الربط بين استعمال القوة العسكرية، وبين اعتماد أساليب ضغط غير عسكرية بغية إجبار دولة ما على تغيرها سلوكاتها الإنسانية.

فنجد مثلا "بيتاتي""Bittati" الذي يعتقد أن التدخل الإنساني:" يمكن أن يتم عن طريق تدخل دولة أو منظمة حكومية في شؤون داخلية لدولة أخرى، وأن هذه التدخلات من قبل أشخاص عاديين أو من قبل مؤسسات أو شركات خاصة أو من قبل منظمات دولية غير حكومية لا ترقى أن تشكل تدخلا دوليا وإنما مخالفات داخلية يتصدى لها القانون الداخلي للدولة"[2].

بينما يرى "بسيوني" أن التدخل الإنساني يشير إلى:" تقديم المساعدات الإنسانية في ظل قوة مسالمة تحميها، وتفرض تقديم هذه المساعدات فإذا لم تكن هناك صعوبات، فكان يمكن الاكتفاء بدور اللجنة الدولية للصليب الأحمر ومؤسسات الإغاثة الأخرى، ولكن التدخل بقوة مسلحة لتوفير المساعدات يتضمن وجود حالة إكراه سواء إكراه الحكومة القائمة أو الأطراف الأخرى في النزاع، ويجب أن يقع التدخل لأسباب إنسانية محضة، وبهدف تقديم المساعدات الإنسانية للأفراد المحتاجين عن طريق الأمم المتحدة وأجهزتها أو بتفويض صريح منها"[3].

الفرع الثاني: تطور فكرة التدخل الإنساني

لمّا كانت فكرة التدخل الإنساني توحي ضمنيا إلى مسألة اللجوء إلى استعمال القوة لتحقيق غاية إنسانية محددة، فإن اللجوء إلى استعمال القوة في حد ذاته يوحي إلى إمكانية خرق جسيم لأهم الحقوق الإنسانية لاسيما ما تعلق منها بالحق في الحياة، والحق في السلامة البدنية التي

[1] عماد الدين عطا الله المحمد، **التدخل الإنساني في ضوء مبادئ وأحكام القانون الدولي العام**، مرجع سابق، ص 305.
[2] بخوش حسام، **آليات تطبيق القانون الدولي الإنساني على الصعيد الدولي**، دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2012، ص 174.
[3] عماد الدين عطا الله المحمد، ، **التدخل الإنساني في ضوء مبادئ وأحكام القانون الدولي العام**، مرجع سابق، ص 312.

تأتي على رأس حقوق الإنسان، سواء في السلم أو الحرب وبناءا على ذلك تحدد معالم وحالات المفهوم، وكذا التغيرات التي طرأت عليه بالنظر لهذين المعيارين المتناقضين، معيار توظيف القوة ومعيار الحفاظ على حقوق الإنسان، وبالرغم من الحذر الشديد التي تم التعامل به مع فكرة التدخل الإنساني من قبل الفقهاء والباحثين بالنظر لما ينطوي عليه المفهوم من خطورة وتعقيد، فإن التطور التاريخي لفكرة التدخل أفرز واقعا في غاية الخطورة خاصة في فترة ما بين الحرب الباردة ونهاية القطبية الثنائية وبروز النظام الدولي الجديد الذي تقوده الولايات المتحدة الأمريكية، ولعّل من ملامح هذا التحول إستسهال مبدأ استعمال القوة المسلحة لحماية حقوق الإنسان في الدول المتقدمة بانتهاكها خارج الشرعية الدولية كما حدث في العراق وكوسوفو والتي سنعود إليها بالتحليل المفصل في ثنايا هذا الفصل.

لقد أوجدت فكرة التدخل الإنساني بالقوة العسكرية بطبيعة الحال معارضين ومؤيدين، وما بينهما موقف ثالث يطالب بتضييق مجالات التدخل الإنساني إلى أقصى ما يمكن فعله، وأن يقتصر على التحرك الجماعي داخل الإطار القانوني الذي تمثله منظمة الأمم المتحدة، وقد تبلورت المواقف بشكل كبير بعد أحداث 11 سبتمبر 2001 الذي يعتبر منعرجا حاسما ومرحلة أخرى من مراحل تطور فكرة التدخل الإنساني من خلال تقرير اللجنة الدولية للتدخل وسيادة الدولة التابعة للأمم المتحدة في 18-12-2011 "ولعّل أهم تطور في هذا الشأن استبدال تعبير التدخل الإنساني بتعبير آخر يمكن من خلاله إيجاد حل وسط بين مفهوم سيادة الدولة ومسؤوليتها المطلقة عن محاسبة رعاياها وحمايتهم وبين المسؤولية الجماعة الدولية عند انهيار سلطة الدولة أو انحرافها عن واجبها في حماية رعاياها، وأهم ما أضافه التقرير في هذا المجال هو إدخال مفهوم المسؤولية الدولية للحماية، كإطار أقل عدوانية من ناحية الشكل عندما يستبعد كلمة التدخل ويفرض مسؤوليات على العمل العسكري باستخدامه كلمة "الحماية"[1].

[1] أحمد سي علي، **دراسات في التدخل الإنساني**، مرجع سابق، ص 56.

إن فكرة التدخل التي ولدت من رحم الصراع والعدوان مع البدايات الأولى لتاريخ البشرية لترتبط لاحقا بالحملات الاستعمارية التي هيمنت على العالم قرونا طويلة لتعرف مرحلة التنازع في عهد القطبية الثنائية، ومن ثم تكتسب صفة إنسانية كذريعة لفرض الأمر الواقع على الطرف الضعيف في المعادلة الدولية في مرحلة ما بعد الحرب البادرة ثم مرحلة ما بعد 11 سبتمبر 2001 كمرحلة فارقة في منطق التحول الذي عرفته الفكرة، حيث اكتسب التدخل الإنساني مستوى فكريا جديدا بظهور مبدأ الحماية والمسؤولية الجنائية ولكن في المقابل كشف عمليا عن استحالة التفريق بين البواعث الإنسانية للتدخل، والبواعث السياسية، ولعّل التجارب التدخل في العراق وكوسوفو والصومال سابقا، وما يحدث اليوم في سوريا وقبلها ليبيا حيث تم توظيف المعايير الأخلاقية والانسانية فيه، خاصة وبالشكل الذي وظفت علنا لفرض السيطرة، وانتهاك حرمة الدول وسيادتها، ومن ثم خرق صارخ للشرعية الدولية الذي لا تزال تداعياته الخطيرة تلقي بظلالها على المجتمع الدولي والعلاقات الدولية إلى اليوم.

ولعّل هذا التطور الخطير هو الذي جعل فكرة اللجوء إلى الحل العسكري في إطار التدخل الإنساني تحاط بنظرة تشاؤمية من قبل فقهاء القانون والباحثون في مجال العلاقات السياسية أمام الانتهاكات المتكررة لمبادئ القانون الدولي الانساني، حيث انكبوا على محاولة ايجاد بديل لمفهوم التدخل بعيون سيادة الدول ويضمن عدم انتهاك حقوق الأفراد، حيث تم اقتراح مفهوم جديد أطلق عليه "المسؤولية الدولية للحماية" • إطار يبدو أقل عدوانية من مفهوم التدخل العسكري يفترض أن يحتكم اليه بتفويض من الأمم المتحدة ومجلس الأمن تجنبا لتكرار مآسي أخرى نجمت عن فكرة التدخل العسكري الانساني دونما احترام القوانين والأعراف الدولية، وما نجم عن ذلك من تجاوزات بفعل القرارات الانفرادية التي لا تستند إلى مبرر قانوني، مما فتح المجال واسعا أمام ظواهر غريبة وخطيرة مثل التوظيف السياسي للمسائل الإنسانية وازدواجية المعايير في التعامل مع الأزمات الدولية أمام غياب الوازع

• ظهر مفهوم المسؤولية الدولية للحماية بعد أحداث 11 سبتمبر 2001 على إثر التقرير الصادر عن اللجنة الدولية للتدخل وسيادة الدول كبديل لمفهوم التدخل الانساني الذي طالما أثار حفيظة فقهاء القانون الدولي بما يصنف به من تناقض بين مفهوم التدخل وربطه بالجانب الانساني، ولعّل المقصود بمفهوم المسؤولية الدولية للحماية هو إقناع المجتمع الدولي بوجود سلطة أخرى غير سلطة الدول حريصة على حماية حقوق الإنسان من الانتهاكات الداخلية والخارجية تحت وصاية ورقابة هيئة الأمم المتحدة ومجلس الأمن حتى لا تتكرر التجاوزات التي نجمت عن فكرة التدخل العسكري الإنساني في كثير من المجالات، ينظر: عمر سعد الله، معجم في القانون الدولي المعاصر، ديوان المطبوعات الجامعية، 2005، ص 111.

الأخلاقي الذي يحكم سلوك الدول والمنظمات وهو ما سنحاول توضيحه من خلال تقديم عينات تطبيقية من واقع المجتمع الدولي المعاصر في تعامله مع الأزمات الإنسانية المختلفة.

المبحث الثاني: التوظيف السياسي للقضايا الإنسانية في الأزمات والكوارث

يقول أحد المفكرين:" حالما تبدأ الحرب، تتوقف الأخلاقيات، ويصبح لزاما على القائد العسكري القيام بما يجب عليه القيام به لضمان تحقيق النصر بأسرع وقت ممكن"[1].

تحيلنا هذه المقولة حتما للحديث عن مسألة في غاية الخطورة والتعقيد هي مسألة التوظيف السياسي للمسائل الأخلاقية والإنسانية في العلاقات الدولية في أوقات السلم والحرب وهو ما يتضح بجلاء في التناقضات العديدة بين المبادئ الأخلاقية المعلنة والسياسات الحقيقية المتبعة في التعاطي مع القضايا الدولية الكبرى وفي مقدمتها الأزمات والصراعات الدولية المؤثرة فإذا كانت الحروب" لا تعلن إلا باسم تحقيق الخير"[2] على حد تعبير "برومان"" C'est toujours au nom du bien que se déclenchent les guerres"، فإن توظيف الإعلام والمسائل الإنسانية في إشعال الحروب وإثارة الفتن الداخلية أصبح واقعا في نظرالعديد من الباحثين وسمة من سمات المجتمع الدولي المعاصر التي تبعث على القلق حول حاضر ومستقبل الإنسانية في ظل علاقات دولية في غاية التعقيد لدرجة توحي بوجود عدم انسجام بين المبادئ الأخلاقية والإنسانية المعلنة وبين السياسات المنتهجة وفق رؤى ومصالح الدول العظمى والمهيمنة التي تتهم بسعيها إلى اعتماد أسلوب التوظيف السياسي "كأحد آليات القوة لتحريك الآخرين في الاتجاه المرغوب، الذي يتحقق إما بالإقناع أو الإغراء أو المقايضة أو الإكراه أو بأي وسيلة أخرى تتيحها الظروف على حد تعبير "نيكولاس سبيكمان"[3]، والواضح أن هذه العناصر التي أشار إليها الباحث مجتمعة تدخل ضمن ما أصبح يعرف بالتدخل الإنساني بشقيه السلمي أي عن طريق المساعدات الإنسانية، والحربي عن طريق التدخل العسكري المباشر، كما حدث في العراق والصومال وأفغانستان وكوسوفو، والذي

---

[1] دافيد فيشر، **الأخلاقيات والحرب**، ترجمة أ.د.عماد عواد، عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، جوان 2014، ص 40.

[2] Brauhan Rony, **Guerres et humanitaires, mensonges et INTOX**, www.editionstextuel.com 28/02/2018.

[3] إسماعيل صبري، **نظريات السياسة الدولية، دراسة تحليلية مقارنة**، الكويت، ذات السلاسل، 1968، ط 2، ص 66.

أصبح يحدث تحت مظلة الأمم المتحدة التي توفر الغطاء القانوني وتضفي الشرعية على كل تدخل عسكري "بدواعي إنسانية" رغم كونه يتعارض بشكل صريح مع كثير من المبادئ الثابتة في القانون الدولي والعلاقات الدولية مثل مفاهيم سيادة الدول وعدم التدخل في شؤونها الداخلية، من هنا تتضح العلاقة بين مفهوم التدخل الإنساني" و •"مفهوم التوظيف السياسي" اللذان يعتبران في نظر العديد "كوجهان لعملة نقدية واحدة". سنحاول في هذا الفصل عرض بعض الحالات الإنسانية لمحاولة التدليل على مدى قوة العلاقة التي تربط المفهومين بتبيان أهم الآليات التي توظف سواء في الشق السلمي لمفهوم التدخل الإنساني أو التي ترتبط مباشرة بالشق الحربي الذي يمثله التدخل العسكري المباشر تحت مظلة إنسانية، كما حدث في حروب الخليج وليبيا وسوريا وقبل ذلك ما حدث في الصومال وكوسوفو وغيرها من الأزمات الإنسانية التي عجلت بالتدخل العسكري الإنساني.

المطلب الأول: آلية التوظيف السياسي للقضايا الإنسانية

يقول ميرشايمر:" إن بيانات النخب السياسية يجري تطعيمها بشكل كبير بالتفاؤل والفضيلة، غير أنه وراء الأبواب المغلقة، تتحدث النخب التي تصنع السياسة الوطنية في المقام الأول لغة الحرب"[1].

نسوق هذا الكلام لمعرفة إلى أي مدى يمكن للاعتبارات الأخلاقية أن تؤثر في قرار إعلان الحرب أو إنهائها، مع الاعتقاد السائد هو " أنّ الاعتبارات الأخلاقية قد تؤثر في قرار الدخول إلى الحرب، لكن بمجرد اتخاذ القرار تصبح الأخلاق غير ذات صلة، حيث تحل محلها الضرورة العسكرية، بمعنى كل ما هو ضروري لتحقيق النصر"[2] على حد تعبير "ديفيد فيشر David Fisher" في ضوء هذا الطرح يتضح كيف استطاعت الولايات المتحدة

• **مفهوم التوظيف السياسي**: تعتبّر من المفاهيم المعقدة التي تتميز بندرة التعاريف حول ماهية التوظيف السياسي، كما يطلق عليه "التلاعب السياسي" وهو مفهوم قديم الاستعمال في الدراسات السياسية والإيديولوجية ويعرفه بعض الباحثين بأنه: استخدام جهة ما لإحدى القضايا للتحقيق مصلحة سياسية معينة أو استفادة جهة معينة من حدث بعينه بغية الوصول إلى هدف سياسي خاص بها من خلال تغليفه بغلاف ديني أو أخلاقي أو فكري لاستغلال الموقف والتلاعب به لصالحها وذلك عن طريق استخدام آليات ووسائل مختلفة، تتراوح بين أدوات السلم وأدوات الحرب"
سوزى محمد رشاد، **التوظيف السياسي لقضايا حقوق الإنسان والثورات العربية**، جامعة القاهرة، مصر، 2013، www.view.article.erepository.cu.edu.eg.

[1] دايفيد فيشر، **الأخلاقيات والحرب**، مرجع سابق، ص 36.

[2] دايفيد فيشر، المرجع نفسه، ص 53.

الأمريكية توظيف الحالة الإنسانية في حرب الخليج الأولى توظيفا سياسيا أدى في النهاية إلى استصدار قرار من مجلس الأمن يتيح لها وحلفائها التدخل عسكريا لاعتبارات أخلاقية تمليها المسائل الإنسانية مثل انتهاكات حقوق الإنسان في الكويت جراء الغزو العراقي وفي العراق ذاته بعد سلسله الإدانات المتكررة لأعمال القمع في شمال البلاد، حيث التمرد الكردي، والتمرد الشيعي في الجنوب، والتي أودت بحياة آلاف العراقيين ورافقتها موجة نزوح واسعة نحو الحدود هذه الظروف الإنسانية المأساوية وفرت الغطاء الإنساني والأخلاقي للتدخل لوضع حد للانتهاكات المتكررة لمبدأ حقوق الإنسان، ولم يبق إلا العمل على إضفاء طابع المشروعية على مبدأ التدخل.

ينبغي توضيح أن التدخل الإنساني يستند إلى مبدأين أساسين هما:

أ- مبدأ التدخل طبقا لمبدأ الإنسانية.

ب-مبدأ التدخل الإنساني طبقا لمبدأ عالمية حقوق الإنسان.

أ) التدخل الإنساني المباشر وفق مبدأ الإنسانية:

يقتضي الواجب الأخلاقي التحرك (التدخل) لتقديم المساعدة وإنقاذ من هو في خطر، اعتبارا لمبدأ حق الإنسان في الحياة، ومع أن عامل الإنسانية أثار جدلا فقهيا وسياسيا واسعا في مراحل متعاقبة من تاريخ الإنسانية إلا أن التطورات المتسارعة والتحولات العميقة التي عرفها المجتمع الدولي عززت من قيمة الفرد، وموقعه في القانون الدولي، بحيث أصبح بموجبه "من مجرد هدف لقاعدة قانونية إلى رعية ضمن المجتمع الدولي"•.

• يكتنف مكانة الفرد في القانون الدولي الكثير من الغموض، ويختلف فقهاء القانون حول مدى تمتع الفرد بالشخصية القانونية الدولية، بحيث يوجد مؤيدون ومعارضون وفق ثلاث نظريات هي:
النظرية الوضعية: التي تعتبر أن القانون الدولي لا يحكم إلا العلاقات بين الدول باعتبارها تتمتع بالشخصية القانونية الدولية على عكس الفرد الذي لا يتمتع بالسيادة، مما ينبغي عنه صفة الشخصية الدولية.
النظرية الموضوعية: (الواقعية) ترى أنه ما دام القانون الدولي يتوجه في نهايته إلى الأفراد حكاما أو محكومين، فإن الفرد هو الشخص القانوني الدولي فقط وبالتالي فلا وجود لشخصية الدولة المعنوية لأنه في نظرهالمرجع نفسهوع من الخيال القانوني. هناك موقف وسط بين النظريتين تمثله **النظرية الحديثة:** التي تعتبر أن الفرد هو المستفيد من قواعد القانون الدولي لأن الهدف منه هو ضمان رفاهية الفرد وسعادة وبالتالي فإن للفرد صفة الشخص الدولي يمكن مخاطبته استثناءا عن طريق قواعد القانون الدولي ويصبح بموجب هذه الحالة شخصا قانونيا دوليا.
محمد بن العربي منار، **التدخل الإنساني ومسؤولية الحماية**، الحوار المتمدن، تاريخ النشر 2013/05/02، تاريخ التصفح: 2015/06/26 سا:13:47، www.m.ahnar.org

ومع التطورات التي عرفها المجتمع الدولي بدأت تتكرس تدريجيا قيمة الفرد وحقوقه الإنسانية (حقوق الإنسان) ليتخذ صفة العالمية وبالمقابل تراجع مفهوم السيادة الداخلية للدول، خاصة مع ظهور الأمم المتحدة وصياغة "الإعلان العالمي لحقوق الإنسان"•.

ب) التدخل الإنساني وفق مبدأ عالمية حقوق الإنسان:

إنه وبمجرد أن اكتسبت حقوق الإنسان صفة العالمية العابرة للقارات، برز مصطلح فقهي جديد في العلاقات الدولية هو "مسؤولية الحماية"• الذي يقوم على أساس التدخل قصد إنقاذ الشعوب التي تواجه الأخطار وذلك بتقديم المعونة سواء عن طريق الدول أو المنظمات الدولية غير الحكومية، ووفق هذا المبدأ تحركت الولايات المتحدة الأمريكية بتحالفها العسكري في العراق والبوسنة والصومال.

ففي حرب الخليج الثانية، فإن الحديث عن "تحرير الكويت" هو في حد ذاته كفيل بإضفاء مبدأ الشرعية على التدخل العسكري الإنساني، لأن الأمر هنا يتعلق بواجب أخلاقي وحق يكفله القانون الدولي الإنساني، وبالتالي فالحرب على العراق حرب "عادلة" بكل المقاييس والمعايير التي يستند عليها هذه المفهوم لذلك لقيت شبه إجماع دولي حول مشروعيتها أخلاقيا وقانونيا.

• **الإعلان العالمي لحقوق الإنسان**: هو وثيقة حقوق دولية تمثل الإعلان الذي تبنته الأمم المتحدة في 1948/12/10 بباريس، ويتألف الإعلان من ثلاثين مادة، وقد ورد في ديباجة الإعلان أن الجمعية العامة للأمم المتحدة تنادي بهذا الإعلان العالمي لحقوق الإنسان "على أنه المستوى المشترك الذي ينبغي أن تستهدفه كافة الشعوب والأمم، حتى يسعى كل فرد أو هيئة في المجتمع، واضعين على الدوام هذا الإعلان نصب أعينهم إلى توطيد احترام هذه الحقوق والحريات عن طريق التربية والتعليم..."
وقد ورد في المادة الأول من الإعلان :" يولد الناس أحرارا متساويين في الكرامة والحقوق، وقد وهبوا عقلا وضميرا وعليهم أن يعاملوا بعضهم بعضا بروح الإخاء".
ينظر: الإعلان العالمي لحقوق الإنسان، ويكيبيديا، الموسوعة الحرة، www.ar.m.wikipedia.drg/wiki

• **مسؤولية الحماية:** ظهر مصطلح "مسؤولية الحماية لأول مرة في تقرير اللجنة الدولية المعنية بالتدخل وسيادة الدول (CIISE) الذي صدر في ديسمبر 2001 المتضمن استبدال مصلح "الحق في التدخل" أو "واجب التدخل" الذي طالما ظل يثير الكثير من الجدل ولم يلاقي الإجماع لدى فقهاء القانوني ليحل محله مفهوم "مسؤولية الحماية".
يعرف المفهوم بأنه نهج جديد لحماية المدنيين من الجرائم الدولية كمعيار أساسي في القانون الدولي يتحول معه مفهوم السيادة كسلطة إلى مفهوم السيادة كمسؤولية ويقوم مبدأ مسؤولية الحماية على ثلاث أسس هي: 1) مسؤولية الوقاية أو المنع، 2) مسؤولية رد الفعل، 3) مسؤولية اعادة البناء والمتابعة، ينظر: محمد علوان، مسؤولية الحماية، اعادة إحياء التدخل الانسان، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، Https://www.dohainstitulé.prg تاريخ النشر: 10 جانفي 2017، تاريخ التصفح: 6 أكتوبر 2018، سا:23:00.

الفرع الأول: الآليات القمعية: التدخل الإنساني المباشر- حروب الخليج نموذجا-

أولا: مفهوم الحرب

في قاموس المعاني الجامع الحرب مصدر مشتق من حرَبَ، حَرَبَهُ حرباً، أي سلبه جميع ما يملك، ورجل حرِبٌ معناه شديد الغضب والحرب قتال ونزال بين فئتين عكسه سلمٌ والحرب مرادف للويل والهلاك"[1].

يرتبط ظهور الحرب بظهور الإنسان فهي ظاهرة قديمة اتخذت عبر التاريخ أشكالا مختلفة، بحيث تطور مفهومها بشكل عميق لدرجة أننا نتكلم اليوم عن أنواع متعددة من الحروب منها الحروب الشاملة والمحدودة والحروب الباردة، الأهلية والنفسية، والتحررية والاقتصادية والنووية والطائفية والوقائية والدفاعية... وفي العصر الحالي ظهرت تسميات أخرى للحروب مثل الحروب الاستباقية والحروب العادلة، والحروب القذرة، وسنعود لهذه الأنواع من الحروب بالتفصيل بعد تقديم أهم التعاريف التي قدمت لمفهوم الحرب.

يقدم "روسو" التعريف التالي لمفهوم الحرب:" هي عبارة عن صراع مسلح يقع بين الدول بهدف فرض التوجيهات السياسية باستخدام وسائل تم تنظيمها بموجب القوانين الدولية"[2].

والحرب في قاموس العلاقات الدولية هي:" نزاع بين أكثر من حكومة أو داخل حكومة واحدة تستخدم فيها القوة المسلحة، حيث تأخذ صورتين: الحرب الهجومية، والحرب الدفاعية..."[3].

ويعرف "كلاوفيتز" الحرب بأنها:" عمليات مستمرة من العلاقات السياسية، لكنها تقوم على وسائل مختلفة"[4].

---

[1] http://www.al.maany.com

[2] حسين قادري، **النزاعات الدولية**، دراسة وتحليل، باتنة، منشورات خير جليس، 2007، ص 15.

[3] حسين قادري، المرجع نفسه، ص 16.

[4] كارل فون كلاوزفيتز ، **في الحرب، الولايات المتحدة الأمريكية**، جامعة برينستون، 1976، ص 77.

ويذهب "توماس هوبز" إلى أبعد من ذلك في تعريفه للحرب فهي في نظره :"لا توجد فقط على أرض المعارك ولكن هي صراع بين الإرادات الوطنية يتحكم فيها عامل الزمان والمكان، أي أن الحرب ليست فقط المفهوم التقليدي وهي التصادم بين الجيوش ولكن الحرب مستمرة بين الجيوش ضمن ثنائية الزمان والمكان والظروف المتحكمة فيها"[1].

يلاحظ من التعاريف المقدمة أنها تقوم على أساس معايير مختلفة يتم اعتمادها في التمييز بين أنواع الحروب، فحسب "المعيار الجغرافي": يفرق الباحثون بين الحروب الداخلية والحروب الخارجية، ومن "حيث الخطورة": يتم تصنيف الحروب على أساس عدد الضحايا كمعيار الكمية، فالحرب إنما تسمى حربا إذا تجاوز عدد ضحاياها 1100 قتيل"[2].

وهناك من يأخذ "بمعيار طبيعة" الحرب حيث يفرق بين الحروب ذات الطبيعة القانونية وأخرى ذات الطبيعة السياسية.

في العصر الحديث ظهرت معايير أخرى تُصنّف وفقها الحروب والنزاعات مثل مفهوم الحرب العادلة (أي وفق معيار العدل)، والحروب القذرة (معيار أخلاقي)، والحرب الاستباقية (وفق معيار الزمن والسرعة).

توصف الحرب بأنها ظاهرة اجتماعية إنسانية، فلقد عرفتها البشرية منذ البدايات الأولى كالصراعات، والنزاعات المسلحة تحت مختلف التبريرات، ولقد طور الإنسان الوسائل المستخدمة في الأسلحة المختلفة لتصبح مع تقدم الزمن أكثر خطورة، وأكثر شراسة، وبالتالي أشد فتكا بالإنسان "الحرب هي الجحيم"[3]. كما يصفها "شيرمان"، لأنها تزرع الرعب، تنتج الضحايا، تهجّر السكان، تدمّر الممتلكات، وتحول الحياة إلى خراب بعد عمران، وأنها تسبب مآسي وأحزان يصعب تجاوزها مهما طال الأمد، لقد أصبحت الحروب من أبرز سمات التاريخ الإنساني وأثارت اهتمام الفلاسفة والباحثين وظهرت كتابات لا

[1]Darios Battis Tella, **Théorie de relations internationales**, 2eme édition, Paris, les presses sciences po, 2006, P495.

[2] محمد أحمد عبد الغفار، **فض النزاعات في الفكر والممارسة الغربية**، ج1، الجزائر، دار هومة، 2003، ص 121.

[3] ديفيد فيشر، **الاخلاقيات والحرب، هل يمكن أن تكون الحرب عادلة في القرن 21**، مرجع سابق.

حصر لها بداية بالكتاب الصيني "من تزو"[1] (544-496م) الذي تناول في كتاب "فن الحرب" القضايا الإستراتيجية العسكرية غير الخدعة والالتفاف حول العدو"[2] ويرى الباحثون أن جل ما كتب قبل القرن التسع عشر عن الحرب لم يكن سوى قصص وأفكار وتفاصيل مبسطة، وذلك خلال المرحلة التاريخية (811-178) حيث ظهرت كتابات "فون كلاوفيتبز" تحت عنوان "فن الحرب" والذي اعتبر المنطلق الفعلي الذي أسس لدراسات منهجية تناولت الظاهرة ضمن سياقاتها السياسية والعسكرية والنفسية ووصفها الكاتب بأنها "صراع إرادات قائم على العنف بالدرجة الأولى فهي عمل من أعمال القوة لإجبار العدو على تنفيذ مشيئتنا"[3]، وبالتالي فهي في نظره شكل من أشكال الوجود الاجتماعي.

يصف عديد الباحثين "كلاو فيتز" بأنه أول من أسس بدراسته مفهوم الحرب بحقل معرفي قائم بذاته، بحيث يعتبر كتابه "في الحرب" إعلان عن ميلاد ما يعرف بـ "البوليمولوجيا"• أو علم حرب بفضل الباحث الفرنسي "غاستونبوتول" (1980-1896)[4] الذي أسس في ما بعد الحرب العالمية الثانية (1945) ما أصبح يعرف بالمركز الفرنسي للبوليمولوجيا Institut Françaises de Polémologie الذي ظل ينشط على جبهات متعددة إلى غاية بداية التسعينات وقد صدرت في هذا المركز عدة مؤلفات تناولت ظاهرة الحرب كعلم له خصوصياته ومناهجه، ولقد وجهت للمركز انتقادات عديدة وصعب على الباحثين في الحقول المعرفية

---

[1] كارل فون كلاوزفيتز، **في الحرب،جامعة برينستون**، 1976، ص 84.

[2] كارل فون كلاوزفيتز، المرجع نفسه، ص 76

[3] كارل فون كلاوزفيتز ، المرجع نفسه، ص 77.

• **تعريف مصطلح البوليمولوجيا:** ظهر المصطلح لأول مرة عام 1942 على يد عالم الاجتماع الفرنسي "غاستون بوتول" (1896-1980)، وهي كلمة يونانية قديمة مكونة من مقطعين:
"بوليمو" أو "بوليموس" وتعني "حرب" أو "صراع" وكلمة "كوجيا" كما هو الحال في العلوم الأخرى ويعني بها "علم"، والمعنى العام للكلمة هو علم "الحرب أو دراسات الحرب"، وقد اعتبرت محاولة "بوتول" بداية لتدشين حقل علمي جديد يعني أساسا وبشكل مستقل بالحرب كظاهرة اجتماعية وتاريخية بطريقة منهجية انطلاقا من فرضية أن الحرب هي بلا منازع الظاهرة المعاشة الأشد عنفا بين كالظواهر الاجتماعية، كما يقول في كتابه (ظاهرة الحرب).
ومن أهم ما قاله صاحب كتاب (ظاهرة الحرب) أنه:" إذا كانت السوسيولوجيا هي فهم التاريخ من زاوية كما يقول "دور كايم" يمكن القول أن الحرب هي التي أنجبت التاريخ، لأن التاريخ بدأ بكونه حصرا تاريخ النزاعات المسلحة".
وقد لاقى المفهوم جدلا واسعا واختلافا بيّنا لدى العلماء والباحثين والفلاسفة حول كيفية تصنيف البيوليمولوجيا وإلى أي تخصص علمي يمكن ضمّها، كما اتهمت بأن تعمل على التبرير للحرب بسبب اعتمادها على عامل التاريخ،وهو ما مهّد لظهور علم جديد معارض لعلم البوليمولوجيا عرف بـ" الايرونولوجيا "Irenologie"أو ما يعرف بـ "علم دراسات السلاح".
ينظر: مجدي عطية،مقدمة في دراسة الحرب (2)www.babelwadi.com تاريخ النشر: 2016/05/21، تاريخ التصفح: 2018/08/12.،سا:11:00.

[4] مجي عطية، **مقدمة في دراسات الحرب**، 1 www.babecwad.com تاريخ النشر: 2016/05/21، تاريخ الاطلاع: 26 ماي 2016.

المختلفة إيجاد تضمين علمي للمفهوم الجديد (la polémologie)، ولقد أعابوا على (بوتول) اعتبار الحرب إحدى ثوابت التاريخ الأساسية، فكان ان ظهرت على أنقاض المفهوم كحقل علمي ومعرفي آخر، عرف بدراسات السلام"Ironologie" وأصبح المفهومان الحرب والسلام متلازمين بما يربطهما من علاقة جدلية ذات تأثير وتأثر وبالتالي لم يعد مفهوم الحرب يقتصر كما اعتقد الباحثون الأولية على الجانب التاريخي والفني للحرب بل أصبحت الدراسات التي تتعمق في معالجة الظاهرة من عدة جوانب اجتماعية، اقتصادية، سياسية، قانونية وعسكرية إلى جانب الحرب كظاهرة تاريخية واجتماعية.

ثانيا: أنواع الحروب

- **الحرب القذرة:**

وتعتبر من أبشع الحروب على الإطلاق، لأنها لا تفرق بين العسكري والمدني وعادة ما تستعمل فيها مختلف الأسلحة المحرمة دوليا لتحقيق الغاية المرجوة.

ونتيجة الحروب القذرة تكون وخيمة حيث ترتكب المجازر في حق المدنيين، وتستهدف البنى التحتية والقدرات الاقتصادية للبلد المعتدى عليه.

- **الحرب العادلة:**

يجد مفهوم الحرب العادلة جذوره الأولى في فكر وفلسفة أرسطو (384 ق.م) ففي كتابه "السياسة" ظهرت الملامح الأولى لنظرية الحرب العادلة، والتي يمكن من خلالها ممارسة الحق المشروع في الأعمال العدوانية التي يكون هدفها الأول هو الحصول على السلام، كما تناول "سيسوغوCiceron" 106 ق.م المفهوم حين أشار إلى الحرب إنما تقوم على أساسين: العدالة والاعتدال"[1].

لقد اتسمت الحروب منذ القدم بالوحشية، لأنها قبل كل شيء هي وسيلة قهر، مما حدا بالدراسات الفلسفية القديمة لطرح مفاهيم مختلفة للحرب، وعما إذا بالإمكان البحث عن

[1] Bacot Guillame, **la doctrine de la guerre juste**, economica, paris, 1989, P08.

ضوابط وقواعد إنسانية تحكم مآلات الحروب ومخلفاتها، ولعل ظهور الأديان السماوية ساهم في حسم عملية الاحتكام إلى معايير أخلاقية ودينية في اللجوء إلى الحرب، فظهرت كتابات القديس أوغسطين Saint Augustins في القرن الخامس عشر حول ما وصفه بالحرب العادلة، حيث نسبت النظرية إليه.

لقد عرفت نظرية الحرب العادلة عملية إثراء عبر العصور المتعاقبة حتى تستجيب أكثر للتحولات السياسية والفكرية، لتتخذ إلى جانب إطارها الديني والأخلاقي، بعدا قانونيا على يد توماس الكوني Saint Thomas D'Aquin حيث يرجع إليه الفضل في وضع أولى الشروط التي ينبغي أن تحكم الحر بالعادلة وهي[1]:

- أن يتم تقريريها من طرف سلطة قائمة بنفسها.
- أن يكون لهذه الحرب سببا عادلا.
- أن تكون نوايا السلطة والمحاربين عادلة أيضا.

جاء عصر النهضة بأفكار ونظريات فلسفية جديدة عمقت من المفهوم القانوني للحرب تماشيا مع تطور المجتمع الإنساني، فالحرب في نظر غروسيوس Grotius تكون عادلة، إذا كان هدفها الدفاع عن القانون، وتكون غير عادلة إذا كانت عكس ذلك، وهو المبدأ الذي تتبناه مدرسة القانون الطبيعي التي أسسها، حيث يقدم المفكر الأسباب الثلاثة التي تجعل من الحرب حربا عادلة[2]:

- في حالة الدفاع عن النفس.
- استرجاع الممتلكات الضائعة.
- وسيلة لتوقيع الجزاء.

مع بروز مفهوم سيادة الدولة عرفت (نظرية غورسيوس) بمفهومها التقليدي تغيرا جليا لتتخذ طابعا سياسيا أكثر منه قانونيا، وأصبح الحديث يتركز حول القانون أثناء الحرب الذي

[1] Rip Sertillanges, **la philosophie morale de Saint thomas d'Aquin**, Edition montagne, Paris, 1946, P290.
[2]Haggen macher Peter, **Grotius et la doctrine de la guerre juste**, PUF, Paris, 1983, P177.

يضبط معايير العدل، بدل السبب العادل لقيام الحرب وبالتالي ظهرت مفاهيم جديدة تركز على مدى مشروعية الحرب وفق المعيارين التاليين:

- حالة الدفاع البشري.
- حالة حماية المجموعة الدولية من وقوع تهديد للسلم والأمن أو حدوث عدوان[1].

ويعتبر فقهاء القانون تاريخ 11 سبتمبر حدثا زمانيا وتاريخيا فارقا في العلاقات الدولية والرؤى السياسية والاستراتيجية، حيث تحولت الاستراتيجية الدفاعية من نطاقها التقليدي لتلبس ثوبا جديدا اسمه الدفاع الشرعي الوقائي، وظهرت مفاهيم جديدة في محاربة الإرهاب أو أخرى قديمة، وجديدة ذات أبعاد أخلاقية واعتبارات جيواستراتيجية لمفهوم مقاومة الشر، ودحر قوى الشر، وإرساء مبادئ الخير، وبالتالي أصبح مفهوم اللجوء إلى الحرب العادلة يشترط سببا عادلا وسلطة شرعية دولية (منظمة الأمم المتحدة) ويميز القانون الدولي بين مفهومين للحرب، إعلان الحرب أو اللجوء إليها، وصيرورة الحرب واستمرارها: فالأول يقتضي وجود سبب عادل كالدفاع عن حق مشروع والثاني يستلزم احترام القانون الدولي الإنساني أثناء الحرب، هذا من الجانب النظري أما من الناحية العملية، فإن الواقع يختلف تماما عما تنص عنه المواثيق والأعراف الدولية، حيث تتداخل اعتبارات أخرى أغلبها سياسية مصلحية تبرر الإقدام على استخدام القوة تحت أي ظرف كما يتضح ذلك جليا عند التفصيل في الجانب التطبيقي لحرب الخليج.

- **الحرب الاستباقية:**

تختلف الدراسات حول تاريخ ظهور المفهوم، فالبعض يربطها بسياسة الهيمنة التي انتهجتها الولايات المتحدة الأمريكية في الخمسينيات من القرن الماضي في أمريكا اللاتينية سعيا لتحقيق مصالحها الاقتصادية والسياسية ، هذه السياسة وجدت لها جذور في مبدأ "مونرو" في سنة 1923 التي اعتبر أمريكا اللاتينية منطقة نفوذ خاصة بالولايات المتحدة الأمريكية لا يجوز لأي قوة أخرى أن تتدخل بها بحجة انه يعرض أمنها وسيادتها للخطر، ونتيجة لهذه الرؤية تلاحقت الأزمات المتعددة جراء التدخل الفعلي، مثل أزمة الحدود

[1]Bacot Guillaume, **La doctrine de la guerre juste**, Op.cit., P07.

الفنزويلية 1895، والحروب الاسبانية الأمريكية سنة 1838، ثم إنشاء قناة بناما 1903، ثم أزمة نيكاراغوا والدومنيكان، هذه السياسة التوسعية أطلق عليها "روزفلت" 1905 "سياسة العصا الغليظة" حفاظا على المجال الحيوي والاستراتيجي للولايات المتحدة الأمريكية، وعندما فشلت هذه السياسة بسبب تدهور سمعة الولايات المتحدة الأمريكية، حاولت إيجاد البديل لاسيما أمام تصاعد الخطر النازي أثناء الحرب العالمية الثانية، عمدت أمريكا إلى اعتماد سياسة ما يعرف بـ"حسن الجوار" بغية تحقيق جبهة إستراتيجية لمواجهة الأخطار المنتشرة، والتي تُوجت بمعاهدة "ريو"، وأَغْدَقَت المساعدات على دول المنطقة إلى حين افتعال مبرر آخر تحت تسمية "خطورة المد الشيوعي" بالمنطقة أثناء الحرب الباردة، حيث اصطدمت سياسة أمريكا الجديدة مع بعض الحكومات الثورية كما هو الشأن مع فنزويلا "شافيز" ، وأزمة "خليج الخنازير"• في كوبا 1961، وأزمة "نيكارغوا"• في الثمانينيات ، هذا الوضع المتشعب فرض على الولايات المتحدة الأمريكية تفعيل فكرة الأمن الجماعي كذريعة للتدخل كلما دعت الضرورة وهو المفهوم الذي أسس لفكرة الحرب الاستباقية[1].

ثم تطورت هذه الفكرة في عهد بوش الابن ووظف مفهوم الحروب الاستباقية في ضرب أفغانستان والعراق لاحقا بحجة الحرب على الإرهاب.

وهناك من يرجع تاريخ ظهور المفهوم إلى منتصف القرن الماضي أثناء الهجوم الياباني على ميناء بيرل هاربل الأمريكي سنة 1941 الذي اعتبر ضربة استباقية الهدف منها تحجيم القوة الأمريكية.

• **أزمة خليج الخنازير:** تطلق هذه التسمية على العملية العسكرية الأمريكية التي وقعت في عهد الرئيس الأمريكي "ايزنهاور"، والتي جاءت باقتراح من وكالة المخابرات الأمريكية "CIA" والمتضمنة محاولة قلب النظام الكوبي بدعم من المعارضة الكورية في عهد الرئيس "فيدال كاستور"، حيث بدأ التخطيط للعملية العسكرية في 17 مارس 1960، وتم الهجوم الأول بتاريخ 26 أفريل 1960 على مطار كوبا وأحياء إستراتيجية في العاصمة "هافانا"، ثم عرفت الحرب مرحلة ثانية في عهد الرئيس الجديد كينيدي بهجوم بحري، تبعتها غارات جوية مكثفة، ليكون مصير الحرب فشلا ذريعا أدخل الولايات المتحدة الأمريكية في أزمة سياسية ودبلوماسية خطيرة وسط اتهامات متبادلة بين المخابرات والجيش والسلطة السياسية في الولايات المتحدة الأمريكية.

• **أزمة نيكاراغوا:** وهي تعرف أيضا: قضية نيكاراغوا ضد الولايات المتحدة الأمريكية،وقد وقعت في عهد الرئيس الأمريكي "رونالد رغيان"،حيث عمدت الولايات المتحدة الأمريكية، إلى التدخل العسكري في "نيكاراغا" تحت مبرر دعم هذه الأخيرة ومساعدتها للثوار في السلفادور، ولقد خلفت هذه الحرب خسائر فادحة وكادت بلدا بشكل نهائي، لولا أن القضية طرحت على محكمة العدل الدولية التي حكمت بعدم شرعية التدخل الأمريكي،وثم تغريم الولايات المتحدة الأمريكية كتعويض عن الخسائر.

[1] نجلاء سعيد مكاوي، **الحرب الباردة في أمريكا اللاتينية، دراسة السياسيات**، المركز العربي للأبحاث، http///newspapaer.annahar.com تاريخ التصفح: أوت 2016.

وهناك توجه آخر يربط ظهور المفهوم بالعدوان الثلاثي على مصر 1956 الذي وصف بأنه حرب استباقية وقائية لصالح فرنسا وبريطانيا ردا على تأميم القناة السويس من طرف عبد الناصر التي اعتبرت تهديدا للمصالح الاقتصادية والحيوية للمنطقة.

ولعل مفهوم الحرب الاستباقية أو الوقائية التي بدأت تأخذ حيزا جليا في البحوث والكتابات الأكاديمية الغربية، إنما جاءت "لتؤسس وتروج لنسق جديد في العلاقات الدولية أو كنظرية ذات مواصفات معينة ولها رواد ومفكرين، اتخذت اليوم صفة "مبدأ بوش" أو سياسة المحافظين الجدد في العلاقات الدولية"[1]. ويرى عديد الباحثين أن بوش استفاد من أحداث 11 سبتمبر 2001 التي خلقت حالة الارتباك على المستوى الدولي، وهيئت الأجواء داخل الولايات المتحدة الأمريكية وخارجها لتقبل مبدأ الحرب الاستباقية وبالتالي كسب تأييدا دوليا في حربه على العراق وأفغانستان، حيث جاء في خطاب بوش عشرة أيام بعد أحداث سبتمبر 2001":"علينا أن ننقل المعركة إلى العدو، وان نزعزع خططه، علينا أن نواجه أسوأ التهديدات قبل أن تظهر، إن الطريق الوحيد الذي يضمن لنا السلامة في هذا العالم الذي أقحمننا فيه هو طريق الفعل...وعلى الولايات المتحدة الأمريكية أن تكشف خلايا الإرهاب في ستين دولة أو أكثر"[2].

ولعل تطبيق هذه النظرية ظهر بوضوح في حرب الولايات المتحدة الأمريكية على العراق سنة 2003، حيث كتب المؤرخ "آرثر سليزنجر" حول الإستراتيجية العسكرية لبوش في منطقة الخليج:" إن بوش أكثر تهديدا للسلام من صدام حسين بكثير، لقد اختير العراق ليكون أول ساحة لتطبيق الضربة الاستباقية، وجعله أمثولة يُرهب بها الآخرين، ثم يستسلمون لأمريكا بلا قتال"[3].

---

[1] **الضربة الاستباقية كإستراتيجية جديدة في العلاقات الدولية، الحرب على العراق نموذجا،** http://minbar.hurriyya.org تاريخ النشر: 4 ديسمبر 2009، تاريخ التصفح: 01 أوت 2016، سا 12:00.

[2] **الضربة الاستباقية كإستراتيجية جديدة في العلاقات الدولية، الحرب على العراق نموذجا،** http://minbar.hurriyya.org المرجع نفسه.

[3] James Steirnberg, **Prentive force in U.S National securitystratrgy**, snrvival, 47, winter 2005-2006.
www.comm.orgpreventivewar.hrms.

لقد حدد "جيمس ستاينبارغ" "James Steir Berg" وهو نائب مستشار الأمن القومي السابق للولايات المتحدة في دراسته حول ما سماه "العمل الوقائي "الشروط التي ينبغي توفرها لتحقيق هذا المبدأ العسكري في التالي[1]:

- أن يكون موجها ضد الإرهاب.
- أن يستهدف إزالة القدرات التي تشكل الخطر.
- أن يكون بهدف التدخل في حالة الدول الفاشلة.
- أن يكون الدافع من استخدامها تغيير النظام.

ويفرق المهتمون بالاستراتيجيات العسكرية بين مفهومي الحرب الوقائية، والحرب الاستباقية، حيث يتضمن قاموس وزارة الدفاع للمصطلحات العسكرية تعريفا لكل من الحربين، فالحرب الاستباقية هي:" هجوم يتم على أساسه وجود دليل قاطع بأن هجوم العدو وشيك الوقوع.

في حين يرى بأن الحرب الوقائية هي التي"يتم مباشرتها على اعتقاد ان الصراع العسكري وإن لم يكن وشيك الوقوع إلا أنه محتوم ويكون لتأجيله أخطار كبرى"[2].

ويقدم "Vaisse Hassner" أهم العناصر التي يتم على ضوئها التمييز بين الحرب الاستباقية Proactive War والحرب الوقائية Preventive War وهي:

- وجود أدلة مادية عن وجود هجوم وشيك مثل استنفار الجيوش والعمل الاستخباراتي المكثف.
- قوة الخصم وقدرته على إلحاق الضرر يقينا.
- الهجوم المعاكس لصد هجومات بدافع الحماية[3].

[1] Joint chiefs of stoffsepartement of defense dectionary of military and associated ternus, washinston, DC, 2004, P415.

[2] www.dtic.nil/octrine/jet/doddict10:00 تاريخ النشر: 2004/ تاريخ التصفح 16 جويلية 2016، سا:

[3] Pierre Hassner et Justin Vaisse, **Washington et le monde dilemmes d'une superpuissance**, Paris, autremcut, 2002, P112.

بناءا على ما سبق يمكن تقديم التعاريف التالية لمفهوم الحرب الاستباقية حيث يعرف "صمويل هنتغتون" "Samuel. P.Huntington"عمل عسكري تقوم له دولة واحدة ضد دولة أخرى، وهذا بهدف منع حدوث تغيير في ميزان القوى بين دولتين مما يؤدي إلى التقليل من الأمن العسكري للدولة الثانية"[1].

ويقدم "مايكل والزر" التعريف التالي:" هي حرب يتم شنّها لأجل الحفاظ على ميزان القوى القائم، وإيقاف ما يعتقد أنه يشكل تحول من حالة التوازن إلى علاقة السيطرة والخضوع"[2].

في حين يرى "محمد القائم" أن الحرب الاستباقية هي: مبدأ عسكري يستمد شرعيته من منطلق الدفاع عن النفس ضد خطر محتمل على ميزة استراتيجية في الحرب على وشك الحدوث، أو لا يمكن تجنبها وهي من استراتيجية الحرب الجديدة".[3]

ثالثا: حروب الخليج: السياق العام

بعد تفكك المعسكر الاشتراكي خرج العالم من الصراع الإيديولوجي بين القطبين الأمريكي-السوفياتي، وظهر ما أصبح بالقطبية الأحادية بزعامة الولايات المتحدة الأمريكية، ويرى المهتمون بالدراسات الاستراتيجية أن النظام الدولي بعد انهيار الاتحاد السوفياتي تحول بشكل عميق، فلقد حدثت ثورة حقيقية على المفاهيم والقيم التي ظلت تحكم العالم لعقود طويلة، وهو ما يلمح اليه "بريجنيسكي" بقوله ان "انهيار السوفييت كان له تداعيات متعددة المستويات على السياسة العالمية، فالمتغير العالمي الأساسي الذي تولد من سقوط القطب الآخر خلق فرصا وتهديدات الولايات المتحدة الأمريكية الأهم فيها هو أن أصبحت أمريكا القطب الأوحد"[4].

---

[1]Jonathan Rensho : **The psychologicalougins of preventive war**, تاريخ النشر:أفريل 2006، تاريخ التصفح: 06 أوت 2016، سا: 11:00 www.people.fas.harvard.edu.com

[2]Jonathan Rensho, Op.Cit.

[3] محمد قاسم، الخطوة الاستباقية www.teweinza-school.org تاريخ النشر: 11 فيرفي 2011، تاريخ التصفح: 06 أوت 2016، سا:10:00.

[4] هادي قبيس، السياسة الخارجية الأمريكية بين مدرستين: المحافظية الجديدة والواقعية، بيروت، الدار الغربية للعلوم، 2008، ص 104.

لقد بدأ التفكير مليا في البحث عن بديل السوفيات في شكل منافس، حول السياسة الحارجية الأمريكية لضمان فرصة استمرار الهيمنة والبحث عن النفوذ، حيث كان من مظاهر انهيار المعسكر الاشتراكي، وتفكك الاتحاد السوفياتي إلى جمهوريات،وسقوط جدار برلين معلنا عن الوحدة الألمانية، وترسيم الحدود مع بولونيا تزامنا مع إعلان "ميخائيل غورباتشوف" سنة 1991 عن نهاية الحرب الباردة لتندثر معه إلى الأبد تسمية الاتحاد السوفياتي، ثم الانقسامات التي عرفتها جمهورية تشيك سلوفاكيا. وقد بدأت ملامح عهد جديد لعالم متجدد عرف فيما بعد بالنظام العالمي الجديد، كما ورد في خطاب جورج بوش سنة 1991، لتتعدد مبادئ وأسس هذا النظام على كافة المستويات:

فمن الناحية السياسية: الهيمنة المطلقة للولايات المتحدة الأمريكية على العالم من خلال تكييف وتوجيه قرارات الأمم المتحدة نحو خدمة مصالحها، ومن الجانب الاقتصادي بداية انتشار العولمة وبروز التكتلات الاقتصادية الكبرى، تتحكم فيها الشركات المتعددة الجنسيات، مع تكريس الهيمنة الأمريكية على المؤسسات المالية العالمية مثل صندوق النقد الدولي ومنظمة التجارة العالمية، بحيث تحولت كما قال "نعوم تشومسكي"" Noam Chomosky" إلى وسيلة لتصدير القيم الأمريكية لدول العالم المتمثلة في تحرير التجارة، وتنظيم الاقتصاد وجدية الأسواق...[1].

أما من الناحية العسكري: فلقد حُلت كل الأحلاف العسكرية، وتم إلحاق حلف وارسوا بالحلف الأطلسي، مع توسيع إقامة القواعد العسكرية في أنحاء شتى من العالم، وبالأخص في منطقة الشرق الأوسط تزامنا مع إغلاق رسمي يتضمن إستراتيجية الأمن القومي الأمريكي التي جاءت معبرة بوضوح عن إستراتيجية عسكرية ترتكز على عقيدة أمريكية مبينة على الردع والاحتواء والتدخل الاستباقي (لحماية الأمن القومي الأمريكي)، ولقد كان لأحداث 11 سبتمبر 1991 أثر عميقا ومباشرا على بلورة النوايا الأمريكية أمام التحديات الأمنية الجديدة، وهكذا أبرزت فكرة الحرب الوقائية إستراتيجية أمريكية مستقبلية: يقول "فرنسيس فوكومايا" F.Fukuyama " إن أحداث 11 سبتمبر، قد غيّرت إدراك الولايات المتحدة الأمريكية للتهديد

[1] Noam Chomasky, **le profit avant l'homme**, traduit par Jacques Maas, Paris, Fayard, 2003.P113.

المتغير، لأن الهجمات جمعت معا تهديدين أكثر خطورة في حزمة واحدة، وهما راديكالية، التطرف والتكنولوجيا، أسلحة الدمار الشامل، حيث رفعت القضيتان لأول مرة الاحتمال الوشيك لتهديد نووي مباشر لا يمكن ردعه"[1].

ومن النواحي الاقتصادية: فلقد فرضت العولمة سياسة الأمر الواقع أمام قوة التكتلات الاقتصادية الجهوية التي تمارس الاحتكار في أعلى صورة مما نتج عنه فقر وأوبئة واتساع الهوة التنموية بين الشمال والجنوب وهو ما انعكس بطبيعة الحال على باقي نواحي الحياة سواء الأمنية باتساع رقعة التهديدات الإرهابية للمصالح الغربية، وهو المبرر المباشر الذي تذرعت به الولايات المتحدة الأمريكية للقيام بحملات عسكرية متوالية على كل من يعارض هذه الإرادة، بحيث عمدت الولايات المتحدة الأمريكية إلى توظيف ميثاق الأمم المتحدة خاصة الفصل السابع المتضمن المادة 42 التي تسمح لمجلس الأمن من اللجوء إلى القوة العسكرية لإرغام الدول المتمردة على احترام القانون الدولي.

رابعا: حروب الخليج

بعد أن تطرقنا إلى تعريف مفهوم الحرب، وعددنا أنواع الحروب التي عرفتها البشرية منذ القدم إلى يومنا، وفصلنا في الجوانب المحيطة بالمفهوم وكذا الخلفيات النظرية والفلسفية للظاهرة، سنحاول أن نسقط ذلك على حدثٍ وقع في الخليج العربي صيف 1990، وهو ما اصطلح على تسميته حرب الخليج الأولى، وذلك بغية الوقوف على نوعية الحرب التي وقعت، وكذا المبررات التي تم تسويقها لإقناع الرأي العام العالمي بما وقع، مع التركيز على الأدوار الخطيرة التي تؤديها كل من وسائل الإعلام والمنظمات الدولية غير الحكومية مدى تأثيرها على مسار الأزمات الدولية.

[1] فرنسيس فوكوياما، **أمريكا على مفترق الطرق، ما بعد المحافظين الجدد**، ترجمة محمد محمود توبة، الرياض، العبيكان، 2007، ص 96.

خامسا: حرب الخليج الثالثة: 02 أوت 1990-28 فبراير 1991

تطلق تسمية حرب الخليج الثانية على الحرب التي قادتها الولايات المتحدة الأمريكية بهدف تحرير الكويت، وتسمى كذلك بعملية "عاصفة الصحراء" أو "حرب الكويت" وهي الحرب التي شنتها قوات التحالف الدولي المكونة من 34 دولة تقوده الولايات المتحدة الأمريكية ضد العراق والهدف كما فهم في البداية هو تحرير الكويت ضد العدوان الخارجي (العراق)، وذلك لما تنص عليه المادة 51[1] من ميثاق الأمم المتحدة التي أعطت لهذه الحرب صفة الشرعية كونها في نظر القانون الدولي حرب عادلة وبموجب قرار مجلس الأمن رقم 678 بتاريخ 22 نوفمبر 1990.

أسباب الخلاف بين العراق والكويت: يرجع الباحثون أسباب الحرب المباشرة على عاملين اثنين هما[2]: الخلاف على إنتاج النفط، الخلاف على الديون.

الخلاف على إنتاج النفط: ويعود إلى مرحلة الحرب العراقية الإيرانية التي عرفت دعم الكويت والسعودية العراق ضد إيران اقتصاديا، وحسب الدارسات لقد دعمت الكويت العراق بما يقارب 14 مليار دولار، على أن تدفع هذه الديون عن طريق رفع أسعار النفط بتقليل نسبة إنتاج منظمة الأوبيك، لكن العراق اتهم الكويت والإمارات برفع نسبة إنتاجهما من النفط بدلا من خفضه، وسرعان ما تطورت الإحداث حيث اتهم العراق الكويت بسرقة النفط العراقي بواسطة التنقيب في الحقول الرملية المشتركة بين البلدين.

الخلاف على الديون: كان العراق دوما يرى بان حربه مع إيران لثماني سنوات هي حرب دفاع عن البوابة الشرقية للوطن العربي، وبالتالي فإنه من حق العراق المطالبة بإلغاء ديون الكويت والسعودية المقدرة بـ 60 مليار دولار، ولم تفلح الجهود الدبلوماسية في تجاوز الخلاف مما فتح الطريق أمام الاجتياح العراقي للكويت في 02 أوت 1990.

---

[1] **المادة 51 من ميثاق الأمم المتحدة:** "ليست في الميثاق، ما يضعف أو ينقص من الحق الطبيعي للدول، فرادى أو جماعات في الدفاع عن أنفسهم إذا اعتدت قوة مسلمة على أحد أعضاء الأمم المتحدة، وذلك إلى أن يتخذ مجلس الأمن التدابير اللازمة لحفظ السلم والأمن الدولي، والتدابير التي اتخذها الأعضاء لحق الدفاع عن النفس يبلغ إلى المجس فورا ولا تؤثر تلك التدابير بأي حال فيما للمجلس بمقتضى سلطته ومسؤليته المستمدة من أحكام هذا الميثاق، من الحق في أن يتخذ في أي وقت ما يرى ضرورة لاتخاذه من الأعمال لحفظ السلم والأمن الدولي أو إعادته إلى نصابه".

[2] ويكيبيديا، **حرب الخليج الثانية**، تاريخ النشر، 20 جويلية 2009، تاريخ التصفح 06 ماي 2016 س:10.

أ) **كرونولوجيا الحرب:** لقد عرفت الحرب عدة مراحل قبل وأثناء وبعد انتهائها، ولعّل هذا الجدول الزمني يمثل أهم المحطات من مراحل تطور الأزمة:[1]

في 07 أوت 1990: استجابت الولايات المتحدة الأمريكية لطلب المملكة العربية السعودية بإرسال قواتها لحماية حدودها مع الكويت والعراق، واعتبر هذا الإجراء تمهيدا لتدخل عسكري وشيك على العراق.

في 09 أوت 1990: يأتي الرد العراقي على التطورات الأخيرة بإعلان ضم الكويت لتصبح المحافظة العراقية رقم 19 وتصبح العاصمة الكويتية الكويت باسم جديد هو "كاظمية".

في 10 أوت 1990: تعقد الجامعة العربية قمة طارئة في القاهرة خصت لدراسة الوضع في الخليج، حيث ظهر (تباين)• في المواقف حول التدخل العسكري الأجنبي في المنطقة مع إجماع أعضاء القمة على رفض ما أقدم عليه العراق.

في 11 أوت 1990: وصول القوات المصرية والسورية إلى المملكة.

12 أوت 1990: يقترح العراق عرضا تضمن انسحابه من الكويت مقابل تنفيذ القرارات الأممية القاضية بانسحاب إسرائيل من الأراضي المحتلة.

25 أوت 1990: إصدار القرار الأممي رقم 665 يقضي بفرض حصار بحري على العراق تاركا تفاصيل تطبيقه للقوات البحرية الدولية.

25 سبتمبر 1990: القرار رقم 670 ويتضمن فرض حصار جوي وتتولى متابعة تنفيذه للدول الأعضاء في مجلس الأمن.

29 نوفمبر 1990: اعتماد مجلس الأمن قراره رقم 678 المتضمن استعمال كل الوسائل الضرورية بما فيها استعمال القوة العسكرية ضد صدام مع تحديد مهلة لغاية 15 يناير 1991 لتنفيذ الانسحاب من الكويت وبالتوازي مع هذه التطورات على الصعيد الميداني والأممي

[1] ويكيبيديا، **حرب الخليج الثانية**، مرجع سابق.

• أيدت 12 دولة عربية التواجد العسكري الأمريكي (جول الخليج، مصر، المغرب، سوريا) في حين رفضته كلا من الجزائر، الأردن، ليبيا، السودان، موريتانيا، اليمن، منظمة التحرير.

ظلت المساعي الدبلوماسية مستمرة دون انقطاع لإقناع العراق بالعدول عن موقفه ولكن لا شيء تغير.

أقدمت الولايات المتحدة الأمريكية على تشكيل تحالف عسكري دولي شمل 30 دولة مستندة على القرارات الأممية المذكورة لاكتساب الشرعية الدولية لاسيما القرار 678 الذي أتاح استعمال القوة ضد العراق.

في فجر 17 جانفي 1991: بدأت الحرب الشاملة على العراق بمشاركة 38 دولة وبتعداد عسكري قوامه 750 ألف جندي (75% أمريكيون)[1] و3600دبابة، و1800طائرة، و150قطعة حربية.

سميت الحرب (عاصفة الصحراء) وفي المقابل أطلق العراق عليها (أم المعارك) ، وتقول الدراسات أن معدل الغارات وصل إلى 1000 غارة في اليوم.

18 يناير 1991: العراق يطلق صواريخ أرض أرض على أهداف إسرائيلية وصواريخ على أهداف سعودية (الرياض-الظهران)، وكذلك نحو البحرين.

20 يناير 1991: يقدم العراق على إلغاء كل المواثيق التي عقدت مع المملكة السعودية منذ سنة 1986.

23 يناير 1991: يقرر العراق صب مليون طن من النفط الخام في مياه الخليج العربي.

30 يناير 1991: بيان مشترك أمريكي سوفياتي يتضمن تقديم مقترح للعراق بوقف القتال مقابل الانسحاب وتنفيذ القرارات الأممية.

13 فبراير 1991: قصف ملجأ العامرية ببغداد وقتل أكثر من 400 مدني من بينهم نساء وأطفال.

[1] ينظر: http://www.aljazear.net/encyclopedia/military/2016/2017

22 فبراير 1991: يقبل العراق الانسحاب من الكويت تحت إشراف مجلس الأمن لكن أمريكا رفضت العرض.

24 فبراير 1991: انطلاق الهجوم البري على كل الجهات.

26 فبراير 1991: قبول العراق الانسحاب.

27 فبراير 1991: يعلن بوش الأب وقف إطلاق النار وتحرير الكويت.

14 مارس 1991: يعود أمير الكويت الشيخ جابر الأحمد الصباح إلى بلده من المملكة العربية السعودية، حيث كان يدير شؤون بلاده أثناء الأزمة.

03 أفريل 1991: صدور قررا مجلس الأمن رقم 687 المتضمن وقف إطلاق النار رسميا.

ب) تداعيات الحرب:

لقد حسمت الأمور لصالح أمريكا وحلفائها، وانسحب الجيش العراقي من الكويت، بعد تسجيل خسائر فادحة على مستوى البنية التحتية في العراق والكويت معا.

ولقد اختلفت التقارير حول الخسائر التي تكون قد خلفتها هذه الأزمة بسبب تضارب المعلومات، والتعتيم الإعلامي الذي رافقها، وكذا تعدد المصادر التي تناولت نتائج وتداعيات هذه الحرب.

في الكويت: تشير تقارير اقتصادية عربية سنة 1992 " بأن الخسائر المادية العربية قدرت بـ 620 مليار دولار"[1]، وتذهب الأرقام الرسمية الكويتية إلى أن الأزمة تسببت في هلاك 570 شخصا، وحوالي 605 من الأسر المفقودة ومن النواحي المادية 752 بئر نفط أحرقت ناهيك عن الآثار المترتبة عن ذلك سواء الاقتصادية أو البيئية، وحسب الهيئة العامة لتقدير التعويضات بالكويت فإن خسائر الكويت الثانية بلغت 92 مليار دولار.

[1]http:/shar.es/1dqu9d.via@algarabic

في العراق: حسب الإحصائيات المقدمة "بلغت الخسائر البشرية في العراق إلى 100 ألف قتيل في صفوف الجيش العراقي، وأسر 30 ألف وخسائر مادية جسيمة 4000 دبابة و3100 قطعة مدفعية و 240 طائرة مقاتلة بالإضافة إلى تدمير القدرات الدفاعية كليا ومراكز الاتصال، وقواعد إطلاق الصواريخ، ومراكز الأبحاث العسكرية والسفن الحربية... فضلا عن الخسائر التي لحقت بالبنية التحتية العراقية من مدارس وجامعات ومراكز الاتصالات، ومنشآت تكرير النفط والموانئ والجسور والسكك الحديدية ومحطات توليد الطاقة وتصفية المياه، كما تم تجميد الأرصدة المالية للعراق بقرار أممي لأجل تعويض الدول والمنظمات المتضررة وبلغ حجم الأموال المجمدة 52 مليار دولار"[1].

ولم يتوقف الأمر عند هذا الحد، بل إن تبعات الحرب كانت أكثر جسامة بسبب الحصار ومضاعفاته التي فرضت بقرارات أممية حولت العقوبات الاقتصادية إلى حصار دام 12 سنة وما فعله بالجوانب الاقتصادية والاجتماعية الإنسانية[2].

وأما على المستوى السياسي ولعل أهم الآثار السياسية لحرب الخليج الثانية هو تفكك الصف العربي بسبب مشاركة بعض الدول العربية في التحالف ضد العراق ورفض دول أخرى وامتناع أخرى، وبقاء التواجد الأجنبي لاسيما الأمريكي بمنطقة الخليج إلى غاية اليوم، تحت مبررات مختلفة.

لقد حققت الحرب أهدافها بتحرير الكويت، ولكن استوفت أيضا شروط مشروعيتها في نظر القانون الدولي لأنها تجسد بشكل واضح مبدأ "حق الدفاع عن النفس" سواء فرديا أو جماعيا، وموقف نموذجي للقضية العادلة وفق ميثاق الأمم المتحدة، وبالتالي جسدت هذه الحرب في نظر مفكريي السياسة والقانون مفهوم "الحرب العادلة" بشكل لا غبار عليه، وبالرغم من ذلك فإن الحروب عبر التاريخ لا يمكن أن يحقق الإجماع لأنها وبشكل بسيط "مأساة إنسانية"، لذلك وجد على الدوام من يعترض أو يعارض، ومن ثم يجادل أو يقدم

[1] حرب الخليج، الزلزال الذي عصف بمنطقة الخليجhtpp://www.aljazeera.net مرجع سابق.
[2] ينظر: أمين شحاتة، **آثار الحصار على العراق**، المعرفة، شبكة الجزيرة الإخبارية، 03 أكتوبر 2004، تقول بعض الإحصائيات أن حوالي مليون طفل عراقي دون السن 05 سنوات توفوا جراء ضعف الخدمات الصحية المتردية بسبب مخلفات الحرب، كما تعرض أكثر من 4500 طفل للموت بسبب سوء التغذية والأمراض، حسب تقرير UNICEF.

مواقف ضدية لما تم الاتفاق بشأنه حول مدى مشروعية الحرب، حتى وإن استجابت ظاهريا لشروط الحرب العادلة، فإن لها جانبا خفيا ودوافع أخرى غير التي أعلنت، ومن ثم فإن للحرب نوايا مضمرة ودوافع أخرى اقتصادية وجيواستراتيجية، وبالتالي فإن حرب الخليج الثانية حتى وإن كانت قضية عادلة طبقا لأحكام القوانين الأممية فإنها ليست صحيحة في نواياها، ولعل الحروب اللاحقة التي عرفتها منطقة الخليج بعد تحرير الكويت، أكدت إلى حد بعيد أن للحروب دوما وجها آخر مستترا.

سادسا: حرب الخليج الثالثة

لقد حققت حرب الخليج الثانية أهدافها المسطرة، وهي تحرير الكويت، ودخل العراق في (حرب) مختلفة مع المنظمة الأممية لاسيما مجلس الأمن الذي أصدر في البداية قرار رفع 687 الذي يقضي بتعليق الأنشطة العسكرية بشرط أن يقوم العراق بتدمير مخزونه من الأسلحة الكيماوية والصواريخ التي يتجاوز مداها 150 كلم، مع توقيف تام لبرنامجه النووي، لقد تم تأسيس لجنة خاصة تابعة للأمم المتحدة لذات الغرض (نزع السلاح)، كما رافقت هذه القرارات إجراءات عقابية تجبر العراق على الرضوخ لواقع الأمر، وبالفعل شرعت اللجنة في عملها بالإشراف على تدمير كميات معتبرة من الذخيرة الحربية العراقية لاسيما مخزون الأسلحة الكيماوية والبيولوجية.

مع مطلع سنة 1998، انسحبت اللجنة الخاصة من العراق بحجة أن النظام العراقي لا يتعاون بالشكل الكافي معها، وهو في حد ذاته خرق لقرارات مجلس الأمن، ومع خروج اللجنة الخاصة من العراق، كبرت المخاوف لدى الولايات المتحدة الأمريكية من أن يغتنم صدام هذه الفترة لإعادة بناء برنامجه العسكري، لقد وجهت اتهامات للعراق بأنه في حالة خرق واضح لقرارات الأمم المتحدة، وتم إنشاء لجنة تفتيش للتحقيق في الملف، وذلك خلفا للبعثة الخاصة التي غادرت العراق وبعد فترة قصيرة، حذت لجنة التفتيش حذو سابقتها وقد تم اتهام العراق بعرقلة نشاطها، وعدم التعاون الكامل مع أعضائها، مما فسح المجال للدخول في مرحلة أخرى من الصراع أدت إلى تدخل عسكري قادته الولايات المتحدة الأمريكية وبريطانيا شهر مارس 2003 سمي تحت تسمية (حرية العراق) دام واحد وعشرون يوما،

وانتهى بسقوط بغداد في التاسع أفريل 2003، وبتفويض من الأمم المتحدة الأمريكية كلفت القوات العسكرية التي قادت التحالف بمهمة حفظ الأمن والنظام في العراق، وعلى عكس ما توقع الحلفاء أن سقوط بغداد هو النهاية، تفاجأ الجميع بظهور مصطلح جديد سمي بـ"حرية العراق" والذي لم يكن سوى بداية لمرحلة أخرى من مراحل الصراع بدأت بعمليات تمدد لتنظيم القاعدة وتواصل إلى اليوم بأشكال مختلفة وتحت تبريرات عديدة.

لقد أثارت حرب الخليج الثالثة جدلا واسعا لم تعرفه حروب الخليج الأخرى، حيث تركز هذا الجدل حول مدى استجابة هذه الحرب لشروط ومعايير الحرب العادلة، وأخلاقية الصراع، لاسيما بعد أن تحولت أهداف الحرب من تدمير القدرات العسكرية العراقية إلى إسقاط نظام صدام وما لحقه من عواقب وخيمة لا تزال تداعياتها إلى يومنا، وهو موضوع آخر جدير بالتحليل والتقصي للمعلومات للوصول إلى فهم ما وقع، وكيف تم تسخير الصورة الاعلامية لتحقيق أهداف أخرى لا صلة لها مع الوازع الأخلاقي والإنساني الذي تم تقديمه كمبرر لإعلان الحرب.

لاشك أن الحديث عن الحروب هو حديث عن مآسي إنسانية بغض النظر عن أسبابها ودوافعها وحتى عن جوانبها الاستراتيجية والتكتيكية، ولكن ظاهرة الحرب وان ارتبطت دوما بالدعاية، إلا أنها تختلف باختلاف زمانها ومكانها إذ أن " لكل عصر نوعه الخاص من الحروب والظروف الخاصة، والتحيزات المميزة "[1] على حد تعبير "كارل فون كلاوزفيتش"، فالحروب نماذج مختلفة وإن تباينت دوافعها، وعواقبها، فهناك "نموذج الحرب العالمية ...وحروب الاستقلال ومن أبرز أمثلتها الحالة الجزائرية، وكذلك نموذج الحروب المتعاقبة مع إسرائيل، بدءا من نكبة فلسطين (سنة 1948) مرورا بالعدوان الثلاثي على مصر عام 1956 الذي شاركت فيه أيضا كل من بريطانيا وفرنسا...وحرب الاستنزاف (عام 1970) على الجهة المصرية...أيضا عاشت المنطقة النموذج الإسرائيلي للضربات الاستباقية (كما كانت عليه الحال في واقعة ضرب المفاعل النووي العراقي في عام 1983...وفضلا عن ذلك شهد العالم العربي نماذج أخرى للحروب النظامية التي تأثرت بها

[1]ويكيبيديا الموسوعة الحرة، الحرب، www.wikipedia.org ، تاريخ النشر 2007/08/12، تاريخ التصفح: 2016/03/26، سا:15:00.

وبشكل مباشر في بعض مناطقه من قبيل نموذج فرض الهيمنة (الحرب الإيرانية العراقية، أو تحرير حرب الخليج الأولى)، أو فرض الديمقراطية واحترام حقوق الإنسان (حرب الخليج الثاني) أو الصراع على الأرض أو المواجهات التي دارت على إقليم الصحراء الغربية إضافة إلى نموذج الصراعات الداخلية ذات الطابع المسلح الدرامي بين الشمال والجنوب وأزمة دارفور...وأخيرا برز على الساحة ما يمكن تسميته بنموذج الحروب العربية ضد الإرهاب..."[1].

ومهما كانت أشكال الحروب ونماذجها ومبرراتها مختلفة فإن القاسم المشترك الذي جمعها منذ القدم هو الدعاية للحرب، وتبرير العدوان، حيث أدت عوامل الصراع المختلفة عبر العصور إلى وجود الحاجة لابتكار أساليب وتقنيات تساعد على تحقيق النصر وتضمن التفوق، عن طريق نشر أفكار معينة عن حقيقة الصراع وتروج الأكاذيب قصد التأثير على الخصم في معنوياته.

تعتمد الدعاية على مختلف أساليب التبليغ المؤثرة سواء بالكلمة أو الصوت أو الصورة لأحدث ما توصلت إليه اليوم من تقنيات خارقة، حيث أصبحت الحروب الحديثة تنعت بالحروب الإعلامية بامتياز:" فلقد سميت الحرب العالمية الأولى لحرب الدعاية الأولى وتسمية الحرب العالمية الثانية بالحرب الاذاعية، وحرب "القرم" نهاية القرن التاسع عشر بحرب الصحفيين المستقلين، وسميت حرب "الفيتنام" بالحرب التليفزيون الأولى، وكذلك نعتت حرب الخليج الثالثة (2003) بحرب الانترنت الأولى" معنى هذا أن العصر الحالي شهد بفضل الاكتشافات العلمية والثورات التكنولوجية المتلاحقة، ما عزز بشكل لا يقبل الجدل دور وسائل الإعلام الحديثة واستخداماتها كأساليب للدعاية والحروب النفسية قد يفوق حتى دور الجيوش المسلحة فعالية وتأثيرا.

[1] ديفيد فيشر، **الأخلاقيات والحرب هل يمكن أن تكون الحرب عادلة في القرن الواحد العشرين**، مرجع سابق ، ص 10.

وتعتبر الولايات المتحدة الأمريكية رائدة في مجال توظيف وسائل الاتصال العالمية واعتمادها كوسائل تأثير ودعاية وترويج، فهي على حد تعبير أحد الباحثين "مجتمع منقسم يمثل التضليل الإعلامي أحد أهم الأدوات الرئيسة للسيطرة"[1].

لاشك أن من أخطر الأدوار التي يؤديها الإعلام هي الترويج للحروب والأزمات المختلفة، فخارج الإعلام لا أزمات تحدث، وإن وقعت حيث يخوض الإعلام أثناء الأزمة عملية تشكيل أنماط معينة من السلوك الإنساني، وتهميش سلوكات أخرى عن طريق توظيف اللغة والصورة ورموزها، وذلك على مستويين اثنين: الجبهة الميدانية للحرب (الأزمة) وقبلها، حرب نفسية على العقول والقلوب محليا وخارجيا، وهو ما بات يعرف بالدعاية للحرب.

لقد فهمت الولايات المتحدة الأمريكية من البداية أنه لإنجاح لحرب عسكرية بدون حرب إعلامية مدروسة بإحكام وكأنها تريد أن تعطي الانطباع بأنها حفظت الدرس جيدا من حروب سابقة لاسيما (حرب الفيتنام) التي اعتبرت حربا فاشلة بكل المقاييس، لأنها أساءت التعامل مع وسائل الإعلام وبالتالي:" ينبغي عدم تكرار الخطأ مرتين، لذلك تقرر أن تكون حروب الخليج كمجموعة معارك لحرب واحدة على جبهات متعددة: سياسية، إعلامية وعسكرية بدوافع إنسانية.

إن الدعاية للحرب جزء من الحرب، والدعاية كما يعرفها "نورمان جون بأول" هي نشر الآراء ووجهات النظر التي تؤثر على الأفكار أو السلوك أو كلاهما معا"[2].

وفي معجم مصطلحات الإعلام:" هي التأثير على آراء ومعتقدات الجماهير لجعلها تتخذ اتجاها معينا نحو نظام أو مذهب بصورة إيجابية أو سلبية، كما تحاول تهيئة نفسيات الأفراد لقبول وجهات النظر التي تدعو لها، والتشبع بها، وتلجأ إلى تشويه الحقائق وتحريفها"[3].

---

[1] هربرت شيللر Herbert schiller، **المتلاعبون بالعقول**، ترجمة عبد السلام رضوان، مارس 1999، عالم المعرفة، جانفي 1978.

[2] أحمد زكي بدوي، **معجم مصطلحات الإعلام**، ط2، القاهرة، بيروت، دار الكتاب المصري، دار الكتاب اللبناني، 1994، ص 87.

[3] أحمد زكي بدوي، المرجع نفسه ، ص 38.

لا تتحقق الدعاية إلا بوسائل الإعلام، وإن أخطر ما يؤديه الإعلام في المجتمع هو الدعاية للحرب، فهو "يستطيع أن يبني دولة أو يهدم دولة"[1]، كما يقول "هتلر" في كتابه "كفاحي"، ولكي تنتصر دولة ما في حرب فإن عليها أن تنشئ الحرب السيكولوجية قبل أن تحرك قواتها إلى ميادين القتال"[2]، على حد تعبير "ديغول".

إن ظاهرة توظيف الإعلام في الحروب ليست وليدة اليوم، بل هي ظاهرة قديمة تتجدد تحت أشكال وصيغ مختلفة تمليها شروط الذي تعرفه وسائل الإعلام والاتصال، حيث تطور أسلوب الدعاية بتطور وسيلة الإعلام نفسها، فمثلما تم توظيف الصحف والنشرات المطبوعة، دخلت محطات الراديو على الخط لتعلب دورا بارزا في تأجيج الحروب وممارسة الدعاية السياسية بشتى أشكالها، ليحل بعدها زمن الصورة التلفزية التي صارت تروج للحروب بشكل منقطع النظير، لاسيما بعد اتساع بؤر الصراع في العالم، حيث سمحت التكنولوجيا الحديثة للدول من أن تصبح بارعة في الاستخدام المتقن للإعلام في العمليات النفسية، ويمكن القول انه لم يسبق في تاريخ الصراع الدولي أن اجتمعت كل العوامل والشروط لنجاح حرب إعلاميا، مثلما اجتمعت في حرب الخليج.

لقد استفادت الولايات المتحدة الأمريكية من الظروف الدولية المحيطة بالحدث مثل القطبية الأحادية، وتداعيات النظام الدولي الجديد، ولكن كذلك من الثورة التكنولوجية، وما أتاحته لوسائل الاتصال الحديثة من خصائص أهمها الآنية، والتفاعلية في التعامل مع الحدث، ولذلك استطاعت الولايات المتحدة الأمريكية أن تسيطر ليس فقط على الإعلام الأمريكي ولكن على مخرجات وسائل الإعلام العالمية بإجراءات تنظيمية في غاية الدقة، ومن خلال الرقابة المحكمة التي يمارسها البنتاغون، " ففي فترة العمليات العسكرية، تم تنظيم 112 مؤتمر

[1] سامية أبو النصرة، **الإعلام والعمليات النفسية في ظل الحروب المعاصرة**، القاهرة، دار النشر للجامعات، 2010، ص 53.

[2] نبيلة بن يوسف، **الدعاية السياسة أثناء الحروب، دراسة حالة الدعاية السياسية في حرب العراق**، 2003، الجزائر، جامعة تيزي وز.http://revues.univ-ouargla.dz تاريخ النشر: 2010/04، تاريخ التصفح: 2018/05/12.

صحفيا وتم إصدار 78 بيانا صحفيا، كما كان العسكريون هم المصدر الأول والرئيسي للأخبار المتعلقة بالحرب وعملياتها المختلفة"[1].

ولأنه لا نجاح لحرب عسكرية دون نجاح حرب إعلامية دعائية، عمدت الإدارة الأمريكية إلى فرض الرقابة العسكرية على المضمون الإعلامي، وتقييد حركة المراسلين، وهو ما يشير إليه "هيبرت" بالقول:" إن قناعتي أن الاتصال الجماهيري اليوم هو جزء أساسي من الحرب العصرية، وأن العلاقات العامة تمثل السلاح الأول للعرب بطريقة تصاعدية لكل الأطراف في حرب الخليج الثانية حاول كل الطرفين إدارة كلمات وصور الحرب، هذا ليس جديد، لقد كانت ولا تزال الدعاية جزء من الحرب، فالجديد فيما يتعلق "بعاصفة الصحراء•" هو مدى اهتمام الحكومة الأمريكية ووزارة دفاعها خوض الحرب للحصول على الدعم الشعبي في الداخلي باستخدام كل الممارسات التقليدية للعلاقات العامة، بما فيها الاستراتيجيات السياسية، العلاقة مع وسائل الإعلام، العلاقات مع المجتمع المحلي، العلاقات مع المواطنين وإدارة الأزمة في بعض الأوقات بطبيعة الحال لم تكن بعض الممارسات في المستوى"[2].

لقد سبق التحضير للحرب، الحرب بوقت طويل، حيث فتح المجال للتحضير النفسي والدعاية، بحيث تستبق الحرب النفسية الحرب العسكرية الميدانية باعتماد أساليب دعائية تصاغ مضامين داخل مؤسسات دعائية ومراكز بحثية ودوائر معرفية واستخباراتية"• غايتها حشد الرأي العام قصد كسب مؤيدي وإضعاف صوت المعارضين بوسائل مختلفة، من خلال

---

[1]Hiebert, Ray, Eldon (1991) , **Public relations as a werpon of modern war**, public relations revieu , 17(2), P110.

• **عاصفة الصحراء:** desertstrorm بالانجليزية هي التسمية التي أطلقتها الولايات المتحدة الأمريكية على العملية العسكرية التي بدأت في 16 يناير 1991، ضمن حرب الخليج الثانية، www.wikipedia.org/wiki.com

[2]Hiebert, Op.cit., P108.

• يعتبر المعهد الأمريكي لتحليل الدعاية الذي تأسس سنة 1937 أول من أصلّ لأساليب الدعاية، حيث قام بتحليل الحملات الدعائية ليقوم بعدها بصياغة قواعد لأساليب الدعاية وهي:

1..إطلاق صفات وأسماء تتخذ شكل قوالب جامدة سلبية، 2..أطلاق التعميمات والشعارات البراقة، 3..التحويل باستعارة رموز ذات قيمة،4.. الإجماع حول تأثير المكانة المتميزة أو تأييدا لشخصية أي استخدام ذوي شهرة وصيت ذائع بالتأييد، 5..البساطة الشعبية،6..الاختيار والتشويه للحقائق والأرقام،7..الأغلبية معه (تأثير الأغلبية).

المرجع: عبد السلام أحمد السامر، أساليب الدعاية الأمريكية في العراق، بغداد، كلية الإعلام، تاريخ www.iasj.net التصفح: 2018/05/15.

توظيف وسائل اتصال تضم خبراء الدعاية والعلاقات العامة يستخدمون أحدث التقنيات بغرض تحقيق التأثير عن طريق صياغة مضامين خطابية مدروسة بدقة عالية.

الفرع الثاني: الآليات السلمية

أولا: الإعلام

لاشك أن أهمية الوسيلة الإعلامية تكمن قدرتها على إيصال المعلومة بالشكل الذي يحقق التأثير، وهو المعيار الذي يقاس عليه مدى نجاح الخطاب الإعلامي من عدمه، فالغاية من كل عملية اتصال هي التأثير بغرض تحقيق أهداف مسطرة سلفا وفق معايير متنوعة يقسمها الباحثون إلى[1]:

- **معايير وفق الدرجة:** بحيث هناك أهداف عامة وأهداف تفصيلية وأخرى ثانوية.
- **معايير وفق الطبيعة:** بحيث نجد أهدافا ثابتة لا تقبل النقاش وأهداف مرنة تتغير وفق ما يقتضيه الموقف والزمن.
- **أهداف وفق المدة الزمنية:** هناك أهداف طويلة الأمد، ومتوسطة، وقصيرة.
- **أهداف وفق المعيار الجغرافي:** هناك أهداف داخلية وأخرى خارجية، حيث أن الرسالة الإعلامية الموجهة إلى الداخل غالبا ما يكون هدفها تحقيق إجماع حول الموقف الازموي عن طريق توضيح طبيعة ومبررته وكذا تحضير الرأي العام الداخلي لأي دعاية مضادة قد تؤثر على تماسك الجهة الداخلية وتبعث الشك في نفوس المواطنين.

في حين أن الرسالة الإعلامية الموجهة إلى الخارج غالبا ما تكون هدفها الخصم (العدو) بغرض الحط من معنوياته، وزرع بذور الخلاف الداخلي الذي يفكك قواه وبالتالي تتلاشى إمكانياته وتضعف قناعاته، فيصبح لديه عندئذ القابلية للهزيمة.

سنركز في تحليلنا لبعض نماذج الأزمات المتعلقة بالدراسة عن هذا النوع من الخطاب الإعلامي أي الذي يتم توجيهه للخارج لتحقيق الأهداف ذاتها وهو ما يتولاه عادة ما يسمى بـ

[1] أديب خضور، الإعلام والأزمات، مرجع سابق، ص 43.

"الإعلام الدولي" أو "العالمي"• الذي أصبح أكثر أنواع الإعلام تعاملا واحتكاكا بالأزمات الدولية بمختلف أنواعها.

يجب التمييز في البداية بين الإعلام الدولي والدعاية الدولية، فالإعلام الدولي (العالمي) كما يعرفه أحد الباحثين هو:" تزويد الجماهير في الدول الأخرى بالمعلومات الصحيحة، والأخبار الصادقة بقصد التأثير على تلك الجماهير وإقناعها بعدالة قضايا الدولة، وبالتالي تتبنى جماهير تلك الدول الأخرى لمواقف الدولة"[1]. في حين تعني الدعاية فن الإقناع والتأثير عن طريق الإيحاء أو هي:" الاحتيال عن طريق الرموز" على حد تعبير "لاسويل""H.D.Lasswell"[2].

في فترات الصراع يتدخل الإعلام الدولي (المهيمن) قصد التأثير في السياسة الدولية من خلال نقل صور تعبر عن حيثيات الأزمة، مع التركيز على مواقف معينة تختار بقصدية تامة هدفها كسب تعاطف الرأي العام العالمي، ومن ثم التأثير على عملية اتخاذ القرار اتجاه قضية معينة، وتلعب الصورة التلفزيونية دورا حاسما في هذا الشأن، بحيث يكفي التركيز على صور متلفزة حول كارثة طبيعية أو أزمة سياسية دولية وما تخلفه من مآسي إنسانية لتحريك الرأي العام العالمي الذي يمارس ضغوطاته على حكومات الدول، لاسيما في المجتمعات الديمقراطية للتحرك دونما تدري في الاتجاه الذي يتلاءم وطبيعة المصلحة المراد تحقيقها، والأمثلة كثيرة في هذا الموضوع، ولعل أقربها إلى الذاكرة كيف تعاملت الفضائيات مع أحداث ما يسمى بـ"الربيع العربي"، وكيف تم الترويج لهذا الحدث ما بين متحيز ومتجاهل وفق رؤى متباينة وكيف تم التعامل بانتقائية مع الصور الملتقطة من ساحة التحرير التي تم توظيفها سياسيا، إما بالمبالغة المطلقة أو بتتفيه الموقف Banalisation تبعا لاعتبارات مختلفة، وسنعود لهذا الموضوع عند عرض الحالات التطبيقية المختارة في هذه الدراسة،

• معظم الدراسات والأبحاث غير العربية تستخدم مفهوم الاتصال الدولي بدل الإعلام الدولي مع العلم أن الاتصال الدولي يعتبر أكثر شمولا واتساعا ودقة من مصطلح الإعلام الدولي لأنه لا يقتصر على استخدام الإعلام فحسيب بل يعتمد على كافة فنون الاتصال من إعلام ودعاية وسينما لتحقيق الأهداف السياسية المرجوة.
ينظر: امين دافي، **مفهوم الاتصال الدولي والإعلام الدولي**، تاريخ النشر 09 سبتمبر 2011، www.files.awafi.iugaza.edu.ps تاريخ التصفح: 2018/03/12.

[1] أمين وافي، **مفهوم الاتصال الدولي والإعلام الدولي**، مرجع سابق.

[2] حاج طيب رياض، **الدعاية وسائلها وأساليبها وأهدافها**، www.hajtaib.over.blog.com تاريخ النشر: 2013/12/21، تاريخ التصفح: 2018/02/14، سا 19:25.

حيث كثيرا ما يتم تجاهل أحداث وتطورات إقليمية هامة مقابل حدث يومي كما في حالة الانتفاضة في البحرين التي عرفت تغطية إعلامية قليلة مما دفع بعديد المحللين الى اعتباره انحيازا سياسيا غربيا للنظام الحاكم، حيث تم تجاهل عملية قمع الاحتجاجات في هذا البلد (البحرين) مقابل المحافظة على علاقات وطيدة مع دول المنطقة وقد تم اللجوء إلى كثير من أساليب التضليل والدعاية للتخفيف من حدة الموقف تغليبا للمصالح.

ثانيا: المنظمات الدولية غير الحكومية

يقوم العمل الإنساني كما أشرنا إلى ذلك في مراحل سابقة من هذه الدراسة على مجموعة من المبادئ والمثل (مبدأ الإنسانية، والنزاهة، والحيادية، والاستقلالية)، هذه المبادئ ظلت على مرّ الزمن مصدرا لتحقيق الحماية الذاتية للفاعلين في الحقل الإنساني دونما حاجة إلى وسائل ردع أو دفاع التي قد تؤثر على طبيعة العمل الإنساني وتفقده حصانته الطبيعية التي حققت له باستمرار مبدأ القبول لدى جميع الأطراف المتصلة بواقع الأزمات.

وعلى الرغم من طابعه الأخلاقي، فإن العمل الإنساني وبفعل التحولات الذي عرفها المجتمع الدولي في فترة ما بعد الحرب الباردة ومع تفشي ظاهرة الصراع، وكثرة الأزمات الدولية، قد وجد نفسه يدور من حيث لا يدري في فلك السياسة "وباتت الكثير من الأنشطة السياسية مثل تخفيف معاناة الأفراد المتضررين، وحماية حقوق الإنسان، وأنشطة التنمية الاقتصادية على الرغم من أغراضها الإنسانية، باتت تحمل أبعادا سياسية[1]"، خاصة بعد أحداث سبتمبر، وما تبعها من فوضى وغموض في السياسة العالمية تعقدت بسببها أنشطة المنظمات الدولية غير الحكومية، واختلطت الأدوار، وهو ما أدى إلى تفشي ظاهرة ما يسمى بـ"التدهور الأمني للعمل الإنساني"• اضطرت بموجبه بعض المنظمات الدولية غير الحكومية إلى استخدام المظاهر المسلحة بغرض توفير الحماية والسلامة لأعضائها.

[1] تلخيص دراسة حول العمل الإنساني في مرحلة بعد الحرب الباردة،
www.google.com/amp/s/tsaidali.wordoress.com مرجع سابق.

• **التدهور الأمني للعمل الإنساني:** يعتقد عديد الباحثين بأن التخلي التدريجي للعمل الإنساني عن المبادئ الأساسية التي قام عليها والتي تمثل عناصر المناعة لمختلف أوجه هذا النشاط الإنساني وهي (الحياد، الاستقلالية، عدم الانحياز)،ساهمت إلى حد كبير في تعريض العمل الإنساني إلى أخطار ومشاكل في غاية التعقيد أمام ظاهرة العنف والتسيس الفعلي للمساعدات الإنسانية وصلت إلى حد تعريض الفاعلين في هذا الحقل الإنساني من أفراد ومنظمات إنسانية إلى حوادث أمنية متكررة

لقد أضفى هذا المظهر المسلح على العمل الإنساني صفة العسكرة، وفتح عليه أبواب واقع جديد أشد تعقيدا، وأكثر خطورة حتّم على المنظمات الإنسانية ولوج عالم السياسة، والعمل جنبا إلى جنب مع الدول التي عمدت بدورها إلى إنجاح العمل الانساني ضمن نطاق أجندتها السياسية من خلال عمليات الدعم لأعمال الإغاثة، وهو ما ساهم بشكل مباشر في ظهور ما أصبح يعرف بـ"التدخل العسكري الإنساني" لحماية المدنيين الذي جرّد المنظمات الإنسانية من مبادئها الأساسية خاصة مبدأ الحياد والاستقلالية، ومن ثم اضطرت هذه المنظمات إلى قبول تمويل أنشطتها من طرف الدول والحكومات المشاركة في التدخل الإنساني، هذه التطورات المتسارعة أحدثت خلطا كبيرا بين المبادئ الإنسانية والمصالح السياسية وأجبر العديد من المنظمات الإنسانية غير الحكومية على تجاهل مبادئ العمل الإنساني في كثير من الأحداث مثل أفغانستان وكوسوفو والعراق، لا لسبب إلا أنها قبلت تمويلا من الحكومات المشاركة في هذه النزاعات، وبالتالي تم إجبارها على ممارسة نشاط يتعارض تماما مع المبادئ الأخلاقية التي قامت عليها، ونتيجة ذلك كله تحول المنظمات الإنسانية غير الحكومية تدريجيا إلى مجرد آلية من آليات التوظيف السياسي للمسائل الإنسانية في العالم، وسنفصل في تداعيات هذا التحول لدى تقديمنا لنماذج تطبيقية في مراحل لاحقة من هذه الدراسة.

ثالثا: مراكز البحث الدولية

وتسمى كذلك بالمراكز البحثية الحكومية، تعرف مؤسسة "راند" للأبحاث هذه المراكز بأنها: "تلك الجماعات أو المعاهد المنظمة التي يتحدد هدفها بإجراء أبحاث مرّكزة ومكثفة وتشتغل على تقديم الحلول والمقترحات للمشاكل المدروسة بصورة عامة، وخصوصا في المجالات التكنولوجية والاجتماعية والسياسية والاستراتيجية، أو ما يتعلق بالتسلح"[1].

بسبب تدهور عامل الحماية الذي قوّض مفهوم الإنساني البحت لهذا النشاط، سنوضح ذلك بشكل جلي في مرحلة لاحقة من أطوار هذا البحث.
ينظر: لقاء أبو عجيب، آليات ووسائل حماية العمل الإنساني بني النظرية والتطبيق، مرجع سابق.

[1] زهير الهواري، التعريف بمراكز الأبحاث، العربي الجديد، 19 سبتمبر 2017، www.alaraby-co-uk.cdn.ampprojet.org

بينما تقدم موسوعة ويكيبيديا التعريف التالي:" إنها المنظمات أو المؤسسات التي تتولى إعداد الأبحاث والدراسات والتحليلات لمسائل عامة وهامة في الوقت نفسه"[1].

إذا كان إنشاء المؤسسات العلمية ومراكز البحث المتخصصة سمة من سمات الدول المتقدمة التي تسعى باستمرار إلى بناء سياساتها الداخلية والخارجية على أسس علمية مدروسة تساعد على وضع الاستراتيجيات الكبرى الذي يمكنها من اتخاذ القرارات السلمية في علاقاتها الدولية، لأن الدور الذي أصبحت تلعبه هذه المراكز البحثية يتعدى بكثير مساعدة صانع القرار إلى ما هو أخطر من ذلك، بحيث يجمع الملاحظون لنشاط هذه المراكز، أنها تلجأ في الغالب إلى ممارسة أعمال ووضع خطط تتنافى مبدئيا مع أسس التعامل في العلاقات الدولية خاصة ما تعلق منها باحترام سيادة الدول واستقلالها وعدم التدخل في شؤونها الداخلية وبالتالي تحولت هذه المراكز من منابر للبحث الأكاديمي والمعرفي إلى آليات للتوظيف السياسي وتنفيذ أجندات خارجية تهدد كيان الدول المستهدفة، وقد ثبت في عديد المناسبات تورط بعض هذه المراكز البحثية في تحريك السياسات الداخلية للدول بدافع تحقيق أجندة خاصة عن طريق إعداد خطط وتقارير سرية عن الأوضاع الداخلية للدول وكثير ما وجهت أصابع الاتهام إلى هذه المراكز في إثارة الفتن الداخلية وتوظيفها لتحقيق مصالح سياسية وجيوستراتيجية خفية.

رابعا: التمويل الخارجي

تلعب ورقة التمويل الخارجي للحركات الداخلية والحركات التحررية دورا حاسما في تحديد مسار الثورات والحراك الداخلي، كما حدث في دول الربيع العربي، حيث لجأت الولايات المتحدة الأمريكية إلى الدعم المالي لمنظمات المجتمع المدني مباشرة، ودون الموافقة الرسمية من السلطات وسنفصل هذه المسألة لدى تحليلنا للنماذج التطبيقية المقترحة في هذا البحث.

[1] زهير الهواري، **التعريف بمراكز الأبحاث**، مرجع سابق.

خامسا: التكنولوجيا الحديثة (الانترنت)

مثلما تم توظيف الإعلام الدولي كآلية سلمية للتدخل، لعبت التكنولوجيا الجديدة أدوارا فعالة وحاسمة في عديد القضايا الكبرى وخاصة ما تعلق منها بالأزمات التي عرفتها بعض الدول العربية، حيث تم إطلاق تسمية الحراك العربي (الربيع العربي) باسم حراك فضاءات التواصل الاجتماعي، والتي توضح بجلاء كيف تم توظيف الوسائط الاجتماعية في التوجيه والتأثير على الرأي العام الدولي والمحلي نحو وجهة معينة صعّبت كثيرا من مأمورية الدول المتضررة كما هي الحالة في كل من مصر وتونس، فلقد وجدت هذه الدول نفسها في مواجهة ثنائية الاتجاه من جهة مظاهرات الشارع وضغوطاته، ومن جهة مقابلة تأثير الوسائط الاجتماعية في التوظيف السياسي الصريح للحقائق والأسباب الفعلية التي أحبكت خيوط الأزمة فيها بإحكام شديد.

ويعتقد الباحثون أن المعارك المستقبلية ستدار رحاها عبر الفضاءات الالكترونية بدل ساحات القتال التقليدية، وقد بدأت فعلا ملامح هذا التحول ينكشف للعيان مثلما سيوضح ذلك لدى تطرقنا لأحداث الربيع العربي في مرحلة لاحقة من هذا الفصل.

المطلب الثاني: الإعلام الدولي وإدارة الأزمات حروب الخليج نموذجا

تمهيد:

لعل الحديث عن إعلام الأزمات يحيلنا حتما للحديث عن الوظائف الأساسية التي يضطلع بها الإعلام والاتصال في المجتمع، ولعل اللافت في الموضوع هو الاختلاف الواضح حول طبيعة الوظيفة التي يؤديها، لذلك تتعدد التعاريف وتتنوع إلى التناقض حول خصوصية الرسالة الإعلامية ودورها في المجتمع، حيث يطالب دوما بمواكبة الأحداث والظواهر والتطورات قصد نقل الحقائق وتنوير الرأي العام، فهو والحال هذه يضطلع بدور الوسيط في التعامل مع الأحداث ونقل المعلومات وتصبح مهمة وسائل الإعلام على درجة من الخطورة عندما يرتبط دورها بمعالجة الأوضاع الاستثنائية كأوقات الأزمات والكوارث المختلفة، حيث تتزايد أهمية البعد الإعلامي في التعامل مع الحالات المستعجلة مثل وقوع كارثة أو

نشوب أزمة مع أنها ليست مسائل إعلامية بحتة، إلا أن الحضور القوي والمتزايد للإعلام وأهمية المعلومة يعطي للدور الإعلامي أثناء الأزمات مكانة مميزة وخطيرة في نفس الوقت.

يفترض في الإعلام أن ينقل الحقائق والأخبار والمعلومات الصحيحة حول القضايا والموضوعات والأحداث بطريقة موضوعية، ولعلّ هذه إحدى أهم وظائف الإعلام في المجتمع، لكن عندما يرتبط الإعلام بالحالات الاستثنائية كالأزمات والصراعات والكوارث المختلفة، عادة ما تتدخل اعتبارات ومعايير أخرى تتحكم في مضامين الرسالة الإعلامية، وتعمل على توظيف الخطاب الإعلامي وفق رؤى ومصالح تتعارض مع جوهر وقيم العمل الإعلامي ومبادئه وأخلاقياته.

إن الأزمة حالة استثنائية تقتضي بالضرورة إجراءات استثنائية، كذلك لان الغاية من إدارة الأزمات هو التحكم في صيرورتها بوضع استراتيجية مدروسة تضمن تعاملا فعالا مع الأزمة في مختلف مراحلها.

إن الأهمية التي يكتسيها الإعلام في هذه الظروف تنبع بشكل أساسي من كونه المصدر الوحيد للمعلومة، واهم منبر لتوصيل الرسائل للجمهور الذي يلجأ للإعلام مضطرا حتى يلبي حاجاته لمعرفة ما يقع، وبقدر ما الموقف الازموي يزيد تأزما وتعقيدا "بقدر ما يزداد تعرض الجمهور لوسائل الإعلام ولجوئهم إليها لمعرفة ما يدور حولهم من أحداث وتطورات.

وكما أشرنا إليه في الفصل النظري إن الأزمة تجذب إليها وسائل الإعلام وتفتح شهية الصحفيين، ولكنها أيضا تستقطب اهتمام الرأي العام، فتصبح أكثر تعرضا للرسائل الإعلامية، وهو ما يفسر بطبيعة الحال تزايد أهمية البعد الإعلامي في التعامل مع الأزمة و خطورته، فهو من أهم الأسلحة الاستراتيجية التي توظف في إدارة الصراع سلبا أو إيجابا، لذلك تصبح عملية مراقبة الإعلام وتوجيهه وقت الأزمة ضرورة قصوى لدى الجهات المخولة لإدارة الصراع إعلاميا لعدة اعتبارات: أمنية (مصالح عليا)، أولويات إنسانية...الخ، وهذا حق مكفول قانونا للدولة أو الجهات الرسمية التي تسهر على إدارة الأزمة، ولعلّ أهم

السمات التي طبعت الممارسة الإعلامية أثناء الأزمات الدولية الكبرى ما رصده الباحث في النقاط التالية:

- "لا يجوز أن تتعارض الإجراءات المتخذة أثناء الأزمة جذريا مع حرية التعبير المضمونة لمختلف الوسائل التي تعبر عن مصالح القوى.
- لا يجوز أن تتناقض هذه الإجراءات أو تتعارض جذريا مع حق المواطنين في الاتصال، ومع حقهم في الوصول إلى المعلومات والتفاسير والتحليلات.
- إن الأساس الذي انطلق منه المشرع هو حماية "الدولة والمجتمع" وخدمة مصالحها الحقيقية، وليس إعطاء مسوغ تشريعي لمناورات سياسية تهدف لخدمة مصالح آنية للحكومة.
- لا يجوز للسلطة أن تنصب نفسها الطرف الوحيد المعني والمؤتمن على إدارة الصراع، وأن تستغل الظرف الاستثنائي لقراءة التشريعات قراءة غير دقيقة، ولتفسيرها تفسيرا غير موضوعي للوصول إلى الاستنتاجات التي تريد، وبالتالي اتخاذ الإجراءات التي تريد أن لا تكون لها علاقة بجوهر الأزمة، وإنما تستغلها لتصفية حسابات قديمة"[1].

ففي حرب الخليج مثلا أثيرت الكثير من المسائل، وطرحت عدة استفهامات حول مبررات الحرب وإدارتها إعلاميا وعسكريا وإنسانيا، وكذلك تداعيات هذه الحرب على مبادئ القانون الدولي والشرعية الدولية، والقانون الدولي الإنساني، ولكن أيضا على المبادئ والقيم التي يقوم عليها العمل الإعلامي.

[1] أديب خضور، **الإعلام والأزمات**، مرجع سابق، ص 86.

الفرع الأول: إخضاع الإعلام للرقابة

لقد ظهر جليا منذ البداية تصميم الولايات المتحدة الأمريكية دخول الحرب بعيدا عن رقابة الإعلام، ومن ورائه الرأي العام، بالرغم من أنه تم التمهيد لهذه الحرب على أنها الحرب التلفزيونية الأولى التي لم تعرفها الإنسانية من قبل.

لقد عمدت وزارة الدفاع الأمريكية إلى فرض رقابة صارمة على وسائل الإعلام التي تم اعتمادها بشروط معقدة، وأحكمت السيطرة على مضامين الخطاب الإعلامي المرتبط بالأعمال العسكرية، حتى تضمن نجاح الخطة التي أعدت سلفا، ولعل من تجليات ذلك الأسلوب الرقابي الشديد ما يلي:

أولا: التعامل بانتقائية مع البعثات الإعلامية المكلفة بتغطية الحرب: بحيث اقتصر الحضور الإعلامي في الأسبوع الأول للحرب على مراسلي مجموعة الإعلام القومي الأمريكي، ووكالة رويتز والشبكة الإخبارية للإذاعة الدولية وصحيفة لوس أنجلس تايمز ومجلة تايم.

ثانيا: تقييد التغطية الإعلامية للأزمة: من خلال الحد من عدد الصحفيين في ميدان المعركة مع فرض رقابة جسمانية لصيقة بتعيين شخصيات عسكرية تراقب الحركات الميدانية للمراسلين وإخضاع التقارير إلى عملية مراجعة ورقابة قبل إرسالها وبثها.

ثالثا: التحكم في التغطية الإعلامية للحرب: وذلك باللجوء إلى فرض رقابة شديدة على الإعلام، ولعل من مظاهر هذه الإجراءات:

- إدماج الصحفيين العسكريين ومحاولة إقناعهم بأنها إجراءات تهدف إلى ضمان أمنهم وسلامتهم، وقد أنشأت قيادة الشؤون العامة للجيش الأمريكي برنامج المرافقين الصحفيين Embedded journaliste لأكثر من 770 صحفيا من مختلف المؤسسات الإعلامية العالمية، وجعلهم تحت إمرة قيادات الوحدات العسكرية البرية والبحرية الجوية، وهو حرص من القيادة العسكرية على جعل الجندي والصحفي تحت قيادة موحدة بغرض تقويم عملية الاندماج بين الطرفين، والذي يخدم في النهاية الخطة الاستراتيجية العسكرية للحرب وتبرير هذه التدابير يقول راسمفليد:" إن الهدف من

وجود الصحفيين في صفوف الجيش هو حاجاتنا إلى نقل الصورة الحقيقية سواء أكانت جيدة أم سيئة قبل أن ينشرها الآخرون في وسائل إعلام بطريقة مظللة أو مشوهة"[1].

لقد عقّد هذا البرنامج المسطر بإحكام من مهمته الصحفيين المراسلين في ممارسة مهماتهم الإعلامية بكل حرية وهو ما أثر بطبيعة الحال على مصداقية المعلومات التي تبث، وبالتالي تحول الصحفيين الذين يفترض منهم توخي الصدق والموضوعية في التعامل مع الأحداث إلى أشبه ما يكون بنطاقين إعلاميين باسم قوات التحالف.

ويرى "هيربيت سايفيرت" وهو خبير إعلامي سويسري أن:" التغطية في حرب الخليج اتسمت بقيود صارمة فرضتها الولايات المتحدة الأمريكية إلى المدى الذي اضطرت فيه وسائل الإعلام السويسرية والأوروبية إلى اعتماد بصورة شبه كلية على المعلومات المقدمة من قبل التحالف وبطريقة لم تعكس في أحيان كثيرة حقيقة التطورات الجارية فعلا على أرض الواقع"[2].

- تنشيط مؤتمرات صحفية بمعدل أربعة مؤتمرات في اليوم بالقاعدة العسكرية السيلية (قطر).
- تجنيد خبراء عسكريون ورجال إعلام متمرسين في أكبر عملية دعائية للحرب بهدف إقناع الرأي العام العراقي بأن الحرب هي الحل الوحيد نحو تحقيق الديمقراطية والحرية بالتخلص من النظام الديكتاتوري.
- إخضاع الإعلام لمنطق الأمن القومي والمصالح الوطنية الأمريكية العليا أو ما يسميه البعض بـ "أمركة الخطاب الإعلامي للحرب".

لقد حققت الإدارة الأمريكية للإعلام أثناء "حرب الخليج الثانية" وضعا أمريكيا احتكاريا للمعلومات المتعلقة بالحرب، وتخزين هذه المعلومات لخدمتها، ومن ثم لسبل وطرائق توزيعها، وكان الهدف من ذلك كله تحقيق السيطرة الأمريكية المطلقة على مضمون الخطاب

[1] Kari Anden, Papadopdulos, **us soliders imaging the iraqi war on youtube**, stockholm university popular communication, 7, 2009, P23-24

[2] إعلام الحرب بين الحقيقية والتضليل: www.swissinfo.ch/area2003.com تاريخ النشر: 2015/03 تاريخ التصفح: 2018/02/12 سا 13:00.

الإعلامي المتعلق بالحرب على الأصعدة المحلية (داخل الولايات المتحدة الأمريكية) والقارية (أوروبا خاصة) والساحة الدولية (آسيا، أفريقيا، الشرق الأوسط)"[1].

- التعتيم الإعلامي بإخفاء الخسائر البشرية منها وترويج لفكرة "الحرب النظيفة"•
- الاستفادة قدر الإمكان من الوسائل التقنية التي وفرتها منظومة الاتصال الحديث بتوظيف الانترنت والشبكة العالمية، فلقد سميت حرب الخليج الثالثة بحرب الانترنت الأولى مثلما أطلقت تسميات مماثلة لكل الحروب الكبرى التي عرفتها الإنسانية مثل:
  - تسمية حرب الفيتنام بالحرب التلفزيونية الأولى.
  - وسميت الحرب العالمية الأولى: حرب الدعائية الأولى.
  - كما وضعت الحرب العالمية الثانية بالحرب الإذاعية.
  - وكذلك الأمر بالنسبة لحرب القرم نهاية القرن التاسع عشر (حرب الصحفيين المستقلين).

هذه التسميات تؤكد على مدى أهمية البعد الإعلامي في الحروب وأهمية الدور الذي تضطلع بوسائل الإعلام أثناء الأزمات الكبرى، ولعل ارتباط الإعلام بالحروب لم يكن خاصا بعصر معين، وإنما هو نتاج فكري بشري، ظهر بظهور الصراعات الكبرى وذلك بدافع تحقيق انتصار معنوي بالتأثير على نفسية الخصم ومعنوياته لدفعه نحو الاستسلام، وان الاختلاف فقط يمكن كما رأينا في الوسائل المتبعة، بحيث اختلفت الوسائل وبقيت الغاية واحدة.

---

[1] أديب خضور، **الإعلام والأزمات**، مرجع سابق، ص 92.

• **الحرب النظيفة:** وتسمى كذلك بحرب التحكم عن بعد ومعناها حرب بأقل التكاليف البشرية وتقوم على استخدام أكثر كثافة للقوات الجوية من طائرات بدون طيار وقذائف المدفعية بعيدة المدى بالإضافة إلى استخدام أوسع نطاقا للقوات الخاصة والشركات العسكرية، وبحسب مروجي هذا النوع من الحرب فإن الحرب "النظيفة" تتميز بثلاث مزايا هي: عدد أقل من القتلى داخل صفوف القوات العسكرية، ضحايا مدنيين أقل، تغطية إعلامية قليلة جدا لهذا النوع من الحرب، ويتعرض المفهوم على انتقادات عديدة غالبا ما تكون ساخرة بحجة فشل هذه الفكرة على أرض الواقع، للمزيد الاطلاع على: الحرب الأمريكية "النظيفة" أسطورة http:/elbadil.com تاريخ النشر: 2017/11/26، تاريخ الاطلاع: 2018/03/11 ، سا 16:00

الفرع الثاني: التركيز على الطابع التكنولوجي على حساب الجوانب الإنسانية

بعد أن نجحت الإدارة الأمريكية في إحكام قبضتها على وسائل الإعلام وتحركات الصحفيين، لجأت إلى ما يمسى لدى العديد من الباحثين الذين اهتموا بملفات حروب الخليج بالتركيز على التكنولوجيا العسكرية المستعملة في الحرب بشكل غير طبيعي وغير مسبوق، وهو ما جعل من حرب الخليج الثالثة خاصة حرب متميزة عن كل الحروب التي عرفتها الإنسانية، ولقد تناولت عديد الدراسات هذه الظاهرة وتوقفت بكثير من التحليل عن ظاهرة التركيز على الأسلحة المستخدمة جوا وبرا وبحرا من قبل الولايات المتحدة الأمريكية لتخلص إلى نتيجة فحواها أن الحرب في حقيقتها لم تكن سوى فرصة لعرض وترويج صناعة السلاح الأمريكية.

لقد كتب "د.كارتر D.Karter" بخصوص هذا الموضوع: "شاهدنا صورا عن التكنولوجيا الحربية وإعلانات عن طائرات أنيقة وقذائف ومعدات أخرى، مع عرض للمهام التي من المفروض أن تؤديها أثناء المعركة، ولكننا نادرا وربما إطلاقا لم نشاهد في الواقع أي شيء في أرض المعركة، بدا الأمر كله وكأنه ليس هناك طرف ثاني في الحرب...ووصف ج.جرنبر هذه الظاهرة بأنها:" جزء من فيلم حرب الخليج الذي تنتجه وسائل الإعلام الأمريكية"[1].

ولعل هذه الظاهرة في نظر العديد من الباحثين تنتج ضمن ما يسمى باعتماد استراتيجية التمشهد والاستعراضSpectacle، وهي بمثابة نهج استراتيجي هدفه القفز على الحقائق الموضوعية، ولعل فكرة الاعتماد على الصورة التلفزية في الحرب تندرج ضمن محاولة الإدارة الأمريكية تغليب استراتيجية التمشهد والاستعراض في الخطاب الإعلامي بدل الخطاب الذي تحكمه أخلاقيات النزاهة والمصداقية والموضوعية، وبالتالي أخذت "القيم الإخبارية"• منحنى آخر يختلف في شكله وموضوعه كما عرف من قبل، وكان من نتيجة

[1] أديب خضور، **الإعلام والأزمات**، مرجع سابق، ص 96.

• **القيم الإخبارية:** هي المعيار الذي يمارس بموجبه المحترفون في وسائل الاتصال أحكامهم التقويمية وتفضيلاتهم لشيء على شيء مما يوجد عملية جمع الأخبار وانتقائها" "هي مجموعة المعايير المادية والذهبية التي يتم على أساسها تحويل

ذلك أن أصبح التعامل مع الخبر يميل أكثر إلى الترفيه بدل الأسس الموضوعية، ومن ثم يتولد الخطاب الإعلامي الذي يتسم بالإثارة والاستعراض.

الفرع الثالث: سمات الخطاب الإعلامي قبل الحرب:

لا يكفي العمل العسكري الميداني وحده لحسم الحروب وتحقيق الانتصارات، إنما هناك حروب أخرى لا تقل شراسة وأهمية، وهي الحرب النفسية التي عادة ما نسبق وترافق الأعمال العسكرية، بحيث تستخدم الأساليب الدعائية عن طريق توظيف الخطاب الإعلام في الاتجاه الذي يحقق التأثير المزدوج، إن على المستوى الداخلي بمحاولة التأثير الإيجابي على الرأي العام الداخلي والرفع من معنوياته ومحاولة اقناعه بضرورة الحرب للحفاظ على المصالح القومية، أو على المستوى الخارجي لغرض التأثير على معنويات الخضم من خلال توظيف بعض الأساليب الدعائية الخطيرة منها:

أولا: أسلوب التخويف: بحيث أن امتلاك صدام وليس العراق لأسلحة الدمار الشامل هو خطر على العراق أولا وعلى المحيط القريب ومن ثم فهو يشكل خطرا على الأمن والسلم العالمي لأنه يصب في مصلحة الإرهاب، وأن "أسامة بلادن" الحليف القوي لصدام موجود بالعراق، كما ظلت تروج لذلك وسائل الدعاية الأمريكية.

ثانيا: أسلوب حصر العداء: بالتركيز على شخصية صدام حسين، وتسويقها للعالم، بالشكل الذي يسمح للرأي العام العالمي من التفريق بين العراق البلد والشعب. وصدام الديكتاتور وإن ربط الأزمة بشخص مع التفنن في إبراز سلبياته، إنما هو محاولة لإضفاء طابع الشرعية على الغزو، وبالتالي فإن استعمال الصورة والتركيز عليها في إبراز شخصية الدول المحتمل تسويقها على النحو الذي يجعل من الرئيس العراقي إنسان مجنون، غير سوي الشخصية، مريض عقليا، مصاب بداء العظمة، شبيه بسلوك هتلر وستالين وموسوليني...الخ، إلى غير

الحدث إلى خبر صحفي" وتثير مفهوم القيمة الإخبارية جدلا بسبب عدم ثباتها على المستوى المفاهيمي لأن ترتبط بالتطور الذي تشهده منظومات الاتصال والإعلام.

ينظر: موسى جواد الموسوي، **الإعلام الجديد**، بغداد، سلسلة مكتبية الإعلام والمجتمع، 2001، ط1، ص 85.

ذلك حتى تعطي الولايات المتحدة الأمريكية الانطباع بأنها تقاتل عدوا خطيرا على الإنسانية وبالتالي فهي تقاتل نيابة عن العالم لتخليصه من خطر داهم.

ثالثا: أسلوب المبالغة: إن النظام العراقي يمتلك جيشا قوامه مليون عسكري وهو يمثل قوة رادعة (القوى الرابعة في العالم)ويمتلك أسلحة كيماوية توجه حتى في العمليات الإرهابية ضد مصالح الولايات المتحدة الأمريكية وحلفائها.

رابعا: أسلوب التبرير: وذلك من خلال العمل على تشويه سمعة كل من يقف ضد الحرب كما حدث مع روسيا وألمانيا• وبعض الدول العربية التي وقفت في صف ألمانيا مثل سوريا التي اعتبرت حليفة صريحة للنظام العراقي.

خامسا: أسلوب الرموز المرئية: وذلك من خلال التركيز على الجانب التكنولوجي للحرب بإبراز القدرات الهائلة للترسانة العسكرية الأمريكية التي ستسمع لا محالة من إنهاء الموضوع في وقت قصير لا يؤثر على المدنيين من الشعب العراقي لأن بحوزة الجيش الأمريكي أسلحة تستعمل لأول مرة وتتسم بالدقة المتناهية في تحديد الهدف.

سادسا: أسلوب التهديد والوعيد: بفرض عقوبات اقتصادية، قطع العلاقات، العزلة الدولية، والغاية من ذلك بث الذعر في صفوف الجيش العراقي ودعوتهم إلى الاستسلام بواسطة إلقاء مناشير عليها أن استسلموا وانعموا بالحياة.

سابعا: أسلوب الترغيب: الدعم الاقتصادي والسياسي، محو الديون، تقديم المساعدات.

ثامنا: أسلوب التضليل والتشويش: على بعض الوسائل الإعلامية الفضائية المعارضة تعطيل بعض المواقع الإلكترونية بحجة أنها تحرض على الإرهاب، تسريح بعض الصحافيين الذين يعارضون فكرة الحرب ويفضحون سياسة أمريكا في الخليج.

•اتهمت الولايات المتحدة الأمريكية روسيا بتزويدها للنظام العراقي بأجهزة تشويش التي تستخدم الحاسب الآلي وتقنية الليزر ضد النظام الأمريكي. واتهم رئيس الوزراء الألماني الرافض للحرب بأنه رفضه ما هو محاولة لتحقيق النجاح في حملته الانتخابية التي تزامنت مع الاستعداد للغزو.
نبيلة بن سويف، **الدعاية السياسية للحرب، دراسة حالة الدعاية في الحرب على العراق**، 2008، مرجع سابق.

تاسعا: أسلوب الإثارة: عن طريق اتهام العدو واتهامه بأفعال وسلوكات مشينة والهدف من ذلك إثارة الانفعالات واستمالة العواطف.

عاشرا: أسلوب السخرية: بالتقليل من أهمية الموت، وقوة الخصم وقدرته على الصمود أمام الترتيبات العسكرية الأقوى في العالم.

ولقد خاضت أمريكا حرب الدعاية النفسية على ثلاث جبهات في وقت واحد وهي[1]:

- **جبهة العدو (العراق):** وتشمل القيادة السياسية العراقية، القيادة العسكرية العراقية، أفراد الجيش العراقي، السكان المدنيون العراقيون.
- **جبهة الذات (الأمريكية):** القوات المسلحة الأمريكية، الشعب الأمريكي، الحلفاء.
- **الجبهة العالمية:** الحلفاء، المحايدون، الأعداء المحتملون، المعارضون، الأصدقاء.

لعّل خوض حرب نفسية إعلامية على ثلاث جبهات، باعتماد خطاب دعائي مركز ومتعدد الصيغ والأساليب لتحقيق غاية واحدة وهي تقبل فكرة الحرب لدى الرأي العام العراقي والعالمي باعتماد أسلوب "الاستمالة العاطفية"• في كل مرحلة من مراحل الغزو.

الفرع الرابع: سمات الخطاب الإعلامي الأمريكي أثناء الحرب

بعد أن خلقت القيادة العسكرية من التحضير النفسي والدعائي للحرب الذي يسبق التدخل العسكري الميداني، لجأت الولايات المتحدة الأمريكية إلى الخطوة الحاسمة في غزوها للعراق وهي المعارك الميدانية، فكيف تعامل الإعلام الأمريكي مع هذه المرحلة من الحرب.

[1] إبراهيم أحمد، **حرب المعلومات الأمريكية على العراق في حرب الخليج، 2003**، دراسات، العلوم الإنسانية والاقتصادية، المجلد 41، العدد 2، 2014، ص 448.

• في دراسة لعبد السلام احمد السامر بعنوان: أساليب الدعاية الأمريكية في العراق، تضمنت مضمون للرسائل الدعائية كيفيا للتعرف ما تحمله من عناصر نفسية واجتماعية من خلال البيانات الصادرة عن سلطة الائتلاف المؤقتة، توصلت الدراسة إلى أن أسلوب استمالات عاطفية كانت هي الصفة الغالبة على أغلب الأساليب الدعائية، لما له من تأثير عاطفي يكون اشد تأثيرا على المتلقي العراقي من التأثير العقلي.

أولا: اعتماد استراتيجية التمشهد

لعل من أهم مظاهر التحول في الإعلام الحديث في ظل العولمة هو التداخل ما بين الإعلام والترفيه والثقافة والعمل على تغليب كل ما هو اتصال، على كل ما هو إعلام، ومعنى هذا تغليب الشكل على المضمون، بحيث لم يعد لمضامين العملية الاتصالية من أهمية تذكر، فالمهم كما يقال "نتصل" والمهم أن نتبادل كل ما يفرزه الشكل من انفعالات ومشاعر غالبا ما تكون مفتعلة، وبالتالي أصبح طابع الفرجة هو السائد والمسيطر على المادة الإعلامية خاصة المرئية، لقد تحولت إلى قطعة من الاستعراض والتمشهد بمعنى:" أن إنتاجها وتقديمها يخضع للإنتاج الدرامي وهو ما يقلص الهامش بين ما هو واقعي، وغير واقعي أو الخيالي في وسائل الإعلام"[1].

وهو ما حدث بالفعل في حرب الخليج بشهادة كل من تتبع الحرب ودرس أو نظّر لها، بحيث تؤكد عديد الدراسات والبحوث أن حرب الخليج لم تكن حرب ككل الحروب الأولى، بل جاءت في شكل مسلسل استعراضي متعدد المشاهد، لقد اعتمد الخطاب الإعلامي الأمريكي في الحرب على الصورة التلفزيونية "والصورة التلفزيونية صغيرة الحجم وضعيفة الدلالة ومحدودة القيمة الاتصالية لذلك فإن أهمية الصورة التلفزيونية تكمن في مقدرتها على وضع الناظر في نشوة بصرية أكثر مما تعود إلى دورها في صنع المعرفة، الصورة التلفزيونية لا توزع المعرفة لكنها تضعفها، وهي بذلك تضعف الذاكرة والانتباه، وهي جذابة إلى حد العنف"[2]، وهو ما يسميه "رولان بارث" (عنف الصورة)، إن اعتماد الأسلوب الاستعراضي في إدارة الحرب حجب عن المتلقي حقيقة المأساة الإنسانية التي نجمت عن الحرب وفرض على الجميع بما فيهم الرأي العام الأمريكي التعامل معها "كواقع مجرد تتصل بعلم الخيال"[3]، وبالتالي سيطرة الإحساس بالانفعال الظرفي والانبهار بالصورة المعروضة تماما كما يتعامل مع الأطفال مع العاب الفيديو، وهو ما حدا بالكاتب الفرنسي

[1] نصر الدين العياضي، إشكالية الإعلام في عصر العولمة، www.sironlive.org تاريخ النشر:2018/06/08، تاريخ الصفح: 2018/06/10، سا: 12

[2] أديب خضور، الإعلام والأزمات، مرجع سابق، ص 97.

[3] أديب خضور، الإعلام والأزمات، المرجع نفسه.

"جان بودريال" إلى القول أن "حرب الخليج لم تقع، ومع أنها وصفت بالوهمية وغير الحقيقية، ومع أنها خالفت كل المفاهيم التقليدية "•

كثيرة هي الحروب التي عرفتها البشرية، لكن الحرب هذه المرة وقعت والآثار التي ترتبت عنها لم تكن وهمية، لقد فتح العالم عينيه على حقائق مرعبة لاسيما ما تعلق منها بالمسائل الإنسانية، واتضح للجميع كيف تعاطي الإعلام "الحربي" الأمريكي مع الحدث وكيف أبدع منذ البداية في "إخراجها" بأسلوب استعراضي، اعتمد على التضليل من خلال أسطرة الحرب، والدفع بالرأي العام إلى التعامل معها لا كمأساة إنسانية، بل كواقع وصور من عالم الخيال، وكيف انعكست معها الاستراتيجية على مضامين الخطاب الإعلامي الذي تم تسويقه بتوظيف الصورة التلفزيونية التي لا يمكنها أن تقدم الواقع بقدر ما تقدم رؤية تلفزيونية لهذا الواقع الذي يختلف تماما عن الواقع الطبيعي والفعلي.

" إن واقع التلفزيون جوهره خداع وقابل للتصفية والتوليف، و يتناقض عند الضرورة مع الواقع المعيش، كما أن الخطاب التلفزيوني هو في حقيقة الأمر مجموعة من الصور ذات تسلسل معرفي تتخللها كلمات وحركات، داخل أطر مدروسة تتوجه مباشرة إلى حواس المتلقي الذي يتقبلها ويترجمها في أغلب الأحيان على أنها الواقع المعيش"[1].

ثانيا: تغييب المسائل الإنسانية

غابت في حروب الخليج صورة الإنسان الضحية، بفعل أسلوب "الانتقائية" الذي مورس من قبل الإعلام الأمريكي، وتكشف للعالم مدى زيف الشعار المسمى حصانة المدنيين في الحروب مع أنه مبدأ من المبادئ الأساسية التي تضمنتها اتفاقيات جنيف ويقوم عليها القانون الدولي الإنساني.

• كتب الفيلسوف الفرنسي: جان بورنارد قبل وأثناء وبعد الحرب ثلاث مقالات نشرت في جريدة "تيراسيون"، ثم جمعت في كتاب يحمل نفس العنوان، حرب الخليج لم تقع، Badrillard Jean, la guerre du golf n'a pas en lieu, Paris, Galilie, 1991.

[1] أديب خضور، **الإعلام والأزمات**، مرجع سابق، ص 97.

لقد رفع شعار الحرب النظيفة منذ البداية للدلالة على إمكانية القيام بعمليات عسكرية جراحية دقيقة تقلص إلى حد ما من الضحايا المدنيين وتركز على الأهداف العسكرية واستعمل لأول مرة مصطلح الحرب الجراحية وأسلحة المحافظة على الأرواح " Saving weapons" ، ولم يكن هذا من قبيل الصدف بل يندرج ضمن استراتيجية أمريكية محكمة، تجاهلت الخسائر المدنية، واعتمدت أسلوب جديد يقوم على ما يعرف بـ"مشهدة العنف" "Spetaculization of violence" وتحويله إلى استعراض وليس إلى رمز .

وتبقى صور الأطفال المفحمين عالقة في أذهان كل من تابع ما حدث في ملجأ العامرية• أثناء حرب الخليج الأولى (تحرير الكويت)، حيث بلغ عدد ضحايا القصف الجوي 408 ضحية أغلبهم نساء وأطفال تفحمت جثثهم كليا، فكيف كانت تداعيات هذه المأساة على صيرورة الحرب وكيف جاءت ردود الأفعال حولها؟.

بالنسبة للقيادة العسكرية الأمريكية، حاولت في البداية التكتم على المحرقة ثم حاولت التقليل من وقعها بعد بثها من قبل التلفزيون الجزائري الذي كانت له الأسبقية في بث صور الملجأ بتسهيل من السلطات العراقية، ولما لم تجد القيادة العسكرية الأمريكية بدلا من الاعتراف بالجريمة لجأت إلى تبريرها بأن الملجأ كان مقرا للقيادة العسكرية القيادية، وأن الصور التي بثت ليست كلها حقيقية بل تعود إلى الحرب العراقية الإيرانية.

كما أن شهادة المراسل الرئيسي لشبكة CNN وإن جاءت متأخرة كشفت اللثام عن حقائق هذه الجريمة الإنسانية، حيث يكتب "بتير آرنيت"" Peter Arnett " مراسل شبكة التلفزيون الأمريكي CNN في مذكرته:"...حين تحركت مع المصور فوق حطام المبنى الذي دمرته طائرة أمريكية في حرب الخليج الثانية، دخلنا الردهة في الطابق العلوي لأحد المباني،

• يقع ملجأ العامرية غرب العاصمة العراقية بغداد، وقد تعرض يوم 13 فبراير 1991 إلى غارة أمريكية، حيث قامت طائرات أف117 محملة بقنابل ذكية بقصف الملجأ وتدميره كليا على من فيه، حيث يتسع هذا المركز لـ 1500 شخص ورغم أنه بني بطريقة متقنة للعمود امام كل أنواع الهجمات العسكرية سواء أكانت تقليدية أو كيماوية مما يؤهله لضمان السلامة الكاملة للاجئين، فهو مشكل من ثلاثة طوابق يتعدى سمك جدرانها 1,5 م كما يستجيب الملجأ لمعايير توفير الإمكانيات المادية مثل الماء والهواء والغذاء لأيام دون الحاجة إلى العالم الخارجي، ورغم ذلك لم يصمد أمام قوة الهجمات والقصف الطي اخترق الجدران ليصل إلى اللاجئين فجر التاريخ المذكور وهم يخلدون للنوم عميق فيحولهم جميعا إلى أجساد مفحمة.
للمزيد ينظر: ملجأ العامرية، www.ar.m.wikipedia.org تاريخ التصفح: 2012/03/16.

كشفت لنا المصابيح المضيئة عن من منظر بشع كان رجال الإطفاء يحفون فوق الحطام، وكانت الطبقة العازلة قد انفصلت عن الجدران، وأسياج الحديد الخرسانية قد التوت،...كان هناك حريق في كومة من الملابس، وانزلقت قدماي فوق شيء طري، وإذا به جثة متفحمة، ودفعني رجال الإطفاء جانبا فقد كان يحملان جثة أخرى...لقد قتل ما يزيد عن 300 شخص في هذا الملجأ، أغلبهم من النساء والأطفال، بفعل صاروخين أطلقتهما طائرة أمريكية ولقد سجل شريط الفيديو الذي أرسلناه إلى محطة CNN أكثر مناظر الحرب لبشاعته..."[1]، بعد هذه الشهادات وجهت للصحفي انتقادات شديدة من قبل الحكومة الأمريكية لأنه قام بعرض مشاهد هذه المذبحة.

ولكن السؤال الذي يطرح بإلحاح إلى يومنا هذا هو لماذا تم تغيب المسائل الإنسانية في هذه الحرب وتهميش كلي لمفهوم الضحية، في حين كان من المفروض أن يتم التعاطي معه كأولوية مادامت الغاية من التدخل العسكري إنسانية أو هكذا وصفت؟!.

منذ بداية عملية الغزو للعراق في 20 مارس 2003 وسط معارضة شديدة لهذا التدخل لأنه لم يكن يستجيب لشروط إعلان الحرب وتعرضت التبريرات التي قدمتها الولايات المتحدة الأمريكية إلى انتقادات واسعة بما فيها الرأي العام الأمريكي ولم يكن ذلك ليثني الإدارة الأمريكية عن قرارها، فقد واقع المحظور واندلعت حرب الخليج الثالثة تحت تسميات مختلفة (حرب العراق الثالثة، الغزو الأمريكي للعراق، عملية حرية العراق) لتدوم إلى غاية مطلع شهر ماي 2003.

لقد تسبب هذه الحرب في أكبر خسائر بشرية في صفوف المدنيين في تاريخ العراق وتاريخ الجيش الأمريكي منذ عدة عقود• ورغم هذه الكارثة الإنسانية برّرت القيادة العسكرية الأمريكية هذه الانتهاكات الصارخة لقانون الحرب وحماية المدنيين بالسلوك المعزول لقلة

[1] عبد الرحمان القحطاني، ما قبل الجزيرة وما بعدها، www.alwatan.com تاريخ النشر: 2016/10/30، تاريخ التصفح: 2017/04/13، سا:15:50.

• أشارت دراسة مسحية أجرتها لانسيت الطبيبة البريطانية المرموقة إلى أن 655000 عراقي قتلوا منذ بداية الغزو الأمريكي في 19 مارس 2003 حتى أكتوبر 2006، وقد بلغ عدد القتلى المدنيين في العراق نتيجة أعمال العنف والحرب حوالبي 180093 حسب إحصائيات 2017.

من الجنود، وحين سئل "كولن بول" عن عدد القتلى العراقيين قال[1]:" إنه رقم لا يثير اهتمامي"، لقد تم منع أي لقاء بين الدماء والكاميرا، وذلك بموجب قرار رسمي أمريكي يمنع الصور المتعلقة بالضحايا البشرية من الوصول إلى شاشة التلفزيون الأمريكي، وحين عرض المصور الأمريكي "Ken.Garecko" في ندوة خاصة عقدت بجامعة مينيسونا (نيسان 1991) عددا من الصور المتعلقة بالقتلى العراقيين رفض مكتب الاسوشيتد برس في نيويورك بثها إلى مشتركيه كما رفضت مجلة Time نشرها"[2].

إن هذه المواقف والوقائع لا يمكن تفسيرها في نظر الباحثين إلا ضمن إستراتيجية شاملة بدأت بعملية إخضاع البعد الإعلامي للبعدين العسكري والسياسي، قصد إنتاج خطاب إعلامي يتناسب مع هذه الاستراتيجية مرورا بأحكام القبضة على الجمهور حتى لا يرى إلا ما أريد له أن يراه وصولا إلى تغييب الضحية العراقي بل وتتفيهه (من التفاهة)، ولعلّ ما ذهب إليه الباحث الفرنسي" Jean Baudrillerd" في كتابه: حرب الخليج لم تقع بقوله:" أن الحرب كانت مناسبة يعرض صورة من نوع خاص، همشت الأبعاد الإنسانية للحرب وغيّبتها، وحجّمتها...، فهي حرب زائفة نقلتها "CNN" على شكل حفلة تنكرية، بحيث كان المشاهدون يتلقون المعلومات بشكل مُبَسْتَر، وكانت تلك المعلومات تتهاطل مثل البرق في لمح البصر مما جعل عنصر التأمل والتفكير لدى المشاهد ينعدم"[3] وبالتالي فقدت هذه الحرب في نظر الكاتب صفتها الحقيقية.

ومما اعتبر مثيرا للدهشة ومدعاة للسخرية هو مبدأ ازدواجية المعايير في التعامل مع الأحداث والأزمات الدولية في الخطاب الإعلامي الأمريكي، وهناك أمثلة لا تعد ولا تحصى ولعلّ أقربها إلى الذاكرة التعاطي المعاكس مع مفهوم الضحية بالنسبة لإسرائيل، بحيث يتم مرارا التركيز على حالات الرعب وآثار الدمار وقوة الاندفاع نحو الملاجئ والتسابق لاستخدام الأقنعة الواقية بسبب صاروخ صنع يدويا ويطلق من غزة.

---

[1] حسني ابراهيم الحايك، عن أي إمبراطورية نتحدث؟؟ CIA، Libeary.https://www.cia.gov تاريخ النشر: 02 مارس 2003، تاريخ الإطلاع: 2013/09/12، سا: 09:47.

[2] أديب خضور، **الإعلام والأزمات**، مرجع سابق، ص95.

[3] صالح جاووش أوغلو، **حرب الخليج لم تقع**، مرجع سابق.

ولعل مبدأ ازدواجية المعايير والانتقائية في التعامل مع الأحداث الكبرى التي تستقطب اهتمام الرأي العام ووسائل الإعلام ما دفع بأحد الباحثين إلى طرح هذا التساؤل"" لماذا تركز غالبية وسائل الإعلام على الأبعاد السياسية والعسكرية للحروب والنزاعات وتتجاهل الأبعاد الإنسانية، فضلا عن تجاهلها لدور المنظمات الإنسانية الدولية والأممية؟، وهل يعتبر هذا تقصيرا منها يعود بالدرجة الأولى الى نقص المعلومة وصعوبة زيارة مواقع الحروب للتحقيق ميدانيا في مصداقية ما ينشر عن معاناة المدنيين وظروف الأسرى وسكان المخيمات واللاجئين أم إلى عوامل أخرى ؟"[1].

ويقدم المتسائل إجابة لتلك الاستفهامات بمحاولة رصد بعض العوامل التي تقف وراء هذه الإشكالية ومنها:

- " **الصمت المريب:** هناك خلل واضح في التعامل مع القضايا الإنسانية المختلفة، حيث يسجل صمت مريب حيال القضايا الإنسانية في حين تحظى قضايا انسانية أخرى بفيض اعلامي غزير مع أن المآسي الإنسانية تفرز نفس المعاناة لكنها لا تستقطب نفس الاهتمام العالمي.
- **إخفاء حجم الخسائر البشرية:** قد يفسر الصمت والتعتيم الإعلامي بحرص مشترك على عدم الإعلان عن حجم الخسائر، مثلا: لا يبرز ملف الأسرى الصحراويين والمغاربة إلا بعد جهود اللجنة الدولية للصليب الأحمر والوساطات الأممية والحكومية في إطلاق صراح مئات من الأسرى والمحتجزين.
- **الحياد:** إن موقف الحياد الذي تتخذه بعض الدول والأنظمة والمنظمات في تعاملها مع بعض النزاعات يدفع بالإعلام في هذه البلدان نحو غض الطريق عن الجوانب الإنسانية مثل: اجتياح العراق للكويت، الحرب العراقية الإيرانية وملف الصحراء الغربية وكذا الأمر بالنسبة لملفات السجناء السياسيين وسجناء الرأي.
- **التوظيف السياسي لقضايا العمل الإنساني:** حيث يعتمد إعلام الدعاية أسلوب الانتقاء في تعامله مع عديد الملفات الإنسانية وتوظيفها وفق المصالح غير ذات صلة بالعمل

[1] طارق حسن، **الإعلام وقضايا العمل الإنساني**، مجلة الإنساني، العدد 31، 2005.

الإنساني، مما يوحي أن الجميع متورط في الدعاية والانتقاد والتوظيف من كافة أطراف وأطياف العمليات السياسية والعسكرية والأمنية التي تعمل على تغطية الأخطاء والاتهامات التي يرتكبونها هم أنفسهم وهو ما يتعارض مع مبادئ القانون الدولي الإنساني والاعلان العالمي لحقوق الإنسان.

المطلب الثالث: الربيع العربي في الخطاب الإعلامي الحديث

تمهيد:

بفعل التكنولوجيا الحديثة للاتصال تحولت وسائل الإعلام إلى "محكمة رأي" ، يتحدد على ضوئها الواقع وفق ما تنقله هذه الوسائل لتحقيق التأثير سلبا أو إيجابا، حيث لم تعد وسائل الإعلام الحديثة توصف بالناقل المحايد للأحداث، بل تعاظم دورها في التأثير المزدوج على المستوى الداخلي للدول أو خارجها، وأصبحت فاعلا اساسيا تعتمد عليه الأنظمة السياسية بشكل لافت لتحقيق أهدافها وتنفيذ استراتيجياتها لاسيما في فترات الصراع والأزمات الدولية الأكثر تعقيدا، أو كما قيل "كل شيء في السياسة اتصال" على رأي "غابريال ألموند" فلا إعلام بغير سياسة ولا سياسة خارج فضاء الإعلام، لذلك تبدو العلاقة بينهما تكاملية، لكنها في ذات الوقت متغيرة وفق التحولات، جدلية تأثيرا وتأثرا لذلك يعكف خبراء الاتصال باستمرار على دراسة طبيعة العلاقة بين البنى السياسية والبنى الإعلامية ضمن ما يعرف بالاتصال السياسي بهدف التوصل إلى فهم أبعاد التأثير المتبادل بين الاتصال السياسي بالجماهير وعملية صنع القرار.

ومع تعاظم دور الإعلام في المشهد السياسي "برزت بوادر توظيفه كأداة للتغير حقائق الموقف من جانب هذا الطرف أو ذاك في نطاق العملية السياسية هو احتمال قائم وقد تكون هذه المسألة غير أخلاقية، لكنها ممكنة الحدوث كما تؤكد الخبرة السياسية المعاصرة"[1].

تبرز معالم هذه المعضلة الأخلاقية بصفة خاصة في الأوقات الاستثنائية كفترات الصراع والأزمات الانسانية التي عادة ما تنتج أوضاعا سيكولوجية معقدة يعم فيها القلق وتتزايد

[1] http://studies.aljazeera.net دور وسائل الإعلام في مراحل التحول الديمقراطي، مصر نموذجا" تاريخ النشر 14 مارس 2013، تاريخ التصفح :2017/08/12، سا:23:00

الشكوك، "فتضعف مقاومة الناس للتأثر بأية أقوال أو مواقف أو رسائل إعلامية خارجية، ويكون الفرد أكثر طلبا وأكثر استعدادا وأكثر عرضة وقابلية للاختراق"[1].

ومع تزايد أهمية البعد الإنساني في العلاقات الدولية، حيث يفترض أن تكون الدوافع الإنسانية منطلق وغايات كل عمليات التدخل لحماية حقوق الإنسان المنصوص عليها في المواثيق الأممية، غير أن الواقع المعيش وتجارب الممارسة الفعلية كشفت إلى حد بعيد حجم المخاطر التي تحول دون التطبيق السليم لمبدأ التدخل الإنساني، وقد بات واضحا مدى التوظيف السياسي للحالات الإنسانية التي تفرزها الأزمات الدولية في العصر الراهن من خلال استخدام آليات مختلفة تتراوح ما بين استعمال القوة كما حدث في حالة العراق والصومال وكوسوفو وبين الآليات السلمية أو ذات "القفاز الناعم" كتسخير ما سمي بالقوة الناعمة لتحقيق التغيير وفق المصالح والأهداف وفي مقدمتها الآليات السلمية التوظيف المزدوج للإعلام الدولي والمنظمات الإنسانية غير الحكومية والمخابر البحثية، "لتحريك الآخرين في الاتجاه المرغوب والذي يتحقق إما بالإقناع أو الإغراء أو المقايضة أو الإكراه أو بأية وسيلة تتيحها الظروف، هذه الأهداف يجب أن تكون محددة ومعروفة"، كما يعتقد أحد أقطاب النظرية الواقعية نيكولاس سيكمان.

تطورت وسائل الإعلام واكتسبت ادوات وآليات جديدة بفعل حتمية التطور، كلما تم توظيفها في عملية الحشد وتعبئة الجماهير لتحقيق التغيير عن طريق الثورات، "وهو ما حدث بالضبط مع الثورة الفرنسية التي جاءت بعد التطور الكبير في الصحافة المكتوبة...ثم تكررت الظاهرة في الخمسينات من القرن الماضي، ولكن في سياق آخر عندما انتشر الراديو والترانرستور بين الشعوب المستعمرة، مما مهدّ لثورات وانطلاق حركات التحرر الوطني...وفي مطلع القرن الحالي جاء انتشار الأنترنت واندماج الاتصال والإعلام والترفيه ليطلق موجة ثورية جديدة تعتمد على الاتصال والتشبيك عبر وسائل التواصل الاجتماعي والهاتف المحمول"[2].

[1] أديب خضور، الإعلام والأزمات، مرجع سابق، ص 79.

[2] هل الربيع العربي صناعة إعلامية؟ اليوم السابع http://www.youm7.com تاريخ النشر 13 أكتوبر 2013، تاريخ التصفح: 2018/06/12، سا:22:00.

ولعل هذه المقاربة على ما فيها من حقائق تحليلنا إلى التساؤل الكبير الذي تردد كثيرا على ألسنة وأقلام الباحثين وهو: هل "الربيع العربي" صناعة إعلامية بحتة؟ هذا التساؤل يقودنا حتما إلى طرح تساؤل آخر له وزنه ودلالاته في الموضوع وهو: ما هي الدوافع الحقيقية التي تبرر هذا الطرح، وتحمّل وسائل الإعلام هذه المسؤولية وتضعها في قفص الاتهام أو حتى تعطيها شرف صنع هذه الأحداث.

ولعله من الأهمية بمكان التوقف عند أهم الخصائص والمميزات التي اتصف بها الخطاب الإعلامي في تعامله مع هذه الأحداث، وذلك بغرض التوصل إلى مقاربة تؤكد أو تنفي مدى استخدام أو توظيف الخطاب الإعلامي العالمي في التأثير على ثورات "الربيع العربي" بما يخدم مرجعيات معينة، مع الملاحظة أننا سنركز في رصدنا لظاهرة ما يسمى بإعلام ثورات "الربيع العربي" على الخطاب الإعلامي الناتج عن القنوات الفضائية وكذا فضاءات التواصل الاجتماعي حسب درجة التأثير الخاصة بكل بلد من بلدان الحراك.

الفرع الأول: خصائص الخطاب الإعلامي أثناء أحداث "الربيع العربي"

لقد تطرقنا في مراحل متقدمة من البحث (الفصل النظري) إلى السمات التي يتصف بها (إعلام الأزمات)، والتي تتحدد وفق مجموعة من المعطيات اهمها الجهة المالكة للوسيلة الإعلامية، على اعتبار أن العملية الإعلامية لا تنطبق من فراغ إنما هي فعالة مضبوطة ومدروسة بإحكام، وأن تتحدد منطلقاتها طبقا للاستراتيجيات المرسومة من قبل القوى الحاكمة للوسيلة الإعلامية، لذلك يوصف الإعلام بأنه "متغير تابع في أي صراع"[1]، وبالتالي يأتي الخطاب الإعلامي عاكسا ومنسجما مع هذا المعطى.

وبالرغم من الإجماع حول أهمية الأدوار التي لعبها الإعلام الجديد بفضائياته وفضائه الإلكتروني في الترويج للثورات العربية ونقل تفاصيلها من زوايا مختلفة وبوجهات نظر متعددة، إلا ان هذا لم يمنع المحللين من توجيه انتقادات للكيفية التي تعامل بها الإعلام العالمي مع الظاهرة، ولعل من أهم هذه الانتقادات ما يمكن تلخيصه في:

[1] أديب خضور، **الإعلام والأزمات**، مرجع سابق، ص 83.

أولا: اعتماد أسلوب الانتقائية في التعامل مع الأحداث

حيث لم تتصف التغطية الإعلامية بنفس الصفات في مرافقتها للأزمة من خلال التركيز على بلدان معينة دون الأخرى أكثر من ذلك خضعت التغطية الإعلامية نفسها داخل البلد الوحيد إلى حملة التحيز والانتقائية، هذا الأسلوب في التعامل مع الحدث دفع بعض المحللين السياسيين إلى التساؤل التالي:" حول غياب الاهتمام الاعلامي في الأحداث في البحرين حيث "شهدت الانتفاضة في البحرين تغطية إعلامية قليلة وانحيازا سياسيا غربيا مستمرا للنظام الحاكم، بالرغم من الاعتراف الواضح بتعذيب المعتقلين والمحاكمات التعسفية"[1]. وهو وصف بالتحيز الصريح لجهة دون أخرى وتعد صارخ على المواثيق الأخلاقية والمعايير التي تحكم النشاط الإعلامي الذي يفترض فيه توخي الموضوعية وتقصي الحقائق والمعلومات قبل نشرها•.

ثانيا: اعتماد أسلوب التحيز في التعامل مع الأحداث

ويتضح هذا الأسلوب من خلال مضامين الخطاب الإعلامي الذي تم تسويقه حول الأحداث، بحيث يبدو في كثير من الأوقات منحازا لطرف دون آخر، ولحدث دون حدث آخر، وهو ما أشار اليه "توماس بييريه" بقوله " إن المناحي الأكثر عنفا في الثورة المصرية لم تحظ بتغطية إعلامية، خاصة حرق مراكز الشرطة وقتل الكثير من رجال الشرطة في مدينة الإسكندرية في التاسع والعشرين من يناير...وكانت هناك مبالغة كبيرة في أعداد المشاركين في مظاهرات ميدان التحرير، فلا يمكنك وضع مليون شخص في منطقة بمساحة ميدان التحرير ولا حتى نصف العدد، لقد كانت هناك أوقاتا قربت فيها الكاميرا التي تصور الاحتجاجات من فوق أحد الأبنية الصورة لكي تخفي حقيقة، أن ميدان كان شبه خال"[2].

---

[1] أميرة محسن جلال، **الإعلام والثورات العربية...انتقائية وتبعية او مصداقية ومهنة؟** https://am.de.com، تاريخ النشر: 17-12-2012، تاريخ الإطلاع: 2016/08/13، سا: 00..

• بسبب هذا الأسلوب في التغطية عرفت قناة الجزيرة استقالة مراسلها "على هاشم" وغسان بن جدو الذي صرح بالقول:" إن الجزيرة أنهت حلم الحرفية والموضوعية".

[2] أميرة محسن جلال، **الإعلام والثورات العربية**، مرجع سابق.

ومن تجليات الانحياز الإعلامي غياب الأطراف المؤيدة للأنظمة، بكل من مصر وسوريا واليمن وليبيا وتونس في حين ثم غض الطرف عما يحدث في البحرين بتجاهل عمليات القمع الوحشي للاحتجاجات والتعدي الصارخ على حقوق الإنسان استجابة لأهداف ومصالح معينة تم تفسيرها فيما بعد بأن الأمر يتعلق بأمن اتحاد دول الخليج الذي تنتمي اليه قطر (مقر الجزيرة) والمملكة العربية العددية (مقر قناة العربية).

ولعّل من مظاهر التحيّز الإعلامي في التعامل مع أحداث الربيع العربي ظاهرة التضخيم والتبسيط لأهمية وخطورة الأحداث وفق معايير الجغرافيا والانتماء السياسي، حيث بدا واضحا منذ البدايات الأولى لتعامل الإعلام الدولي مع أحداث الربيع العربي اعتماد أسلوب تضخيم الأمور في التعاطي اعلاميا مع بعض الأحداث داخل بلد معين وبالمقابل تبسيط الصورة والتقليل من أهمية الأحداث في فضاءات أخرى من فضاءات الحراك الشعبي.

لقد جرى تضخيم اعداد المشاركين في الحراك الشعبي بمصر بهدف ترجيح كفة المعارضين في الصراع والدفع بالنظام إلى التعامل بطريقة معينة مع الأحداث وفي سوريا تم اعتماد الأسلوب ذاته (أسلوب التضخيم) في التعامل مع الصراع الطائفي والديني.

في الموضوع يكتب بروك أندرسون " إنني أتفهم أن من الضروري أحيانا الإشارة إلى الخلفية الدينية والعرقية من أجل وضع القصة في سياق مناسب، لكن ليس طوال الوقت، فالمشكلة تكمن في المبالغة في الإشارة إلى الأحياء على انها علوية أو مسيحية أو سنية هذه التغطية توحي بأن السنة الشجعان أو المتطرفون يقاتلون الغول العلوي والمسيحيون لا يبالون بأحد، هذا ليس عادلا لأي متهم"[1].

ثالثا: اعتماد أسلوب التنميط والتوظيف السلبي للصور

يفرض الحضور المكثف للإعلام في فضاء الأزمات على وسائل الإعلام التحرك كمنظومة متكاملة في التعامل مع مختلف مراحل الأزمة بهدف تحقيق الأهداف المسطرة ضمن الاستراتيجية العامة لإدارة الأزمة، عندئذ تبرز ملامح الأسلوب الجديد في التعاطي

[1] أميرة محسن جلال، **الإعلام والثورات العربية...انتقائية وتبعية او مصداقية ومهنة؟** مرجع سابق.

إعلاميا مع حيثيات الأزمة، والذي غالبا ما يأتي إما شديد الغموض أو واضح المعالم تبعا لأهمية الأزمة الدولية نفسها، ولذا طبيعة الجمهور المستهدف• وبناءا على ذلك تتحدد عملية الاصطفاف المناسبة لوسائل الإعلام وفق رؤى ومواقف القوى المهيمنة على الوسيلة الإعلامية.

ففي دراسة حديثة تناولت بالتحليل طريقة تعاطي الإعلام الغربي مع ثورات الربيع العربي توصلت "مونيكا هوبر" إلى كشف أسلوب التغطية النمطية في التعامل مع الأحداث، وقد لاحظت الباحثة درجة التشابه الكبير في التغطية الاعلامية بالرغم من أحداث الربيع العربي مست بلدانا تختلف من حيث النظام السياسي والاجتماعي والثقافي، ومع ذلك جاءت المعالجة الاعلامية تقريبا واحدة "سواء في صنعاء أو درعا أو القاهرة أو طرابلس، تبدو الرموز والأشخاص والأحداث غامضة أمام المشاهدين الغربيين لدرجة يصعب عليهم فيها التمييز بشكل دقيق"[1].

وفي الحقيقة إن اعتماد استراتيجية الغموض أو الوضوح في الإعلام إزاء الأحداث الكبرى من استراتيجية تحكمها عوامل تجعل من مضامين الرسائل الإعلامية وسيلة لتحقيق مصالح حيوية، لذلك يأتي الخطاب الإعلامي مختلفا باختلاف درجة الأهمية التي تحظى بها هذه الأزمة او تلك، فعلى سبيل المثال لا الحصر، نلاحظ كيف تعامل الإعلام الغربي مع أزمة الخليج عندما تم الترويج للحرب إعلاميا من وجهات نظر متعددة، سمحت من بروز مواقف المؤيدين والمعارضين للتدخل العسكري الأمريكي في العراق، وفي المقابل كيف تشكلت عملية اصطفاف لنفس الإعلام في منظومة إعلامية مؤدية للحراك الشعبي في بلدان

• وفق نظرية "الالتفاف حول العالم"، "Rally Rond the Flag" لصاحبها كوسر "COSER"، فإن الشروط الأساسية لتحقيق الإجماع والاحتشاد حول دعم السلطة التي تدير الأزمة هي:
- أن تكون الأزمة دولية.
- أن تعني الولايات المتحدة الأمريكية مباشرة.
- أن تكون واضحة ودرامية.

المرجع:
J.Muller « Presidential Popularity From Trumm to Johnson », American Policial Science, Review 64 May 1970.

[1] علي المخلافي، **الاعلام الغربي والثورات العربية، في فخ ضجيج الإعلام وإغراءات الصور**، القنطرة، www.ar.qantara.de/content/KTB.2012، تاريخ التصفح: 2017/03/21، سا 16:05.

الربيع العربي، حيث :" وقف الصحافيون الغربيون بأكملهم تقريبا إلى جانب متظاهري الثورات العربية"[1].

وفي تحليله للدور الذي لعبته وسائل الاتصال الحديثة أو ما يسميه الباحثون بـ "الإعلام البديل"• في تأجيج الأوضاع والدفع بها نحو المجهول في بلدان الربيع العربي يعتبر "علي حجازي" ابراهيم أن:" الغموض ظاهرة مقصودة يلتف حولها أصحاب الغرض مثلما يلتف أبرياء يبحثون عن فرص عمل مشروع أو لقمة عيش نظيفة، ويتهافت من تقودهم الإنتهازية الرخيصة ومن يحدوهم الطموح المشروع، ويلتقي عليه أصاحب الأجندات المشبوهة مع أصحاب النوايا الحسنة، وهكذا يؤدي الغموض المقصود إلى حالة من خلط الأوراق هي الأخرى مقصودة، وكل من الغموص وخلط الأوراق يخلقان ساترا من ضباب هو البيئة المناسبة، حتى ينمو ويكبر تحتها الإعلام البديل، وفيها يحقق أهدافه النهائية، وهي يقينا ليست أهدافا صحفية، وإن اتخذت شكل العمل الصحفي وليست أهدافا اصلاحية، وإن استعملت أبجديات الإصلاح وحروفه وكلماته"[2].

بهذه الخصائص التي رسمت ملامح الإعلام في تعامله مع أحداث الربيع العربي، وجعلته يبتعد عن مساره الطبيعي والأخلاقي في نقل الحقائق وامداد المتلقي ولمتلهف للمعلومة التي تصنف الوقائع والأحداث كما هي بكل موضوعية وحياد، يكون قد عرّض نفسه لتهمة "الإخفاق المهني" الشامل وقد فشل في التوفيق في متطلبات العمل الإعلامي ومقتضيات السياسة. ومع انه لا وجود "للحياد المطلق" في قاموس الممارسة الإعلامية، إلا أن ظاهرة الانحياز الصادم لمنطق الثورات، على حساب القيم المهنية، حرّك موجة من الانتقادات لدى

---

[1] علي المخلافي، **الإعلام الغربي والثورات العربية**، المرجع نفسه.

• **الإعلام البديل**: هي تسمية مرادفة لمصطلح الاعلام الجديد، الذي يسمى أيضا الإعلام الاجتماعي أو صحافة المواطن، أو مواقع التواصل الاجتماعي، يعرف الاعلام البديل بأنه:" هو إعلام الصحف، الراديو، التلفزيون، المجلات، الأفلام، الإنترنت، وغيرها...) الذي يقدم معلومات بديلة عن الإعلام السائد في سياق معين.
ينظر: إعلام بديل، ويكيبيديا، الموسوعة الحرة، http// :arm.wikipedia.org

[2] علي حجازي ابراهيم، **الإعلام البديل**، دار المعتز للنشر والتوزيع، ط1، مصر، 2017، ص 330.

المحللين والباحثين المتابعين لمختلف أطوار الازمة وقد اتهم بأنه:" منتج للثورات أكثر منه معبرا عنها"[1].

إن التركيز العلني للإعلام الدولي على أعمال العنف والصراع الدموي الذي طبع ثورات الربيع العربي، والمبالغة في إبراز حجم المعاناة في بلدان الربيع والتفنن في إظهار المشاهد المروعة مثل الاقتتال الدموي على المباشر في مصر، وجثث الأطفال الهامدة والمتفحة في سوريا دون اعتبار لأخلاقيات المهنة والمشاعر الإنسانية، هذا الأسلوب في التعامل الاعلامي مع الأحداث رغم قساوته وإن وصف بانه تعبير عن رغبة ملحة في إبراز حجم الانتهاكات الصارخة لحقوق الإنسان غايتها تحريك الضمائر والدفع بالمجتمع الولي نحو تحمل مسؤولياته الأخلاقية والإنسانية إزاء ما يحدث، إلا انه في ذات الوقت اعتبر بمثابة محاولة من وسائل الإعلام لوضع مساحيق تجميلية تغلف الخطاب الإعلامي بستار انساني يغطي عن مسؤولياته في تأجيج الأوضاع وممارسة التضليل والدعاية النفسية للتأثير على الرأي العام ودفعه نحو اتخاذ مواقف تنسجم مع الاستراتيجية المسطرة، والأهداف المحددة للصراع التي هي في النهاية اهداف القوى المالكة والمتحكمة في مضامين الخطاب الإعلامي المرتبط بالأزمة في سياق الحدث عن الجهات المالكة التي تحدد المنطلقات وترسم أهداف الوسيلة الإعلامية يكثر الجدل حول الدور الأمريكي في ثورات الربيع العربي، بحيث ظهرت أطروحات وبحوث عديدة غربية وعربية ربطت الأحداث التي عرفتها بلدان الربيع بـ "نظرية المؤامرة"• التي حيكت خيوطها في مخابر وكواليس صناع القرار في السياسة الخارجية الأمريكية، لتجسيد مدى مصداقية هذا الطرح يكتب أحد الباحثين:" إن المتأمل لحقيقة الثورات العربية، يرى بما لا يدع مجالا للشك أن ما يحدث على الساحة العربية ليست

---

[1] أحمد سليمان، **وهم الحياد الإعلامي والربيع العربي**، www.bbc.com تاريخ النشر: 2014/09/13، تاريخ التصفح: 2015/02/23، سا10:07.

• **نظرية المؤامرة: Conspiracy theory** ورد هذا المصطلح لأول مرة في مقالة اقتصادية عام 1920، ليتم بعد ذلك إضافة إلى قاموس أكسفورد 1977، وتختلف تعاريف المصطلح باختلاف وجهات النظر، ويعرف قاموس "أوكسفورد " النظرية بأنها:" اتفاق بين فردين أو أكثر للقيام بعمل إجرامي أو غير قانوني أو مستهجن" ويعرفها "بيدجن" بأنها "خطة سرية من جانب مجموعة ما من أجل التأثير جزئيا في الأحداث بعمل خفي".
ويقدم جيسي ووكر (2013) خمسة انواع من نظريات المؤامرة هي:
-مصطلح العدو الخارجي، العدو الداخلي، العدو الأعلى: وهم أشخاص أقوياء يتلاعبون بالأحداث من أجل مكاسبهم الخاصة –العدو الأدنى: الطبقات الأدنى التي تعمل على قلب النظام الاجتماعي –المؤامرة الخيرية وهي قوى ملائكية تعمل خلف الكواليس لتحسين العالم ومساعدة الناس.
ينظر: نظرية المؤامرة، ويكيبيديا، http://arwikipedia.org

ثورات شعبية تلقائية، خرجت تنادي بمتطلبات تلك الشعوب، وإنما هي مؤامرة كبرى نفذتها الولايات المتحدة الأمريكية، وبمبادرة ودعم الموساد الاسرائيلي وبعض الاستخبارات الغربية في خطة ومسرحية محكمة الفصول، تمت كتابة السيناريو للبنتاغون لنقل ما حصل على أرض الواقع الدرامي لفصولها في أروقة "CIA" في مصر وليبيا وسوريا وتونس واليمن ما هو إلا تجسيد وتمثيل لأحداث تلك المسرحيات..."[1].

في السياق ذاته يتساءل صاحب كتاب:" الربيع العربي ثورات أم مؤامرات" ليخلص إلى أن:" القصة بدأت قبل سنوات، اتخذت أمريكا قرارا بتغيير الوطن العربي عبر الثورات الناعمة من خلال وسائط التواصل الاجتماعي في أيلول عام 2010 ، نظم محرك "غوغل" في "بودابست" "منتدى حرية الأنترنت" أطلقت بعده وزيرة الخارجية الأمريكية السابقة "مادلين أولبرايت" مؤسسة "شبكة مروني المغرب والشرق الأوسط" سبق ذلك وتبعه سلسلة من المنتديات في قطر بعنوان:" منتدى الديمقراطيات الجديدة أو المساعدة" شارك في إحداها في شباط 2006 "بيل كلينتون" وابنته، و"كوندليسا رايس" وآنذاك تم الاتفاق على وثيقة سرية باسم: "مشاريع للتغيير في العالم العربي" كان من نتائج ذلك أن أسس المصري "هشام مرسي"، صهر الشيخ "يوسف القرضاوي" "أكاديمية التغيير" تضم المؤسسة عددا من الهاكرز والمدونيين أطلقت في كانون الثاني 2011 عملية "التونسية" التي كانت تدار مباشرة من الولايات المتحدة الأمريكية"•.

من اللافت للاهتمام أن نظرية "المؤامرة" لم تطرح من قبل مفكرين عرب، فحسب بل وجدت من يتبناه في الفكر الغربي نفسه، ففي كتاب:" قطر هذا الصديق الذي يريد بنا شرا""Le Vilain Petit Qatar, Cet Ami Qui Nous Veut Du Mal" لاثنين من الكبار الصحافيين الفرنسيين هما: "نيكولاس بو" "Nicolas Beau"، "جاك ماري بورجيه"

---

[1] علي الشعواني، **أكذوبة الربيع العربي**، www.ahmedbensaada.com تاريخ النشر 16 مارس 2015، تاريخ التصفح: 2017/06/06، سا: 1210.

• وفقا لما نشره مركز "المزمات للدراسات والبحوث" في أفريل 2014 تحت عنوان: "أسرار أكاديمية التغيير المشبوهة في قطر"، فإن هدفها هو تلقين قيادات وأفراد أساليب قلق التغيير في الدول وأصول التظاهر والاحتجاج، حيث تأسست في البداية بلندن عام 2006، قبل أن يظهر أول فرع لها بقطر سنة 2009 قبل بداية أحداث الربيع العربي.
ينظر: أحمد عرفة، اليوم السابع، الأحد 2019/04/28، www.google.com/amp/s/m.youm7.com ، تاريخ التصفح 2019/05/12، سا: 21:46.

Jaques Marie Bourget"، نشرت معلومات مثيرة وأسرار خطيرة تؤكد في مجملها الطرح الذي يتبنى نظرية المؤامرة، وعلى حد تعبير الصحفيين فإن قصة الربيع العربي لم تعن سوى مؤامرة حيكت بدقة في الغرف السوداء بسبب علاقة وطيدة بدأت بين اسرائيل وقطر منذ مطلع تسعينيات القرن الماضي وتوجها الراعيان الأمريكي والفرنسي..فمنذ افتتحت الدوحة مكتب التمثيل الديبلوماسي الاسرائيلي اعتادت على استقبال "شمعون بيرز" و"تسيبي ليفني" زعيمة حزب كريما اليميني والتي كانت تستسيغ التسوق في المجمعات التجارية القطرية المكيفة وزيارة القصر الأميري".

يغوص الكتاب في وقائع وأحداث موثقة لعّل اهمها أسباب تأسيس قناة الجزيرة أو "التلفزيون الذي يملك دولة" على حسب تعبير الكاتبين:" خلافا للشائع فإن فكرة إطلاق قناة الجزيرة لم تكن وليدة عبقرية الأمير حمد برغم أنه رجل ذكي، هي كانت نتيجة طبيعة لاغتيال الوزراء الاسرائيلي "اسحق رابين" سنة 1995، فغداة الاغتيال قرر الأخوان "ديفيد" و "جان فريمان" وهما يهوديان فرنسيان عملا كل ما في وسعهما لإقامة سلام بين إسرائيل وفلسطين، وهكذا اتصلا بأصدقائهما من الأمريكيين الأعضاء في ايباك (أي لجنة الشؤون العامة الأمريكية الإسرائيلية) الذين ساعدا أمير قطر في الانقلاب على والده لاقناع هذا الأخير بالأمر"، ولعّل الدور الذي أدته القناة كأحد نماذج الاعلام الحديث في تغطيتها للأحداث الكبرى التي شهدها العالم بفعل الأزمات الدولية ومختلف أوجه الصراع الذي أفرز مآسي انسانية مؤلمة، جعل الحديث والنقاش يكبر ويتركز حول مدى تأثير وسائل الاعلام في ثورات الربيع العربي عن طريق النقل الحي والمتواصل مع الحضور المستمر في مختلف مراحل الحدث.

دراسات اعلامية عديدة حاولت القاء الضوء على الجوانب الخفية في الممارسة الاعلامية أثناء الأزمات الدولية الكبرى بغية التوصل لفهم مدى تأثير الخطاب الاعلامي على مسار الأحداث وتطورها، ففي دراسة حديثة اعتمدت على المنهج المقارن في رسم بيانات احصائية كمية ونوعية لنسب تغطية ثلاث محطات فضائية كبرى لأحداث "الربيع العربي" في الفترة

الممتدة ما بين (شهر ماي، جوان وجويلية 2005) وهي قناة "الجزيرة" و"العربية" وقناة "الحرة الأمريكية"، وتوصلت الدراسة إلى عدة نتائج أهمها:

- إن التغطية الإعلامية لكل من تونس وليبيا واليمن قبل ثورات الربيع العربي جاءت إما معدومة أو ضئيلة، في حين حازت مصر على نسبة اهتمام أكبر لدى القنوات الثلاث، تليها سوريا في المرتبة الثانية من حيث مدى الاهتمام بتطور الأحداث وتسارعها.
- من ضمن سبع تصنيفات رئيسية للمواضيع الإخبارية• المتناولة، تبوأت المسائل الإنسانية (حقوق الإنسان والديمقراطية) المرتبة الأولى، حيث جاءت في مقدمة الاهتمامات للقنوات الثلاث.
- جاءت التغطية الاعلامية المركزة على أخبار حقوق الإنسان والديمقراطية متباينة من دولة لأخرى،، فبينما شملت التغطية الخاصة بقناة "الجزيرة" كل بلدان الربيع، عمدت قناة "الحرة" الأمريكية إلى تجنب الحديث عن هذا الملف الحساس بليبيا، في حين حظيت الأحداث بمصر بأكبر تنوع في التغطية الاعلامية من ضمن جميع دول "الربيع"، وبالمقابل بدا تركيز قناة "الحرة" على ملف حقوق الإنسان في سوريا جليا وواضحا[1].

ومع أن الدراسة تعترف بأن الكشف عن نسب التغطية الاعلامية لأحداث "الربيع العربي" لا تكف وحدها لمعرفة خلفيات وأبعاد المضامين الخطابية لهذه الوسيلة الاعلامية أو تلك، إلا ان ظاهرة التركيز على مواضيع إخبارية دون أخرى، قد تكون مؤشرا له دلالاته الرمزية، فعن طريق نقل صور معبرة عن مواقف معينة، يتدخل الاعلام الدولي قصد تحقيق التأثير على الرأي العام والدفع به نحو التأثير على قرارات الدول حيال قضايا معينة مثل القضايا المرتبطة أصلا بالمسائل الإنسانية، وبالتالي فإن التركيز على حقوق الإنسان والممارسة الديمقراطية داخل بلدان "الربيع العربي" يعكس إلى حد كبير رغبة جلية في الدفع نحو

• لقد تم تحديد سبع تصنيفات رئيسية لدى القنوات الثلاث تندرج تحتها جميع المواضيع الاخبارية وهي: الأخبار السياسية، أخبار العنف والارهاب والحروب، أخبار الكوارث الطبيعية، الحوادث والجريمة، الأخبار الإنسانية الخفيفة، أخبار الصحة والطب، اخبار المحاكمات وسن القوانين، أخبار حقوق الإنسان والديمقراطية.

[1] دراسة بعنوان: ما مدى مساهمة القنوات الإخبارية في فتح شرارة الربيع العربي، القدس الغربي، 18 يونيو 2013 www.alquds.co.uk، تاريخ التصفح 2015/07/16، سا: 16:02.

التغيير عن طريق التوظيف السياسي لوسائل الاعلام وبالتفاعل مع المنظمات الإنسانية غير الحكومية بغرض تعميق الوعي بالقضايا الانسانية لتشكيل رأي عام يتبنى هذه الأفكار، ويسعى لتحقيقها مستفيدا مما توفره التكنولوجيا الحديثة من وسائل اتصال وتواصل سريعة وفعالة ومضمونة النتائج.

ولعل تباين أشكال التعامل الاعلامي الدولي مع أحداث "الربيع العربي" يعكس طبيعة العمل الاستراتيجي المنظم الهادف إلى تحقيق أهداف سياسية عن طريق توظيف "القوة الناعمة" من اعلام ومنظمات المجتمع المدني، وهو ما يبرره الانسجام التام بين الخطاب الاعلامي الذي تبنته قناة الحرة الأمريكية، وبين الأهداف السياسية للولايات المتحدة الأمريكية في المنظمة العربية. حيث أن عدم تركيز القناة على أخبار حقوق الإنسان والديمقراطية في ليبيا، بنفس الاصرار الذي تعاملت به مع الملف المصري، يجد تبريراته في رغبة الولايات المتحدة الأمريكية في أن تكون بعيدة نسبيا عن ميدان الصراع السياسي في ليبيا"[1]. بحيث اكتفت بالمشاركة لمدة أسبوع واحد ضمن حملة حلف شمال الأطلسي، واقتصرت مساهمتها على طائرتين بدون طيار فقط، تاركة تفاصيل العملية العسكرية على ليبيا لكل من فرنسا وبريطانيا، خوفا على المصالح الحيوية في منطقة غنية بحقول البترول، وعلى النقيض من ذلك جاء الإصرار الأمريكي قويا في الحالة المصرية حيث جاء الموقف الأمريكي صارما منذ الوهلة الأولى لاندلاع الحراك بضرورة تنحي حسني مبارك رغم كونه حليفا وفيا لأمريكا، هذا الموقف لم تتبناه الولايات المتحدة الأمريكية حتى مع النظام السوري الذي يوضع في خانة (الممانعة)، بحيث جاء الموقف الأمريكي غامضا ومترددا، واقتصر دورها في المطالبة بإصلاحات تلبي مطالب المحتجين مع ضرورة وقف العنف، مع التحذير بعدم استعمال الأسلحة الكيماوية الذي اعتبر خطا أحمر لا يمكن تجاوزه.

لقد فهم تحذير الرئيس الأمريكي "باراك أوباما" بعدم اللجوء إلى استعمال الأسلحة الكيماوية، وكأن دعوة ضمنية تجيز استعمال باقي أنواع الأسلحة المتاحة في الصراع الداخلي السوري، وهو ما يشر إلى زيف لشعار حماية المدنيين الذي ترفعه الولايات المتحدة

[1] جرجس فواز، **أوباما والشرق الأوسط، نهاية العصر الأمريكي**، ط1، لبنان، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 2014، ص 160.

الأمريكية قبل كل محاولة تدخل انساني في الشؤون الداخلية للدول كما حدث في العراق، وأفغانستان، والصومال.

لاشك أن منطق المصالح الذي يحكم ويحرّك المواقف والسياسات الخارجية تترجمه ازدواجية المعايير في التعامل مع الأزمات الدولية سياسيا واعلاميا، كما في الحالة اليمنية، حيث أن المخاوف الأمنية من تنظيم القاعدة أثّرت على الموقف الأمريكي الذي بدا غامضا ومرتبكا، وهو ما يؤكده وزير الدفاع الأمريكي (روبرت غيتس) "Robert Gates" بقوله:" إن سقوط النظام اليمني سيجعل واشنطن تواجه تحديات إضافية في اليمن"[1]. هذه التحديات الإضافية التي تكلم عنها وزير الدفاع الأمريكي الأسبق يربطها بعض المحللين بالجهود الأمريكية في إطار ما يسمى بـ "مكافحة الإرهاب" في اليمن، وتدريب الأجهزة الأمنية التي أنفقت الولايات المتحدة عليها ملايين الدولارات..."[2].

في اعتقاد عديد الباحثين، ان ما يجري على التوظيف السياسي للعمل الإعلامي يجري كذلك على العمل الانساني وكيف تم تسخير كليهما لذات الغاية، تحت غطاء نشر قيم الديمقراطية وترقية حقوق الإنسان تتحرك المنظمات الدولية غير الحكومية على جبهات مختلفة تمس في جوهرها الفرد والأسرة والمجتمع مع ضمان التمويل الكافي الذي يضمن نجاح هذه المهمات التي لا تعدو أن تكون في نظر عديد النخب مجرد خطط مدروسة بإحكام ضمن استراتيجية متوسطة وبعيدة المدى، تأتي نتائجها النهائية متوافقة مع مصالح واهداف التي تخدم الدول الكبرى، ولعل ما تضمنه كتاب أحمد بن سعادة• بعنوان: "أرابيسك أمريكية: الدور الأمريكي في الثورات العربية، " Arabesque Américaine : Rôle des états Unis dans les révolte de la rue Arabe".

---

[1] إياد خلف عمر الكعود، **استراتيجية القوة الناعمة ودورها في تفنيد أهداف السياسة الخارجية الأمريكية في المنطقة العربية**، ماجستير في العلوم السياسية، جامعة الشرق الأوسط، عمان، كانون الثاني، 2016، ص 113.

[2] إياد خلف عمر الكعود، المرجع نفسه، ص 114.

• احمد بن سعادة باحث جزائري وأستاذ في مادة الفيزياء بمونتريال الكندية، يوصف بأنه ناشط سياسي مهتم بالسياسة الخارجية الأمريكية والأدوار الخفية التي تؤديها عن طريق توظيف آليات مختلفة لتحقيق المصالح الحيوية والاستراتيجية خاصة دورها في ما يسمى بالثورات الملونة بوصفها احداث الربيع العربي.

وما أثاره من جدل واسع حول دور الولايات المتحدة الأمريكية في ثورات "الربيع العربي"، لا يخرج في جوهره عن سياقات التوظيف السياسي للإعلام والمنظمات الانسانية بغرض افتعال الأزمات وتأجيج الأوضاع والدفع بها إلى الاتجاه المرغوب.

يقول الكاتب :" من الواضح أن الولايات المتحدة الأمريكية لم تكن هي التي قامت بهذه الثورات العربية، غير أنها هي التي لعبت دورا بارزا في مرافقة وتدريب وتأطير وتمويل أبرز النشطاء السياسيين سواء في تونس أو في مصر أو بقية الدول العربية التي شهدت الاضطرابات، علما أن عمليات التدريب والتأطير والتمويل قد جرت قبل مدة طويلة"[1].

ولإثبات حقيقة الدور الأمريكي في الأحداث يحاول الكاتب لفت الانتباه إلى عناصر مهمة في الظاهرة بقوله:" لعّل ما يدعو إلى الغرابة أن الأعلام الأمريكية لم تحرق في تلك المظاهرات التي اجتاحت المدن والعواصم العربية، فالمنطق يقول إن المتظاهرين يبادرون بإحراق الأعلام الأمريكية تنديدا بالدعم الأمريكي لهذه الأنظمة على مدى عقود من الزمن".[2]

ويعتقد الكاتب أن الدوائر الديبلوماسية الأمريكية قد لعبت دورا كبيرا في الخفاء، بتحريك الشارع العربي عن طريق توظيف المنظمات الدولية غير الحكومية (ONG) التي أشرفت على عمليات تكوين وتأطير• النشطاء الذين يستخدمون شبكات التواصل الاجتماعي، بحيث لم يكن من قبيل الصدفة:" أن تقوم شركة مقرها في ولاية "ماسا شوست" الأمريكية، بتصميم برنامج جديد يعرف باسم "TOR" يسمح للنشطاء الذي يدورون في فلك الولايات المتحدة الأمريكية من الإبحار في الشبكات العنكبوتية واستخدام وسائل التواصل الاجتماعي مع

---

[1] أيمن علي العمري، **دور المنظمات الدولية في ثورات الربيع العربي**، الرأي، 2017/08/23: 12:05، http://alrai.com

[2] سارة سلامة: **أربايسك أميراكني**، لأحمد بن سعادة، تاريخ النشر: 26 نوفمبر 2017، http://printfirndly.com تاريخ التصفح: 2018/02/03، سا: 00:07.

• أعلنت وزيرة الخارجية الأمريكية هيلاري كلينتون في يناير 2010، تخصيص مبلغ 30 مليون دولار لشركات متخصصة في صنع البرمجيات لمساعدة منظمات المجتمع المدني والنشطاء المعارضين الذين يعيشون في الأنظمة الاستبدادية على كسر الرقابة وتشفير رسائلهم ومحو آثارهم حتى يصعب بعد ذلك على الأجهزة المختصة في بلدانهم تعقبهم، وذلك تحت "شعار الانترنت حرة رغم الرقابة".
ينظر: أحمد بن سعادة: الدور الأمريكي في الثورات الملونة

الحفاظ على السرية الشخصية الكاملة، وقد وضعت هذه التقنية الجديدة على ذمة النشطاء الذين يسعون لإسقاط الديكتاتورية في بلدانهم"[1].

في السياق ذاته يندرج تصريح الخبير الروسي في شؤون الشرق الأوسط "فياتشيسلاف ماتوزوف" لقناة "روسيا اليوم" بتاريخ 03 مارس 2003،:" بأن المبادرات لتغيير الأنظمة العربية ليست منبثقة من داخل العالم العربي وان هذه الفكرة وصلت من الخارج وتقوم بتحريكها منظمة غير حكومية اسمها• Business of Diplomatic"[2].

الفرع الثاني: شبهة التمويل السياسي

لقد ذكرنا في ثنايا هذه الدراسة أنه من ضمن الآليات التي تم تسخيرها سياسيا "التمويل الخارجي"، فالمال بالنسبة للمنظمات الإنسانية هو عصب الحياة ومضامن الاستمرار لنشاطها الانساني "الظاهر منه والخفي"، بل إن أحد الأهداف الأساسية للمنظمات الإنسانية في تعاملها مع الجمهور العريض هو جمع التبرعات التي توجه للمساعدات الانسانية وإغاثة المتضررين من الحروب والنزاعات، ومختلف الأزمات الدولية، وهذا يعتبر من صميم النشاط الانساني الفعلي للمنظمات الإنسانية، غير أن لتمويل مصادر متعددة وان المانحون او المتبرعون أصناف عدة، فقد يأتي التمويل الخارجي للعمل الإنساني من مصادر خاصة "وقد تأتي الأموال من دول وحكومات إلى منظمات المجتمع المدني بمختلف أشكالها وتعدد

[1] احمد بن سعادة، الدور الأمريكي من الثورات الملونة إلى الربيع العربي، مرجع سابق.

• **Business of Diplomatic:** هي منظمة دولية غير حكومية (ONG) تأسست سنة 2002 تحمل شهار "بناء جسور جديدة للعالم"، وتعمل كما هو مكتوب على موقعها الالكرتوني على تحسين سمعة الولايات المتحدة الأمريكية بين شعوب العالم، وتشير المعلومات المتوفرة أن المنظمة تلقت دعما ماليا سخيا من كبريات الشركات الأمريكية مثل: جولجل، مايكروصفت، بوينغ، بيبسي، كوكا كولا، تايمز...الخ، لذلك يعتقد أن ادوارها أكبر من مجرد العمل على تحسين سمعة دولة، بحيث توجه أصابع الاتهام إلى هذه المنظمة بتوريطها الواضح في عديد القضايا الدولية عن طريق نشر ما يسمى بـ "الفوضى الخلاقة" التي تمهد الطريق للتدخل الأمريكي بشكله المباشر وغير المباشر.
ينظر: منظمة Business of Diplomatic، الشبكة اللبرالية-الحرة، تاريخ النشر: 2011/08/15، www.libiral.org/VB/Arachné، تاريخ التصفح: 2017/06/15، ساا: 06:41.

[2] حمزة السلامات، حقيقة الدور الأمريكي في ثورات الربيع العربي، مركز الروابط للدراسات الاستراتيجية والسياسية، www.rawabetcenter.com

نشاطاتها، وقد تكون من مؤسسات غير حكومية إلى أفراد ومؤسسات غير حكومية بغرض تحقيق اهداف ذات صبغة سياسية أو اجتماعية ثقافية"[1].

إن تعدد مصادر التمويل مع ما يحيط بها من شبهات ترتبط أساسا بمصادر التمويل نفسها وبطبيعة الممولين• فلا يمكن أن يتم التمويل دون مقابل، فكثيرا ما تتعرض المنظمات الإنسانية لعملية ابتزاز ينتهي بها الحال إلى التخلي عن أهم عناصر قوتها ومناعتها وهي "الاستقلالية والحياد"، وهما من أهم المبادئ الأساسية للعمل الإنساني كما أشرنا إلى ذلك سلفا، ولعّل ما كتبته "مارلين سبوري"• حول دور الولايات المتحدة الأمريكية في التمويل السياسي للمنظمات الدولية غير الحكومية (ONG)، والذي اعتبره عديد النقاد بمثابة شهادة إدانة صريحة لأمريكا في سياستها الخارجية.

تقول الكاتبة:" ...أما ما يتعلق بمزاعم ان هذه المنظمات والمؤسسات الأمريكية غير حكومية، فعلى الرغم من أن هذه المنظمات تطلق على نفسها منظمات المجتمع المدني، إلا انها في الحقيقة ليست كذلك، إن هذه المنظمات ما هي إلا ادوات للسياسة الخارجية الأمريكية"[2].

إن تعدد مصادر التمويل بالنسبة للعمل الإنساني هو بمثابة المعيار الجوهري الذي يتحدد على ضوئه نشاط المنظمة الإنسانية وعملها المستقبلي، ذلك أنه لم يعد بالإمكان التغاضي عن سوء إدارة العمل الإنساني أو توظيفه خارج إطار مبادئه، فقد يكون لهذا السلوك نتائج وخيمة على المنظمة الإنسانية نفسها، تتراوح ما بين تحميلها مسؤولية الاستخدام السيء لمساعدات الإنسانية أو توظيفها في غير الأغراض المحددة لها إلى درجة أخطر، وهي اتهامها بالخيانة العظمى لتعارض نشاطها مع أخلاقيات العمل الإنساني، والقوانين التي تفرض على

---

[1] سالم لعريض، نشاطات ومنظمات ومؤسسات أمريكية مشبوهة، الحوار المتمدن 2014/03/13، www.m.alhewar.org تاريخ التصفح 04 أفريل 2016، سا 12:00.

• قد تكون مصادر التمويل السياسي لنشاط المنظمات الدولية غير الحكومية من طرف حكومات ومؤسسات، وقد يرتبط التمويل بأنشطة غير مشروعة مثل ظاهر غسل الأموال المتأتية من تجارة المخدرات وصفقات السلاح...الخ، ينظر: حسن نافعة، التمويل الأجنبي والابتزاز السياسي، المصري اليوم، الحميس 2013/02/28، http://almasryalyoum.com تاريخ التصفح: 2015/10/09، سا: 23:30.

• مارلين سبوري، باحثة أمريكية بمعهد كارينجي تعرف ببحوثها حول ثورات الربيع العربي، وكذا الدور الأمريكي في المنظمة العربية.

[2] سالم لعريض، **نشاطات ومنظمات ومؤسسات أمريكية**، مرجع سابق.

المنظمات الإنسانية الفصل بين العمل السياسي الذي تحكمه المصالح والعمل الانساني التي يحتكم حتما إلى الأخلاق.

الفرع الثالث: العمل الإنساني ومأزق التسييس

في ثورات الربيع العربي تكشف مدى خطورة التوظيف السياسي للمسائل الانسانية سواء من طرف وسائل الاعلام أو من جانب المنظمات الدولية غير الحكومية، كما ان إخضاع المساعدات الإنسانية لعامل الانتقائية وفق المصالح السياسية، الذي يتنافى مع مبدأ أساسي من مبادئ العمل الانساني وهو "عدم التميز" يدفع حتما إلى تعميق فجوة الصراع والدفع بأطراف الأزمة• إلى المزيد من العنف والعنف المضاد مما يؤدي في نهايته إلى تفاقم الوضع الذي يتيح بدوره توجيه مسار الأزمة بما يتلاءم مع رؤى ومصالح الدول الكبرى، لهذه الأسباب تعتبر التمويلات المشبوهة لنشاط منظمات المجتمع المدني بمثابة "تغلغل ناعم" في نسيج الدول يحقق الاحتواء، ومن ثم يسهل الاختراق، فتتحول المجتمعات إلى مرتع خصب للاستخبارات الأجنبية ومنظمات دولية مشبوهة تتولى العمل بالوكالة لتحقيق الأهداف الاستراتيجية للقوى المهيمنة.

لا أحد ينكر الأدوار الهامة التي لعبتها المنظمات الدولية غير الحكومية في تشخيص الواقع الاجتماعي والاقتصادي والسياسي لدول الربيع العربي ومدى مساهمتها في كشف مظاهر الفساد العام عن طريق تقارير تم رصدها بدقة لاسيما ما تعلق منها بالفساد السياسي وانتهاكات حقوق الانسان، ومن ثم تكون قد ساهمت في نشر الوعي وتشجيع الرأي العام على التحرك لتحقيق التغيير، ولكن هذه الأدوار مع أهميتها تكاد تكون في نظر الباحثين بمثابة حق أريد به باطل، فنصيب المنظمات الدولية غير الحكومية من المسؤولية آلت اليه الأوضاع سواء في المنطقة العربية أو في غيرها جلي وثابت، وذلك بالنظر إلى ازدواجية

• في ليبيا، وبمجرد أن انفجرت الأحداث بادرت الولايات المتحدة الأمريكية إلى تقديم مليار دولار من أموال ليبيا المجمدة لدعم المجلس الانتقالي الذي تولى الحكم بعد سقوط نظام القذافي، في حين حرصت الصين على تجميد الأموال الليبية ضمانا لمصالحها، لأن الصين كانت تدعم القذافي، بينما أعلنت الدول الصناعية الثمانية عن تقديم مساعدات لدول الربيع قدرتها 80 مليار دولار لدعم الديمقراطية وحقوق الإنسان، وراحت دول الخليج لغرض دعما المالي السخي للتيارات الدينية، وفي مقابل ذلك عمدت إيران إلى دعم الأنظمة الحليفة في سوريا ولبنان..
ينظر: حمدي عبد العظيم، المال والسياسة في التمويل الخارجي للتفاعلات الانتقالية داخل الدول العربية، الأهرام الرقمي، 2011/10/01، http://digital.ahram.org/article.aspx تاريخ التصفح 2016/11/29، سا 15:35.

الأدوار في التعامل مع الأزمات الإنسانية المختلفة، ففي تاريخ العمل الإنساني الطويل هناك العديد من الشواهد التي تؤكد هذه الحقيقة، فالتناقض الصريح بين ما هو معلن وما هو خفي في سلوك هذه المنظمات، بقدر ساهم في تقويض العمل الإنساني وتجريده من عناصر مناعته الذاتية، والزّج به في مستنقع السياسة والتحالفات الدولية التي تخضع لمنطق المصالح، بقدر ما كرّس صورة سلبية للغاية عن المنظمات الإنسانية لدى الشعوب والأنظمة التي تأذت من هذه السلوكات، ولعّل هذا ما يبرر لجوء العديد من الأنظمة السياسية إلى عرقلة أنشطة المنظمات الدولية غير الحكومية باتخاذ إجراءات تتراوح ما بين فرض قيود قانونية على تحركاتها إلى اعتقال ناشطيها وإحالتهم على القضاء إلى خطوة أخرى أكثر جرأة وهي غلق مكاتبها نهائيا مع لهذا الإجراء من تداعيات دولية على مستقبل الأنظمة السياسية•.

تثير جدلية الأدوار التي تؤديها المنظمات الدولية غير الحكومية تساؤلات عديدة، خاصة ما تعلق منها بالجوانب السياسية والانسانية، والتي تطغى عليها النظرة السلبية في الحكم على نشاط هذه الفواعل الدولية التي غالبا ما توصف بأنه مجرد ادوات الهيمنة التي توظفها الدولة الكبرى في عملية اختراق الخصوصيات السياسية والثقافية والدينة للدول، ولعّل هذا ما يؤكده موقف أحد الباحثين الأمريكان من المنظمات الدولية غير الحكومية بقوله:" المنظمات الدولية غير الحكومية، هذه الجمعيات المستقلة نظريا أو ذات السمعة الانسانية المعروفة تحت اسم (ONG) هي من الآن فصاعدا مدمجة في الاستراتيجية المجملة لواشنطن لأجل دعم تفوقها الشامل...فمنذ سنة 2000، وبالشكل المقصود، أخذت الولايات المتحدة الأمريكية على عاتقها تمويل الجماعات السياسية والعصابات المسلحة، ولكن أيضا النقابات، منذ وصول "جور دبليو بوش" إلى السلطة في يناير 2001، ادمجت لمنظمات غير الحكومية شيئا فشيئا داخل

• في مصر أثارت المستشارة فايزة أو النجا في ديسمبر 2011 مسألة التمويل الأجنبي لبعض منظمات المجتمع المدني التي تتلقى تمويلا أجنبيا مشبوها من حكومات أجنبية ومنظمات دولية غير حكومية، وتم توجيه الاتهام إلى 17 عشر منظمة غير حكومية منها منظمات دولية غير حكومية أمريكية كالمعهد الجمهوري الدولي وفريدوم هاوس في سوريا يطرح مسألة انعدام الأمن والسلامة الشخصية للنشاطين في المجال الانساني، حيث وصل الأمر إلى مقتل عدد من موظفي الاغاثة الدولية، هذه الظاهرة تكاد تكون مألوفة، تفاقمت الأزمات والصراعات الدولية

جهاز التدخل الأمريكي"[1]، ويأتي تصريح مجلس الشيوخ الأمريكي في ديسمبر 2006، ليؤكد هذا الموقف عندما يعلن موافقته على استخدام المنظمات الدولية غير الحكومية في تحقيق السياسة الأمريكية مبررا ذلك بصعوبة ممارسة السياسة الأمريكية مباشرة من قبل الحكومات في بعض الأحيان"[2].

لقد خلصت عدة دراسات وبحوث أكاديمية بعد تحليلها لدوافع واهداف ومآلات ما يسمى بالربيع العربي إلى ربط الظاهرة بأخطر وأكبر مشروع للسيطرة المطلقة عسكريا وسياسيا واقتصاديا واجتماعيا على المنطقة العربية، والتي يطلق عليها مصطلح "الشرق الأوسط الكبير"• اعتبارا للموقع الاستراتيجي، وتمركز أغلب احتياطات البترول، والقدرات الكامنة على انتاج ما يسمى بـ "الطاقات المتجددة"•، لذلك عملت المبادرة على تحديد الإطار الجغرافي للشرق الأوسط الكبير من منظور مختلف يأخذ بعين الحسبان العوامل الجيواستراتيجية للمنطقة، والتي تبنى على أساسها خارطة طريق واضحة المعالم لتحقيق الاصلاح الشامل على خمس مراحل:" أولّها إعادة بناء الدولة العراقية الجديدة بغية تأهيلها نموذجا للاقتداء به في المنطقة، وثاني هذه الخطوات هي مبادرة الاصلاح والتسوية في السودان التي تمت بتدخل أمريكي مباشر وثالثها مشروع الاصلاح الأمريكي في أفغانستان الذي اتخذ مسارا في اتجاه بناء أرضية جديدة للدولة من خلال نشر نماذج محددة للثقافة السياسية...ومراجعة الأنظمة التربوية وفرض إصلاحات اجتماعية، ورابعها الخطوات التي

---

[1] Jakob Lafish When « NEOS » Attack : inplication of the coup in georgia-counter punch 6/7/ décembre 2003.

[2] المرصد البحريني لحقوق الإنسان، من هي العفو الدولية، http://www.bahrainmonitor.com/mojtamaa/m-04401html ، تاريخ النشر: 2016/03/15، تاريخ التصفح: 2017/02/28، سا: 20:05.

• **الشرق الأوسط الكبير:** هوز مصطلح أطلقته إدارة الرئيس الأمريكي "جورج بوش دبليو بوش" على منطقة واسعة تضم كامل البلدان العربية، إضافة إلى تركيا، اسرائيل، ايران، أفغانستان وباكستان، وذلك في إطار مشروع شامل يسعى إلى تشجيع الاصلاح السياسي والاقتصادي والاجتماعي، حسب تعبيرها في المنطقة، وقد تم إعلان عن نص المشروع في شهر مارس 2004، بعد أن تم طرحه على مجموعة الدول الصناعية الثمانية، وينطوي المشروع على ضرورة التغيير في المنطقة عوضا عن استراتيجية الحفاظ على الوضع القائم التي كانت معتمدة سابقا بعد أن بات هذا التغيير ضرورة ملحة وفق الرؤى الأمريكية لأمنها القومي ومصالحها الاستراتيجية.
ينظر: ماجد كيالي، مشروع الشرق الأوسط الكبير...دلالته وإشكالاته...الإمارات العربية المتحدة، مركز الإمارات للدراسات والبحوث الاستراتيجية أبو ظبي، ط1، 2007، ص 33.

• **الطاقات المتجددة:** هي الطاقة المستدامة غير التقليدية التي يتم الحصول عليها من الطبيعة (الموارد الطبيعية)، وهي طاقة لا تنفذ و لا تنصب مع استخدام الانسان لها، وبذلك فهي تختلف عن مصادر الطاقة التقليدية المهددة بالانقراض، مثل الفحم، البترول، الغاز الطبيعي...وتسمى كذلك بالطاقة البديلة، مثل الرياح والشمس والحياة ومصادر أخرى، واهم ما يميزها إلى جانب انها مستدامة، هي كذلك نظيفة لا تتسبب في التلوث الذي يهدد عالم اليوم بيئة وإنسانا.
ينظر: الطاقة المتجددة، طاقة مستدامة ونظيفة، تاريخ التصفح: 2018/02/28 www.Feed.net تاريخ التصفح: 12:00.

حققتها الإدارة الأمريكية على صعيد الحد من انتشار أسلحة الدمار الشامل في المنطقة، وخامسها انبثاق ديناميكية اختراق متزايد ونوعي لقوى المجتمع المدني العربي والاسلامي من خلال تنفيذ برامج واسعة أبرزها قنوات التعبئة الإقليمية (إذاعة سوا، تلفزيون الحرة) والمكاتب الاقليمية لتسويق مشروع الشرق الأوسط الكبير"[1] كآليات لتنفيذ المشروع، وعن طريق لتوظيف المتوازن لمعيار القوة أو ما تسميه بـ "القوة الذكية"• كأهم الثوابت الاستراتيجية في الأداء السياسي الخارجي، والتي تقتضي المزاوجة ما بين القوة الصلبة (التدخل العسكري المباشر) والقوة الناعمة (عن طريق توظيف الاعلام الدولي ومنظمات المجتمع المدني لتحقيق الاهداف والمصالح الاستراتيجية).

لاشك أن التفاعل المستمر بين الإعلام ومنظمات المجتمع المدني خاصة المنظمات الدولية غير الحكومية (ONG) حول المسائل الانسانية الكبرى، وفي مقدمتها حماية حقوق الإنسان في بؤر التوتر والصراع الدولي، فرض على الاعلام الجديد تحمل الثقل الأكبر عن طريق زيادة وتيرة الضغوط على الأنظمة السياسية المغلقة، بحيث يلجأ تدويل القضايا الانسانية المطروحة بما يتيح للمنظمات الانسانية (غير الحكومية) التحرك قانونا لتقصي الحقائق، ومن ثم اتخاذ التدابير اللازمة التي قد تصل إلى حد الدعوة إلى التدخل الانساني بغرض توفير ما يسمى بالحماية الدولية ضد الانتهاكات في بلدان الربيع العربي تأكد وجود البصمة الأمريكية في نظر عديد الباحثين الذي عكفوا على دراسة وتحليل الظاهرة الثورية في المنطقة، حيث لا شيء متروك للصدفة على الإطلاق.

وفي زحمة الجدل المتواصل حول الأدوار التي يؤديها العمل الاعلامي والعمل الانساني في فضاء الازمات والكوارث الانسانية، تغيب حقائق وتتأكد أخرى، وأمام صعوبة الالمام بكل الأحداث المتسارعة في عالم اليوم تتأكد حقيقة واحدة مفاداها أنه لا يمكن فهم الأزمات

---

[1] محمد فلاح الزغبي، الاستعمار الأمريكي الجديد للشرق الأوسط، ملامحه وتداعياته، دمشق، اتحاد الكتاب العرب، 2007، ص 34.

• **القوة الذكية:** مفهوم القوة الذكية هو احد اهم المفاهيم في العلاقات الدولية، حيث يأتي تبني هذا المفهوم في مقابل المفهوم التقليدي للقوة هو القوة الصلبة التي تعتمد على القوة العسكرية والاقتصادية قبل كل شيء ويعرفه "أرنست ويلسون بأنه:" قدرة الفاعل الدولي على المزج بين عناصر القوة الصلبة والقوة الناعمة بطريقة تضمن تدعيم تحقيق أهداف الفاعل بكفاءة وفعالية.

ينظر: يمني سليمان، القوة الذكية، المفهوم والأبعاد، دراسة تأصيلية، المعهد المصري للدراسات، 12 يناير 2016، http://eipss.eg.org، تاريخ التصفح: 2016/07/17، سا:06:20.

الدولية الحديثة خارج إطارها "الجيوبولتيكي"، والمقاربات الحربية التي تؤسس لفكرة التوازنات السياسية والعسكرية الاقليمية والدولية، وكيف توظف الأزمات الدولية لخدمة اجندات معينة في العلاقات الدولية، متخذة من فعالية الوسائل التكنولوجية المتاحة دعامة لتحقيق الأهداف المسطرة.

ليس من قبيل الصدف أن تلجأ الحكومة المصرية وفي أوج الحراك العربي إلى قطع الأنترنت وتعطيل شبكات التواصل الاجتماعي، وقد أدركت خطورة هذه الوسائل التواصلية على مستقبلها السياسي، كما انه ليس صدفة أن يأتي الرد سريعا وعلى المباشر من رئيس أكبر دولة في العالم على هذا الاجراء بتاريخ 2011/01/28 يصرّح باراك أبوما:" الشعب المصري له حقوق عالمية...أدعو حكومة مصر إلى العدول عن الاجراءات المتخذة بغرض تعطيل شبكات الأنترنت، الهاتف النقال ومنصات التواصل الاجتماعي التي تعمل ما في وسعها لربط الناس ببعضهم في القرن الواحد والعشرين.

إذا كان القرار المصري بمثابة رهان سياسي داخلي يهدف إلى عزل الثورة عن الخارج فإنه بالنسبة للولايات المتحدة الأمريكية اكبر واعمق واخطر كونه يتعلق برهان جيواستراتيجي عالمي، يعكس إلى حد كبير اهمية البعد الإتصالي في رسم معالم المجتمع الدولي والعلاقة الدولية في زمن العولمة.

فمسألة تشكيل الرأي العام وقدرة الاتصال الدولي الحديث عن التغلغل بعمق داخل أجساد المجتمعات يحولها إلى فضاء لصراعات متعددة الأشكال، حيث أصبحت من أبرز سمات العصر الحديث، ولقد تجلت عملية توظيفه " كأداة من ادوات التعبئة والحشد• لقضايا ومفاهيم تروج لأجندات مدروسة، ومن ثم تدوير هذه الأخبار على مواقع الكترونية اخبارية أخرى لخلق أزمة سياسية كبيرة، أو مواقع الكترونية تعمل على فضح وتسريب معلومات استخباراتية أو غيرها"[1].

• لقد تم توظيف الاعلام الالكتروني لإسقاط الانقلاب العسكري في تركيا عندما تدخل الرئيس التركي أردوغان عبر السكايب بعد محاصرة المؤسسات الاعلامية التقليدية.

[1] الاعلام الإلكتروني ودوره في الصراعات الدولية، مركز الفكر الاستراتيجي للدراسات، https://likecenter.com تاريخ التصفح 8 مارس 2017، سا: 10:45.

لاشك أن ظاهرة الصراع الانساني تتطور تبعا لتطور أدوات المواجهة، وصراع اليوم تدور رحاه في فضاء مختلف تماما كما عهدته أشكال الصراع القديمة، إنه فضاء الكتروني ناعم الملمس، تتفاعل فيه الرؤى والمصالح والأفكار والايديولوجيات، لكنه يمتلك قدرة تدميرية خارقة "لا تصاحبها دماء وأشلاء بالضرورة، فقد يتضمن التجسس، والتسلل ثم النسف، لكن لا دخان ولا أنقضا وغبار"[1].

"لقد استطاع اعلام العولمة بقدراته التكنولوجية الهائلة ان يحول العلاقات الدولية إلى بحر من الأمواج المتلاطمة..فالواقع يؤكد ان عمليات التوظيف والتعتيم والتضليل والتحريف والتشهير لخدمة أغراض قوى عظمى، أصبحت مسائل واضحة للعيان وأثرت بدورها في العلاقات بين الدول"[2].

مع الاعلام الالكتروني المدعم بسلاح الصورة، بات يكفي توجيه دعوة فردية على موقع الكتروني أو عبر تغريدة مجهولة المصدر لتحريك الأوضاع في شكل احتجاجات مطلبية سرعان ما تتحول إلى مظاهرات واعتصامات مفتوحة تتخذ شكل حراك اجتماعي ينتج ثورة تقلب الموازين رأسا على عقب كما حدث في ثورات الربيع العربي التي لا تزال تداعياتها تفرز أزمات في غاية الخطورة والتعقيد، ولعّل أقرب مثال ما ترتب عن الأزمة السورية من مآسي انسانية مرعبة، والمتمثلة في أزمة اللاجئين والنازحين وظاهرة الهجرة غير الشرعية التي حولت البحر الأبيض المتوسط "" إلى أكبر مقبرة بحرية عبر التاريخ الانساني"[3].

كما سنوضح ذلك من خلال المطلب الرابع المتضمن مسألة اللاجئين في الخطاب الإعلامي الدولي.

[1] أحمد عبد الحمي حسين، يوميات الثورة المصرية، مركز الجزيرة للدراسات، الدار العربية للعلوم، ناشرون، بيروت، ط1، 2011، ص 4.

[2] عواطف عبد الرحمن، الاعلام العربي وقضايا العولمة ، العربي للنشر والتوزيع، دراسات في الاعلام، ، 2003، ط1، القاهرة، ص 201.

[3] فولفجانج باور، هاربون من الموت، السوريون والطريق إلى أوروبا (ترجمة جمال خليل صبح)، الهيئة العامة السورية للكتاب، القاهرة، 2016، ص 151.

المطلب الرابع: مسألة اللاجئين في الخطاب الإعلامي الدولي

تمهيد

هبت رياح "الربيع العربي" على سوريا وتطايرت شرارتها ليوقد فتيل أزمة ثورة الخامس والعشرين يناير بمصر، تبعها اعتصام عشرات المواطنون السوريون أمام السفارة الليبية للتعبير عن تضامن سوريا مع الشعب الليبي، لتأخذ بعد ذلك شكل تظاهرات مطلبية في مناطق عديدة من سوريا تطالب بالحرية واطلاق شراح المعتقلين السياسيين ورفع حالة الطوارئ، ثم ما فتئ سقف المطالب ليرتفع للمطالبة برحيل النظام الذي حاول امتصاص الغضب الشعبي من خلال الاستجابة لبعض مطالب المحتجين عن طريق اطلاق حزمة اصلاحات سياسية بدايتها اطلاق سراح المعتقلين السياسيين، في حين اندلعت مظاهرات أخرى بمدينة "درعا" رفعت شعار محاربة الفساد ونددت بالظروف الاجتماعية الصعبة جراء ارتفاع معدلات البطالة، قوبلت برد قوي من طرف قوات الامن واصفة ما يحدث بالمؤامرة الخارجية على سوريا، بينما زادت المظاهرات حدة وعمت كل تراب سوريا لتنزلق الأمور إلى حرب أهلية تفاقمت أحداثها بفعل التدخل الأجنبي متعدد الأطراف، تسبب في تدويل القضية السورية وبالتالي تعقدت الأوضاع بسبب المواجهات العسكرية بين أطراف الصراع باستعمال كل انواع الأسلحة الفتاكة التي خلفت عشرات الآلاف من القتلى، مدن مدمرة عن آخرها، وخسائر مادية وبشرية معتبرة•.

لا تتوقف الحروب بمجرد وقف اطلاق النار، بل تترتب عنها أزمات قد تكون أشد وطأ من الحروب نفسها، ولعّل أزمة اللاجئين السوريين تعكس هذه الحقيقة التاريخية، مع انها ليست الأولى في تاريخ الأزمات الانسانية، بحيث تستحضر الذاكرة الانسانية حالات عديدة

• وفق المرصد السوري لحقوق الانسان، تسببت الحرب الأهلية في مقتل 353 ألف سوري، مليون ونصف المليون عاهة دائمة منهم 86 ألف فقدوا أطرافهم، 6.1 مليون نازح، 5.6 مليون لاجئ إلى دول الجوار وأوروبا، أكثر من نصف سكان سوريا ما بين نازح ولاجئ منذ سنة 2011 وهو ما يمثل نسبة 53% من سكانه.
ينظر: ماذا فعلت الحرب بسوريا، www.bbc.com/arabic/middleeast تاريخ النشر: 15 مارس 2018، تاريخ الاطلاع: 18 مارس 2018 سا: 17:00.

من اللجوء لعل أكثرها مأسوية الحالة الفلسطينية التي لا تزال تداعياتها مستمرة منذ سنة 1948، ولا يزال حلم العودة لما يعرف بـ"فلسطين الشتات"•.

غير أن الازمة السورية تعتبر في نظر الملاحظين أسوء كارثة انسانية واجهتها الأمم المتحدة منذ الحرب الباردة بحسب التقارير الصادرة عن هذه المنظمة الأممية التي تشير إلى ان نصف سكان سوريا مهددون بالتهجير إذا ما استمرت الأوضاع الداخلية على حالها.

في هذه المرحلة من الدراسة عمد الباحث إلى دراسة المسألة من خلال مضامين الخطاب الاعلامي الغربي وكيفية تعامله مع الظاهرة الانسانية، بما تشكله من تحد للدول والمنظمات الانسانية كرهان بالغ التعقيد يضع على المحك مصداقية الاعلام والعمل الانساني المتمثل في المنظمات الدولية غير الحكومية التي تمثل جوهر هذه الدراسة.

لاشك أن مصطلح لاجئ• شديد الارتباط بمفهوم الحماية، فكلمة ملجأ" تعني المكان المقدس الذي يأوي اليه الإنسان بحثا عن الحماية والحصانة"[1]، معناه البحث عن الملاذ الآمن وهو ما تسعى لتوفيره القوانين والأعراف بالرغم مما تثيره مسألة اللجوء من جدل لتداخل المفهوم مع مفاهيم السيادة ومبدأ عدم التدخل في الشؤون الداخلية للدول. وتحدد اتفاقيات جنيف لعام 1949 وبروتوكولاتها لعام 1977، كيفية التعامل مع مسألة اللاجئين وفق

• **فلسطينيو الشتات:** هو مصطلح يستعمل لوصف الفلسطينيين الذين يعيشون خارج فلسطين منذ حرب 1948، حيث تم تهجير قرابة خمسة ملايين يعيشون في عدة دول عديدة وغربية وتسمى بلدان الشتات، حيث بذلت جهود كبيرة بغرض تسهيل إدماجهم في الحياة الاجتماعية والاقتصادية لهذه البلدان، وتقدر الاحصائيات أن نسبة 85% من أهالي الأرض التي أقيمت عليها اسرائيل أصبحوا لاجئين.
ينظر: شتات فلسطيني، المعرفة، https://marefa.org تاريخ الاطلاع: 2016/06/06، سا: 18:09.

• **اللاجئ:** في اللغة اللاجئ من لجأ يلجأ لجوءا، يقال الجأت فلانا الشيء إذا حضنته في ملجأ، الجأه إلى الشيء اضطره اليه.
تعرف اتفاقية جنيف اللاجئ بانه:" كل شخص يوجد نتيجة أحداث وقعت قبل كانون الثاني سنة 1951 بسبب خوف له ما يبرره من التعرض للاضطهاد بسبب عرقه، جنسيته، دينه أو انتمائه إلى فئة اجتماعية معينة أو آرائه السياسية خارج البلد الذي يحمل جنسيته ولا يستطيع أو لا يرغب بحماية البلد بسبب الخوف أو كل من لا جنسية له، وه خارج بلده السابق ولا يستطيع أو لا يرغب بسب بالخوف في العودة إلى ذلك البلد.
اللاجئ في ميثاق منظمة الوحدة الافريقية (الاتحاد الافريقي حاليا): هو كل شخص أرغم على مغادرة موطنه الأصلي بحثا عن ملاذ في مكان آخر خارج وطنه المنشأ او الأصل وذلك نتيجة عدوان خارجي أو احتلال أو غزو أجنبي أو احداث خطيرة تهدد السلامة العامة في جزء من وطنه أو كل.
هناك فرق بني اللاجئ والنازح: اللجوء يتم خارج حدود الوطن الأصلي، والنزوح هم مهاجر داخلي في حدود البلد الأصلي.

[1] عبد الحسين شعبان، **اللاجئون في العالم...معاناة انسانية ونقص بآليات الحماية**، المعرفة، www.aljazera.net تاريخ النشر: 2013/07/19، تاريخ الاطلاع: 2015/04/26 سا: 20:30.

القوانين والمواثيق الدولية من خلال ايجاد آليات لتجسيد مبدأ الحماية والتكفل بإغاثة اللاجئين•.

اللجوء رحلة مضنية وشاقة محفوفة بالمخاطر وغير مضمونة العواقب والنجاة من نيران الحروب ليست النهاية، بل هي بداية المآسي والمعاناة ولعل الواقع المأساوي الذي تنقله صور لأمواج بشرية التي تتدفق على البر المسيج والبحر المتلاطم بحثا عن الملاذ الآمن، وأخرى داخل مخيمات تتعاقب عليها فصول السنة بقساوة البرد والحر في غياب أدنى لشروط العيش الكريم، وعندما يتحقق حلم العبور تبدأ معاناة أخرى مع الحملات الاعلامية والممارسات العنصرية والتوظيف غير الانساني لقضايا الهجرة والانتهاكات الجسيمة لمبدأ حقوق الإنسان الذي تقره الديانات السماوية وتتبناه القوانين الدولية.

دراسات بحوث عديدة تناولت ظاهرة الهجرة وكيفيات التعاطي معها من قبل الاعلام الدولي كمسألة انسانية بحتة وخلصت معظم هذه الدراسات إلى شبه إجماع حول مسؤولية وسائل الاعلام والمنظمات الدولية غير الحكومية في ترسيخ خطاب الكراهية وقضايا التعصب باعتماد ازدواجية المعايير وفق منطق المصالح على حساب المسائل الأخلاقية والانسانية وكيف تم اخضاع معاناة انسانية بحتة إلى تجاذبات سياسية لها أبعادها الخطيرة.

لقد تجلى بوضوح كيف تعامل الاعلام الغربي مع قضية اللاجئين كجزء من خطاب سياسي سائد وفق الغايات والانتماءات السياسية لوسائل الاعلام لذلك جاءت التغطيات الاعلامية المختلفة محملة بأشكال متباينة ومتناقضة تتأرجح بين اعلام متعاطف، محافظ ومعارض للظاهرة تبعا لتغير الظروف والمستجدات.

• **المفوضية السامية للأمم المتحدة لشؤون اللاجئين**: تعرف اختصارا "بمفوضية اللاجئين" "UNHCR" وهي إحدى منظمات الأمم المتحدة، أنشئت بهدف حماية ودعم اللاجئين بطلب من حكومة ما أو من الأمم المتحدة نفسها، وتسهل على إتمام عودتهم الاختيارية إلى أوطانهم او الاندماج في المجتمعات المستقبلية او إعادة توظيفهم في بلد ثالث، تأسست المفوضية في جنيف (سويسرا) بتاريخ 1950/12/14، ولها مكاتب تمثيل في العديد من بلدان العالم وتسعى هذه المنظمة إلى توفير الحماية القانونية والجسدية والحد من خطر العنف الذي يتعرض له اللاجئون، كما تعمل على تحقيق الاغاثة الانسانية عن طريق توفير لغذاء والمأوى والرعاية الصحية عقب كل عملية نزوح جماعي مع السهر على توفير الرعاية الخاصة لكل من الأطفال والنساء والمسنين والمعوقين.
ينظر: المفوضية السامية للأمم المتحدة لشؤون اللاجئين، http ://ar.m.wikepidia.org ، ويكيبيديا الموسوعة الحرة، تاريخ التصفح: 22 جوان 2015، سا: 22:45.

تحت صدمة الصور التلفزية الناقلة لمآسي اللاجئين، جاء الخطاب الاعلامي من بدايته داعما ومتعاطفا مع القية، وعمل على اقناع الرأي العام والحكومات بضرورة التكفل التشريع بحالات اللجوء مع العمل على ادماجهم في مجتمعه الجديد، ثم ما فتئت مضامين الخطاب تتحول تدريجيا في معظم وسائل الاعلام الغربية، حيث ظهر أولى بوادر هذا التحول من خلال تبني خطابا اعلاميا متحفظا حيال الظاهرة وتداعياتها على المجتمعات المعنية باستقبال اللاجئين ولعّل من دواعي هذه التحول في لغة الخطاب "تفاقم المشكلات الاقتصادية في بعض الدول الأوربية، وظهور اتجاه داخل الرأي العام في تلك الدول بات يوجه اتهامات اللاجئين بالمسؤولية عن زيادة مستويات البطالة ووقوع بعض العمليات الإرهابية واستمرار الخروقات الأمنية، وهي الفرضية التي استثمرها اليمين الأوربي المعادي للمهاجرين من الأساس قبل تفاقم مشكلة لاجئ الشرق الأوسط"[1].

وبما أنه لا يمكن فهم العملية الاعلامية خارج السياقات العامة التي تم ضمنها والشروط الموضوعية المؤثرة التي تعطي للخطاب الإعلامي، أشكاله ومضامينه وعلى رأسها القوى المالكة للوسيلة الاعلامية التي يحدد وفقها محتوى ومضمون الرسالة الاعلامية، فإن التطرق لأهم الخصائص التي ميزت الخطاب الإعلامي من شأنه أن يساعد على فهم الظاهرة.

الفرع الأول: خصائص الخطاب الإعلامي الغربي حول مسألة اللاجئين:

أولا: التنوع في التعاطي مع الأزمة بحسب الغايات والانتماءات السياسية لوسائل الاعلام، وهو ما انعكس على مضامين الخطاب التي بدت مختلفة إلى حد التناقض بين موقفين: متعاطف ورافض كليا للتعامل مع الظاهرة، فبينما تبنت بعض وسائل الاعلام خطابا متزنا ايجابيا داعما لقضية اللاجئين، متحركا في الاتجاه الذي يؤثر على الرأي العام والحكومات بغرض التكفل السريع بالظاهرة والعمل على ادماج اللاجئين في المجتمعات الأوروبية على اعتبار أن المسألة انسانية بحتة تتطلب التعامل معها وفق هذا المعيار الأخلاقي، وعلى النقيض من ذلك عمدت بعض وسائل الاعلام الأخرى المتشبعة بإيديولوجية اليمين المتطرف

[1] اتجاه جديد، دوافع تحول مواقف الاعلام الأوربي إزاء قضية اللاجئين، المستقبل للأبحاث والدراسات المتقدمة، أبو ظبي، العدد 156، يناير، 2017، تاريخ التصفح 27 جوان 2017، سا: 12:35.

إلى تبني خطاب عنيف متشدد إزاء ظاهرة اللجوء، ولم يكتف الاعلام اليميني بالرفض، بل عمل على تعميق الاختلاف بين اللاجئين والأوربيين باعتماد أسلوب التضليل والدعاية الاعلامية المتطرفة التي تظهر اللاجئ السوري بمظهر الارهابي المتطرف الذي يهدد المجتمع الأوروبي في بنيته الاجتماعية والثقافية والأمنية•.

ثانيا: اعتماد أسلوب التضخيم للأزمة: لجأت بعض وسائل الاعلام المعادية لموضوع الهجرة إلى أسلوب التضخيم للأوضاع الاقتصادية والاجتماعية في أوروبا بهدف إثارة مخاوف الرأي وتهيئته لعدم تقبل فكرة اللجوء واعتبارها عاملا رئيسيا في تردي الأوضاع الاقتصادية مما يؤثر سلبا على امن واستقرار المجتمعات الأوربية أكثر من ذلك عمدت بعض المضامين الإخبارية من خلال مشروعها الترويجي الى اعتبار القارة الأوروبية في "حالة حرب" و"تحت الخطر" والتهديد بسبب ازمة اللاجئين، الذين جرى تصنيفهم وفقا لذلك في خانة الأعداء• الذين لا يمكن لدول الاتحاد الأوروبي التحقق من هوياتهم...لذلك يجب علينا حماية حدودنا من هذا الخطر الداهم.

في تقرير صادر عن "شبكة الصحافة الأخلاقية•" "Ethical Journalism Network" بتاريخ 17 ديسمبر 2015 جاء فيه أن:" قدر كبير من التضليل تحتويه المادة الإعلامية في حديثها عن اللاجئين المتدفقين على أوروبا بهدف حشد الرأي العام والترويج للأفكار اليمينية

• بغرض تشويه صورة اللاجئ السوري في عيون الرأي العام الأوروبي، عمد موقع "بيغيدا"، "Pegida" التابع لحزب ألماني مناهض للهجرة إلى نشر صور مفبركة لرجال ذوي عضلات مفتولة يمتطون مراكب بحرية وةقد كتب على الصورة:" سمعت أنه بإمكان الحصول على استروید مجانا في انجلترا رجاء اسكتوا وأطعموا هؤلاء اللاجئين الوديعين"، ولما تم التثبت من حقيقة الصور اتضح أن أصلها من استراليا لشرطة الحدود التقطت على جزيرة كرستماس الاسترالية سنة 2013.

ينظر: تضليل اعلامي يستهدف صور اللاجئين السوريين على الأنترنت ، http://obeservers.france24.com تاريخ النشر: 2015/09/15، تاريخ التصفح: 2016/02/23.

• في دراسة حديثة تناولت قضية اللاجئين في الخطاب الاعلامي الأوروبي لاحظت أن مضامين الخطاب الاعلامي:" يتغذى بشكل كبير من العناصر الايديولوجية التي تقوم على الثنائية الضدية والتناقضات بين الأنا والهم، إذ يعمل الخطاب العنصري والهوياتي المهيمن في بعض وسائل الاعلام اليمينية ليس فقط على تعميق الاختلاف بين الأوربيين واللاجئين بل يسعى أيضا إلى شيطنة هؤلاء وتحويلهم إلى مصدر تهديد لبنية المجتمع الأوروبي الأمنية والاجتماعية والثقافية".

ينظر: حسناء حسين، قضية اللاجئين في الخطاب الاعلامي الأوروبي، السياقات والأهداف، مركز الجزيرة للدراسات، الاثنين 11 يناير 2016، تاريخ التصفح: 17 ماي 2016، سا: 16:20.

• **شبكة الصحافة الأخلاقية (EJN):** هي إئتلاف اعلامي يضم أكثر من 60 مجموعة من الصحفيون والمحررين ومجموعة الدعم الاعلامي، وهي تشجع على التدريب لتعزيز الأخلاقيات والحوكمة وتعزيز للمعايير الأخلاقية في وسائل الاعلام.

التي تنبذ المهاجرين واللاجئين من خلال تضخيم المشكلات الاقتصادية التي تعاني منها هذه الدول"[1]. ولعّل ظاهرة التراجع المسجل في دعم الرأي العام الأوروبي للقضايا الانسانية مثل قضية اللاجئين السوريين تأثرت بمثل هذه المواقف الدعائية التضليلية لبعض وسائل الإعلام الأوروبية التي كشفت عبر خطاب بعيد كل البعد عن مبادئ العمل الإعلامي وأخلاقياته من خلال توظيف مسألة انسانية خالصة لخدمة أهداف سياسية تتبنى الفكر اليميني المتطرف بما يتضمن من عدائية معلنة لكل ما هو (عربي ومسلم) أثرت بشكل مباشر على صورة اللاجئ السوري بمرجعيته الاسلامية، وقد باتت تلاحقه نعوت وأوصاف مشبعة بإيديولوجية عنصرية تكرس الصورة النمطية التقليدية التي رسمت حول صورة (العربي المسلم) في الإعلام الغربي: فهو الغازي المتطفل، المنحرف الفوضوي، الجاهل، الإرهابي الداعشي...الخ، كل هذه النعوت ميزت مضامين خطاب اعلامي مشبع بعداء متوحش هدفه تجريد اللاجئ من حقوقه المشروعة واظهاره بالشكل الذي يثير مخاوف واشمئزاز المواطن الأوروبي وتغذية روح الانتقام فيه، ولعل ما يحدث في مناطق متفرقة من أوروبا وأمريكا من عمليات إجرامية في حق العرب والمسلمين تعكس تغلغل الفكر العنصري المتطرف الذي تغذيه ايديولوجيات يمينية يتفنن الاعلام الدولي في تثبيتها كعقيدة تتخذ من "الاسلاموفوبيا"• الغربية مبررا يعصف بالقيم الانسانية المشتركة بين الأعراق والأجناس والثقافات•.

الفرع الثاني: التوظيف السياسي لقضية اللاجئين:

عكست التجاذبات الداخلية بين مختلف الفعاليات السياسية في أوروبا حول قضية اللاجئين حجم التناقضات الايديولوجية والسياسية لاسيما إذا تعلق الأمر بمسألة حساسة مثل ظاهرة

---

[1] اتجاه جديد، دوافع تحول مواقف الاعلام الأوروبي ازاء قضية اللاجئين، المستقبل للأبحاث والدراسات المتقدمة، أبو ظبي، العدد 152، يناير 2017.

• **الأسلاموفوبيا: "Islamophobia":** هو التحامل والكراهية والخوف من الاسلام والمسلمين، دخل هذا المصطلح إلى الاستخدام في اللغة الانجليزية عام 1977، عندما قامت خلية تكفير بريطانية يسارية التوجه تدعى "رنيميد ترتست" باستخدامه لإدانة مشاعر الكراهية الاسلاموفوبيا بأنها شكل من أشكال العنصرية، وآخرون اعتبروها ظاهرة مصاحبة لتزايد عدد المهاجرين المسلمين في الولايات المتحدة والاتحاد الأوروبي وربطها البعض الآخر بأحداث 11 ديسمبر.
ينظر: اسلاموفوبيا، ويكيبيديا ، الموسوعة الحرة، www.arim.wikepidia.org

• قامت الأندبندت independent بدراسة تحليلية حول الفوارق الموجودة في التغطية الاعلامية التي تخص الهجمات الارهابية ما بين عامي 2011-2015 وتوصلت إلى مجموعة من النتائج اهمها ان التغطية الاعلامية تكون خمس مرات أضخم عندما يكون الجاني مسلما.
ينظر: مها عمر، في انتقائية الاعلام الغربي، الكراهية تبيع أكثر! صوت ultra، 05 يولوي 2017، www.ultrasant.com، تاريخ الاطلاع: 2017/09/30، سا: 10:45.

اللجوء ومالها من تداعيات على السياسة الداخلية والخارجية للدول، لقد حولت الأحزاب السياسية الأوروبية مسألة اللاجئين إلى لعبة سياسية بامتياز تتقاذفها البرامج الحزبية والطموحات السياسية لليمين واليسار على حد سواء، وذلك بغرض تحقيق مكاسب سياسية في المواعيد الانتخابية الكبرى، ففي ألمانيا الدولة التي عرفت كيف تصنع التميز مع بداية أزمة اللاجئين باعتبارها سياسة الباب المفتوح أمام تدفق المهاجرين السوريين على عكس باقي دول الاتحاد الأوروبي التي تأرجح موقفها ما بين متحفظ ورافض لفكرة استقبال اللاجئين، لقد اعتبر الموقف الالماني سلوكا حضاريا وإنسانيا راقيا، لاسيما بعد الإصرار العلني بتقديم كل شروط الدعم والمساعدة للوافدين استجابة لنداء العقل والضمير•.

غير أن التطورات المتلاحقة كشفت زيف الدوافع الإنسانية المعلنة، وأن وراء سياسة الباب الألماني المفتوح مصالح جيوستراتيجية واقتصادية تبررها حاجة المجتمع الألماني الماسة لتعويض النقص السكاني بفعل نسبة الشيخوخة المتفشية في القارة العجوز•، وبالتالي فإن إدماج اللاجئين السوريين في المجتمع الألماني هو في الأخير عامل يخدم اقتصاد الدولة بما يتيح لها استعادة النمو للمحافظة على منظومتها الاقتصادية الجيدة، والدليل على ما يدعم مصداقية هذا الطرح فإنه وبمجرد أن تصاعدت حدة الخطاب الاعلامي لأحزاب اليمين في ألمانيا المتسمة بالكراهية والاعتراض الكلي على مسألة الهجرة واللجوء، تراجعت مواقف الحكومة الألمانية من خلال تصريح "أنجيلا ميركل" الأخير:" نحن بحاجة بأن نقول للناس أن وجودهم في ألمانيا وضع مؤقت ومتوقع أنه مجرد تحقيق السلام في سوريا مرة أخرى...فإنكم ستعودون إلى بلدكم"•.

• في تصريح للمستشارة الألمانية "أنجيلا مركل" أعلنت بأنه "لن يكون هناك تسامح مع الذين ليسوا على استعداد لمساعدة اللاجئين، فالمساعدة واجبة لأسباب انسانية وأخلاقية"
ينظر: استقبال ألمانيا للاجئين ...دافع انساني أم مصلحة قومية، موقع الجزيرة نت
http://www.aljareera.net/knomledje.net تاريخ النشر: أكتوبر 2015، تاريخ التصفح: 2015/12/13، سا: 19:10.

• تشير الإحصائيات أنه من مجموع 30 بلدا في العالم، هناك 27 بلد تفوق نسبة الأعمار 65 سنة منها ست (6) دول أوروبية تعاني من ظاهرة الشيخوخة هي (ألمانيا، ايطاليا، اليونان، البرتغال، فلندا، بلغاريا).
ينظر: Eurostat (2016), aqylum seekers in the EU and EFTA member states (2014-2015) موقع الاتحاد الأوروبي http://ec.europa.eu/eurostat/statistics

• ينظر: استقبال ألمانيا للاجئين ...دافع انساني أم مصلحة قومية، ، مرجع سابق.

إن ظاهرة توظيف قضية اللاجئين داخليا بالنسبة لدول الاتحاد الأوروبي لخدمة غايات سياسية تكاد تكون ظاهرة مشتركة بين كافة دول الاتحاد، بحيث أفرز الخطاب الاعلامي واقعا مزدوجا، يكرّس الصراعات الداخلية والخلاقات السياسية بين مختلف الفعاليات بما يعمل على إفراغ الظاهرة من محتواها الانساني والأخلاقي ليضعها في سياقات أخرى لا تمت بصلة إلى أصل وجوهر الإشكال.

والواقع أن ظاهرة التوظيف السياسي للملف بدأ مبكرا حتى قبل أن تدق أفواج اللاجئين السوريين أبواب أوروبا، في ظل المتغيرات الإقليمية والدولية التي عرفتها منظمة الشرق الأوسط، وجدت بعض دول الجوار السوري أو ما تسمى بـ" دول المعبر"• نفسها، أما خيارات استراتيجية تفرض عليها التعامل مع الوضع المتأزم بواقعية بالاعتماد على ما يسمى بـ "نظرية السلعتين"•، إما النأي بالنفس عن واقع معقد وخطير أو الاندماج الكلي في فضاء الأزمة والعمل على توجيهها في الاتجاه الذي يخدم الخيارات والمصالح، وضمن هذا السياق يبرز الدور التركي مدفوعا بحنين إلى ماضيه البعيد ليستعيد المجد الضائع في التعامل مع مسألة اللاجئين ببراغماتية تحقق لتركيا مصالح ظلت معلقة أو بعيدة المنال، وهكذا تبلورت ملامح التوظيف السياسي العلني للقضية واستغلالها للضغط على الاتحاد الأوروبي لدفعه عن العدول عن قرار تجميد مفاوضات انضمام تركيا للاتحاد الأوروبي، بحيث جاء الرد سريعا ومستفزا، إذا ذهبتم إلى أبعد من ذلك فستفتح أبواب هذه الحدود، فنحن من نطعم من 3 إلى 3.5 مليون لاجئ في هذا البلد، لقد خنتم عهودكم، وبالفعل وصلت رسالة "أرودوغان" وتقرر دخول الطرفين في عملية تفاوض بغرض الوصول إلى اتفاق ثنائي يقضي بإعادة كل لاجئ جديد إلى تركيا ومقابل ذلك يتم تقديم مساعدات مالية قدرها 6.7 مليون دولار

• **دول المعبر:** تطلق التسمية على الدول المجاورة لسوريا والتي شكلت معابر لأفواج اللاجئين المتوجيهن إلى أوروبا وبعض الدول العربية الي لها حدود جغرافية مع سوريا مثل لبنان، الأردن، العراق والتي استعملت كمنافذ للعبور إلى جهات مختلفة بحثا عن ملاذ آمن.
ينظر: حسين الشيخ، سوريا المعابر الحدودية بوابة الاقتصاد والسياسة، العين الإخبارية، تاريخ التصفح: 2018/10/17، سا: 06:56.

• **نظرية السلعتين:** هي نظرية طرحها كل من جلين بالمز وكليفتون مورقان في كتاب بعنوان "نظرية السياسة الخارجية" التي مفاداها أن الدول في سياستها الخارجية تسعى إلى تحقيق إحدى السلعتين أو كليهما معا، فهي إما ان تحافظ على الوضع القائم أو تسعى لتغييره، وأن النتائج أيا من هاتين السلعتين يقترن بحكم الموارد المتاحة التي لا يتعلق بحجم الامكانيات العسكرية والاقتصادية فحسب، بل أيضا بمدى استعداد الدولة لتحمل التكاليف التي غالبا ما تقترن بنقص المعلومات.
ينظر: محمد ياس خضير، مستقبل الدور الصيني في النظام الدولي، مركز المستقبل للدراسات الاستراتيجية، تاريخ النشر: 25 يناير 2016.

للحكومة التركية في تكفلها بمخيمات اللاجئين، وكذلك السماح للمواطنين الأتراك بدخول أوروبا دون تأشيرة، كما تم الاتفاق على إعادة بعث المفاوضات المتوقفة بشأن انضمام تركيا إلى الاتحاد الأوروبي.

كشفت التغطية الاعلامية لأزمة اللاجئين عن رهانات جيوسياسية واستراتيجية تتحكم في مضامين الخطاب الاعلامي وتوجهه وفق منطلقات وأهداف القوى المالكة والمؤثرة في وظائف الوسيلة الاعلامية، ومن ثم فإن الصورة التي حرصت على تسويقها وسائل الاعلام حول اللاجئين بغض النظر عن شكل الملكية ونوعية النظام السائد، بقد ما أكدت تعاظم الدور الوسيطي للإعلام الحديث في تعامله مع الازمات والكوارث الإنسانية وقدرته على التأثير والتعبئة، بقدر ما كانت مؤشرا كاشفا عن بيئة اعلامية مؤثرة في انتاج ممارسات خطابية "ينمو فيها المحتوى ويتشكل وتحدد خصائصه طرق تلقي الرسائل وطرق التفاعل معها"[1].

ومع أن أزمة اللاجئين تجسد قضية انسانية واحدة إلا ان استخداماتها جاءت متعددة عاكسة لتنوع كمي في تعامل الاعلام مع القضية وفق الأهداف والانتماءات، لتنتج في النهاية أشكالا مختلفة، متناقضة من الخطاب الإعلامي المحمل بشحنات ايديولوجية يعاد انتاجها وفق ما يسمى بالثنائية "الضدية" المعبرة عن نسق من المفارقات ترصد بدورها مستويات الممارسة الإعلامية المنطوية على الدعاية والتضليل أكثر منها إعلاما ناقلا للحقائق متحررا من القيود.

لماذا تلاحق السلبية صورة اللاجئين في الإعلام؟ سؤال تكرر طرحه بقوة مع دخول الموجة الكبرى للاجئين أراضي أوروبا، وتأتي تصريحات "كرستينا هورست"• كمحاولة لتقديم إجابة عن التساؤل بقولها:" إن وسائل الاعلام اليوم لا تقوم بمعملها كما يجب، بل أخفقت في وظيفتها الاختيارية لشتى الملفات إضافة إخفاقها في المساهمة في عملية الاندماج

[1] Meyrowitz.J, no sens of palce, the inpact of electronic media on social behavion (oxford university press newyork oxford, 1985.

• كريتسنا هورست: أستاذة باحثة ألمانية في علوم الاعلام ومهتمة بقضايا اللجوء والهجرة.

في المجتمع، وهي وظائف موكلة إلى الإعلام بموجب الدستور سواء ما يخص اعلام الخدمة العامة أو حتى الصحافة المكتوبة"[1].

في الواقع إن ظاهرة الاخفاق التي تكلمت عنها الباحثة "ك.مورتس" ليست خاصة بقضية اللاجئين في لخطاب الاعلامي الحديث، إنما هناك إخفاقات اخرى تلازم العمل الإنساني في مواكبته للأزمات الدولية والكوارث الطبيعية بسبب محاولات الزج بالمنظومة الانسانية في عالم مسيس تحكمه المصالح ويحركه المال المشبوه.

أعادت أزمات الحراك العربي طرح تساؤلات قديمة متجددة عن مدى مصداقية العمل الإنساني المجسدة ادواره في المهام التي تؤديها المنظمات الدولية غير الحكومية "ONG"، فبين مؤيد لنشاطها وما تبذله من مجهودات في رصد الانتهاكات وتقديم المساعدات الانسانية وإغاثة المتضررين ضحايا الصراعات والحروب في بؤر التوتر، وبين معارض متوجس من الأدوار المشبوهة التاي تضطلع بها هذه الفواعل، ويحملها مسؤولية تفاقم الأزمات الدولية في بلدان العالم الثالث كآلية من آليات الضغط والهيمنة التي تحركها مصالح الدول الكبرى، وتوظفها في عمليات اختراق المجتمعات سياسيا وثقافيا، واستقطاب النخب وافتعال الأزمات، لاشك أن اللجوء لهذه المنظمات إلى قبول التمويل (الرسمي) الحكومي تحت إكراهات الميدان جعلها تفقد الكثير من عناصر مناعتها وفي مقدمتها مبدأ القبول واستقلالية نشاطها، وقد باتت مطعونة في مصداقيتها لدى الشعوب والحكومات مما عرّضها لكثير من المخاطر والتحديات الميدانية المعقدة لعّل من اهم سمات التضييق على نشاطها والتشكيك في صدق مهامها، كل هذه العوامل ادت إلى تقويض العمل الإنساني كما أشرنا إلى ذلك في الفصول النظرية من هذه الدراسة، لاسيما في بؤر التوتر الساخنة، حيث يفترض فيها تقديم المساعدات الإنسانية وإغاثة المتضررين ضحايا الحروب والصراعات المختلفة.

ولعّل هذه النظرة السلبية بحق المنظمات الدولية غير الحكومية لم تأت من عدم كما يعتقد بعض الباحثين، هناك شواهد عديدة تدين المنظمات الانسانية من خلال بعض الأدوار

[1] لماذا تلاحق السلبية صورة اللاجئ في الاعلام الألماني DW، http://amp.dw.com تاريخ النشر: 2018/04/26، تاريخ الاطلاع: 2018/09/19، سا: 23:00

المشبوهة التي تؤديها، فقد دفع بالعمل الإنساني دفعا نحو التخلي عن أخلاقياته والتنصل من مبادئه ليتم توجيهه ضمن سياقات أخرى ظاهرها انساني أخلاقي، وباطنها تكريس الهيمنة وتحقيق المصالح الحيوية للدول الكبرى.

يتساءل عديد الباحثين: لماذا يغضب الاتحاد الأوروبي، وتحتج أمريكا احتجاجا شديد اللهجة عندما يقدم بلد ما على تشديد الرقابة الأمنية على نشاط بعض المنظمات "غير الحكومية" العاملة في مجالات البيئة والبحث العلمي والعمل الخيري (الانساني) مثلما فعلت الصين، لقد صدر بيان من البيت الأبيض مضمونه :" إن هذا القانون يشكل خرقا للحريات وحقوق الإنسان ويحرم الصينيين من الاتصال بالخارج والاحتكاك بالأجانب"•.

ولهذا يتعرض عديد البلدان إلى ضغوطات شديدة قد تصل إلى حد تسليط العقوبات المالية بسبب إجبار بعض المنظمات غير الحكومية على مغادرة ترابها مثلما حدث بمصر وسوريا واليمن وغيرها...فما وقع لمنظمة بلا حدود باليمن يوضح طبيعة وحجم الضغوط التي يعانيها العمل الإنساني عندما يحاول التمرد على مبدأ الحياد حيال الصراعات والوقوف مسافة واحدة من أطراف النزاع• وهو مبدأ أساسي من مبادئ العمل الإنساني، ولكن تحت ضغط الوازع الأخلاقي بعدم السكوت على الخروقات وإدانة المعتدين، كلف هذه المنظمة الطرد من اليمن..."[1].

• لجأت الصين إلى إصدار قانون يفرض على 1000 منظمة أجنبية تقديم برامجها السنوية، ومصادر تمويلها إلى هيئة حكومية لدراسة محتوياتها، كما منعتها من جمع الأموال في الصين وتوظيف الصينيين قبل الحصول على إذن خاص من السلطات الأمنية، وذلك بعد اتهام العديد من المنظمات غير الحكومية بالتورط في مهاما لا علاقة لها بالأنشطة الخيرية والإنسانية التي تؤديها.
ينظر: الطاهر المعز: عن المنظمات غير الحكومية، http///KASSOUN.COM تاريخ النشر: 06 سبتمبر 2016، تاريخ الاطلاع: 13 يناير 2017، سا:14:00.

• على خلفية ما نشرته بعض وسائل الإعلام من معلومات مفادها أن منظمة "أطباء بلا حدود" تندد بأعمال العنف التي يقوم بها الجيش اليمني ضد الحوثيين في "صعدة" من خلال التقرير السنوي للمنظمة بعنونا: اهم عشر أزمات انسانية، حيث ورد اسم اليمن ضمن القائم، مما دفع إلى اعتبار هذه المنظمة غير محايدة لأنها نددت بأعمال العنف، واشترطت الحكومة تكذيب او نفي ما نشر حتى يسمح لها بمواصلة نشاطها، وبالفعل رضخت المنظمة لهذه الضغوطات، وقدمت اعتذارا رسميا حول الوضع الإنساني في "صعدة" عملا بمبدأ " التزموا الصمت وعالجوا".
ينظر: ندوة حول جدلية العلاقة بين السياسة والعمل الإنساني، http://studies.eljazeeranet/ar/eventy تاريخ النشر: 2004/12/20، تاريخ الاطلاع: 2016/06/06، سا: 18:40.

[1] ندوة حول جدلية العلاقة بين السياسة والعمل الإنساني، مرجع سابق.

مثل هذه الأحداث وغيرها كثير يوضح حجم التحديات التي تواجهها المنظمات الدولية غير الحكومية، كما تبرر المأزق الكبير الذي أصبح يتخبط فيه العمل الإنساني الحديث، وقد تخلى تدريجيا عن بعض مبادئه أمام إكراهات الواقع الجديد الذي اوقع العمل الانساني في مأزق السياسة والمصالح الاستراتيجية للدول المهيمنة.

ولعّل لجوء بعض الحكومات إلى إجراءات الطرد هو بالنسبة للمنظمات الانسانية أرحم عقوبة تتعرض لها أمام ما أصبحت تعانيه هذه المنظمات في بؤر الصراع المختلفة، بحيث أصبحنا نرى ونسمع اخبار عن مقتل عدد من الموظفين الدوليين للإغاثة في سوريا على يد تنظيم داعش، وقد عمدت اللجنة الدولية للصليب الأحمر أشكال الانتهاكات التي يتعرض لها موظفو العمل الإنساني بكل من ليبيا واليمن والبحرين.

هذه السلوكات توصف بالدخيلة على العمل الإنساني الذي ظّل لسنوات طويلة محل احترام وتقدير من جميع أطراف الصراع الدولي والاقليمي قبل ان يخضع هذا العمل النبيل لمنطق التحول بولوجه إلى البيئة الجديدة التي أصبحت تدار ضمنها المسائل الإنسانية وفق الاجندات والمصالح والمنظومة على ازدواجية المعايير في التعامل مع الأزمات السياسة المعقدة وتوظيف العمل الإنساني والاعلامي كآليات لتنفيذ هذه الأهداف.

ورد في تحقيق لموقع "غلوبال ريسرتشر" الكندي أم:" مثل هذه المنظمات (غير الحكومية) ومنها منظمة "الدفاع المدني"• تعمل جانبا إلى جنب مع المليشيات الإرهابية بدعم أمريكي (رسمي وغير رسمي) وتتعاون مع السلطات الأمريكية وغيرها في شكل (تعاقد من الباطن) لخلق وإرساء صورة عن الجيش السوري الذي لا يستهدف (سوى المدنيين والمستشفيات) فيما تستهدف الطائرات الأمريكية مواقع (داعش)، ولكن الواقع يبين أن تنظيم

• **منظمة الدفاع المدني:** هي منظمة دولية غير حكومية أسسها ضابط بريطاني يدعى "جيمس لومسيرر" في اسطنبول في مارس 2013، وتسمى كذلك بالخوذ البيضاوي وهو خبير أمني سابق في الاستخبارات العسكرية البريطانية، كما تقلد عدة وظائف أخرى منها: مستشار لشركات خاصة، ممصل سامي في مكتب الأمم المتحدة في البوسنة، منسق استخبارات في الحلف الأطلسي في كوسوفو، عمل ضمن بعثات الأمم المتحدة في القدس وبغداد، دبي وكان يعمل في لبنان أثناء العدوان الصهيوني على لبنان 2006، انظمرجع سابقنة 2008 إلى غورد هاربر انتناشيونال في دبي وهي شركة متخصصة في الأمن، أسس سنة 2013 منظمة الدفاع المدني ومنظمة ما داي للإنقاذ سنة 2014، ويصفه الصحفي "زيك ستيرلنغ" في مقالة (المتلاعبون الأكثر فعالية) بأنها فريق إنقاذ جبهة النصرة.
ينظر: أحمد أبا زيد، ماذا فعلت المنظمات في الثورة السورية، htpp://alaraby.co.uk تاريخ النشر: 2015/02/03، تاريخ التصفح: 09 جوان 2016، سا:20:30.

داعش نما وقوى عوده منذ بداية القصف الأمريكي للأراضي والمصانع والبنية التحتية في العراق وسوريا، ولم يخسر مواقعه سوى منذ بداية القصف الروسي والسوري المشترك، لكن منظمات الدفاع المدني تسوق كل هجوم على معاقل جبهة النصرة على أنه هجوم على المدنيين وعلى العاملين لمجالات الصحة والطوارئ والمستنقعات والمراكز الصحية"[1].

هناك تساؤلات عديد لا تزال تلاحق نشاط المنظمات الدولية غير الحكومية بسبب الادوار الي أصبحت تلعبها في ظل الواقع الجديد الذي أفرزته المتغيرات العالمية بفعل منطق العولمة، بحيث لا تتوقف عن توجيه أصابع الاتهام لهذه الفواعل الدولية بسبب الادوار المشبوهة التي أصبحت تؤديها بعيدا عن مقتضيات العمل الإنساني وقد طفت على السطح حملة من التجاوزات في أماكن عديدة من العالم، تسببت فيه منظمات انسانية يفترض ان تكون بمنأى عن هذه الشبهات، وقد شهد شاهد من أهلها حين صرح وزير خارجية فرنسا السابق "برناركوشنار" بأن " بعض المنظمات الدولية غير الحكومية زودت الحكومة الفرنسية بمعلومات خارج نطاقها الإنساني"[2].

لقد أثار هذا التصريح الكثير من الجدل لأنه صدر عن رجل بنى مجده كلا من عمله في القطاع الإنساني الذي تعدد فكره تأسيس منظمة "الأطباء الفرنسيون"" French doctors"إلى "كوشنير".

تصريح آخر يأتي هذه المرة من الوكالة الدولية الأمريكية للتنمية (إحدى أذرع الديبلوماسية الأمريكية) حيث صرح السيد "أندرو تاتسيون" سنة 2007 خلال المؤتمر الدولي لمنظمات المجتمع المدني بقوله:" إن الوكالة كانت في السابق تقدم الأموال عبر المؤسسات الرسمية وعبر الحكومات، أما الآن فقد أصبحت تقدمها بصورة مباشرة من دون استشارة المؤسسات والحكومات، وهذا التوجه الجديد أثمر في تشجيع التغيرات بالمنطقة"[3].

[1] أحمد أبا زيد، ماذا فعلت المنظمات في الثورة السورية، مرجع سابق.
[2] المنظمات غير الحكومية بين الدور الانساني والوظيفة السياسية، مرجع سابق.
[3] المنظمات غير الحكومية بين الدور الانساني والوظيفة السياسية، مرجع سابق.

ويواصل كلامه بتقديم امثلة عن النتائج، هذا التأثير: لقد بنينا مؤسسات تسمح للشعوب بتغيير حكوماتها، مستشهدا بما تفعله الوكالة في عمليات التأثير على الانتخابيات بكل من أفغانستان، لبنان، جورجيا، اوكرانيا، العراق، واضاف أن الجهد منصب في الوقت الحالي على منظمات المجتمع المدني بكل من المغرب واليمن وأن معظم اموال الوكالة تذهب إلى المجتمع المدني...وبالتالي أصبح بإمكان هذه المنظمات وقد شملت كل القطاعات الاجتماعية، السياسية والاستراتيجية ان تحرك المجتمع في الاتجاه الذي تريد وفي الوقا الذي تريد.

إلى أي مدى تصدق مقولة "وراء كل أزمة منظمة دولية غير حكومية"، وقد تكرس الواقع الجديد للعمل الإنساني يميزه نشاط أكثر من 50 ألف منظمة دولية غير حكومية، يتوزع نشاطها على مختلف دول العالم الثالث، ويتلقون أكثر من 10 ملايير دولار من التمويل من مؤسسات مالية دولية ومن وكالات حكومية والحكومات المحلية ولطالما ارتبطت بأدوار تابعة لمموليها في أوروبا والولايات المتحدة الأمريكية واليابان.

فمنذ أن أوكلت الهيئة الأممية لبعض من صلاحياتها للمنظمة الدولية غير الحكومية وإعطائها الصبغة الاستشارية، تم توظيف هذه الرخصة وفق المصالح الاستراتيجية للهيئات الضاغطة في مقابل ذلك تدحرجت المسائل الإنسانية الي هي أصل وجود المنظمة إلى المستويات الدنيا لتتحول هذه المنظمات إلى نوافذ تتسلل منها القوى العظمة لتتدخل في الشؤون الداخلية للدول وتوجيه الرأي العام بما يتماشى والاهداف المسطرة مستغلة ظروف الأزمات الدولية ومآسي الشعوب ومحنتها لتتحول إلى أداة من ادوات الهيمنة وتكريس التبعية لمن هو أقوى .

يحتفظ سجل التاريخ بمواقف وسلوكات المنظمات الدولية غير الحكومية في تعاملها مع الحالات الانسانية التي تفرزها الأزمات الإنسانية، والكوارث الطبيعية، وقد استفاد العمل الإنساني مما وفرته تكنولوجيا الإعلام والاتصال، حيث أصبح جميعنا شهود عيان مباشرين على ما يحدث، وبقدر ما تطورت أساليب نقل الحدث صورة وصوتا، بقدر ما تحولت مآسي الإنسانية إلى عمليات استعراض وفرجة، عصفت بمشاعر التأثر والإحساس بالآخر، أخضعت معاناة الإنسان لمنطق السوق تباع لمن يدفع وتُشترى ممن ينتج أجود الصور

والإخراج التلفزي للمأساة، فلقد أصبح الاعلام الحديث يبحث عن الأزمة التي تمتلك صفة "القابلية للبيع"، وهو ما دفع بعديد الباحثين إلى التساؤل:" كيف لعمل أخلاقي بامتياز يتحول إلى نشاط إداري مربح"[1] توظف فيه المسائل الإنسانية خارج إطارها الطبيعي، وبالتالي فالمجاعة لا تقتل ولو قتلت، والحروب لا تدمر ولو ألغت مدنا بحالها من الجغرافيا...والكوارث والأزمات لا تنتج مآسي ولو عُد ضحاياها بالآلاف بمنطق السوق لا وجود للكوارث والأزمات إلا ما يتداول على شاشات العرض العالمي وفق أسلوب الضجيج الإعلامي الدي يسّوق لأزمة معينة ويخفت صوته عند أخرى طبقا لمنطق المال والمصالح.

يعترف " أيدووايت""Aidan white" مدير الشبكة العالمية من أجل أخلاقية المهنة بأنه:" تم توظيف وسائل الإعلام من قبل المسؤولين السياسيين، وقد استسلموا لتصريحاتهم الفاضحة"[2].

هذا الاعتراف يؤكده "مزنارد""Meznard" بقوله:" نحن في الحقيقة نواجه مفارقة حول مدى مردودية التبرع...فعندما يتبرع المانح لأجل مجاعة، ففي الواقع يُنتظر منه أن يغطي نفقات الخدمة أولا، ومن ثم يقوي نشاط المنظمات غير الحكومية في فضاء الأزمة، وبعد ذلك يتم التفكير في وصول لقمة الخبز إلى أفواه الجياع، حينئذ يكون العمل الإنساني قد استبدل القيمة الأخلاقية (الاغاثة) بالقيمة المادية (التمويل)"[3].

ضمن السياق ذاته يأتي تقرير منظمة "كير" الدولية المعنية بالإغاثة الدولية تحت عنوان" معاناة صامتة"، ليلفت الانتباه إلى الآثار المترتبة عن إخضاع العمل الإنساني لأسلوب الانتقائية ومعيار الازدواجية في التعامل مع الازمات الدولية، وكيف يتم التغاضي عن مآسي الإنسانية لاعتبارات ذاتها، وفق هذا التقرير فإن هناك عشر(10) ازمات سياسية[4]، لم تحظ باهتمام وسائل الأعلام خلال سنة 2017 من بينها الوضع الإنساني في كوريا الشمالية،

---

[1] Philippe Mesnard : la victime ecran-ed textuel, Paris, 2002, P 112.

[2] Migration et Refugies : les medias font ils bien leurs travail, UNESCO https://fr-unesco.org>news>migrations

[3] [3] Philippe Mesnard, Ibid, P 63.

[4] التقرير العالمي: أكثر من عشر أزمات انسانية لم تحظ بالتغطية الكافية في 2017، المفوضية السامية للأمم المتحدة لشؤون اللاجئين، 22 فبراير 2018، http://www.unhcr.org .

بحيث يركز الاعلام اهتمامه أكثر على الجانب النووي، كما ان هناك ازمات دولية أخرى في غاية الخطورة، يتم تغييبها مثل أزمات أفريقيا الوسطى، جمهورية الكونغو الديمقراطية، أريتيريا، بورندي، حوض بحيرة تشاد والكاميرون...وغيرها.

ولفهم دواعي هذه الظاهرة (ظاهرة التغاضي عن أزمات معينة) يأتي تصريح "فيليبو غراندي" المفوض السامي للأمم المتحدة لشؤون اللاجئين: " إن وسائل الإعلام تلعب دورا حيويا في جذب الانتباه إلى الأزمات المنسية والمهملة على الرغم من العواقب المأساوية على حياة اللاجئين المتضررين من الصراعات والنزوح، إلا ان الفجوى بين الاحتياجات الإنسانية والتمويل المتوفر لا تزال قائمة"[1].

لاشك أن العامل الجيوبوليتيكي يلعب دورا مهما في تحديد قوة الدول لكنه في ذات الوقت يمكن أن يكون سببا مباشرا في تعريضها للخطر الخارجي، لذلك لا يمكن فهم ظاهرة الصراع الدولي خارج السياقات الكبرى، فمواقع الدول ومواردها ومدى فعالياتها السياسية هي التي تحدد في النهاية مستقبلها السياسي، ودرجة قدرتها على مواجهة الازمات المفتعلة من قبل الدول الكبرى التي تستخدم مجلس الأمن الدولي كأداة للتدخل باسم الشرعية لحماية حقوق الإنسان التي " يتم توظيفها كسلاح ايديولوجي ضد الخصم مستغلين في ذلك وسائل الإعلام المختلفة"[2]، وبالتالي فقد تم تجريد المسائل الإنسانية من صيغتها القيمية للتحول إلى سلاح ايديولوجي يحقق الهيمنة المطلقة للدول الكبرى.

خلاصة الفصل:

يبدو المشهد الإنساني العالمي المعاصر وكأنه في أمس الحاجة إلى ميثاق أخلاقي يضمن لضحايا الأزمات الدولية دون تمييز الحق في الحماية والمساعدة عن طريق ممارسة فعلية تنسجم فيها السياسات مع الممارسات، فالأثر السلبي لمبدأ ازدواجية المعايير في تطبيق أحكام القانون الدولي الانساني المبني على تغليب منطق القوة على منطق الحق ساهم في تقويض

[1] التقرير العالمي: أكثر من عشر أزمات انسانية لم تحظ بالتغطية الكافية في 2017، المفوضية السامية للأمم المتحدة لشؤون اللاجئين، مرجع سابق.

[2] محمد عابد الجابري، الدمقراطية وحقوق الإنسان، سلسلة الثقافة القومية (26)، بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية، ط3، 1994، ص 106.

المسؤولية الأخلاقية الدولية "فلقد حدثت مجازر في كل من مصر واليمن وسوريا وليبيا والعراق وفلسطين وبورما ودول إفريقية أخرى وانتهكت المسائل الإنسانية ولم ترتق المواقف الدولية وخاصة الأمريكية والأوروبية للمستوى الأخلاقي في تعاملها مع قضايا حقوق الإنسان...والفلسطيني مباح دمه وماله وعرضه...ومع ذلك نجد الغياب الكامل لدور الدول والمنظمات الدولية، بل إن تلك الدول تهتم بمشاعر سلطات الاحتلال أكثر من إنسانية الفلسطيني وحقوقه المغتصبة"[1]، ولعل إخضاع بعض العينات المنتقاة في هذه الأطروحة لمقاربة سيميائية من خلال مدونة صورية تعبر عن أزمات دولية معقدة قد يزيل بعض الغموض أو اللبس حول حقيقة الأدوار التي يؤيدها كل من العمل الإعلامي والعمل الإنساني الحديث في فضاء الأزمات الدولية، وهو ما سنحاول توضيحه في الفصل الخامس.

[1] عباس الضالعي، **حقوق الإنسان بين ازدواجية المعايير وفرض الاجندات الاستعمارية (نماذج واقعية)**، جريدة قريض، العدد 21، جوان، لندن، www.qoraich.com تاريخ الإطلاع: 2017/02/28.

الفصل الخامس: الخطاب الإعلامي البصري مقاربة سيميائية

تمهيد

بعد أن تطرقنا في الفصل الرابع إلى تحليل بعض الحالات التطبيقية سنعمد إلى محاولة تظهير تجليات الخطاب الإعلامي (البصري) في تناوله للمسألة الإنسانية، عن طريق اعتماد مقاربة مبنية على أدوات تحليل الخطاب، بغية إبراز الدلالات العميقة للمضامين الخطابية تلميحا وتأويلا، من خلال قراءات تفكيكية لتلك المضامين في سياقاتها المتعددة (إعلامية، سياسية، جيوسياسية...الخ) لتحقيق الإجابات الكافية حول التساؤلات المطروحة في البحث: ما مقاصد وأبعاد الخطاب التلفزي لدى ارتباطه بالمسائل الإنسانية؟، وما مدى توافق السرد البصري للخطاب الاعلامي مع الغايات الأساسية للعمل الإنساني؟، عن طريق إعداد مدونة صورية لعينات منتقاة قصد إخضاعها لمنهج التحليل السيميائي متعدد المقاربات، الذي يتيح لنا إمكانية فهم مضامين السرد البصري في إنتاج المعاني وبناء القيم الذي يعكس في النهاية خصوصية ومرجعية الخطاب البصري نفسه، وتتضمن المدونة المنتقاة أزمة سياسية في شكل حرب (حرب الخليج) بالتركيز على مبدأ حصانة المدنيين في الحروب، ثم أزمة إنسانية كأزمة اللاجئين السوريين، وذلك لاعتقادنا أنها ساهمت إلى حد كبير في بلورة رهانات العمل الإنساني وعكست الواقع الجديد للمسألة الإنسانية ككل ضمن المنظومات الاتصالية الحديثة، كما تتضمن المدونة البصرية حيّزا لما يعرف بـ "الربيع العربي" أو "الحراك العربي" ويمكن لدراستنا أن تخوض في مسائل أخرى وفق ما تقتضيه الضرورة البحثية، ولعّل ذلك نعتقد أنه من الأهمية التطرق إلى مفهوم السيمويولوجية وتطوره، وكذا أهم المقاربات السيميوطيقية الموظفة في تحليل الخطاب البصري.

لا شك أن السيميوطيقيا قد انتشرت انتشارا واسعا في أنحاء العالم منذ الستينيات، ففي هذه الفترة تكونت مراكز متعددة تولت مهمة تدريسها، وقامت بإجراء الأبحاث في مختلف فروعها، وذلك في فرنسا وأمريكا والاتحاد السوفياتي سابقا، وغيرها من البلاد.

وقد شهدت هذه الفترة كذلك تأسيس جمعيات، وإصدار مجلات تهدف إلى نشر هذا التخصص العلمي الذي انتشر في كل مكان، ولم يعد مقصورا على البحوث الأدبية،

والمؤسسات الأكاديمية والبحوث في مجال التسويق ووسائل الاتصال الجماهيرية والقانون، بل تعداها ليشمل مختلف الإشارات والأنساق الخطابية.

لقد أصبح هناك اقتناع عام بأن السيميوطيقيا كأداة تحليلية، تمثل عونا وسندا لا بديل عنه في البحث عن تأثير الدلالة، والتعرف على الإجابات المحتملة، بل والتنبؤ بالاستجابة لفعل ما.

المبحث الأول: السيمولوجيا : المفهوم والتطور

توصف السيمولوجيا بانها من العلوم التي عرف تطورها وتيرة متسارعة خلال القرن 20، ولقد تعددت تعاريف المفهوم بتعدد المذاهب والمدارس، وسنحاول التطرق إلى ماهية المفهوم من خلال المرتكزات المنهجية ومجالات تطبيقه.

السيمولوجيا: هو علم العلامات أو الإشارات او الدوال اللغوية أو الرمزية سواء أكانت طبيعية أو اصطناعية[1].

مصطلح السيمولوجيا مشتق من الكلمة اللاتينية "Semior" أو "Semiano"، وتعني العلامة "Signe"، أما لفظ "Logie" فتعني العلم، فإن معنى سيمولوجيا هو علم العلامات ويعرفها "فرديناند دو سوسير" "F.De Saussure" بأنها :" علما للعلامات التي تدرس في حضن المجتمع"[2].

يقدم "بيير جيرو" "Pierre Guira" التعريف التالي للسيمولوجيا: "هو علم الإشارات الدالة مهما كان نوعها وأصلها، وهذا يعني أن النظام الكوني بكل ما فيه من إشارات ورموز هو نظام ذو دلالة، والسيمياء بدورها تختص بدراسة بنية الإشارات وعلاقتها في هذا الكون، وكذا توزيعها ووظائفها الداخلية أو الخارجية"[3]

[1] علم العلامات، ويكيبيديا الحرة، https://arm.wikipedia.org.wiki

[2] صبطي عبيدة، بخوش نجيب، **مدخل إلى السيميولجيا**، دار الخلدونية، الجزائر، 2009، ص 21.

[3] جيرو بيير، **علم الإشارة السيمولوجيا** ،ترجمة منذر عياشي، دار طلاس للدراسات الترجمية والنشر، 1988، ص 08.

ويفضل الأوروبيين مفردة السيميولوجيا التزاما منهم بالتسمية السويسرية، أما الأمريكيون فيفضلون السميوطيقا التي جاء بها المفكر والفيلسوف الأمريكي "تشارلز ساندرز بيرس"، اما العرب خاصة أهل المغرب العربي، فقد دعوا إلى ترجمتها بـ"السيمياء" محاولة منهم في تعريب المصطلح"[1]، وأيا كانت التسمية، فإنها كعلم قطع أشواطا علمية واسعة واخترق العديد من العلوم، بل إنه أعاد ترتيب العلاقات بينه وبين اللسانيات والأبستمولوجيا والفلسفة وعلم النفس وعلم الاجتماع والأكسيوماتيك، لقد انتقلت السيميائيات من تبعيتها للسانيات، إلى قيامها بجمع شمل العلوم والتحكم فيها، وأنتجت أدوات معرفية لمقاربة مختلف الظواهر الثقافية باعتبارها أنساقا تواصلية ودلالات. ورغم أنها تبدو متعددة بحيث إن هذه الكلمة قد استعملت لتغطي ممارسات متنوعة، فإن لها وحدة عميقة تتجلى في كونها تنظر إلى مختلف الممارسات الرمزية للإنسان، باعتبارها أنشطة رمزية وأنساقا دالة، وبذلك أوجدت لنفسها موقعا أبستمولوجيا شرعيا"[2].

وقد أصبح مفهوم السيميوطيقا في العصر الحديث يشير إلى إنتاج الدلالة، وهي في ذلك تصدر من موقع النظرية التي توظف علم العلامات في دراسة وتحليل أنواع الاتصال والدلالة، والمعنى من خلال أنظمة العلامات، ليس فقط في المجالات الأدبية واللغوية، بل في مختلف العلوم وشتى أنواع المعرفة أيضا، فهي تركز على تطبيقاتها ونتائجها، ابتداء من لغة الاتصال البدائي بين الحيوانات، وانتهاء بأكثر أنظمة الاتصال الإنساني تعقيدا، وتشابكا وتركيبا مثل لغة الأساطير، والشعر والأدب عامة وعلوم اللغة والأنثربولوجيا والسوسيولوجيا، والسيكولوجيا...وغيرها.

يرجع الفضل للعالمين في اللغة، الأمريكي "تشارلز سندرس بيرس" (1839-1914) والسويسري "فرديناند دي سوسير" (1857-1913) كرواد مع انه لم يكن هناك اتصال أو معرفة بينهما، برغم عملهما في نفس الفترة الزمنية في تأسيس علم العلامات، أطلق عليه الأول اسم السيميوطيقا، والثاني اسم السيميولوجيا.

[1] ميجان الرويسلي، **سعد البازغي، دليل الناقد الأدبي**، الدار البيضاء، المركز الثقافي العربي، 2002، ص 177.
[2] حنون مبارك، **دروس في السيميائيات**، المغرب، دار توبقال، 1987، ص 103.

لم يبتكر "بورس" مصطلح السيميوطيقا، بل استمده من المصطلح الذي أطلقه الفيلسوف الإنجليزي " جون لوك" على العلم الخاص بالعلامات، والدلالات، والمعاني، والذي اعتبره "لوك" علم اللغة، وكان أكبر انجاز "لبورس" أنه سعى لتصنيف المعطيات المدركة والمعاشة في الحياة، في مجموعات مختلفة من العلامات لابد أن يستوعبها الإنسان، ويدرك أبعادها حتى يستطيع إدراك المعنى من الوجود والحياة نفسها، والسيميوطيقا عند "بورس" باعتبارها تبحث في الأصول الأولية لانبثاق المعنى من الفعل الإنساني، تقتضي في تصوره النظر إليها باعتبارها طرقا استدلالية يتم بموجبها الحصول على الدلالات وتداولها"[1]، ومن ثمة تحولها إلى هدف وغاية من غايات التأويل، والتفسير وفك الرموز القابعة وراء الدلالة باعتبارها مكونا ومشكلا للعلامة "SIGNE".

إن السيميوطيقا عند "بورس" هي نشاط معرفي شامل، وإنها تهتم بكل ما تنتجه التجربة الإنسانية عبر مجمل لغاتها، ومن خلال كل أبعادها، فهي رؤية للعالم تتلخص في النظر إلى الوجود الإنساني من خلال وضعه لعلامة في الكون، بل إن الكون ذاته ليس كذلك إلا في حدود اشتغاله كعلامة، فكل ما فيه من أشياء وكائنات وطقوس وأوهام وحقائق يشتغل كعلامة ويتسلل إلى الوجود الإنساني باعتباره كذلك".[2]

العلامة إذن هي شيء لابد أن يتم إدراكه، وبالرغم من اختلاف الاتجاهات المفسرة لمفهوم العلامة، فإنه ظلت راسخة كشيء مادي يظهر أو يدل على شيء آخر ذهني، وهي مرتبطة بقصد إنساني للاتصال، وتتكون من نسيج مركب من المعاني والدلالات والتصورات التي يمكن رصد أنظمتها، وقواعدها لتحليلها وتفسيرها، وبهذا المعنى فإن السيميوطيقيا من وجهة نظر "بورس" هي نظرية لإنتاج الدلالة، أي توليد المعنى، فهي تعني فقط بالكيفية التي تنتج بها الدلالة، وبكلمات أخرى فإن ما يهم السيميوطيقي هو ما الذي يضفي الدلالة على التلفظ أو الشيء.

[1] سعيد بنكراد، **السيميائيات مفاهيمها وتطبيقاتها**، الدار البيضاء، منشورات الزمن، 2003، ص 58.
[2] سعيد بنكراد، **السيميائيات: النشأة والموضع**، الكويت، مجلة عالم الفكر، العدد، المجلد 35، يناير –مارس 2007، ص 30.

يعتقد "بورس" أن الدلالة ليست لصيقة بالأشياء: أي أن الأشياء لا تولد دلالتها، لكن تبنى بواسطة إنسان، أو شخص ملاحظ يستطيع أن يعطي شكلا للأشياء.

من هنا فإن الأيقونة في سيميوطيقيا عند "بورس" هي سيمياء تشبه الشيء الذي تدل عليه، فالصورة على سبيل المثال أيقونة تشبه الذات التي تمثلها، ومخطط المنزل أيقونة للمنزل.

أما العالم السويسري "فريدينانج دي سوسير" يعتبر أول من طبق النظرية العلمية على دراسات اللغة، وربط هذا العلم بعلم النفس الاجتماعي، ويعرفه بأنه كل ما ينشئ الصلة بين اللغة وعلم النفس، وقد نظر "سوسير" إلى اللغة باعتبارها ظاهرة اجتماعية وإسهامه العظيم في هذا المجال يتمثل في أن الدلالة لا تكمن في الكلمات المفردة، بل في نظام معقد من العلاقات ولعل "سوسير" أول من اشتهر بتقسيم ظاهرة اللغة إلى لسان "LANGUE" (النظام اللغوي المجرد كنظام بنيوي)، والكلام PAROLE: (النطق المفرد أو الحديث الذي يستخدم النظام المجرد)، ولكن "سوسير" توغل في دراسته إلى أبعد من ذلك، فقد طبق المبدأ البنيوي على العلامة المفردة أو الكلمة، ووفقا لما قرره فإن العلامة الألسنية تتميز بارتباطها بعنصرين:

- "الصورة الصوتية" أو الجزء المادي الذي أطلق عليه "الدال".
- المفهوم الذي أطلق عليه "المدلول"[1].

إن السيميولوجيا بعكس السيميوطيقيا التي تعني بإنتاج الدلالة وتحليلها تشير إلى دراسة نظام الدلالات في الجملة اللغوية، ورغم ذلك فإن الريادة مشتركة بين "بورس" و"سوسير" دونما اتفاق مسبق، حيث تألق "سوسير" في اللسانيات و"بيريس" في المنطق في تكامل غير مقصود، كما اتفقا بان العلامة "SIGNE" هي موضوع عمليهما (السيميولوجيا، السيميوطيقيا)، ولعل الفرق الأساسي بينهما هو أن الأول ركز على الوظيفة الاجتماعية للعلامة في حين ركز الثاني على وظيفتهما المنطقية، ومع ذلك "يعتبر "سوسير" في التقليد الأوروبي أول من بشر بعلم جديد سيأخذ على عاتقه دراسة حياة العلامات داخل الحياة

[1] مارتن،ب، رينجهام،ف، **معجم مصطلحات السيموطيقا**، ترجمة عابد خزندار، القاهرة، المركز القومي للترجمة، 2008، ص 122.

الاجتماعية، من خلال الكشف عن قوانين جديدة تمكننا من تحليل منطقة هامة من الجانب الإنساني والاجتماعي عبر إعادة صياغة حدود هذه الأنساق وشكلها، فاللغة باعتبارها نشاطا إنسانيا عاما تتجاوز في كيانها حدود اللسان"[1].

المطلب الأول: السيموطيقا كأداة التحليل

ما المقاربة السيموطيقية إذن؟ وكيف تعمل؟

إن البديهية الأولى التي تنطلق منها السيموطيقيا هي أنه لا توجد دلالة بدون اختلاف، كما لا يوجد "أعلى بدون "أسفل" و"ساخن" بدون "بارد" و"خير" بدون "شر"، وانطلاقا من هذا الافتراض بالإمكان ملامسة أية صيغة تحليلية تقوم على أساس السيميوطيقي، ولا غرابة أن يصير التحليل السيميوطيقي في الوقت الراهن من الدراسات والأبحاث، إلى تصور نظري ومنهج تطبيقي في شتى المعارف والدراسات الإنسانية، والفكرية والعلمية وأداة في مقاربة الأنساق اللغوية وغير اللغوية، وأصبح التحليل السيميوطيقي مفتاحا ومدخلا لابد من الولوج عبره، قصد عصرنة الفهم وآليات التأويل والقراءة.

وهناك أربعة أسس ينهض عليه التحليل السيميوطيقي هي:

أولا: إن الدلالة ليست من صلب الأشياء، فالأشياء لا تدل من تلقاء نفسها، لكن المعنى يتكون من خلال ما يعطيه الشخص من مضمون او مضامين للأشياء.

ثانيا: إن السيميوطيقا تعتبر النص وحدة مستقلة، أي ترابطا داخليا، إن التحليل السيميوطيقي ينطلق من اللغة الفعلية للنص، والبنى التي يتكون منها، من أجل إيضاح الطريقة التي تنشأ منها الدلالات، وعلى هذا فإن التحليل السيميوطيقي يصبح وسيلة اكتشاف وأداة للتقييم.

ثالثا: تطرح السيميوطيقا فكرة أن البنية الحكائية تشكل الأساس لكل، وليس فقط ما يعرف بالحكاية فعلى سبيل المثال فإنها تشكل الأساس للخطاب السياسي، والاجتماعي، والقانوني، والصحفي...ويمكن للإنسان أن يذهب على ابعد من ذلك، ويقرر أن عملية السرد تشكل

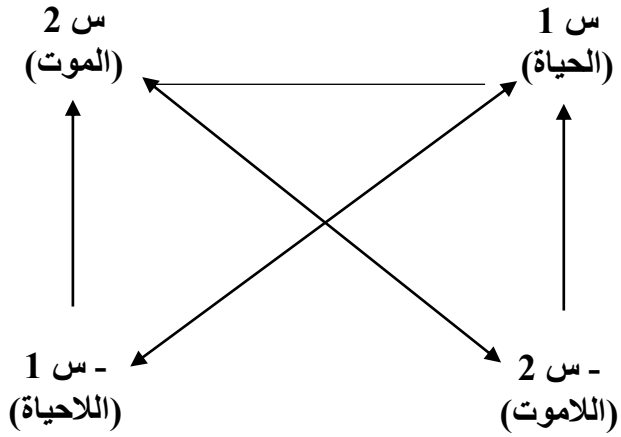
[1] سعيد بنكراد، **السيميائيات مفاهيمها وتطبيقاتها**، مرجع سابق، ص 40.

الأساس حتى لمفهومنا عن الصدق، فعلى سبيل المثال أثبتت الدراسات الحديثة في مجال الخطاب الإعلامي، والصحفي أن التقارير الصحفية التي يتطابق وصفها، ومضامينها مع النماذج للحكاية هي نفسها التي تكون أقرب إلى التصديق.

رابعا: تطرح السيميوطيقا عدة تساؤلات للدلالة، فالمستوى التجريدي العميق يولد المستويات السطحية، وعليه فإن النص أو الخطاب يجب أن يدرس في هذه المستويات المختلفة، وهي كما يلي:

- **المستوى القولي**: وهو مستوى سطحي للدلالة، فنحن هنا نفحص كلمات محددة، والعناصر المهمة في هذا المستوى هي:
- **العنصر التصويري:** ويعني عناصر النص التي تشير إلى العالم الخارجي المادي وتعرف بالصور أو الهيئات، ولهذا فإن الواقع المتعين في صور ذات هيئات هو إذن الواقع الذي يمكن إدراكه بالحواس الخمس، ويمكن أن يقابل بالعالم الداخلي للتصور التجريدي، وهو المستوى الثالث العميق للدلالة.
- **العنصر التلفظي**: وهذا يتعلق بالآثار التي يتركها المتكلم المؤلف، والمستمع المتلقي، وما الصور التي يولدها النطق في كل منها، والبحث على سبيل المثال في الصوت وأشكال الكلام...واهم شيء في هذا الصدد هو الطريقة التي يصاغ بها التصريح، هل هي حاسمة كما في حالة التقرير الإخباري أو مترددة كما في حالة التلميذ، وهو بصدد تلقي الدرس.
- **المستوى السردي:** وهذا المستوى أكثر اتساعا وتجريدا من المستوى القولي، إنه مستوى الحكاية أو السرد، أي البنية التي تعتبر وفقا للاتحاد السيمولوجي الأوروبي أساسا لكل خطاب، سواء كان اجتماعيا او علميا أو فنيا أو صحفيا...الخ.
- **المستوى التجريدي أو العميق:** هو المستوى الذي يعرف أحيانا بالمستوى المضموني، وهذا المستوى هو المستوى التجريدي الذي تتكون فيه القيم الأساسية للخطاب أو الصورة، وهذه القيم يمكن أن تقدم في صورة "مرجع سيميوطيقي"، والمربع السيميوطيقي تمثيل مرئي للعناصر الأولية للدلالة، وإيضاح علاقات

التناقض (التضاد) والتضمين هو التعبير الطبيعي لأي مجموعة دلالية كما هو مبين في الشكل التالي:



الشكل رقم 02: المربع السيميوطيقي

أولا: س 1 س2 بينهما علاقة تعارض او تضاد، فالمصطلح الواحد يفترض الآخر.

ثانيا: س 1و - س1 بينهما علاقة تناقص، وس 1 تنقض- س1، وهناك علاقة تناقض بين س 2و - س2، وس 2 تنقض - س2.

ثالثا:-س1 وس2 بينهما علاقة تضمينية، و - س1 تتضمن س2 وكذلك - س2 بالمثل تتضمن س1.

إن المربع السيميوطيقي يعتبر أداة نافعة لتصوير الدلالة السيميوطيقية الأساسية، أو المتضادات الموضعية التي ينهض عليها النص أو الخطاب أو الصورة...الخ، كما انه يتيح لنا التعرف على الحركات النصية أو الايقونة عن طريق تحديد المراحل الأساسية أو التحولات في الخطاب والصورة[1].

هكذا إذن تبدوا السيميوطيقا عبارة عن لعبة هدم وبناء في آن واحد، فهي تبحث عن المعنى من خلال بنية الاختلاف ولغة الشكل والصورة، وبنية المعنى والدلالة، ولا يهمها

[1] ينظر: **معجم مصطلحات السيميوطيقا**، مرجع سابق، ص 76.

المضمون ولا مصدر النص أو من أنجز الصورة، بل ما يهمها كيف قيل النص، وكيف أنجزت الصورة، ومن هنا فالسيميوطيقا هي دراسة لأشكال المضامين.

من هنا تبدوا السيميوطيقا مرتكزة على ثلاثة مبادئ أساسية هي:

- **التحليل**: وهو البحث عن الشروط الداخلية المتحكمة في تكوين الدلالة والمعنى.
- **التحليل البنيوي**: وفيه يكتسي المعنى ووجوده بالاختلاف وفي الاختلاف، ومن ثم فإن إدراك معنى الأقوال والنصوص والصور يفترض وجود نظام معقد من العلاقات، وهذا بدوره يؤدي بنا إلى التسليم بأن عناصر النص أو الخطاب أو الصورة لا دلالة لها إلا عبر شبكة من العلاقات القائمة بينها.
- **تحليل الخطاب والصورة:** يهتم تحليل السيميوطيقا بالخطاب والصورة، وهو فعلا يهتم ببناء نظام لإنتاج الأقوال والنصوص والصور والأيقونات، وهذا ما يميزه عن اللسانيات البنيوية التي تهتم بالجملة.

المطلب الثاني: سيميوطيقية الصورة وإنتاج المعنى

"طلب إمبراطور صيني من كبير الرسامين في القصر أن يمحو صورة الشلال المرسومة على الجدار، لأن هدير المياه كان يمنعه من النوم"[1].

من خلال هذا يتضح أن الصورة في العرف السيميوطيقي لا تحمل الدلالة والمعنى فقط، بل هي مفعمة بالروح والحركة الدائمة، وهي في ذلك تفوق كل نص تعددت وتنوعت دلالاته.

إن أي توجه في دراسات الظواهر البصرية يقتضي البحث في هذه الظواهر ذاتها، كما يميزها عن الظواهر الأخرى، أي البحث عما يجعل منها كيانات تمتلك طريقة أو طرقا خاصة بها في إنتاج المعنى، فالوجود الرمزي المطلق للسان (صوتا وكتابة)، يقابله الوجود المحسوس للظاهرة البصرية التي تطلب الأخذ بعين الاعتبار مجمل المثيرات البصرية التي تعد المدخل الرئيس لأي مقاربة سيموطيقية، بغرض إدراك ما يوجد خارج الذات (نحن نبصر لأن هناك أشياء يمكن إبصارها)، وعلى هذا الأساس فإن القضية المركزية في تحديد

[1] ريجيسدوبري، **vie et mort de l'image 1992**، ترجمة فريد الزاهي، إفريقيا الشرق، 2002، ص 15.

طبيعة الصورة تتلخص في معرفة الطريقة التي من خلالها تصل هذه الصورة إلى العين وتستوطنها[1].

إن بلورة الصورة في مثل هذه الاتجاهات السياقية والنهائية والدلالية تنقلنا من الحالة البديهية والأولية للصورة وهي الأيقونة، إلى الحالة الأكثر تعقيدا واختصاص، وهي الحالة التي تجرؤ على نعتها "الصورة الشراحة" "Met-image"• أي منظومة متكاملة من الرموز والدلالات والمفاهيم والمصطلحات، التي تختص بها الصورة كنظام خاص ومستقل بنفسه، و"هكذا لا تحكمها السياقات ولا الثقافات الخاصة، علينا ان نبحث عن موقع الوجه والايماءة داخل الممارسة الإنسانية، وداخل الثقافة التي تسندها، فما نقرأه في الصورة ليس عضوا ولا حركة ولا شكلا بل يتعلق الأمر بقيم دلالية تسربت عبر الزمن إلى الوجه والايماءات وأشكال الجلوس أو الوقوف...وعليه يمكن القول إن اللغة البصرية التي يتم عبرها توليد مجمل الدلالات داخل الصورة، هي لغة بالغة التركيب والتنوع"[2].

من هنا كان لزاما على أي مقاربة سيميوطيقية للصورة كفعل ورمز، وأن تأخذ في الحسبان حيثيات الصورة ودلالاتها في ارتباطها بسياقاتها المركبة، والمتنوعة ونشير هنا إلى أن المقاربة السيميوطيقية للصورة تفترض ما يسمى في القاموس السيميوطيقي "الصورة الزائفة" وهي تشير إلى الشبه، وهي صورة لشيء ما ليس هو في الحقيقة، ووفقا للنظرية السيميوطيقية، فإن انتاج النماذج أو الصور الزائفة، هو الوسيلة التي تمكننا من إيجاد معنى للعالم والسيميوطيقا تستخدم مصطلح الصورة أو الصورة الزائفة حين تحلل أثر الواقع أو تصوره، وتمثل بصورة مرئية بنى او دلالة أو أنظمة التفسير.

---

[1] ريجيس دو بري، المرجع السابق، ص 78.

• تماما كما نقول اللغة الشارحة langage-meta فهي مؤلفة من مفاهيم معينة أو اصطلاح ضروري لتحديد النظام الإدراكي، فالطب مثلا له لغته الخاصة، وكذلك علم القانون والأدب والفن...الخ، والسيميوطيقيا نفسها لغة شارحة، وبكلمات أخرى فغن المصطلح يشير إلى اللغة أو المفهوم الذي يحدد الطريقة التي يتم بها إنتاج اللغة، ومعاني المصطلحات التي تستخدم في اللغة الشارحة، تمثيل إلى أن تكون ثابتة، أي مستقلة عن أي سياق معين، (ينظر مادة اللغة الشارحة في معجم مصطلحات السيميوطيقا، مرجع سابق، ص 121.)

وبالإمكان نحت مفهوم الصورة الشارحة على نفس المنوال، على أن يدل المفهوم على الطريقة التي يتم بها إنتاج الدلالة والمعنى.

[2] سعيد بنكراد، **السيميائيات مفاهيمها وتطبيقاتها**، مرجع سابق، ص 88.

وتقوم المقاربة السيميائية بالبحث عن الدلالات الحقيقية لمضامين الرسالة، وذلك للكشف عن المعاني العميقة التي تحتملها وكذا الدلالات المضمرة، وبالتالي فإن الهدف الأساسي من اعتماد المقاربة السيميائية هو في النهاية النقد "Critique" القائم على البحث العميق في مضامين الرسالة البصرية أو الخطاب الإعلامي[1].

ويعتمد "لويس يامسلاف" "Louis Hyemslev" أن الفرض من التحليل السيميائي هو استخدام مجموعة من التقنيات والخطوات والوصف وتحليل الصورة على اعتبار أنها ذات دلالة كصورة في حد ذاتها وكذلك تتصف بكونها ذات علاقات مع عناصر أخرى من جهة ثانية"[2].

بينما ترى "جوليا كريستيفا" "Julia Kristiva" أن التحليل السيميائي هو:" مجموعة من التقنيات والمراحل المتبعة للبحث في صيغة اكتمال حلقة الدلالة في نسق معين، وهو الأسلوب العلمي الذي يكشف الخلل وينقد المعنى في نظام معين"[3].

تخضع الصورة البصرية المرئية لعديد المقاربات، يحث يفرق الباحثون في أنواع عديدة من المقاربات هي:

- المقاربة اللسانية التي يتبانها (فرنيدنارد دو سوسير وجورج مونان، ل. هلمسليف، وبيرس، ورولان بارت)؛
- المقاربة السيميوطيقية (كرسيتيان ماتز)؛
- المقاربة البلاغية (رولان بارت)؛
- المقاربة التداولية (روجي أودان)؛
- المقاربة النفسية التحليلية (Pierre Legendre)؛
- المقاربة الفلسفة (جورج ديدي هوبرمان)؛
- المقاربة الفينومينولوجية (M.Menleau Ponty)؛

[1] George Peninou, **Intelligence de la publicité**, édition, Robert laffont, Paris, 1978, P38.
[2] Judith Lazar, **Sociologie de la communication de masse**, édition A. Colin. Paris. 1991, P38.
[3] Julai Kristiva, **Recherches pour une sémiologie**, édition Semil, Paris. 1969.P19.

- المقاربة الأنثروبولوجيا للفيلسوف الألماني بينتار.

وكما تتعدد المقاربات التي يمكن أن تخضع لها الصورة المرئية بتعدد أنواع الصور البصرية، وبما أن بحثنا يتبنى مقاربة الصورة التلفزية سيميائيا، فإن التعامل مع هذا النوع من الصور يستلزم مراعاة مجموعة من العناصر المنهجية التي تدخل في عملية تفكيك المكونات البنيوية، ومن ثم اعادة تركيبها، ولعّل أهم هذه العناصر هي البنية والتصنيف والتركيب والدلالة والوظيفة والقراءة السياقية.

- **بنية الصورة:** والمقصود به مكونات الصورة البنيوية مثل اللون وشكل الصورة وتركيبها وعناصرها...الخ.
- **التصنيف:** حيث يتطلب التمييز بين أنواع الصور موضوع التحليل عما إذا كانت صورة ثابتة أو متحركة لغوية أو بصرية...الخ.
- **التركيب:** وذلك باستحضار العلاقات القائمة على استبدال الدوال الحسية ترادفا واختلافا مع التشديد على العلاقات التركيبية التي تنتج على مستوى التأليف والتركيب.
- **الدلالة:** هناك الدلالات المماثلة والمطابقة والتضمن ودلالة الانعكاس والدلالة السيميائية والدلالة والرمزية والدلالة التمثيلية.

المبحث الثاني: خطوات تحليل الصورة

لعله من الصعب الاستقرار على منهج معين في تحليل الصورة المتحركة، بالنظر إلى وجود عدة شبكات تحليل لكثير من المنظرين والباحثين في ميدان التحليل السيميائي، فعلى سبيل المثال يقدم "رولان بارث" في بحثه (بلاغة الصورة) ثلاث رسائل[1]:

- الرسالة اللغوية Le message linguistique
- الصورة التقريرية L'image dénotée

[1] عبد الله الثاني، **سيميائية الصورة (مغامرة سيميائية في أشهر الارسالات البصرية في العالم)**، وهران، دار الغرب، 2005، ص 271.

- بلاغة الصورة Rhétorique de l’image

كما قد كل من "بيروتان وكوكيلا" في كتابهما "دلالة الصورة" منهجية أخرى لتحليل الصورة تقوم على ثلاثة عناصر أساسية هي[1]:

- وصف الرسالة.
- مقاربة أيكونولوجية
- مقاربة سيمولوجية.

ولأن الصورة عادة ما تنقل عبر دلالاتها البصرية، عناصر رمزية أخرى إعلامية، وذلك عن طريق مستويين هما: المستوى التقريري والمستوى التحليلي.

المطلب الأول: المستوى التقريري

ويسمى كذلك "العتبة التقريرية" التي تتضمن ما يشبه إعداد بطاقة تقنية حول الصورة موضوع الدراسة، بما في ذلك المعطيات التضمينية على المستويين الداخلي والخارجي، بما يتيح لنا نقل العناصر التي تحتويها إلى لغة شفهية، من خلال وصف مفصل للقطات التي تركب الصور، ثم في المستوى الثاني الدخول في عتبة التأويل، والتحليل بواسطة مجموعة من العناصر التي تساعد على فهم العلامات، والدلائل والرموز التي تتضمنها البنية العامة للصورة، مع التأكيد بأن المقاربة التي نطرحها في تحليل الخطاب البصري سوف تقتصر على تحليل النص السيميائي غير اللفظ، أي الصورة التلفزيونية ودلالاتها.

لا شك أن تحليل صورة متحركة مثل الصورة التلفزيونية، يختلف كليا عن تحليل صورة ثابتة، فإذا كان الانعكاس الميكانيكي الواقع في الصورة الفوتوغرافية يجعلها أكثر مصداقية

[1] Laurent gerverau, voir **: comprendre analyser les images**, Paris, édition découverte, 1994, p36.

من غيرها، فإن في نفس الوقت يجعل منها صورة ضعيفة الموقف إزاء التمثل الحقيقي للأحجام أو صيرورة الحركة[1].

إن الصورة المتحركة تتفوق وتحقق الامتياز في خلق واقع الحركة داخل متخيل الصورة، ومنافسة الخيال البشري، وبالتالي فهي تقوم ببعث الحياة الايقونية في جسد الفوتوغرافيا الساكنة.

إن الصورة التلفزيونية بصفتها متحركة أو هكذا تبدو• تحتاج إلى الدخول في أعماق الرسالة البصرية بغية تحقيق فهم معانيها فهما واعيا ضمن إطارين اثنين:

- إطار الصورة المحددة بها.
- الإطار العام الذي أنتجت ضمنه، نقصد هنا المجتمع الذي تخرجت منه أو عبرت عنه، وهو ما يقتضي فهم المعاني الضمنية للرسالة المصورة فهما يوضح العلاقة بين مشكلات تلك الصورة، وبين نظام الإشارات الذي يعطي لهذه الرسالة معانيها ومدلولاتها.

ينبغي الإشارة منذ البداية أنه لا توجد وصفة واحدة تحقق الإجماع حول تحليل الصورة، إنما هناك اجتهادات مختلفة أفضت إلى اعتماد مقاربات متعددة في كيفية التعامل مع الصورة حيث تختلف المقاربات السيميائية من باحث لآخر، فهناك مثلا المقاربة السيميائية في تحليل الصورة الفوتوغرافية والإشهارية الثابتة التي يقدمها "رولان بارث"، بينما ركزت مارتين جولي على تحليل الصورة الكاريكاتورية، ويذهب كريستان ماتر "Christian Metz" الى اعتماد مقاربة سيميائية للفيلم السينمائي، وحرصا منا على توخي طريقة مبسطة بعيدة عن كل غموض، سنستند في تحليلنا للمدونة الصورية موضوع الدراسة على شبكة التحليل التي

[1] عبد القادر فهيم الشيباني، **بورس وتطبيقات العلامة البصرية**، الصورة التشكيلية والأيقونة الحية، www.saidbengrad.com تاريخ التصفح 2017/02/15.

•إن الصورة المتحركة تتشكل من مجموعة صور ثابتة تمثل كل واحدة منها مرحلة معينة من مراحل الحركة، وعند عرضها مرتبة بشكل تتابعي، وفق سرعة زمنية محددة تعطي الإحساس بالحركة.

يقترحها كل من "جرفيرو"[1] "Gervereau" و "M.Joly" ، التي تمكننا من إجراء مقاربة سيمولوجية باعتماد المراحل التالية:

- **وصف الرسالة:**

وتمثل مرحلة أولية في عملية قراءة بسيطة لما يخضع للرؤية المجردة بوصف أهم مشكلات الصورة موضوع التحليل، يسمح لنا من الغوص في تفاصيل ومضامين الرسالة البصرية، وتقدم "ماري كلود فيترينو" ثلاث مستويات في عملية وصف الرسالة هي:

- **المستوى التقني:**

ويتضمن تعريف مرسل الرسالة نوعيته، تاريخ إنتاج الصورة ونوعها وموقعها.

- **المستوى الفني:**

او الأسلوب المتبع في الترتيب الايقوني (L'ordre iconique) من حيث اللون والحجم والمساحة المهيمنة في الرسالة البصرية.

- **على مستوى الموضوع:**

وذلك بالتطرق إلى مجموعة من العناصر، منها ماله صلة بعنوان الصورة، وكذلك برصد أهم الرموز المهيمنة.

- **دراسات السياق:**

ويسمى أيضا بالمستوى التعييني، ومعناه القيام بالقراءة الأولى للرسالة البصرية المتحركة بما يمكن من أخذ انطباع أولي عن مضامينها الجلية.

تقدم مارتين جولي تفسيرا للمستوى التعييني من خلال عدة عناصر أهمها[2].

---

[1]Laurent Gerverau, Op, cit, P36.
[2]Joly.M, **introduction a l'analyse d'image**, paris, Nathan université, 1994, P86.

أولا: الرسالة التشكيلية

والتي تتضمن بدورها العناصر التالية:

- **الحامل le support:**

بالنسبة للصورة الفوتوغرافية يتمثل الحامل في الشريط البصري أو القرص المضغوط...الخ، ما تنتجه التكنولوجيا الرقمية في هذا المجال.

- **الإطارle cadre:**

المقصود بالإطار في حالة الصورة التلفزيونية هو شاشة العرض.

- **التأطير la cadrage:**

ترى "مارتين جولي" أن عنصر التأطير في الصورة هو المساحة المحددة الموجودة بين المصور والهدف[1]، أو المعنى التضميني الذي يريد المصور أن يعطيه للصورة الملتقطة سواء حتى من حيث التصغير أو التكبير، وفي كلتا الحالتين يقدم التأطير دلالات معينة للمشهد الملتقط.

- **زاوية التقاط الصورة Angle de prise de vue:**

هناك زوايا مختلفة لاختيار طريقة التقاط الصورة، وذلك تبعا للمعنى الذي يراد إعطاؤه للمشهد الملتقط في عملية التصوير، فهناك على سبيل المثال: ما يعرف بلقطة الموضع "plan du situation "، المجال "champ"، والمجال المعاكس "contre champs"، الزاوية الفوقية "Plongée"، والزاوية التحتية "Contrôle plongée"...الخ، وهي كلها تعطي دلالة ومعنى للصورة الملتقطة.

[1]Joly.M,Op.Cit, P08.

- **اللون والإضاءة les couleurs et éclairage:**

يعتبر اللون عنصرا من العناصر التي تدخل في عملية تأويل الرسالة البصرية، بما يحمله من معاني وتأويلات، وتتجسد أهمية اللون في العناصر التالية:

- اللون ينقل المعاني ويساعد على تأويل مشكلات الصورة.
- اللون يزيد من القوة الدلالية للصورة، ويضفي عليها طابع الرمزية.
- ينقل ويعبر عن الحالة النفسية السائدة في المشهد.
- يتسم بقدرة كبيرة على التأثير في الذاكرة، بما يحمله من عناصر الحيوية والواقعية، فالألوان الداكنة مثلا كاللون الأسود والأحمر والرمادي ترمز للثقل والبطء والركود وتعبر كذلك عن الشدة والمآسي، على عكس الألوان الفاتحة التي توحي بالنشاط والحركة والحيوية وتعبر عن الأمل والتفاؤل.

ثانيا: العلامات البصرية الأيقونية

يعتبر "جون دوبا" "J.Dubois" ان الأيقونة من أكثر المفاهيم المثيرة للجدل في مجال السيميائيات البصرية، بالرغم من وجود اتفاق على تعريفها "بالعلامة التي تربطها علاقة تشابه مع ما تحيل اليه في الواقع الخارجي"[1]، وهو ما يميل اليه "شارل سندرس بيرز" عندما يعرف الرسالة الايقونية بوصفها علامة لها علاقة متشابهة مع الشيء الذي تحيل إليه"[2].

من وجهة نظر "شارل موريس"، فالأيقونة علامة تملك بعض خصائص الشيء الممثل حيث يقدم المثال التالي: فصورة الملكة "اليزابيت" للرسام "Anrignoni" تحمل خصائص الملكة اليزابيت نفسها، أي لها العينين ذاتها، والأنف ولون الشعر...عندما نقول مثالا إن لها الشكل ذاته للأنف، فإن الأنف في الواقع له ثلاثة أبعاد، في حين أن الانف في الصورة لا

[1]عبد المجيد العابد، **مفهوم الأيقونة في السيميائيات**، www.elaphonblog.com تاريخ النشر: 2010/03/31، تاريخ التصفح: 2017/03/05، سا:23:00

[2]David Scott, **la sémiotique du timbre :communication et langage**, N° 120, 4eme trimestre, Paris, 1999, P93.

يتكون إلا من بعدين اثنين فقط، وبالتالي فإن ما يحمل خصائص الملكة اليزابيت ليس إلا الملكة نفسها"[1].

نستخلص من هذا أن قراءة الرسالة البصرية ومحاولة فهمها يتطلب لغة مسننة يتم عبرها التأويل والتدليل، وبالتالي فإن إنتاج دلالة ما بصورة ما، لا يعود " إلى ما يثيره الدال داخلها من تشابه مع ما يحيله عليه، بل يعود الأمر إلى امتلاك لسنن يتم عبره توليد كل الدلالات الممكنة"[2].

ثالثا: الرسالة اللسانية

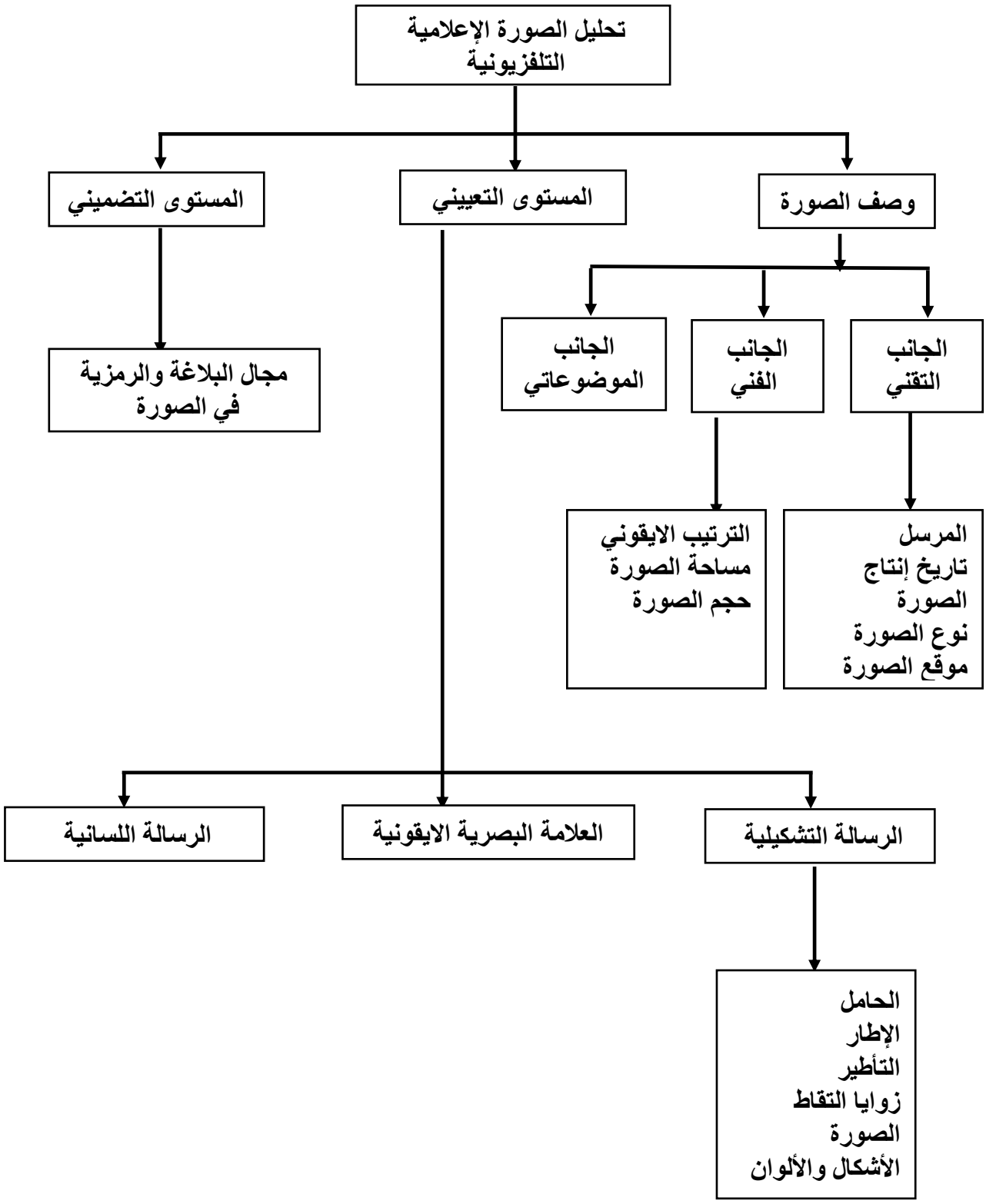
إن الصورة أبلغ من كل تعبير لأنها توسع مجال الفهم عند المشاهد، إلا ان اللغة أو الرسالة اللسانية باعتبارها أنظمة تعبيرية تساهم في توجيه معاني الصورة كونها تتميز بتعددية المعاني "Polysémique"[3]، وإلى جانب دورها التوجيهي تقوم الرسالة اللسانية بوظيفة الترسيخ الذي يعتبره "بارث" المراقب والمسؤول أمام قوة إسقاط الأشكال في الصورة.

المطلب الثاني: المستوى التضميني

يوصف المستوى التضميني بأنه عملية التفكيك التي تخضع لها الصورة، وذلك بغرض فهم رموزها، وشرح تأويلاتها ضمن السياق العام الذي أنتجت فيه، وتبعا لخصوصيات الفرد وانتماءاته وثقافاته، ويرى "بارث" عندما يتكلم عن المعنى الاشاري، والمعنى الإيحائي للصورة:" ان الرسالة الشارية للصورة الملتقطة هي الصورة ذاتها، لكن حين يتدخل الإنسان لمحاولة تفسير الصورة سيكون للرسالة البصرية معنى آخر هو المعنى الايمائي"[4]، ويفهم من هذا أن الاشارية في الرسالة البصرية هي علاقة بين الإشارة والموضوع، وفي المستوى الثاني (المستوى الإيحائي)، أو على المستوى التضميني تصبح العلاقة ثلاثية الأطراف هي

[1] عبد الماجد العابد، مرجع سابق ، www.elaphonblog.com
[2] سعيد بنكراد، السيميائيات: **مفاهيمها وتطبيقاتها**، مرجع سابق، ص 81.
[3] عبد الله ثاني، **سيميائية الصورة (مغامرة سيميائية في أشهر الارسالات البصرية في العالم)**، مرجع سابق، ص 84.
[4] طاهر عبد مسلم، **عبقرية الصورة والمكان: التعبير، التأويل والنقد**، ط1، دمشق، دار الشروق للنشر والتوزيع، 2002، ص 73.

الإشارة، الموضوع والإنسان، فهذا الأخير حيث يتدخل فإنما بغرض إعطاء معنى إيحائي للصورة باختيار التقنيات الخاصة بالمعالجة او التأطير او أسلوب العرض والإخراج النهائي لصورة، ويرتبط المعنى التضميني كما هو معروف بالواقع الثقافي والمعرفة الاجتماعية اللذان يفسران الاختلاف في النظر بين المجتمع وآخر، فلا يمكن فهم إيحاءات أي صورة بمعزل عن الإطار الاجتماعي والثقافي، فمثلا صورة البقرة في الهند ترمز إلى قيمة دينية مقدسة، في حين المجتمعات الأخرى لا تعني أكثر من غذاء (حليب ولحم).



الشكل رقم 03: تحليل الصورة الإعلامية التلفزيونية (من إعداد الباحث)

المبحث الثالث: التحليل السيميائي للرسائل البصرية الإعلامية موضوع الدراسة

بعد أن تعرضنا لمفهوم "السيمولوجيا" واهم النظريات التي تناولت الموضوع وكذا التدرج التاريخي الذي عرفته السيمياء واستعرضنا أهم المقاربات السيموطيقية الموظفة في الصيغ التحليلية وكذا المستويات الدلالية للظواهر البصرية سنحاول الولوج إلى عملية تحليل الخطاب الإعلامي المبني على الصور التلفزية المتحركة وفق شبكة تحليل التي يقترحها كل من "جرفيرو" "Gerverou" و"جولي" "M.Joly" حتى نتمكن من إجراء مقاربة تخدم دراستنا بالقدر الذي يسمح لنا من الوصول إلى تحقيق أهداف الدراسة.

سنقوم فيما يلي بتطبيق عناصر المقاربة السيميائية للرسائل البصرية الواردة في عديد التغطيات الإخبارية الخاصة بوقائع في شكل نزاعات دولية إنسانية انطلاقا من فرضيات الدراسة الواردة في المدخل المنهجي من خلال المدونة البصرية المتضمنة تحليل بعض الرسائل البصرية التي تخدم دراستنا وهي:

- حرب الخليج الثانية (تحرير الكويت)؛
- الربيع العربي من خلال التركيز على مسألة اللاجئين السوريين وتوظيف صورة الطفل السوري إيلان في توجيه الخطاب الإعلامي البصري وفق الغايات المرجوة.

المطلب الأول: المدونة البصرية المرتبطة بحروب الخليج

عنوان الرسالة: طريق الموت (The High Way of Death)

- **وصف الرسالة:**

➢ **البطاقة الفنية**

- **الموضوع:** حرب الخليج الثانية: تحرير الكويت.
- **اليوم:** 26 إلى 27.
- **الشهر:** فبراير.
- **السنة:** 1991.
- **الساعة:** منتصف الليل.

- **المكان:** الطريق السريع رقم 80 الذي يربط مدينة الكويت بالبصرة (العراق).
- **الحدث**: قصف جوي وبري للقوات العراقية المنسحبة من الكويت.
- **الخسائر البشرية**: تتراوح ما بين 300 إلى عشرات الألاف على حسب المصادر المختلفة.
- **الخسائر المادية:** ما 1800 إلى 2700 مركبة مدمرة، من خمسة إلى سبعة أميال من مركبات وعتاد عسكري.
- **عدد المساجين:** من 450 إلى 500 جندي عراقي وقعوا في الأسر بما فيهم مدنيين.

لقد اعتبرت عملية القصف قوافل الجيش العراقي وهو في حالة انسحاب جريمة انسانية ومجزرة فضيعة وخرقا صريحا لاتفاقيات جنيف 1946 التي تنص على تجريم قتل الجنود الذين هم خارج الحرب والقتال.

رقم اللقطة	مدة اللقطة/ثا	حركة الكاميرا	سلم اللقطات	زاوية التصوير
01	0,14 ثا	ثابتة	لقطة مركبة: ثابتة متحركة	من الأعلى
02	0,10 ثا	ثابتة	لقطة مصاحبة Travelling	من الأعلى
03	0,30 ثا	ثابتة	لقطة متوسطة	زاوية أفقية
04	0,60 ثا	ثابتة	لقطة مصاحبة Travelling	زاوية جانبية
05	0,30 ثا	ثابتة	لقطة مقربة	مستوى النظر
06	0,30 ثا	ثابتة	لقطة مقربة	مستوى النظر
07	0,30 ثا	ثابتة	لقطة مقربة	مستوى النظر
08	0,30 ثا	ثابتة	لقطة مقربة	مستوى النظر
09	0,30 ثا	ثابتة	لقطة مقربة	مستوى النظر
10	0,50 ثا	ثابتة	لقطة عامة	مستوى النظر
11	0,50 ثا	ثابتة	لقطة عامة	مستوى النظر
12	0,27 ثا	ثابتة	لقطة متتالية	من الأعلى
13	0,15 ثا	ثابتة	لقطة متتالية	من الأعلى
14	0,10 ثا	ثابتة	لقطة مائلة	من الأعلى
15	1,40 ثا	متحركة	لقطة متتالية	من الأعلى إلى الأسفل
16	0,23 ثا	ثابتة+ متحركة	لقطة متتالية	من الأعلى إلى الأسفل
17	1,21 ثا	ثابتة	لقطة متتالية	من الأعلى إلى الأسفل ثم من الأسفل إلى الأعلى

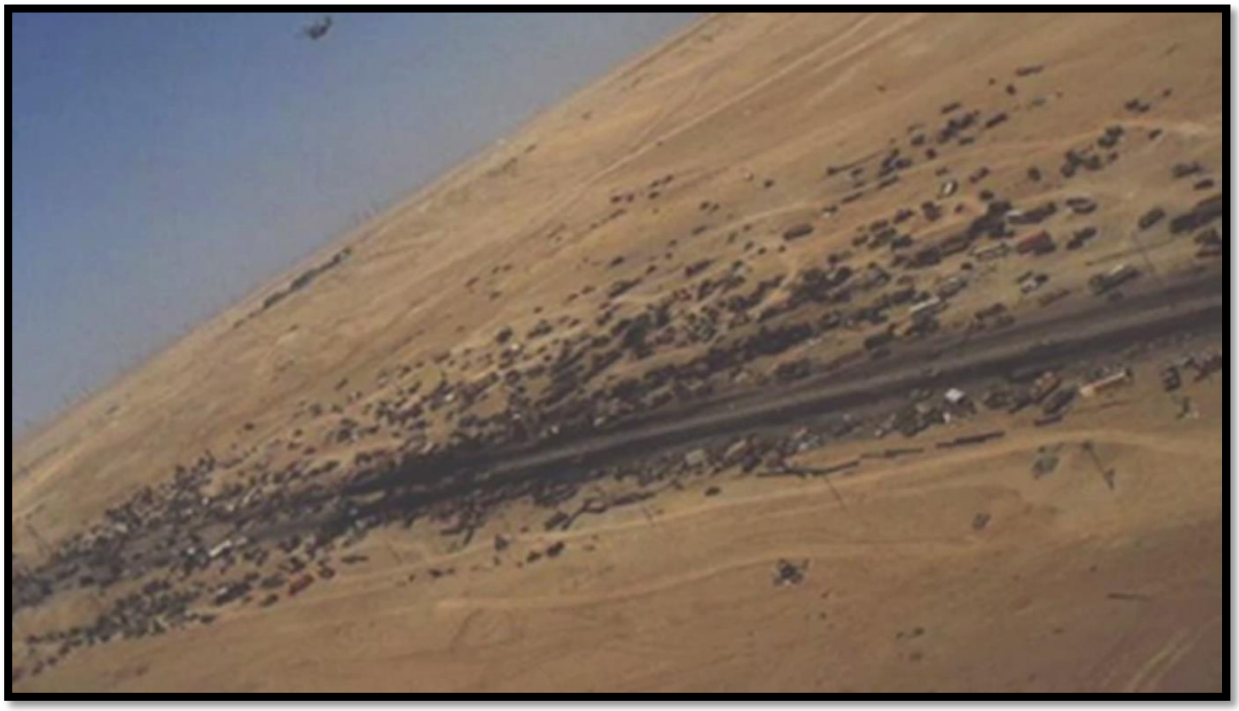
المشهد الأول (01):

يبدأ المشهد بلقطة مطولة على شكل متتالية صورية، وهي صورة فضائية التقطت عن طريق الأقمار الصناعية ليلا وعلى المباشر، تظهر الصور قوافل الجيش العراقي المنسحب من الكويت على الطريق المزدوج رقم 80 والذي عرف في ما بعد بطريق الموت، وقد رصدت الأقمار الصناعية الأمريكية ذلك قبل أن تشرع الطائرات العسكرية المحلقة في القصف بالصواريخ والقنابل المختلفة الأحجام ليتحول إلى مشاهد رعب مدمرة، حيث توالت الانفجارات التي استهدفت القافلة العسكرية على طول امتداد الطريق المزدوج، لتختفي أضواء السيارات والمدرعات والتي كانت تضيئ الطريق وراء ألسنة ودخان كثيف يتصاعد وكأنه يحاول اخفاء حقيقة ما وقع.



المشهد الثاني (02):

تختفي الصورة الفضائية الليلية بما حملته من أهوال فاسحة المجال لصورة جوية مقربة ونصف مقربة ومائلة ذات دلالات، لتنقل حجم الدمار والخراب الذي لحق بالقافلة العراقية وقد استسلم المكان لصمت رهيب ولا حركة فيه، وقد انجلى الغبار على المكان، ليكشف مشهدا آخر، يبين حجم الدمار الذي لحق بالقافلة المنسحبة، كل شيء تحول إلى ركام وبقايا هياكل آليات أتت عليها النيران بما فيها من البشر، وقد ترامت على جنبات الطريق وعلى مساحة تمتد مد البصر، الجثث المتفحمة وقد اختلطت بهياكل السيارات تعكس هول وقوة العدوان.



المشهد الثالث (03):

تهبط الكاميرا أرضا لتقربنا من المشهد الفظيع بلقطة زاحفة نحو الخلف Zoom AR مائلة نسبيا لتؤكد دلالة الموقف لتكشف حقيقة المكان ووضعها صُور دبابات فقدت هيبتها وتعطلت عن الحركة في وضعية تعكس وضعها والدمار الذي لحق بالقافلة وقد فاجأها القصف الجوي من حيث لم يتوقع.



المشهد الرابع (04):

بالاعتماد على تقنية الخفوت الترابطي (التسلسلي) Fondu en chainée تعبير عن عملية الربط بين مشهدين منفصلين في الحيز المكاني، تتوالى المشاهد ضمن متتالية تنقل تفاصيل الحدث برموزه وايحاءاته ضمن لقطة مركبة أوّلها حركة رئيسية من الأعلى إلى الأسفل تظهر طائرة مروحية تحلق عن بعد منخفض فوق كرسي مقلوب فقد ركائزه، لتتوقف حركة الكاميرا نحو الأسفل، حيث جثة جندي عراقي بزيه العسكري ملقى على ظهره وقد فقد رأسه المفحم بفعل ألسنة النيران التي أصابت النيران الجزء العلوي من جسده.



المشهد الخامس (05):

تتواصل عملية الربط بين المشاهد باعتماد أسلوب "الخفوت التسلسلي" ليَفصح عن لقطة عامة على مستوى النظر، تعد لتفاصيل الخراب الذي لحق بوحدات الجيش العراقي جراء عملية القصف المتواصل: شاحنات ودبابات ومدرعات كلها تحولت إلى بقايا هياكل وكأنها تآكلت بفعل صدأ السنين مع أنه لم تمر سوى ساعات معدودة على وقوع الجريمة، بقع سوداء متناثرة على الطريق الشبح.



المشهد السادس (06):

مشهد جديد لحجم الرعب، شاحنة انحرفت عن مسارها تحت شدة القصف وراءها جثة جندي عراقي.



المشهد السابع (07):

لقطة مقربة تنقل تفاصيل جسد عار ومفحم تماما، وقد تدلّت ذراعه اليمنى من على باب الشاحنة المبصوم بآثار القصف العنيف.



المشهد الثامن (08):

تتواصل عملية عرض المشاهد المرعبة باللونين الأبيض والأسود للدلالة على حجم المأساة هذه المرة تتوقف الكاميرا عن "لقطة ذات بعد بؤري" تصور ثلاثي جنود أمريكيين مدججين بالسلاح، يركزون النظر في جثتين لجنديين عراقيين يبدو أنهما ما زالا على قيد الحياة رغم ما أصابهما من حروق حولت جسديهما إلى بقايا فحم، ولكنهما يتشبثان بالحياة ويطلبون النجدة، وفي خلفية الصورة تظهر ألسنة نيران ودخان كثيف متصاعد يبدو أنها لآبار بترول تحترق، المشهد له دلالة ؟؟



المشهد التاسع (09):

صورة لجرافة تكدست على رافعتها جثث جنود مفحمة تحاول نقلها تحت رقابة ثلاثة جنود أمريكان، وكأنهم يتأكدون من حقيقة موت هؤلاء الجنود.



المشهد العاشر (10):

صورة لجندي أمريكي يتحرك وسط ديكور خراب يحمل آلة تصوير يحاول التقاط صورة لبقايا جثة مفحمة وقد فقدت الجزء العلوي من الجسد.



المشهد الحادي عشر (11):

صور لسرب طائرات مقاتلة وعددها خمسة تحلق بانسجام وتناغم، للصورة دلالاتها العميقة وسط مجال جو غطاه دخان الحرائق.



المشهد الثاني عشر (12):

يتكرر مشهد الجندي الأمريكي بيده آلة تصوير يقف أمام جثث مفحمة لجنود عراقيين على ظهر شاحنة تحولت بدورها إلى هيكل حديدي.



المشهد الثالث عشر (13):

مشهد قاتم السواد للقطة من الجو تنقل تحرك مروحية فوق مواقع تعرضت للقصف ويرتفع منها دخان كثيف يتصاعد في عنان السماء.



المشهد الرابع عشر (14):

لقطة عامة على مستوى النظر تعود لتأكد حجم الدمار الذي لحق بقافلة الجيش العراقي على امتداد كيلومترات من الطريق المزدوج رقم ثمانين.



المشهد الخامس عشر (15):

مشهد لجندي أمريكي في وضعية حديث يقف على جثة عراقي ممددة على ظهرها وعليها آثار القصف وسط ديكور أسود وأبيض متصحر.



المشهد السادس (16):

صورة الأسرى العراقيين استسلموا تحت قوة القصف المفاجئ وعليهم تظهر علامات الصدمة، نظراتهم تخفي كثير من الحزن والقلق حول المصير المنتظر.



المشهد السابع شعر (17):

مجموعة من الجنود الأمريكيين ينتشرون حول دبابة، وفي مقدمة المشهد صورة لجندي أمريكي يمد رجله اليسرى محاولا تحريك جثة الجندي العراقي بكثير من التعالي والغطرسة على مرأى رفقائه.



المشهد الثامن عشر (18):

مشهد يعكس حجم الخسائر البشرية من خلال الجثث المفحمة والتي تم ترتيبها بعناية بعضها مكشوفة وبعضها ملفوفة بما تيسر من الأغطية كحالة هذا الجندي العراقي الذي يبدو أنه استسلم للواقع المحتوم.



المشهد التاسع عشر (19):

مشاهد الحزن والأسى الذي أصاب العائلات جراء ما وقع، امرأتان عراقيتان أحدهما غارقة في حزنها وهي في حالة دهشة والأخرى أبت ان تكشف عن وجهها حتى لا ترى حجم ما وقع، وبجانبها تظهر فتاة في مقتبل العمر تحاول أن تبحث عن سند آمن يبعد عنها هاجس الخراب والرعب.



المشهد العشرين (20):

صورة الاستسلام يجسدها جندي عراقي يبدو أنه نجا من الموت وهو يجلس على ركبتيه رافعا يداه وبالمقابل جندي أمريكي يحاول تثبيته للتأكد من وضعيته.



المشهد الواحد والعشرين (21):

صورة لجندي أمريكي يصوب رشاشه عنان السماء وأمام مئات القطع من الأسلحة التي تمت غنيمتها.



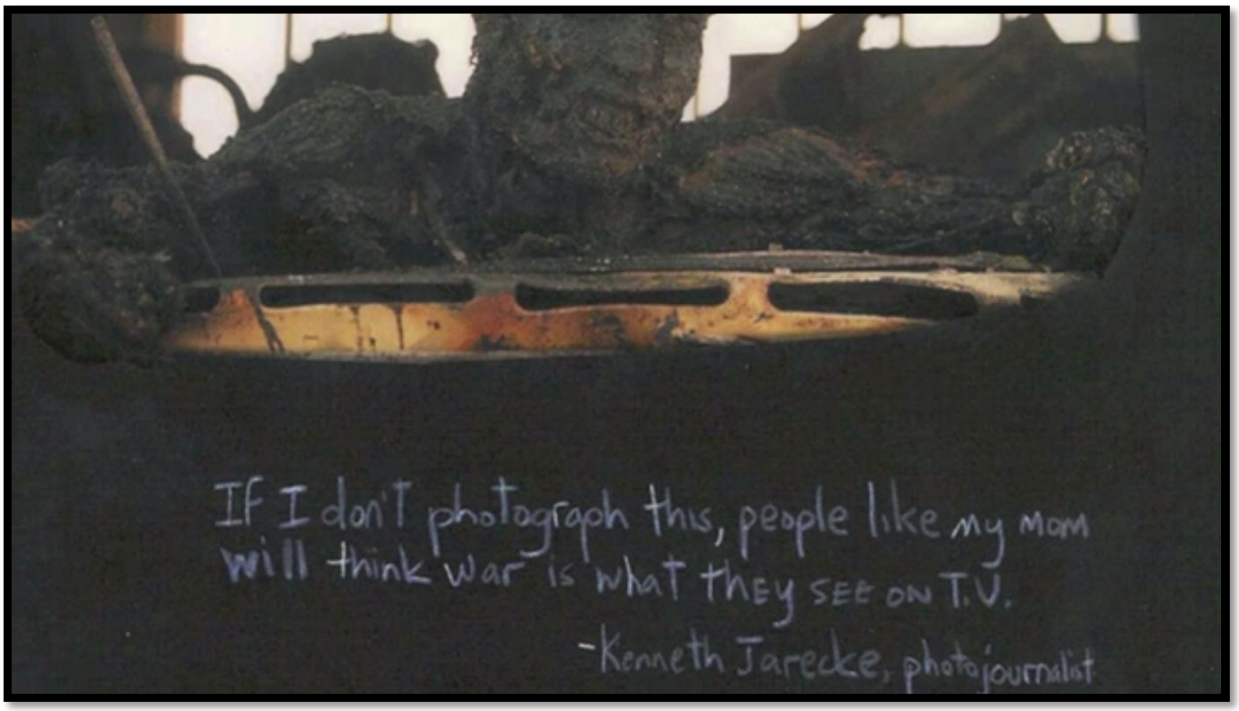
المشهد الثاني والعشرين (22):

تتوقف المشاهد عن صورة مكبرة زاحفة من الأسفل للأعلى تحمل توقيعا باللغة الإنجليزية لتفصح عن مشهد يلخص تماما حقيقة الوضع: جندي عراقي متفحم يبدوا أنه احتفظ بآخر وضعية كان عليها قبل القصف.

If i dont photograph this people like mu mom will think war is what they see on T.V

"إذا لم أصور هذه، سيعتقد الناس مثل أمي أن الحرب هي ما يشاهده الناس على التلفاز"

Kenethr Jarecko photo journales



- **المستوى التعيني:**

أولا: الرسالة الشكلية

الحامل: كاميرا رقمية من طراز (DYCAM) بدقة 376# 240.2159 بكسل (Pixel) (0,09) بكسل Pixel، التي تحول الصورة إلى بيانات رقمية، ويتميز هذا النوع من الكاميرات التي تستعمل غالبا في التغطيات الاخبارية بأنها ذات دقة كبيرة وألوان مميزة وجذابة.

- **زاوية التقاط الصورة:**

المشهد الأول: الطريق المزدوج رقم 80 من الفضاء عن طريق توظيف تقنيات الصور الفضائية في الحروب مثلما وظفت كذلك في ميادين أخرى مدنية وعسكرية مثل الرصد الجوي، الطوبوغرافيا...، غير أن استعمال التقنيات الفضائية في حرب الخليج له دلالاته

خاصة بما يوفره من تقنيات عالية ودقيقة في مجال القصف الجوي الدقيق أو لمراقبة تحركات العدو، ولذلك اعتبرت الصورة الفضائية كأفضل وسيلة لتزويد الطيارين العسكريين الأمريكيين بمعلومات في غاية الدقة حول المجال البري المستهدف في هذه الحرب.

لقد جاءت المشاهد الملتقطة من الفضاء على شكل متتالية صورية أو ما تسمى عادة "باللقطة البنائية أو التأسيسية"" Establishing Shot"، بحيث تأتي دوما كلقطة عامة وشاملة للموقع المراد تصويره وتنعت كذلك بأنها لقطة موضوعية إلى حد كبير[1].

المشهد الثاني: تختفي الصورة الفضائية بما حملته من رموز ورسائل ودلالات لتحل محلها صورا جوية نصف مقربة مائلة للتعبير عن موقف غير طبيعي وهي حالة الخراب الذي لحق بقافلة الجيش العراقي، وتبدو الصورة في حالة الميلان مقسمة إلى ثلاثة مناظر مفصولة بخطين مائلين يعكس مشاهد مختلفة، ففي أعلى اليمين للشاشة مثلث تظهر السماء باللون الأزرق الصافي يعكس الجو الغالب في المناطق الصحراوية، بينما يسيطر الاصفرار على وسط الصورة تكسر صفاءه بقع سوداء متفاوتة الأحجام على جنبات الطريق المزدوج يبدو وكأنها نبات صحراوي متناثر، لكنها ليست كذلك، إنما هو عتاد عسكري أتلفته ألسنة القصف الجوي المركز فيتحول المشهد إلى خراب على بساط صحراوي مصفّر.

المشهد الثالث: ويأتي ليغير من زوايا التقاط الصور، فمن الفضاء إلى الجو إلى الأرض، سلسلة مسترسلة، فواصلها خفوتٌ تسلسلي، ناقل لصورة الزمان على نفس المكان "طريق الموت"، مشاهد رعب متلاحقة كالرصاص، جثث متفحمة، آليات عسكرية مدمرة تماما، وقد تكلفت ألسنة النيران بمحو معالمها، ثم تنتقل عين الكاميرا من كل ما هو مادي إلى كل ما هو بشري أو "بقايا بشر"، جثث متفحمة ومتناثرة، شكل دال ومعبر عن موقف فجائي لم يكن يتوقعه أحد من عناصر القافلة المنسحبة.

الألوان والإضاءة: لقد جاءت الألوان طبيعية في مختلف المشاهد الملتقطة ثرية ومتنوعة، فمن ظلمة حالكة لليل فضائي مفزع، إلى زرقة سماء وكأنها لم تتأثر بما وقع على الأرض،

[1] وجدي حلمي، مدونة الاخراج السينمائي والتلفزي، www.hdrmut.net تاريخ النشر: 2010/12/12، تاريخ التصفح: 06 مارس 2011، سا: 23:17.

إلى لون الرمال التي تحدد ملامح فضاء الأزمة، إلى غبار ودخان ورماد، حيث يطغى اللون الرمادي الداكن على تفاصيل الحدث.

إن تأسيس الرسالة موضوع التحليل على ثلاثة ألوان مختلفة: اللون العسكري الأخضر (لون بارد) واللون الأصفر (لون ساخن يرمز للنشاط والقوة) ثم اللون الرمادي القاتم، ولعل التقاء اللونين الأصفر (الساخن) باللون الأخضر "البارد" هو أشبه ما يكون بالتقاء تيارين مناخيين متضادين ينتجان ما يسمى عند الفيزيائيين "الصدمة الحرارية"• " Choc Thermique"، ويعبر هنا عن حدة الصدمة بين تيار بارد كناية عن القافلة العراقية المنسحبة وهي في حالة "اللاحرب" وبين تيار ساخن يتربص ويتحين الفرصة لتحقيق الضربة القاضية، وهو جيش الحلفاء، وفي ذلك دلالة مزدوجة للحدث بالجمع بين الضدين مما يتولد عنه ما يسمى بالمفارقة اللونية.

• **الصدمة الحرارية:** هو مصطلح فيزيائي يستعمل في علوم الطب، ويعرّف بالاسم المعطى للتصدع نتيجة تغيير درجة الحرارة السريع، الزجاج والسيراميك كائنات معرضة بشكل خاص لهذا النوع من الفشل وتحدث عندما يؤدي التدرج الحراري أجزاء مختلفة من كائن إلى التوسع من خلال كميات مختلفة في تطبيقات مجالات الطب تعبر المفهوم عن حالة تعرض الحجم لدرجة حرارة مرتفعة لفترة طويلة فتزداد درجة حرارة الجسم الداخلية لذلك يتم اللجوء إلى غمر الجسم في ماء بارد بشكل سريع لخفض درجة الحرارة، كما يتم توظيف المصطلح مجازا للتعبير عن حالة من الانتقال السريع من وضعية معينة إلى وضعية معاكسة تماما تحت تأثير مؤثر خارجي، حيث تتعلم عن الصدمة العاطفية، الصدمة النفسية، الصدمة العصبية، الصدمة الجرثومية، الصدمة القلبية.
المرجع: الصدمة الحرارية: تعريف المصطلح http://www.marufalurningterms.com، تاريخ التصفح 2017/03/25، سا: 16:21.

ثانيا: العلامات البصرية الأيقونية

الدلالة النهائية	الدلالة الأولية	الرموز المهيمنة والدوال الأيقونية
العتاد العسكري	- الطائرات الحربية - الآليات العسكرية الأمريكية. - الصواريخ الفضائية - العتاد العسكري العراقي.	يرمز العتاد العسكري إلى القوة والبطش وإظهاره في الرسالة البصرية بشكلين مختلفين له دلالاته الرمزية. العتاد العسكري الأمريكي بالتركيز على السلاح الجوي: طائرات مقاتلة ومروحيات في حالة قصف وصواريخ تنهمر كالسيل من الفضاء كلها تعبّر عن التفوق العسكري، والتطور التكنولوجي المذهل الذي توصلت اليه العبقرية الأمريكية وبالتالي فإن نتائج المعركة محسومة منذ البداية، ومن ثم فإن العراق ارتكب خطأ فادحا بل حماقة وهو يتحمل التبعات والعواقب، وفي ذلك رسالة ضمنية حول تحديد من المسؤول عن حروب الخليج، وهي أشبه ما تكون بمحاولة تبرئة الذمة حتى قبل انتهاء الحرب . العتاد العسكري العراقي المدمر: إظهار على تلك الحالة من الدمار هو رمز الكبرياء المنكسر الكاذب، وبالتالي فإن المدلولات التضمنية تعبر عن حالة العجز المطلق.
اللباس العسكري	تعددت مشاهد الجنود الأمريكيين عدة مرات في الرسالة البصرية وهم في حالة وقوف.	إن الاهتمام المبالغ فيه بالهندام أو اللباس العسكري في الرسالة بما يوحي اليه من هيبة واحترام، حيث يعد الزي العسكري رمزا للانضباط والصرامة والالتزام والطاعة، كما يحيل إلى قوة مشاعر الوحدة والترابط، وبالتالي فهة يعبر عن هوية الجيش. وفي الرسالة البصرية موضوع الدراسة يعبر الزي العسكري عن هويتين مختلفتين بالشكل الذي تم إظهاره به. زي عسكري للجنود الأمريكيين المدججين بمختلف الأسلحة المتطورة

		والمزودين بكل الوسائل القتال والتدخل والوقاية تعبر عن هوية الانتماء إلى ما يسمى بالمجتمع العسكري بما يرمز إليه من روح الولاء والاعتزاز، وبالمقابل لباس عسكري عراقي ممزق يغطي جثثا متفحمة في وضعيات استسلام مختلفة وفي ذلك تعبير تضميني به مدلولاته السياقية تشير إلى حالة الضعف والهوان وعدم الجدية في التعامل مع الحدث الاستثنائي.
الأثاث	في سياقات الوصف البصري للرسالة يعبر الأثاث عن وجود عين دال ومؤثر له دورا ايجابيا يرتبط أكثر بحقيقة واقعية غير افتراضية.	صورة الكرسي المكسر والمقلوب وربطه عن طريق لقطة زاحفة ومائلة نحو الخلف يعبر عن نهاية عهد لسلطة عسكرية مزعومة في العراق.
النسوة	صورة المرأتين العراقتين الجالستين على الأرض وهي ترتدي لباس الحجاب أسود	الحجاب أو الجلباب رمز ذو دلالات دينية واجتماعية لأنه يرتبط بالجسد أولا ثم بالعبادة. إلا أنه ذو رمزية ثقافية وتاريخية ثابتة كما يمكن للباس الديني (الجلباب الأسود) في الصورة يكون كخطاب غايته بلورة عناصر صراع خفي حول الثقافة والهوية، حيث يتخذ الطابع الديني مظهرا تراتبيا ومذهبيا (وتفصيلات الحجاب وكيفية لبسه والخلاف في ستر الوجه أو عريه...تشكل اليوم حضورا في الخطاب الاسلامي في مواجهة الخطابات الحداثية العلمانية وهنا أصبح اللباس ليس علاقة بالجسد وفقط (المجال التعبدي ولكن أيضا في العلاقة مع الصراع السياسي واختلاف الثقافة والهوية"[1]، وإظهار الشكل المرأتين في حالة حزن صالح يعكسه اللون الأسود القاتم، حيث أن

[1] بومدين بوزيد، **اللباس ورمزيته الدينية والاجتماعية**، http://www.djazairia.com مقال نشر في يومية الشعب في 2014/03/29، تاريخ التصفح 2017/10 ساء: 15:06.

		توظيف صورة المرأة المسلمة في الحروب تخضع لمعايير غير موضوعية تشكل بدورها متطلقات للإعلام الغربي في تقديمه لصورة نمطية للمرأة العربية (المسلمة) في شكل الضحية لما نسميه الارهاب الاسلامي رمز للتخلف والاضطهاد، فهي على حد تعبير "أرزو هيلالي "في نظر هؤلاء الصحفيين، يجب أن نتخلص من الدين وعندما نتخلص منه فسوف نتخلص من الحجاب الذي يغطيها من رأسها إلى قدميها"، لذلك تتكرر مشاهد المرأة المسلمة في الاعلام الغربي بالشكل الذي يدعو علنا أو ضمنيا إلى التحرر من كل ما يرمز إلى الدين الذي يكرس في نظرهم الاهانة للمرأة المهضومة الحقوق المسلوبة للحرية، وفي السياق ذاته يذهب "نيكولز كريستوف" إلى حد اطلاق (صفة الأشباح السوداء، حيث يصنف المرأة المسلمة بالممسحة الأرجل الأثرية المغطاة بالسواد"[1]، وهو أسلوب ينّم عن الاحتقار والنظرة الدونية وفي ذات الوقت يسوّق النموذج الغربي للمرأة (المتحررة المتحضرة التي تشكل النموذج الأمثل الجدير بالاقتداء.
الأسرى	تضمنت الرسالة صورة واحدة لتعبر عن الأسرى العراقيين في وضعية استسلام كلي	الأسر فضاء للقهر والاستيلاب لكرامة الانسان، واظهارهم بالشكل أي التركيز على ملامح الوجه وبالحجم (كثرة العدد) إنما للتدليل على انتصار عسكري ساحق.

ثالثا: الرسالة اللسانية: لقد تضمنت الرسالة البصرية، رسالة لغوية واحدة نقلتها عدسة الكاميرا من خلال حركة صاعدة ربطت النص المكتوب ليتوقف في لقطة مكبرة لمشهد في غاية الفظاعة المتمثل في صورة الجندي العراقي المتفحم تماما وقد احتفظ بملامح الوجه

[1] نورة بن عبد الله عدوان، صورة المرأة المسلمة في الاعلام الغربي، www.lahaonline.com تاريخ النشر: 23 فبراير 2006، تاريخ التصفح: 2010/07/11، سا 18:00.

المتألم من شدة العذاب الذي يلاقيه جسده جراء الاحتراق التدريجي حتى التفحم ولعل هذا ما تؤثر الرسالة اللغوية المرافقة للصورة من توقيع الصحفي ملتقط الصورة".

If i don't photoghraph this people like my mom will think war is what they see on T.V.

إذا لم أصور هذه سيعتقد الناس مثل أمي أن الحرب هي ما يشاهده الناس على التلفاز.

وهي عبارة وإن حملت دلالة عاطفية تعكس حجم التأثر حتى بالنسبة للمنتصر غير أن الحرب مآسي وويلات وجحيم وأهوال لا توصف، وإن حاولت الولايات المتحدة إخفاءها، لهذه الحقيقة عن طريق تجنب اظهار المعارك والحروب وإخفاء الحقائق المأساوية ، غير أن توظيف الصورة في حرب الخليج بما تحمله من إمكانيات توثيقية ودلالات معرفية ورمزية كانت غايته واحدة هي التخويف من الحرب حتى لا يتكرر التمرد على الكبار.

المستوى التضميني للرسالة البصرية:

لما كانت قراءة الصورة الاعلامية البصرية لا تتوقف عند المستوى التقريري لفهم ومعرفة دلالاتها، وفك رموزها التضمنية فإن التعمق في البحث عن مدلولاتها الايحائية يصبح شرطا أساسيا للوصول إلى تفكيك عناصر النسق الايديولوجي التي تولدت ضمنه أو كما يسميه "بارت" R.BAATHS بعملية البحث عن الأسطورة.

وبالعودة إلى العناصر المشكلة للرسالة البصرية المقترحة في هذا البحث يتضح مبدئيا مدى قصدية ملتقط المشاهد المرتبطة بالحدث، يتأكد هذا لما نعلم كيف تصرفت الولايات المتحدة الأمريكية مع ازدياد التغطية الاعلامية للحرب كما أشرت إلى ذلك في الفصل الرابع، كما حرصت على بسط سيطرتها المطلقة على مضامين الخطاب الاعلامي العمل على إخضاعه للأبعاد العسكرية السياسية، وبالتالي فإن الغاية من ذلك هي تقديم خطاب إعلامي موحد في تغطية الأعمال العسكرية، ومنها عملية قصف الطريق المزدوج رقم 80 (طريق الموت) موضوع التحليل.

لذلك جاءت المشاهد الملتقطة من قبل مصور CNN محملة دلالات ورموز تخدم هذا التوجه، فالتركيز المبالغ فيه في تغطية الحرب على السلاح المستخدم في العملية من طائرات وصواريخ، وكذا تكنولوجيا الفضاء المفتوح وطريقة انتقاء الصور، وزوايا التصوير، والألوان كلها عناصر تعبر عن مضامين خطابية تروج للقوة والتفوق والسيطرة.•

وفي المقابل جاءت بقية المشاهد متضمنة لأسلوب معاكس تماما، حيث التصغير والتقزيم، وتتفيه كل ما يرمز إلى العدو (العراق) هذه المسلّمة تؤكدها المَخرّجة الصُورية للحدث، سواء من خلال زوايا التصوير، وحركة الكاميرا بالتركيز على وضعيات معينة دون أخرى أو حتى من خلال مضامين الرسالة البصرية واللغوية للحدث.

حيث تكررت في المشاهد حركة الكاميرا على ثبات الحامل من الأعلى إلى الأسفل ثم من الأسفل إلى الأعلى ست مرات وهي لقطات ذات مغزى رمزي وتعبر عن لحظة فارقة في السياق الدرامي للمشهد.

فالحركة العمودية من الأعلى إلى الأسفل في المشهد رقم 04 توحي بالضعف والهوان مثلما هي حالة الجندي العراقي الذي يبدو في المشهد بمنظر منزوع القوة تماما.

إن اعتماد "اللقطة المتوسطة""MEDIUM SHOTS" التي غالبا ما يوظفها السينمائيون لإظهار طبيعة العلاقة القائمة بين الأفراد في المشهد جسدّت بصدق هذه الصفة، حيث علاقة أفراد الجيش الأمريكي وجنود الجيش العراقي عبرت عنها عملية تدوير الكاميرا بحركة راسية من الأسفل إلى الأعلى "TILT UP"، حيث جثة الجندي العراقي اتجاه العسكري الأمريكي الواقف وقد تحددت بالفعل مكانة كل طرف وعكست علاقة ثنائية رمزية بين القوى المنتصرة في موقف المسيطر وبين المهزوم المهيمن المغلوب على أمره.

المشهد 9 و 17 صورة الجندي وهو يحرك جثة الجندي برجله وصورة العسكري الأمريكي يستعمل مقدمة سلاحه لتحريك جثة، وصورة الجرافة المملوءة بجثث العراقيين،

• توصلت عدة أبحاث ميدانية أمريكية حول حرب الخليج الثانية أن التركيز على الجوانب العسكرية في سياق هذه الحرب لتؤكد الاحصائيات التي تتضمن التركيز على القوات العسكرية بلغ نسبة 95% في حين لم تصل نسبة الصور التي تنقل الدمار سوى 6%. ينظر أديب خضور، اعلام الأزمات، مرجع سابق، ص 10.

مشاهد تعبر بصدق عن النزعة العنصرية التي يغذيها الخطاب الإعلامي الغربي عامة والامريكي خاصة حول الانسان العربي (المسلم) هذه النزعة المنطوية على كراهية ومقت كل ما هو عربي وذلك عن طريق تشكيل صورة ذهنية• عن العرب المتصفة بالنمطية القائمة على أساليب تشويه الحقائق مما يقوي من نظرة الاحتقار والازدراء والتعالي، فالعربي (المسلم) في الذاكرة الانسانية الغربية هو المتخلف الغبي الساذج الجاهل المتطرف والارهابي، وبالتالي فهو أصل كل البلاوي التي يعرفها العالم وقد تعاملت كل وسائل الاتصال والاعلام الغربية على تكريس هذه الصورة النمطية من اعلام وسينما، بل حتى في أفلام الكاريكاتورية والرسوم المتحركة لتكرس هذه الصورة النمطية التي تقسمه حسب الكاتب الامريكي "جاك شاهين" في كتابه "المخادعون" إلى أربع أقسام شيوخ نفط مترفون، إرهابيون قاذفو قنابل، تجار جشعون، أثرياء ذو أنوف معقوفة"[1].

لذلك لا غرو أن يتقزز الجندي الأمريكي من تحريك جثة عراقي (العربي) برجله أو بمقدمة بندقيته بكثير من الاستعلاء، تحركه صورة نمطية ترسخت لديه لسنين بفعل خطابات اعلامية أساسها الصورة التلفزية التي غالبا ما تعمل على صياغة تصورات عن الآخر انطلاقا من أحكام قبلية تعمل وسائل الاعلام على ترسيخها في الأذهان فيعمل المتلقي على "استحضار المخزون التصوري السابق في رؤية الشيء الجديد"[2] كما يقول عزي عبد الرحمان.

لقطة من زاوية أعلى من مستوى النظر (High angle) اقترنت في المشهد رقم 17، بوضعية الجنود العراقيين للتعبير عن جنود منزوعي القوة يقابلها لقطتان في المشهدين 15 و16 من زاوية منخفضة عن مستوى النظر للتعبير عن وضعية الجنود الأمريكيين في سياق الحدث لإظهار عامل القوة و التمكن والسيطرة المطلع على الموقف.

•**الصورة الذهنية Image Stereotypee** : تعرف بانها الناتج الخطابي للانطباعات النفسية التي تتكون عند الأفراد والجماعات إزاء شخص معين أو شعب أو جنس بعينه أو منشأة أو مؤسسة أو منظومة محلية أو دولية، وتتحول الصورة الذهنية إلى صورة نمطية عندما تتكرر على نحو ثابت وجامد حتى تنطبع وتترسخ في الأذهان.

[1] جاك شاهين، المخادعون: العرب في وسائل الاعلام الامريكية، ترجمة ضياء حجازي، http://www.montaad.com تاريخ النشر2013/05/15، تاريخ التصفح: 2016/07/09.

[2] عزي عبد الرحمان، **الاعلام والبعد الثقافي، من القيمي إلى المرئي**، مجلة التجديد، ماليزيا، السنة 01، العدد 01، ص 131-132.

عنوان الرسالة: الطفل السوري ايلان الكردي

العمر: ثلاث سنوات

المسكن: مدينة كوبالي (عين العرب) شمال سوريا

الحدث: غرق الطفل أثناء تواجده مع مجموعة من المهاجرين السوريين وعددهم 23 شخصا ركبوا قاربين من منطقة (أليارلار) بشبه جزيرة بودروم جنوب تركيا قاصدين جزيرة كوس اليونانية.

النتيجة: غرق 12 شخصا منهم ايلان وأمه وأخوه.

السياق العام: تسببت الحرب في سوريا إلى تفاقم أزمة اللاجئين نحو بلدان الجوار بحثا عن ملاذ آمن، حيث تسببت موجة المهاجرين بحرا إلى وفاة آلاف السوريين غرقا.

المرسل: وكالة ذوڤان نيوز Dogan.News.Agency التي تعتبر أكبر مجمع اعلامي تركي إلى جانب أناضول.

المالك: آيدين دوڤان Aydian Dogan: رجل اعمال تركي من مواليد 1959 وواحد من أهم الشخصيات السياسية العلمانية في تركيا وأحد الفاعلين المؤثرين في الحياة الاقتصادية والسياسية والاعلامية من خلال بسط سيطرته على الذراع الاعلامي لمجموعة "دوغان أيدين" القابضة التي يتفرع عنها مجموعة من القنوات الاعلامية والصحف والمحطات الاذاعية، حيث يهيمن التجمع على ما نسبته 60% من السوق الاعلامي التركي أهمها CNN TURK، STAR.T.V، وذلك قبل أن يتنازل عن المجمع كرها بسبب المضايقات التي عرفها نشاطه السياسي والاقتصادي من قبل الحكومة التركية، حيث انتقلت ملكية المجموعة إلى DEMIROREN-HOLDING المقربة من الرئيس التركي أردوغان[1].

ملتقط الصورة: نيلوفير دمبير Nilüfer dumir، صحفية ومصورة تركية بوكالة دمير أورين الإخبارية.

[1] وكالة دوغان نيوز، ويكيبيديا الموسوعة الحرة www.wikipedia.org تاريخ التصفح: 2018/09/16، ساعة: 15:00.

المدونة البصرية

- **وصف الرسالة**

رقم اللقطة	شريط الصورة					المؤثرات الصوتية
	مدة اللقطة	سلم اللقطات	زوايا التصوير	حركة الكاميرا	مضمون اللقطة	
1	3 ثا	بعيدة	عادية	ثابتة	من زاوية محايدة تحاول عين الكاميرا أن ترصد الواقع كما هو لصورة الطفل إيلان في مركز المشهد ملقى على الشاطئ جثة هامدة وسط ديكور طبيعي يجمع بين زرقتين: زرقة البحر وزرقة السماء، تلامس (الجثة) امواج البحر وقد استسلم للقدر المحتوم.	صوت الأمواج
2	4 ثا	عامة	مستوى النظر	ثابتة	تقربنا اللقطة الثانية في المشهد من صورة إيلان في الوضعية نفسها، جسد بلا روح ملقى على وجهه بينما في عمق الصورة حيث تحلق طائرة مروحية تحاول رصد الواقع	صوت الأمواج
3	6 ثا	متوسطة (بانورامية)	مستوى النظر	ثابتة	ترافق الكاميرا حركة الجندي وهو يحمل بين ذراعيه بكثير من الرفق جثة إيلان محاولا إبعادها عن أمواج البحر لتتواري بها وراء صخرة كبيرة الحجم قبالة الشاطئ	صوت الأمواج
4	3 ثا	مقربة	مرتفعة	ثابتة	ترصد عين الكاميرا في اللقطة مجموعة من الألبسة مبعثرة على رمال الشاطئ وقد بللتها مياه البحر، تعطي الانطباع لأول وهلة أنها لضحايا من المهاجرين السوريين.	صوت البحر
5	5 ثا	زاحفة إلى الأمام	مرتفعة	ثابتة	تقربنا الصورة من المشهد الصادم للطفل إيلان جثة هامدة تداعبها أمواج البحر في سكون	صمت

					على مرأى العسكري وهو يدون ملاحظاته الأولية حول الحادثة، وقد تم اخفاء الجزء العلوي من جسده للتعبير عن معنى اعمق يتجاوز المعنى الظاهري للصورة.	
6	5 ثا	حركة رأسية من الأعلى إلى الأسفل	مستوى النظر	ثابتة	من خلال حركة الكاميرا الرأسية من الأعلى إلى الأسفل، تفصح الصورة عن الجندي التركي وهو مستسلم لحزن عميق مرتسم على محياه ينتشل جثة إيلان.	
7	4 ثا	حركة زاحفة إلى الأمام	مستوى النظر	ثابتة	تنهي الصورة التسلسل الزمني والمكاني للمأساة عن طريق ما تسمى بالاسترجاع الفني Flash back باستحضار لحظات الدفء وحنان العائلة، صورة إيلان وأخوه وقد ارتسمت على تقاسم وجههما ابتسامة البراءة، يتقاسمان لعبتهما في شكل دب ناصع البياض كما تقاسم المصير المشترك غرقا، وجاءت الصورة مؤطرة بغموض مقصود له دلالاته الرمزية.	مقطع موسيقي
8	4 ثا	حركة زاحفة إلى الخلف	مستوى النظر	ثابتة	في الصورة إيلان واخوه الرفيقين المترافقين بوفاء إلى عالم الخلود وإن اختلف اللباس ولونه فالعبارات المبصومة على قميص غالب لها دلالاتها، مع ان الصورة هي واحدة من عشرات الصور التي عادة ما تلتقطها العائلة لتوثيق لحظات الأنس، ولكن في المشهد قصدية جلية للتعبير عن معنى تضميني.	

9	5 ثا	لقطة عامة	مستوى النظر	ثابتة	تنقل الصورة حركة المهاجرين (المهجرّين)، حيث يظهر في أفق الصورة قارب هوائي يبدوا أنه حمّل أكثر من طاقته، وقد تراص على ظهره عشرات الأشخاص، يبدوا أنهم فشلوا في تحقيق حلم الهجرة فعادوا أدراجهم مرهقين مثلما يظهر من تحركاتهم على الشاطئ.	
10	3 ثا	لقطة عامة	زاوية مرتفعة	ثابتة	عشرات النازحين يشكلون سلسلة بشرية تتحرك على سكة قطار يتقدمهم طفل يستعجل الوصول إلى نهاية المشوار.	صوت الأرجل
11	6 ثا	لقطة نصف مقربة	زاوية مستوى النظر	ثابتة	الصورة استمرار لحركة المهاجرين من زاوية مقربة نسبيا، حيث يظهر رجل كهل في مقدمة الأفواج يحمل على كتفيه طفل يرفع يده اليسرى ليشير بأصبعين بإشارة كثيرة التداول في مثل هذه المواقف، وهي ذات معنى دال المشهد بلغة غموض له رمزية.	ضجيج الحركة
12	5 ثا	لقطة قريبة	زاوية منخفضة	ثابتة	في سياق المكان نفسه تركز الكاميرا هذه المرة على أرجل المهاجرين في خطواتهم المتسارعة رغم الإرهاق وبعد المسافة، الصورة لها دلالاتها الرمزية.	حركة الأرجل

- **المستوى التضميني:**

الرسالة التشكيلية:

- **الحامل:** يتعلق الأمر بصورة إخبارية تلفزيونية متحركة حاملها شريط فيديو كاسيت رقمي ملون.
- **زاوية التقاط الصور:**

المشهد الأول: لقطة عامة من "مستوى النظر" من زاوية محايدة تحاول نقل الواقع من غير إضافات لصورة ايلان وسط ديكور يجمع بين زرقة البحر وزرقة السماء، وتسمى باللقطة "البنائية أو التأسيسية" لأنها تحضر المشاهد لما قد يتبعها وتقربه من موقع الحدث.



المشهد الثاني: في هذه الرسالة البصرية المتضمنة لحادثة غرق الطفل السوري إيلان يلاحظ أن المشاهد الملتقطة من قبل كاميرا المصورة قد عملت بتقنية الانتقال من العام إلى الخاص بمعنى أنه تم التركيز على العنصر الخاص في الحدث وهو غرق إيلان بدل السياق العام الذي وقع فيه وهو ظاهرة الهجرة السرية بحرا للمواطنين السوريين نحو تحقيق حلم اللجوء إلى دول أكثر أمنا وهو ما تضمنته اللقطات التي تضمنها مشهد اللاجئين، حيث يتكون المشهد من عدة لقطات متعاقبة.



المشهد الثالث: ترافق الكاميرا حركة الجندي وهو يحمل بين ذراعيه بكثير من الرفق جثة إيلان محاولا إبعادها عن أمواج البحر لتتواري بها وراء صخرة كبيرة الحجم قبالة الشاطئ



المشهد الرابع: ترصد عين الكاميرا في اللقطة مجموعة من الألبسة مبعثرة على رمال الشاطئ وقد بللتها مياه البحر، تعطي الانطباع لأول وهلة أنها لضحايا من المهاجرين السوريين.



المشهد الخامس: تقربنا الصورة من المشهد الصادم للطفل إيلان جثة هامدة تداعبها أمواج البحر في سكون على مرأى العسكري وهو يدون ملاحظاته الأولية حول الحادثة، وقد تم اخفاء الجزء العلوي من جسده للتعبير عن معنى اعمق يتجاوز المعنى الظاهري للصورة.



المشهد السادس: من خلال حركة الكاميرا الرأسية من الأعلى إلى الأسفل، تفصح الصورة عن الجندي التركي وهو مستسلم لحزن عميق مرتسم على محياه ينتشل جثة إيلان.



المشهد السابع: تنهي الصورة التسلسل الزمني والمكاني للمأساة عن طريق ما تسمى بالاسترجاع الفني Flash back باستحضار لحظات الدفء وحنان العائلة، صورة إيلان وأخوه وقد ارتسمت على تقاسم وجههما ابتسامة البراءة، يتقاسمان لعبتهما في شكل دب ناصع البياض كما تقاسم المصير المشترك غرقا، وجاءت الصورة مؤطرة بغموض مقصود له دلالاته الرمزية.



المشهد الثامن: في الصورة إيلان واخوه الرفيقين المترافقين بوفاء إلى عالم الخلود وإن اختلف اللباس ولونه فالعبارات المبصومة على قميص غالب لها دلالاتها، مع ان الصورة هي واحدة من عشرات الصور التي عادة ما تلتقطها العائلة لتوثيق لحظات الأنس، ولكن في المشهد قصدية جلية للتعبير عن معنى تضميني.



المشهد التاسع: تنقل الصورة حركة المهاجرين (المهجرّين)، حيث يظهر في أفق الصورة قارب هوائي يبدوا أنه حمّل أكثر من طاقته، وقد تراص على ظهره عشرات الأشخاص، يبدوا أنهم فشلوا في تحقيق حلم الهجرة فعادوا أدراجهم مرهقين مثلما يظهر من تحركاتهم على الشاطئ.



المشهد العاشر: عشرات النازحين يشكلون سلسلة بشرية تتحرك على سكة قطار يتقدمهم طفل يستعجل الوصول إلى نهاية المشوار.



المشهد الحادي عشر: الصورة استمرار لحركة المهاجرين من زاوية مقربة نسبيا، حيث يظهر رجل كهل في مقدمة الأفواج يحمل على كتفيه طفل يرفع يده اليسرى ليشير بأصبعين بإشارة كثيرة التداول في مثل هذه المواقف، وهي ذات معنى دال المشهد بلغة غموض له رمزية.



المشهد الثاني عشر: في سياق المكان نفسه تركز الكاميرا هذه المرة على أرجل المهاجرين في خطواتهم المتسارعة رغم الإرهاق وبعد المسافة، الصورة لها دلالاتها الرمزية



- **العلامات البصرية الأيقونية**

الدلالة النهائية	الدلالة الأولية	الرموز المهيمنة والدوال الأيقونية
البحر	لقد تضمنت الرسالة البصرية مقاطع متكررة لصورة البحر في مختلف المشاهد المرتبطة بالحدث المأساوي	البحر في الذاكرة الجماعية بلونه الأزرق الفاتح وفي حالة الهدوء يرمز إلى الأمان والسكينة، غير انه في الرسالة البصرية موضوع الدراسة يتخذ أبعادا دلالية أخرى، تحوله إلى فضاء مفتوح على الحقيقة الصادمة والضياع الانساني وخيبة أمل في تحقيق الحلم، حلم الوصول إلى الضفة الأخرى (شاطئ الأمان)، حينئذ تتلاشى صورته الملهمة أمام مأساوية الموقف وقد تكسرت على امواجه أحلام إيلان وعائلته وآخرون وبالتالي يختزل مكانيته في عوامل الفاجعة والفشل المخيب، وإن بدت امواجه في المشهد هادئة تداعب جسد إيلان في رفق، وكأنها تحاول استعادة رمزية الزمان والمكان.
الطائرات العسكرية	تضمنت الرسالة في المشهد الأول لقطة بعيدة لمروحية في عمق الصورة الملتقطة من زاوية عامة في لقطة تأسيسية تربط بالحيز الزماني والمكاني للحدث، والطائرة على ما يبدو هي لحراس الشواطئ تحاول رصد الواقع وتحركات المهاجرين السوريين.	في اللغة السينمائية تعرف اللقطة بلقطة عمق المجال: Depth of Filed Shot ففي هذا النوع من اللقطات يسعى المصور إلى إبراز علاقة الشخصيات بالمكان والزمان والأشياء عن طريق ترتيبها عبر ثلاثة مستويات متتالية، حيث يساق نظر المشاهد من مقدمة الصورة من خلال توظيف فتحة عدسة الكاميرا[1] والبعد البؤري. إن توظيف لقطة عمق المجال يعبّر تراتبيا عن اهمية العناصر المجسدة في المشهد، بحيث يتجسد على إثرها علاقة السبب بالمسبب وظهور الطائرة في عمق الصورة بالشكل الذي يصعب معه رصدها (المستوى الثالث للصورة)، هو تعبير ضمني عن الفشل في

[1] عبد الفتاح رياض، **المرشد العلمي للمصورين والسينمائيين**، القاهرة، مكتبة الأنجلو المصرية، 1997، ط3، ص 8.

الطائرة	آلية رقابية عسكرية للمياه الإقليمية التركية	في تحقيق الاندماج مع الواقع المأساوي للمهاجرين، فالمشهد المفزع للطفل إيلان ملقى على الشاطئ، تحت سماء زرقاء صافية، توفر كافة شروط الرؤية السليمة من زاوية عين الطير، حيث تتحرك الطائرة المروحية لترصد الواقع ، وهذه العوامل كلها لم تمنع حدوث المأساة وبالتالي فإن ظهور الطائرة في المستوى الثالث للصورة هو في حقيقة الأمر تتفيه لدور الرقابة والتدخل لتحقيق الحماية بضحايا المأساة السورية بعد فوات الأوان.
الصخرة	تضمنت الرسالة البصرية صورة لصخرة كبيرة قبالة الشاطئ يتواري خلفها الجندي، وقد نقلت اليها جثة إيلان محمولا من قبل الجندي التركي.	الصخرة كتلة ترتفع بتفاوت فوق سطح الأرض وإذا كان الجبل هو رمز الثبات والشموخ فإن الصخرة هي رمز القساوة والغلضة **"...فهي كالحجارة او أشد قسوة..."** سورة البقرة: الآية 74، وفي المشهد فإن الصخرة المنتصبة قبالة شاطئ البحر وقد توارى خلفها إيلان جثة محمولة صورة لها مفهوم دلالي يرمز ضمنيا إلى فشل حلم وقد تحطم على صخر في إشارة إلى القلوب القاسية المتحجرة التي لم ترحم حتى ضعف الأطفال، سواء من تسببوا في الأزمة أو من وضعوا قيودا غير انسانية أمام ظاهرة الهجرة واللجوء.

- **المستوى التضميني:**

لقد جاءت الرسالة البصرية ثرية بالدلالات الايحائية والمعاني الدالة على خطورة المأساة وحجم الصدمة التي حركت الضمير العالمي بعدما أصيب بالذهول سرعان ما تحول إلى جملة تعاطف عالمية مع مسألة اللاجئين السوريين لم تتوقعها حتى ملتقطة الصورة نفسها•.

لقد حاولت ملتقطة الصور عرض المشاهد بالشكل الذي يحقق الاقناع ومن ثم التأثير على ردة الفعل المتوقعة سواء عن طريق المشاهد الملتقطة أو من خلال توظيف اللغة السيمائية في اختيار اللقطات وزوايا التصوير التي تحقق الغاية المرجوة من مجرد حادث مأساوي لطفل وعائلة تتكرر مرارا في عديد الأزمات الانسانية التي عرفها في السابق إلى حدث انساني بارز ومؤثر استطاع، أن يوقف الزمان ويحرك أيضا ضمائر برمتها.

ولقد ساهمت طريقة التقاط المشاهد المتتالية في الرسالة البصرية بالاعتماد على كاميرا محمولة في خلق نوع من التوتر والتشنج الفوري الذي يبرز واقعية الحدث، ولكن يكرس كذلك العملية الانتقالية في تحديد زوايا التصوير وحركة الكاميرا، حيث عمد المصور إلى اختيار الزاوية العادية (مستوى النظر) وتكرارها مرارا في الرسالة البصرية وهي زاوية توصف بالمحايدة وذلك لإضفاء الواقعية على الحدث دون إضافات دلالية لضمان ترسيخها في العقول. وبالتالي تبليغها بالشكل المقصود للمشاهد.

خاتمة الفصل:

لا تقف الدلالات التي تثيرها الرسائل البصرية عادة عند حدود المادة التضمينية الدالة على أشكال تعبيرية ثابتة بل تتعداها إلى ما يرتبط في جوهره بعوامل وأبعاد اجتماعية وانسانية عاكسة ومعبّرة عن واقع أزموي معقد، حاولت الرسائل البصرية موضوع الدراسة أن تنوب عنه في كشف بعض معالمه وملامحه ضمن سياقات مرتبطة بمحيط الأزمة، فالصورة بما تتمتع به من مستوى بلاغي راقي، "لا تتوقف عند حدود النقل والايحاء وإعادة العرض،

• لقد صرحت المصورة التركية (نيلوفير ديمبير) بقولها: "لم أكن اتوقع الضجة الكبرى التي أحدثتها الصورة وحجم التعاطف العالمي الكبير"، المرجع: مصورة الطفل الغريق: لم اتوقع ردة الفعل ww.aljazeera.net، تاريخ 2019/09/04- تاريخ التصفح: 2018/09/18، سا: 19:30.

وإنما تتعداه إلى ما وهو أعمق من ذلك، لان فهم العلامات التي تشكل الصورة لا تكتفي بربط الدال بالمدلول"[1].

إن عملية تفكيك المدلولات توضح وبشكل جليّ دور الصورة التلفزيونية (المتحركة) في انتاج وتوليد المعنى على مستويين اثنين هي المستوى الظاهري للمعنى والمستوى الخفي أو الكامن، ومن ثم جاء الخطاب البصري التي تضمنته المدونة الصورية موضوع التحليل متضمنة " كل السنن الواضحة والمشفرة "[2] على حد تعبير "رولان بارت" "R.BARTHES" فهو في معناه الظاهر تنتقل إما أزمة انسانية ترتبت عن عدوان مرعب جراء قصف جوي على قوافل عسكرية عراقية في حالة حرب الخليج، أو معبر عن مأساة اجتماعية لعائلات سورية رُزئت في فلذات كبدها (إيلان واخوه) لتُبتلى في أقصى ما يُبتلى الانسان ، وفي كلتا الحالتين فالأمر يتعلق بمآسي تحدث وتتكرر عبر مراحل التاريخ المتعاقبة .

وفي مقابل المعنى الظاهري أو المباشر الذي تحمله الرسالة البصرية، من خلال الوجه المرئي للازمة، هناك وجه آخر خفي ومستتر يتعدى في جوهره المستوى التعييني للصورة إلى ما هو ايحائي، يخضع حتما إلى عمليات الانتقاء والاقصاء لمجموعة من الوحدات الدلالية، تحيل بدورها إلى مستوى آخر من التحليل تتحكم فيه سياقات أخرى.

وإذا ما سلمنا بمقولة "أندري غازو ANDRE GAZUT " "ليس هناك من صورة بريئة"[3] فإنه في غالب ما يكون وراء الشكل الظاهري للخطاب البصري أهداف ونوايا أخرى يتولاها الاعلام الجديد، وقد تربع سلطانا فعليا غايته اعادة صياغة الإنسان المعاصر وعيا وسلوكا وفق نموذج معد سلفا عبر " ثنائية الاختيار والاستبعاد، حيث يتم صرف الأذهان نحو تلق

[1] بديعة الطاهري، الصورة وانتاج المعنى: قراءة في غلاف رواية الحرب في برّ مصر ليوسف العقيد، تاريخ التصفح: 2018/12/19، ww.aljazeera.net.

[2] عبد الرزاق القلسي، سنن التواصل الواضحة والمشفرة في صورة الطفل السوري إيلان كردي ""الفوتوغرافيا" طريق السياسات وقوة ناعمة لإحلال السلام، القدس العربي،www.alquds.co.uk تاريخ النشر: 2015/09/13، تاريخ التصفح، 2018/11/16، سا: 11:15.

[3] محسن مقداد، **الثقافة البصرية، سطوة الصورة إعلاميا**، مؤسسة الوحدة للصحافة والطباعة والنشر، تاريخ النشر: 2012/06/19، تاريخ التصفح: 2018/10/17، سا: 6:48

مقزز"[1]، وقد استفاد مما وفرته تكنولوجيا الاتصال الحديثة من تنوع الخيارات في المشاركة والعرض والتفاعل الآتي، دون قيود الزمان، والمكان، والهوية، والانتماء، وبالتالي أصبحت الرسائل البصرية التي تستخدم كأداة إشهارية، إما تأتي فائقة العنف، صادم حتى الذهول كما فعلته داعش واسرائيل في غزة، وجنوب لبنان او ما وقع في أحداث ما يسمى بـ"الربيع العربي" وإمّا أن تأتي محملة بأبعاد جمالية تغلف عنف الانسانية برومانسية حالمة مخدرة كما أريد لصورة ايلان أن تكون.

في السياق ذاته يتساءل أحد الباحثين:" كيف ولماذا حظيت صورة إيلان بكل هذا الاهتمام العالمي، وحرّكت بكل هذه القوة مشاعر الانسانية دون غيرها من ملايين الصور التي تطلع علينا يوميا من الدول التي تعرف صراعات وحروبا تصور الأطفال في وضعيات مأساوية...لقد تمكنت صورة إيلان من مخاطبة الذاكرة البصرية الانسانية، واستطاعت التأثير في كل مشاهديها، وكان تأثيرها أقوى من كل الاحتجاجات التي ابتدعها السوريين لإيصال مأساتهم للعالم".[2]

"إن لبعض الصور من القوة ما قد يغيّر مسار الأحداث ومسار التاريخ"[3]، على حد تعبير "ألان ديهاميل" وتحتفظ الذاكرة الانسانية بمئات الصور دونت وقائع، ووثقت أحداثا مأساوية، بعضها أوقفت حروبا دامية وأخرى أشعلت أزمات دامت سنين، واستطاعت ان تفرض نفسها في المتخيل الجماعي كرموز حقيقية ملهمة أحيانا، وملهبة أحيانا أخرى، كما فعلت صورة إيلان كردي تماما وقد شغلت العالم بأسره ونقلته من عالم الواقع إلى عالم الرموز والأيقونات.

لقد عكف عديد الباحثين لسنوات على محاولة فهم ظاهرة التأثير المتفاوت لصور ترسخت في الذاكرة الانسانية دون غيرها من كل هذا الكم الهائل الذي ينتجه الخطاب الاعلامي

---

[1] الكبير الراديسي: **صورة الطفل في الحرب، ايلان كردي نموذجا**، عندما تجح الأيقونة الرأي العام، تاريخ التصفح 2017/09/21، سا: 17:13، www.maaber.org

[2] طارق أمين، **الثقافة البصرية، سطوة الصورة إعلاميا**، الشبكة السورية للإعلام المطبوع، www.sntsyria.org، تاريخ النشر: 2017/07/16، تاريخ التصفح: 2018/09/13، سا: 6:48.

[3] عبد الرزاق القلسي، **سنن التواصل الواضحة والمشفرة في صورة الطفل السوري إيلان كردي "الفوتوغرافيا" طريق السياسات وقوة ناعمة لإحلال السلام**، مرجع سابق، تاريخ التصفح، 2017/02/26، سا: 22:09.

المعولم، ومن هؤلاء الباحث الأمريكي "بوفالو" الذي توصل إلى أن:" تعميم الصور جماهيريا يزيد في جوهر محتواها، ومن ثم هناك بعض العناصر الجمالية التي تلعب دورا مهما، ففي الصورة الشهيرة "لفتاة النابالم"، تبدوا الطفلة البائسة هاربة باتجاه نظر المتلقي، الأمر الذي يوقظ أحاسيسنا خصوصا مع الشعور بأن الفتاة تسير اتجاهنا، اما في صورة إيلان، فإن أحد أهم العناصر المؤثرة تكمن في انعزاله التام عن العالم وهو ملقى على الرمال"[1].

وسواء تعلق الأمر بالوجه المقبل (في حالة الفتاة اليابانية) أو الوجه المدبر عن الحياة (في حالة الطفل إيلان) فإنه لا يمكن الجزم من أن الصورة هي مجرد نقل محايد مع ما يتمتع به من قيم جمالية بقدر ما هي امتداد لتصورات الخطاب الذي انتجها وفق اشتراطات الظرف والغاية، يعيد الخطاب الاعلامي الحديث صياغتها ضمن قوالب جاهزة وفق مرجعيات سياسية وإيديولوجية معينة•.

[1] يوسف بلدا، **صورة إيلان، تاريخ لأبشع مأساة ورمز يختزلها**، إيلاف، تاريخ النشر: 2015/09/02، تاريخ التصفح: 2017/06/13، سا: 22:09.

• يشرح "تيري ميسان" كيف مارس الاعلام الربي التضليل الاعلامي في مسألة اللاجئين السوريين، حيث يؤكد أن البريطانيين هم نت تكفلوا منذ سنة 2013 بملف الدعاية للحرب في سوريا، نظرا لباعهم الطويل في هذا المجال، وذلك عن طريق توظيف مكتب "بروب غندا الحرب" يعتمد بشكل خاص على دور الفنانين، لأن عنصر الجمال يلغي النزعة إلى النقد، ولتحقيق ذات الغاية أنشأ جهاز الاستخبارات البريطاني أم 16 شركة الاتصالات والاستراتيجيات المبتكرة التي تولت إدارة جملة دعائية قصد إقناع الاوربيين بالتعامل ايجابيا مع مسألة اللاجئين استقبالا وإيواءا لذلك لجأت إلى تطعيم صورة إيلان بالشكل الذي يبرز العنصر الجمالي في التعاطي مع الصورة التي حرّكت العالم في يومين.
ينظر: محمد البسقي، **نحو إعلام ثالث للجماهير، الشخصية الاعلامية المتنقلة**، www.kitabat.com تاريخ النشر: 2018/01/29، تاريخ التصفح: 2019/01/13، سا:23:17.

خاتمة عامة

لقد حاولت الدراسة الخوض في مسألة حديثة لم تأخذ حقها الكافي من التحليل والتأصيل لاسيما في الدراسات والبحوث العربية وهي على ما تنطوي عليه من التعقيد والخطورة، توصف بأنها على جانب كبير من الأهمية لأنها تتعلق أولا بحياة الإنسان وحقوقه، ولكن هي كذلك ذات صلة بواقعه الاجتماعي ومستقبله لأنها تعكس حقيقة نشاط إنساني مرموق بدأ بفكرة بسيطة، ثم سلوكا فطريا يحتكم إلى الضمير والأخلاق، فمشروعا إنسانيا واعدا، ثم إلى مسألة إنسانية تشابكت خيوطها، وتداخلت فيها عناصر من عالم السياسة، والاقتصاد، والتاريخ عبدت طريقا للعمل الإنساني للولوج لعالم الاتصال.

لقد تقاطعت الأدوار، وتداخلت المسؤوليات وتضاربت المصالح وبالتالي تراجعت مفاهيم وبرزت أخرى بفعل انتشار ظاهرة العولمة الإعلامية وما أفرزته من تداعيات وضعت كل من العمل الإنساني والعمل الإعلامي على محك الواقع الجديد، تحول بموجبها العمل الإنساني من مجرد رهان أخلاقي يقتصر على فكرة تقديم المساعدة الإنسانية إلى رهان استراتيجي ثابت ومؤثر في العلاقات الدولية له مؤيدون ومعارضون.

لقد حاولت الدراسة مساءلة هذا الواقع الجديد على ضوء التجاذبات التي يفرضها واقع الأزمة لفهم جدلية العلاقة التي تربط العمل الإنساني بالعمل الإعلامي عندما يتواجهان ويتواجدان في فضاء الأزمة، ولقد تكشف لنا مدى خطورة الأبعاد التي اتخذتها الظاهرة الإنسانية المعاصرة ضمن فضاء الإعلام والاتصال، حيث أصبحت الأحداث الدولية تكتسب معناها من الإطار الذي تقولبها وسائل الإعلام فيه، وبناءا على ما سبق توصلنا إلى النتائج التالية:

- إن التطور الكبير الذي طرأ على منظومة الإعلام والاتصال أفرز إلى الوجود نوعا جديدا من وسائل الإعلام تتميز بالسرعة في نقل الخبر والمعلومة وقادرة على أن تخترق الحدود والحواجز، وقد استفاد من ذلك الإعلام السياسي الذي عمد إلى استغلال هذه التكنولوجيا وتوظيفها في العملية السياسية، ومن ثم التأثير في صنع القرار السياسي الذي يخدم المصالح بالدرجة الأولى. وبالرغم من إيجابيات هذا التحول فإن ظاهرة تسييس القضايا الإنسانية أفرغ العمل الإنساني من محتواه جعل من المنظمات

الإنسانية غير الحكومية مجرد آليات لتنفيذ أجندة إعلامية التي تحولت بدورها إلى وسيلة لممارسة السلطة وخدمة مصلحة القوي.

- ويظهر الواقع أن التوظيف السياسي للمسائل الإنسانية بالرغم من تعارضه الصريح مع القيم الثابتة في القانون الدولي والعلاقات الدولية، إلا انه أصبح حقيقة ظاهرة للعيان وقد وجد الغطاء القانوني المناسب ليبرز ويستفحل، ولقد لمسنا من خلال مراحل هذه الدراسة أن نطاق التوظيف السياسي للقضايا والأزمات الدولية المغلفة بطابع إنساني قد اتسع لدرجة أصبح معها مكشوف التعامل بازدواجية مع أزمات إنسانية دون أخرى، وبات الخطاب الإعلامي المهيمن مجرد آلية من آليات التدخل العسكري بمبررات إنسانية في حين كان يفترض في الخطاب ذاته أن يكون ناقلا للحقائق موصلا للمعلومة موجها للرأي العام وفق المبادئ والأخلاقيات التي تحكمه.
- لقد بيّنت هذه الدراسة كذلك مدى الفرق بين ما هو نظري في مجالات العمل الإنساني وبين ما هو واقعي وحقيقي، وتكشف حجم الفجوة التي أحدثتها الانتهاكات المتكررة لمبادئ القانون الدولي الإنساني بسبب تغييب الوازع الأخلاقي والإنساني التي تحتم على الفواعل الدولية الاحتكام إلى العدالة والشفافية في التعامل مع الأزمات والصراعات المختلفة.
- لقد تجلى واضحا من خلال عرض الحالات التطبيقية للدراسة عمق الأزمة التي يتخبط فيها العمل الإنساني وقد فقد عنصر مناعته الذاتية (من حياد واستقلالية وعدم الانحياز) والتي ظلت لقرون طويلة عوامل حصانة وقوة لهذا السلوك الإنساني النبيل، قبل أن يتم الزج به في متاهات التحالفات الدولية خدمة لأصحاب المصالح.
- وإذا كانت المسؤولية المباشرة لهذا الواضع المتأزم يتحملها النظام الدولي الجديد بمتغيراته السياسية الدولية والإقليمية، فإن السلوكات المشبوهة لبعض المنظمات الإنسانية الدولية غير الحكومية وقبولها بازدواجية الأدوار، وسعيها الدؤوب خلف المال والممولين دون إعادة اهتمام لمصادر التمويل المريبة واندماجها في عملية التسييس التي طالت العمل الإنساني سواء بطواعية أو تحت اكراهات الواقع الجديد،

جعل هذه المنظمات لا تخرج من دائرة الاتهام مع تحميلها مسؤولية ما يحدث للعمل الإنساني اليوم.

- لقد حاولنا من خلال المقاربة التي انتهجناها في التعامل مع موضوع الدراسة والعينات التطبيقية المنتقاة، اختبار مدى استجابة كل من العمل الإنساني والعمل الإعلامي للمبادئ التي تحكم نشاطها ومدى احتكام كلا النشاطين للثوابت التي بُنيا عليها، وحاولنا تبيان العناصر المتحكمة في استراتيجيات التدخل الإنساني بالنسبة للمنظمات الدولية غير الحكومية، وكذا استراتيجيات نقل الحدث والعناصر الأساسية التي تحدد قيمة الخطاب الإعلامي في التعامل مع الموقف الازموي، واعتمدنا في شواهدنا على عرض حالات ميدانية لإثبات أو نفي مدى استجابة كل من العمل الإعلامي والعمل الإنساني للمبادئ التي قاما عليها، وبالعودة إلى إشكالية الدراسة (ما بنيه المعنى الذي يعتمد عليه المشروع الاتصالي في تعامله مع القضايا الإنسانية؟)، وما هو دور العمل الإنساني في الارتقاء بالفعل الاتصالي، حتى يثبت هويته الجديدة ذات العلاقة بالقيم الإنسانية، وبناءا على ما توصلت إليه الدراسة بشقيها النظري والتطبيقي وما كشفت عنه المدونة البصرية حول كيفية توصيل وتوصيف الأزمات الدولية إعلاميا وفق رؤى ومصالح ومواقف القوى الاجتماعية التي تمارس احتكاراتها على مضامين الخطاب الإعلامي الذي لم تعد تحكمه أفعال إعلامية واتصالية مستقلة، وإنما يتم توجيهه ضمن سياقات اجتماعية ترتبط أساسا بمحيط العام للكارثة، مما يجعل الحقائق الموضوعية أقل تأثيرا في تشكيل الرأي العام من استمالة العواطف ومحاولة التأثير على القناعات والمعتقدات الشخصية، بما ينطوي عليه الخطاب الإعلامي (البصري) حول المسائل الإنسانية وفق نمطين تواصلين يتقاطعان فيما هو ضمني وما هو صريح، وبالتالي تتولد عنه ظاهرة الازدواجية في التعامل مع الحدث، فمن جهة يحاول الخطاب أن يعبّر عن العمل الإنساني عن طريق بلورة المعنى كما هو في الواقع، ومن جهة ثانية يسعى عن طريق إستراتجية خطابية لا تصرّح بالمضمون، ولكنها تمثل وسيلة لتحقيق المقاصد مع أنه يستحيل فهم دلالات الخطاب الصريحة والضمنية ما لم تُفهم المقاصد من الخطاب نفسه.

- هذه النتائج تبرهن على أن الفرضيتين الثانية والثالثة في الدراسة قد ساهمتا إلى حد كبير في تفسير الإشكالية المركزية للدراسة وبالتالي أجابت بشكل واضح لتساؤلات الدراسة، بينما الفرضية الأولى المتعلقة بإعطاء الأولية للأبعاد الأخلاقية اعتبارا للضرورة الإنسانية من طرف الاتصال الحديث في تعامله مع العمل الإنساني، فإنها لم تتأكد كإستراتيجية إعلامية ولا كمدونة بصرية في الخطاب الإعلامي التلفزي في تعامله مع المسائل الإنسانية.

وخلاصة القول أن دراستنا الموسومة بالعمل الإنساني والاتصال الحديث: الخطاب والمقاصد بقدر ما كشفت عن المكانة الحقيقية التي يتبوؤها العمل الإنساني في المشهد الإعلامي العالمي، بقدر ما أظهرت توجه المجتمع الدولي الحديث نحو تكريس النظرة الواقعية التي تحتكم إلى عناصر القوة والمصلحة والنفوذ في التعامل مع المسائل الإنسانية بدل الاحتكام إلى الأخلاق والمبادئ والضمير العالمي الذي ما فتئت تنادي به أصوات الخيّرين، وإذا ما سلّمنا بما يقوله النقاد والمهتمون بالمسائل الإنسانية، فأي وجه أخلاقي يكشف عنه مجتمع الاتصال في عالم القرن الواحد والعشرين، وكيف تظهر عمليات التي تمارسها المنظمات الدولية العابرة للقارات والسيادات.

إن التحولات التي تعصف بالنظام العالمي الجديد تكشف عن حقيقة ثابتة وهي أن وسائل الإعلام والاتصال، وقد اكتسبت من التقنيات ما يبهر، ليبقى هو الدافع والمحرك لكل محاولة تغيير أو تحول في السياسة والاقتصاد والفكر والثقافة، بل أكثر من هذا سيبقى هو المحرك والمحرّض في عالم أصبح بمثابة فضاء مفتوح على كل الاحتمالات القاسية والمثيرة للهلع.

اقتراحات وتوصيات:

- الحاجة الماسة إلى اتخاذ تدابير امن وقائية تعيد للعمل الإنساني حرمته وتخرجه من أروقة التلاعبات السياسية والتسييسية التي تخدم المصالح على حساب المبادئ.
- حاجة المجتمع الدولي إلى تضافر الجهود بهدف العودة بالعمل الإنساني إلى حضنه الطبيعي باعتماد السلوك المهني القويم والالتزام بالمبادئ التأسيسية التي قام عليها.

- ضرورة ضبط إستراتيجية شاملة تأخذ بعين الاعتبار دروس الماضي والحاضر وتحتكم إلى المبادئ الإنسانية لمحو الآثار المترتبة عن الاختلال الكبير بين الخطاب والممارسة الفعلية لهذا النشاط الإنساني.
- لا بديل عن فتح نقاش دولي موسع حول أدق المسائل العالقة والمؤثرة والمسؤولة في ذات الوقت عن الانحراف الخطير الذي يعرفه العمل الإنساني، ولن يتم هذا في نظرنا إلا باعتماد سياسة دولية صارمة تقوم على المساءلة وتحديد المسؤوليات والأدوار.
- حتمية التحرك الجماعي لأعضاء المجتمع الدولي بمختلف فواعله الدولية والإقليمية والمكبل بأغلال "الأمركة" وعوامل القطبية الأحادية سعيا للبحث عن بدائل أقل جورا وأكثر اعتدالا في التعامل مع مآسي العالم التي ما فتئت تكبر وتتسع لتهدد حياة الإنسانية قاطبة.
- الاستثمار في بناء ورسم معالم مجتمع عالمي جديد يحترم الخوصصة والتنوع والاختلاف بدل الانسياق في فرض الثقافة المهيمنة والخطاب المهيمن الذي لم يحقق إلا الرعب والدمار، بسبب عولمة القيم والمفاهيم التي لا تحترم لا الحدود ولا الوجود.
- الاستفادة من الطفرة التكنولوجية لوسائل الاتصال الحديثة لنشر ثقافة إنسانية تتسع للجميع ولا تقصي أحدا وتقوم على مبادئ السلم والسلام.

قائمة المصادر والمراجع

قائمة المصادر والمراجع

أولا: قائمة المصادر والمراجع باللغة العربية

1- قائمة المصادر:

- **القرآن الكريم**

- **القواميس والمعاجم:**

1) ابن فارس، مقاييس اللغة 232/2، مادة خير.
2) ابن فارس، مقاييس اللغة، 145/4.
3) ابن كثير، تفسير القرآن، ج4، ص 106.
4) ابن منظور، لسان العرب، 475/11.
5) ابن منظور، لسان العرب، 264/4 ماء خير.
6) ابن منظور، لسان العرب، بيروت، دار صادر، دار بيروت للطباعة والنشر، 1956، المجلد8.
7) ابن منظور، لسان العرب، دار الحديث، القاهرة، 2003، المجلد الخامس.
8) ابن منظور، لسان العرب، دار الفكر العربي، الجزء السادس، بيروت.
9) الطبراني في الكبير، رقم 13646 والأوسط رقم 6026.
10) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج 15، 328.
11) معجم علم الاجتماع.

2- قائمة المراجع:

- **المؤلفات:**

1) إبراهيم أحمد، حرب المعلومات الأمريكية على العراق في حرب الخليج، 2003، دراسات، العلوم الإنسانية والاقتصادية، المجلد 41، العدد 2، 2014.

2) إبراهيم الشلبي، التنظيم الدولي، دراسة في النظرية العامة والمنظمات الدولية، بيروت، الدار الجامعية للطباعة والنشر، 1984.
3) أبو العلاء أحمد عبد الله، تطور مجلس الأمن في حفظ السلم والأمن الدوليين، مجلس الأمن في عالم متغير، دار الجامعة الجديد، مصر 2008.
4) أحمد الريسوني، نظرية المقاصد عند الإمام الشاطبي، الدار العالمية للكتاب الإسلامي، 1992، ط2.
5) أحمد باناجة، سعيد محمد، الوجيز في قانون المنظمات الدولية والإقليمية، بيروت، دار النشر.
6) أحمد بدر، الإعلام الدولي، دراسات في الاتصال والدعاية الدولية، مكتب غريب، القاهرة، 1987.

7) أحمد زكي بدوي، معجم مصطلحات العلوم الاجتماعية، بيروت، مكتبة لبنان، 1986.
8) أحمد عبد الحمي حسين، يوميات الثورة المصرية، مركز الجزيرة للدراسات، الدار العربية للعلوم، ناشرون، بيروت، ط1، 2011.
9) احمد عطية الله، دائرة المعارف الحديثة، مكتبة الانجلوالمصرية، ط2، 1979.
10) أحمد عيّاد، مدخل لمنهجية البحث الاجتماعي، ديوان المطبوعات الجامعية، 2005، الجزائر.
11) أديب خضير، الإعلام والأزمات، ط 1، دمشق، المكتبة الإعلامية، 1999.
12) إسماعيل صبري، نظريات السياسة الدولية، دراسة تحليلية مقارنة، الكويت، ذات السلاسل، 1968، ط 2.
13) اشريف عتليم، محمد ماهر عبد الواحد، موسوعة اتفاقيات القانون الدولي الإنساني، ط1، دار المستقبل، البعثة الأممية بلجنة الدولية للصليب الأحمر، القاهرة، مصر.
14) بخوش حسام، آليات تطبيق القانون الدولي الإنساني على الصعيد الدولي، دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2012.
15) جان بكتيه، المبادئ الأساسية للصليب الأحمر والهلال الأحمر، ط1، اللجنة الدولية للصليب الأحمر، 1975.
16) جرجس فواز، أوباما والشرق الأوسط، نهاية العصر الأمريكي، ط1، لبنان، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 2014.
17) جبيرو بيير، علم الإشارة السيمولوجيا ،ترجمة منذر عياشي، دار طلاس للدراسات الترجمية والنشر، 1988.
18) حسن أبشر الطيب، علم إدارة الكوارث ما يزال في المهد، يومية الدستور، العدد 14931، 10 كانون الأول، 2009.
19) حسن البنا عز الدين، الشفاهية والكتابة، عالم المعرفة، الكويت، 1991.
20) حسناء حسين، قضية اللاجئين في الخطاب الاعلامي الأوروبي، السياقات والأهداف، مركز الجزيرة للدراسات، الاثنين 11 يناير 2016.
21) حسين قادري، النزاعات الدولية، دراسة وتحليل، باتنة، منشورات خير جليس، 2007.
22) حمداني جميل، السيمولوجية بين النظرية والتطبيق، الوراق للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، 2010.
23) حميد بن خليل الشابجي، العمل التطوعي: أهميته، معوقاته، وعوامل نجاحه، مركز أسيار للدارسات والبحوث والإعلام،
24) حنون مبارك، دروس في السيميائيات، المغرب، دار توبقال، 1987.
25) حواش جمال الدين، دور القوات المسلحة في معالجة الأزمات والكوارث، القاهرة، جامعة عين الشمس، أكتوبر، 1996،
26) راغب احمد، وظيفة الصورة في القرآن الكريم، فصلت للدراسات والترجمة والنشر، حلب، ط1، 2001.
27) رهانات الإعلام في عالم متغير، جريدة العلم، نوفمبر 2015.
28) زهير إحدادن، مدخل إلى علوم الإعلام والاتصال، ط 4، ديوان المطبوعات الجامعية، 2007.

29) زهير الهواري، التعريف بمراكز الأبحاث، العربي الجديد، 19 سبتمبر 2017.
30) الزواوي بغورة، مفهوم الخطاب في فلسفة ميشل فوكو، المجلس الأعلى للثقافة، 200، ط1.
31) سامية أبو النصرة، الإعلام والعمليات النفسية في ظل الحروب المعاصرة، القاهرة، دار النشر للجامعات، 2010.
32) سعد الدين إبراهيم، دور المنتظمات غير الحكومية في تطور المجتمع الأهلي، عمان، مطابع الدستور، 2000.
33) سعيد بنكراد، السيميائيات مفاهيمها وتطبيقاتها، الدار البيضاء، منشورات الزمن، 2003.
34) سمير الزغبي، جماليات السينما، مطبعة نقوش،عربية، 2010.
35) سمير دز، المنظمات الدولية الفاعل الجديد في العلاقات الدولية، موسوعة الدراسات السياسية والاستراتيجية، قسم المنظمات الدولية وقضايا التكامل، الجزائر، فبراير، 2015 .
36) سمير محمد حسين، الإعلام والاتصال الجماهيري، القاهرة، عالم الكتاب، 1984.
37) سوزى محمد رشاد، التوظيف السياسي لقضايا حقوق الإنسان والثورات العربية، جامعة القاهرة، مصر، 2013.
38) شريف علتم، محاضرات في القانون الدولي الإنساني، دار المستقبل العربي، القاهرة، ط1، 2001.
39) صبطي عبيدة، بخوش نجيب، مدخل إلى السيميولجيا، دار الخلدونية، الجزائر، 2009.
40) طاهر عبد مسلم، عبقرية الصورة والمكان: التعبير، التأويل والنقد، ط1، دمشق، دار الشروق للنشر والتوزيع، 2002.
41) عامر الزمالي، مدخل إلى القانون الإنساني، المعهد العربي لحقوق الإنسان، تونس، ط1.
42) عامر مصباح، الاقناع الاجتماعي، خلفيته النظرية وآلياته العملية، ديوان المطبوعات الجامعية، ط2، الجزائر، 2006.
43) عباس الضالعي، حقوق الإنسان بين ازدواجية المعايير وفرض الاجندات الاستعمارية (نماذج واقعية)، جريدة قريض، العدد 21، جوان، لندن.
44) عبد الفتاح رياض، المرشد العلمي للمصورين والسينمائيين، القاهرة، مكتبة الأنجلو المصرية، 1997، ط3.
45) عبد اللطيف حمزة، الإعلام، تاريخه ومناهجه، القاهرة، دار الفكر العربي، 01965
46) عبد الله الثاني، سيميائية الصورة (مغامرة سيميائية في أشهر الارسالات البصرية في العالم)، وهران، دار الغرب، 2005.
47) عبد الله الغذامي، الثقافة التلفزيونية: سقوط النخبة وبروز الشعبي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، 2005، ط 2،
48) عبد المحسن عبد الله الجار الله الخرافي، مفهوم وتاريخ العمل الإنساني، الكويت، مركز التطوير والتدريب للإتحاد العالمي للمؤسسات الإنسانية.

49) عبد الوهاب المسيري، وعزيز العظمة، العلمانية تحت المجهر، دار الفكر، دمشق، ط1، 2000.
50) عصام سليماني الموسى، مدخل في الاتصال الجماهيري، إثراء للنشر والتوزيع، ط 6، الأردن، 2009.
51) علي حجازي ابراهيم، الإعلام البديل، دار المعتز للنشر والتوزيع، ط1، مصر، 2017.
52) عماد الدين عطا الله المحمد، التدخل الإنساني في ضوء مبادئ وأحكام القانون الدولي العام، دار النهضة، القاهرة، 2007.
53) عمار بوحوش، محمد محمود الذنيبات، مناهج البحث العلمي وطرق إعداد البحث، ديوان المطبوعات الجامعية، بن عكنون، الجزائر، ط1، 2009.
54) عمر سعد الله، أحمد بن ناصر، قانون المجتمع الدولي، الجزائر، ديوان المطبوعات الجامعية ، ط4، 2017.
55) عميمر نعيمة، دمقرطة منظمة الأمم المتحدة، ط1، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر، بيروت، لبنان، 2007.
56) عواطف عبد الرحمن، الاعلام العربي وقضايا العولمة ، العربي للنشر والتوزيع، دراسات في الاعلام، ، 2003، ط1، القاهرة.
57) فهد عبد الرحمن الشميري، التربية الإعلامية، ط1، مصر، دار اقرأ الدولية، 2011.
58) قدور عبد الله ثاني، سيميائية الصورة، مؤسسة الوراق للنشر والتوزيع، عمان الأردن، الطبعة الأولى، سنة 2007.
59) القط عبد القادر، الاتجاه الوجداني البشري العربي المعاصر، دار النهضة، ط2، 1981.
60) ماجد كيالي، مشروع الشرق الأوسط الكبير...دلالته وإشكالاته...الإمارات العربية المتحدة، مركز الإمارات للدراسات والبحوث الاستراتيجية أبو ظبي، ط1، 2007.
61) مبروك غضبان، التنظيم الدولي والمنظمات الدولية، دارسة تحليلية وتقييمية لتطور التنظيم الدولي، الجزائر، ديوان المطبوعات الجامعية، 1994.
62) محمد أحمد عبد الغفار، فض النزاعات في الفكر والممارسة الغربية، ج1، الجزائر، دار هومة، 2003.
63) محمد الباردي، الخطاب في الدراسة العربية الحديثة، مركز النشر الجماعي، تونس، 2004.
64) محمد بدوي، علم الاجتماع والنظم الاقتصادية، القاهرة، دار المعارف، 1980، ص 390.
65) محمد بن عبد الرحمن الحفيف، كيف تؤثر وسائل الإعلام، دراسة في النظريات والأساليب، المملكة العربية السعودية، مكتبة العبيكان، 1415هـ، ط2، 1998.
66) محمد بن عبد الله الهران، صلاح بن محمد رحال، دور العمل التطوعي في تنمية المجتمع ونموذج مقترح لتفعيله، الرياض، المملكة العربية السعودية، جامعة الملك سعود.
67) محمد بن علي بن محمد الشوكاني، فتح القدير، الجزء الثاني، دار الفكر، بيروت.

68) محمد سالم محمد الأمين، الحجاج في البلاغة المعاصرة، بحث في بلاغة النقد المعاصر، دار الكتاب الجديد، ط1، لبنان، 2008.
69) محمد شومان، تحليل الخطاب الإعلامي، أطر نظرية ونماذج تطبيقية، الدار المصرية اللبنانية، مصر، ط1، 2007.
70) محمد عابد الجابري، الدمقراطية وحقوق الإنسان، سلسلة الثقافة القومية (26)، بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية، ط3، 1994.
71) محمد فلاح الزغبي، الاستعمار الأمريكي الجديد للشرق الأوسط، ملامحه وتداعياته، دمشق، اتحاد الكتاب العرب، 2007.
72) محمد ياس خضير، مستقبل الدور الصيني في النظام الدولي، مركز المستقبل للدراسات الاستراتيجية.
73) محود إبراقن، المدخل إلى سيميولوجيا الاتصال، ط1، بنغازي، ماي 1995.
74) محي الدين عبد الحليم، الإعلام الإسلامي وتطبيقاته العملية، ط2، القاهرة، مكتبة الخانجي، 1984.
75) مصطفى فهمي، الدوافع النفسية، القاهرة، مكتبة الانجلوالمصرية، 1955، ط3.
76) مصطفى نمر، أصول النزر في مقاصد التشريع الإسلامي وبيان علاقة القواعد الفقهية بها، دار النوادر، 2013، ط1.
77) موسى جواد الموسوي، الإعلام الجديد، بغداد، سلسلة مكتبية الإعلام والمجتمع، 2001، ط1.
78) ميجان الرويسلي، سعد البازغي، دليل الناقد الأدبي، الدار البيضاء، المركز الثقافي العربي، 2002.
79) نبيلة بن يوسف، الدعاية السياسة أثناء الحروب، دراسة حالة الدعاية السياسية في حرب العراق، 2003، الجزائر، جامعة تيزي وز
80) نجوى سمك والسيد صدقي عابدين، المنظمات غير الحكومية في ظل العولمة، الخبرتان المصرية واليابانية، مركز الدراسات الأسيوية،القاهرة، 2001.
81) نور الدين بن مختار الخادمي، علم مقاصد الشريعة، مكتبة العبيكان، ط1، 2001.
82) هادي قبيس، السياسة الخارجية الأمريكية بين مدرستين: المحافظية الجديدة والواقعية، بيروت، الدار الغربية للعلوم.
83) يسري مصطفى، المنظمات غير الحكومية، المركز القاهرة لدارسة حقوق الإنسان، القاهرة، 2008، ط2.

- **المؤلفات المترجمة:**

1) آلفن توفلر، حضارة الموجة الثالثة، ترجمة عصام الشيخ قاسم، الدار الجماهيرية للنشر والتوزيع والإعلان، ط1، 1990.
2) إيمون باتلر، آدم سميث، مقدمة موجزة، ترجمة على الحارس، منبر الحرية، القاهرة، 20/4، ط 1.
3) دافيد فيشر، الأخلاقيات والحرب، ترجمة أ.د.عماد عواد، عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، جوان 2014.

4) ديفيد كوتلين، العمل الخيري التطوعي والتنمية، استراتيجيات الجيل الثالث من المنظمات غير الحكومية، ترجمة بدر ناصر الميطري، الأمانة العامة للأوقاف، الكويت، 2001.
5) ريجيس دوبري، vie et mort de l'image 1992، ترجمة فريد الزاهي، إفريقيا الشرق، 2002.
6) فرنسيس فوكوياما، أمريكا على مفترق الطرق، ما بعد المحافظين الجدد، ترجمة محمد محمود توبة، الرياض، العبيكان، .
7) فولف جانج باور، هاربون من الموت، السوريون والطريق إلى أوروبا (ترجمة جمال خليل صبح)، الهيئة العامة السورية للكتاب، القاهرة، 2016.
8) كارل فون كلاوزفيتز ، في الحرب، الولايات المتحدة الأمريكية، جامعة برينستون، 1976.
9) مارتن،ب، رينجهام،ف، معجم مصطلحات السيموطيقا، ترجمة عابد خزندار، القاهرة، المركز القومي للترجمة، 2008.
10) هربرت شيللر Herbert schiller، المتلاعبون بالعقول، ترجمة عبد السلام رضوان، مارس 1999، عالم المعرفة، جانفي 1978.

- **<u>الرسائل والمذكرات:</u>**

1) أسماء مرايسي، إدارة المنظمات الدولية غير الحكومية لقضايا حقوق الانسان، دراسة حالة: منظمة العفو الدولية، مذكرة ماجستير في العلوم السياسية، جامعة الحاج لخضر، باتنة، 2011-2012.
2) إياد خلف عمر الكعود، استراتيجية القوة الناعمة ودورها في تفنيد أهداف السياسة الخارجية الأمريكية في المنطقة العربية، ماجستير في العلوم السياسية، جامعة الشرق الأوسط، عمان، كانون الثاني، 2016.
3) الشريف الشريفي، المنظمات غير الحكومية ودورها في ترقية حقوق الإنسان ، شهادة الماجستير، جامعة أبو بكر بلقايد، تلمسان، كلية الحقوق، قسم الحقوق، 2008-2007.
4) فؤاد جدو، دور المنظمات غير الحكومية في النزاعات الدولية، نموذج منظمة أطباء بلا حدود، مذكرة ماجستير، جامعة محمد خيضر، كلية الحقوق والعلوم السياسية، قسم العلوم السياسية والعلاقات الدولية، 2009-2010.
5) لطفي قواسمي، دور المنظمات غير الحكومية في ترقية المسؤولية الاجتماعية للقطاع الخاص، منظمة أصدقاء الأرض العالية نموذجا، مذكرة ماجستير، جامعة الحاج لخضر، باتنة، كلية الحقوق، قسم العلوم السياسية، 2012-2013.
6) مليكة عياد، دور ومكانة المنظمات غير الحكومية في العلاقات الدولية، رسالة دكتوراه، كلية العلوم السياسية والإعلام، قسم العلوم السياسية والعلاقات الدولية، 2002-2003.

- **المداخلات والمقالات:**

1) بشير غضبان، مناقشة مفهوم المنظمة من خلال وجهات نظر متعددة، المنتدى العربي لإدارة الموارد البشرية.
2) حواش جمال الدين، دور القوات المسلحة في معالجة الأزمات والكوارث، القاهرة، جامعة عين الشمس، أكتوبر، 1996، ورقة عمل في المؤتمر السنوي الأول لإدارة الأزمات والكوارث.
3) عباس مصطفى صادق، مصادر التنظير وبناء المفاهيم حول الإعلام الجديد من فانفر بوش على نيكولاس نيقروبوتي، الإمارات العربية المتحدة، أبحاث منشورة في المؤتمر الدولي: الإعلام الجديد: تكنولوجيا جديدة...لعالم جديد، جامعة البحرين 7-9 أفريل 2009، منشورات جامعة البحرين، 2009.
4) محمد بن صالح القاضي، الأعمال التطوعية في الإسلام، ورقة عمل مقدمة إلى اللقاء السنوي الرابع للجمعيات الخيرية.
5) محمد بن عية الله السلومي، الحرب على الإرهاب وآثارها على العمل الخيري، ورقة علمية في مؤتمر العمل الإنساني الدولي بين الشرق والغرب، الدوحة، 26-27 مارس 2017.
6) مهداوي عبد القادر، تصنيف المنظمات الدولية، محاضرات قانون المنظمات الدولية لكلية الحقوق والعلوم السياسية، جامعة قاصدي مرباح، السنة الجامعية: 2014-2015، ورقلة، الجزائر.

- **المجالات والدوريات:**

1) أيمن الغامدي، الإسلام اليوم، قراءة في واقع العمل الخيري، 2012/06 العدد 82.
2) أيمن الغامدي، الإسلام اليوم، قراءة في واقع العمل الخيري، 2012/06،العدد 82.
3) ببشير ابريل، استثمارات علوم اللغة في تحليل الخطاب الإعلامي، مجلة اللغة العربية، ع 23، المجلس الأعلى للغة العربية، دار الطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر.
4) بشير ابرير، استثمار علوم اللغة في تحليل الخطاب الإعلامي، مجلة اللغة العربية، ع 23، دار الخلدونية للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر.
5) بلقاسم دفة، استراتيجية الخطاب الحجاجي، دراسة تداولية في الإرسالية الاشهارية العربية، مجلة الخب، أبحاث في اللغة والأدب العربي، 2004.
6) بلقاسم دفة، إستراتيجية الخطاب الحجاجي، دراسة تداولية في الإرسالية الاشهارية العربية، مجلة الخب، أبحاث في اللغة والأدب العربي، 2004.

7) بوحنيفة قوي، الاتصال ودمقرطة المسار السياسي، مجلة الاتصال والتنمية، دار النهضة العربية، العدد 03، بيروت، لبنان، 2011.
8) بوحنيفة قوي، الاتصال ودمقرطة المسار السياسي، مجلة الاتصال والتنمية، دار النهضة العربية، العدد 03، بيروت، لبنان، 2011.
9) سعد محمد رحيم، ثقافة الصورة، مجلة الحوار المتمدن، العدد، 2295، 2008، 2008/05/28.
10) سعد محمد رحيم، ثقافة الصورة، مجلة الحوار المتمدن، العدد، 2295، 2008، 2008/05/28.
11) سعيد بنكراد، السيميائيات: النشأة والموضع، الكويت، مجلة عالم الفكر، العدد، المجلد 35، يناير –مارس 2007.
12) سعيد عبد المسيح شحاتة، دور NGOS على الصعيد الدولي، الحاضر والمستقبل، المجلة السياسية الدولية، العدد 119، 1995.
13) سعيد عبد المسيح شحاتة، دور NGOS على الصعيد الدولي، الحاضر والمستقبل، المجلة السياسية الدولية، العدد 119، 1995.
14) طارق حسن، الإعلام وقضايا العمل الإنساني، مجلة الإنساني، العدد 31، 2005.
15) عزي عبد الرحمان، الاعلام والبعد الثقافي، من القيمي إلى المرئي، مجلة التجديد، ماليزيا، السنة 01، العدد 01.
16) محمد سيف، الاعلام وقضايا العمل الإنساني، مجلة الإنساني، العدد 31، 2005 .
17) مسعود مرسي الريفي، أثر العولمة في المواطنة، المجلة العربية للعلوم السياسية، العدد 19-2008.
18) نصير بوعلي، كيف تقرأ الصورة في زمن الأيديولوجيا والعولمة والقمة مقاربة في الترجمة والتأويل السيميولوجي، مجلة الاتصال والتنمية، العدد 1، أكتوبر 2010، دار النهضة العربية.
19) وائل محمد ثابت، مشاكل التدريب الإداري في المؤسسات غير الحكومية في قطاع غزة، فلسطين، مجلة جامعة الأزهر، المجلد 12، العدد 1، 2002.
20) وائل محمد ثابت، مشاكل التدريب الإداري في المؤسسات غير الحكومية في قطاع غزة، فلسطين، مجلة جامعة الأزهر، المجلد 12، العدد 1، 2002.
21) وجدي محمد بركات، استراتيجية التشبيك كمدخل لتفعيل دور الجمعيات رعاية الطفولة لمواجهة العنف ضد الأطفال في عصر العولمة، مجلة الطفولة، ع 09، جانفي 2008.
22) يخلف فايزة، دور الصورة في التوظيف الدلالي للرسالة الإعلانية، دراسة تحليلية سيمولوجية لعينة من الإعلانات، مجلة الثورة الإفريقية، جامع الجزائر، 1996.

- **المواثيق والمنشورات:**

1) التقرير العالمي لحقوق الإنسان.
2) منشورات منظمة الأمم المتحدة الإفريقية OUA
3) ميثاق الأمم المتحدة.

- **مواقع الانترنت**

1) ww.aljazeera.net.
2) www.3rdsecteur.org
3) www.ahmedbensaada.com
4) www.ahmedkhalishalan.blogspot.com
5) www.alaraby-co-uk.cdn.ampprojet.org
6) www.alawamtoday.com
7) www.alcornish.com
8) www.aljazeera.net
9) www.alkheranews.com
10) www.almaany.com
11) www.almaany.com./dr/dict/ar/-3r
12) www.almotha.qaf.com
13) www.almtha9af.com
14) www.alquds.co.uk
15) www.alukah.net
16) www.alwatan.com
17) www.aou.edu.uploads
18) www.aou.edu.uplonds.com
19) www.ar.m.wikipedia.drg/wiki
20) www.ar.qantara.de/content/KTB.2012
21) www.arab.engy.com
22) www.arabaoluteering.org
23) www.arabency.com/ar.com
24) www.arabsja.org/node/29
25) www.arbu.edu.yo
26) www.arim.wikepidia.org
27) www.asbar.com
28) www.babecwad.com
29) www.babelwadi.com
30) www.babu.edu.jo.com
31) www.bbc.com
32) www.bbc.com/arabic/middleeast
33) www.books.google.dz
34) www.cia.gov
35) www.comm.orgpreventivewar.hrms.

36) www.drtahanegn.bloyspot.com
37) www.dtic.nil/octrine/jet/doddict
38) www.elaphonblog.com
39) www.elazayem.com
40) www.elmaaref.org/books
41) www.enjell.com
42) www.ensan.online
43) www.Feed.net
44) www.files.awafi.iugaza.edu.ps
45) www.france24.com
46) www.gihane.com
47) www.google.com/amp/s/m.youm7.com
48) www.google.com/amp/s/tsadali.word.fr
49) www.google.com/amp/s/tsaidali.wordoress.com
50) www.google.dz/amp/s/tsaidali.wordpress.com
51) www.google.dz/amp/s/www.albayan.ae
52) www.hajtaib.over.blog.com
53) www.hdrmut.net
54) www.hebaalshafi.blogospot.com
55) www.iasj.net
56) www.icrc.org/ar/war-and-law
57) www.iefpedia.com
58) www.ifrc.org.
59) www.ingo.accounteability/charter.org
60) www.islamcyria.com
61) www.kitabat.com
62) www.kitabat.info.subject.php
63) www.lahaonline.com
64) www.lebanese.forves.com
65) www.libiral.org/VB/Arachné
66) www.m.ahnar.org
67) www.maaber.org
68) www.maamri-ilm2010.y007.com
69) www.mashiri.net
70) www.maspolitique.com
71) www.mawd003.com
72) www.mawdoo.com
73) www.metamedias.blogspot.com .
74) www.msf-me.org
75) www.muhammad.pbuh.com
76) www.ostadabayoucef.blogspet.com
77) www.qenshrin.com
78) www.qoraich.com

79) www.rawabetcenter.com
80) www.saaid.net
81) www.saaid.net/awshatah/dole
82) www.saidbengrad.com
83) www.sasapost7.com
84) www.sife.iugazaedu.ps
85) www.siion.org
86) www.sironlive.org
87) www.sntsyria.org
88) www.spttereprohect.org
89) www.startimes.com
90) www.swa3edmaser.blogspot.com
91) www.swissinfo.ch/area2003.com
92) www.teweinza-school.org
93) www.ultrasant.com ،
94) www.uobabylon.edu.iq
95) www.view.article.erepository.cu.edu.eg.
96) www.wikipedia.org
97) www.wpvschool.com/forums.showtheard
98) htpp://alaraby.co.uk
99) htpp://ar.wikipedia.org
100) htpp://books.google.de.books
101) htpp://www.aljazeera.net
102) htpp://www.sasapos7.com
103) http ://ar.m.wikepidia.org
104) http :www.islamonline.net/arabic/index.shtml
105) http// :arm.wikipedia.org
106) http///KASSOUN.COM
107) http///newspapaer.annahar.com
108) http//www.almaany.com
109) http//www.hdd.discussion.com
110) http:///www.qrcs.org
111) http://almasryalyoum.com
112) http://alrai.com
113) http://ar.wikipedia.org
114) http://arwikipedia.org
115) http://books.google.dz
116) http://books.google.dz
117) http://books.google.dz.books
118) http://digital.ahram.org/article.aspx
119) http://ec.europa.eu/eurostat/statistics
120) http://eipss.eg.org
121) http://mawdoo3.com

122) http://minbar.hurriyya.org
123) http://obeservers.france24.com
124) http://printfirndly.com
125) http://revues.univ-ouargla.dz
126) http://studies.eljazeeranet/ar/eventy
127) http://turkmemenistant/ar.wordpress.com
128) http://www.al.maany.com
129) http://www.aljareera.net/knomledje.net.
130) http://www.aljazear.net/encyclopedia/military/2016/2017
131) http://www.arab-training.com
132) http://www.bahrainmonitor.com/mojtamaa/m-04401html
133) http://www.djazairia.com.
134) http://www.drabdo.nireblog.com
135) http://www.marufalurningterms.com
136) http://www.mohamah.net
137) http://www.montaad.com
138) http://www.unhcr.org.
139) http://zainopedia.blogdpot.com
140) http:/shar.es/1dqu9d.via@algarabic
141) https :books.google.dz
142) https:// uqu.edu.sa.files2/tivy.com
143) https://am.de.com
144) https://arim.wikipedia.org
145) https://arm.wikipedia.org.wiki
146) https://fr-unesco.org>news>migrations
147) https://likecenter.com
148) https://marefa.org
149) https://mawdoo3.com
150) Https://www.dohainstitulé.prg
151) https://www.policemc.gov.bh

ثانيا: قائمة المراجع باللغة الأجنبية

1) Anttoire Gazono, les relations internationales, Paris, Gualion, 2001.
2) Bacot Guillame, la doctrine de la guerre juste, economica, paris, 1989, P08.
3) Branman Rony, Guerres et humanitaires, mensonges et INTOX, www.editionstextuel.com 28/02/2018.
4) Bruce.B.Ritton, the learning NGO uk,interac, July, 1988.
5) Darios Battis Tella, Théorie de relations internationales, 2eme édition, Paris, les presses sciences po, 2006, P495.
6) David Levis, The Management of Non-Gouvermmental Developement Organization, London Routledje, 2001.

7) David Scott, la sémiotique du timbre :communication et langage, N° 120, 4eme trimestre, Paris, 1999.
8) DW ‹http://amp.dw.com
9) Ernest, Marie M'bonda, action humanitaire en Afrique : lieux et enjeux, Edition des archives contemporaines, Paris, 2008.
10) Eurostat (2016), aqylum seekers in the EU and EFTA member states (2014-2015)
11) George Peninou, Intelligence de la publicité, édition, Robert laffont, Paris, 1978.
12) Haggen macher Peter, Grotius et la doctrine de la guerre juste, PUF, Paris, 1983.
13) Hiebert, Ray, Eldon (1991) , Public relations as a werpon of modern war, public relations revieu , 17(2).
14) INA, Documentation, la guerre de Riafra, 1968.
15) J.Lebas.Veber.G.Brucker, médecine humanitaire, Rammaroncolc medecine sciences, Paris, 1994.
16) J.Muller « Presidential Popularity From Trumm to Johnson », American Policial Science, Review 64 May 1970.
17) Jacques Siclier, un peuple en train de nourrir, le monde, 15/08/1968.
18) Jakob Lafish When « NEOS » Attack : inplication of the coup in georgia-counter punch 6/7/ décembre 2003.
19) JAMES Robonson, Elective Affinities in Latin America TNA and the state,2006, Ecnologiceo Autonoms de Mexico, 2006.
20) James Steirnberg, Prentive force in U.S National securitystratrgy, snrvival, 47, winter 2005-2006.
21) [1]Jean Luis Clergerie, la crise de Biafra, limoges, Puf, 1994.
22) Joint chiefs of stoffsepartement of defense dectionary of military and associated ternus, washinston, DC, 2004.
23) Joly.M, introduction a l'analyse d'image, paris, Nathan université, 1994.
24) Jonathan Rensho : The psychologicalougins of preventive war, www.people.fas.harvard.edu.com
25) Josépha laroche, Politique Internationale, paris, librairie, générale de droit et de juridiprudence, Eja, 2eme, ed. 2000.
26) Judith Lazar, Sociologie de la communication de masse, édition A. Colin. Paris. 1991.
27) Julai Kristiva, Recherches pour une sémiologie, édition Semil, Paris. 1969.
28) Kari Anden, Papadopdulos, us soliders imaging the iraqi war on youtube, stockholm university popular communication, 7, 2009.
29) L.Sylvie Brunel, Ona et mondialisation, Paris, cahiers François la documentation françaises, N305.

30) Laurent gerverau, voir : comprendre analyser les images, Paris, édition découverte, 1994.
31) Meyrowitz.J, no sens of palce, the inpact of electronic media on social behavion (oxford university press newyork oxford, 1985.
32) Michael Yaziji and Jonathan doh, NGO and corporation: conflict and collaboration, new York, Cambridge university press, 2009.
33) Michel Mercier, comite international de la Croix-Rouge, le savoir, suisse, Paris, 1996.
34) Migration et Refugies : les medias font ils bien leurs travail, UNESCO
35) Morton Winston :NGO strategies gor promation corporate social Responsability international Affaires, 16 N°02 .
36) Nicholas Negro ponte Being Digital, Publisher vintage, USA,1996,P37.
37) Nicolas Politis, les conditions juridiques des associations internationales, Paris, 1993.
38) Nicolas Politis, les conditions juridiques des associations internationales, Paris, 1993.
39) Noam Chomasky, le profit avant l'homme, traduit par Jacques Maas, Paris, Fayard, 2003.
40) P.Michelette, Humanitaire : s'adapter ou renoncer, hachette livre, Marabout, 2008.
41) Patricia Alliot :Media et Humanitaires, les liaisons dangereuses, institut universitaires de technologie, octobre 22-2000.
42) Philippe Mesnard : la victime ecran-ed textuel, Paris, 2002.
43) Pierre desenarciens, l'humanitaire en catastrophe, presses de sciences politiques, 1999.
44) Pierre Hassner et Justin Vaisse, Washington et le monde dilemmes d'une superpuissance, Paris, autremcut, 2002.
45) Rip Sertillanges, la philosophie morale de Saint thomas d'Aquin, Edition montagne, Paris, 1946, P290.
46) Rony Brauman, Humanitaire, le dilemme, Paris, Textuel, 2002.
47) Ryfmant, La Question Humanitaire et Ellipses, 1999.
48) Sara michel, the role of NGOS in humansecurity ,U.K Harvard university, 2002.
49) SERGE Paujan et FENNZ Schultheies, introduction in Georg Simmel, les pauvres, 2004.
50) Stephanie.dupont.free.fr/humanitaire.htm, les six étapes fondatrices de l'humanitaire moderne
51) Steve Charmavitez, non gouvernementale Organisation and international law the American journal of international law, vol, 100, 2006.
52) Steve Jones, Encyclopedia of media :and essential reference to communication and technology sage publication.
53) The Arab Image in the U.S. Press (peter lang, New York, 1984).

54) Yves Beigbeder, les rôles internationaux des organisations non gouvernementales, paris, Lgdi, 1992.
55) Zsuzsa Anna Fevenczy :les ONG humanitaires leur Financement et les Medias : Centre international de formation européenne, Nice,Juin 2005.

فهرس الموضوعات

فهرس الموضوعات

كلمة شكر
الإهداء
المقدمة..... 01

الفصل المنهجي

أولا: إشكالية الدراسة 05
ثانيا: فرضيات الدراسة 06
ثالثا: أهمية الدراسة 06
رابعا: أهداف الدراسة 08
خامسا: أسباب اختيار الموضوع 09
سادسا: الدراسات السابقة 09
سابعا: مفاهيم الدراسة 13
ثامنا: منهجية الدراسة 35
تاسعا: تبرير الخطة 36

الفصل الأول: العمل الإنساني : المنطلقات المفاهيمية والفكرية

تمهيـد 40
المبحث الأول: الأعمال الإنسانية: المعاني والدلالات 43
تمهيد 43
العمل الإنساني 45
1) العمل الخيري 47
دوافع العمل الخيري (الإنساني) في الإسلام: الدوافع والمقاصد 51
الدوافع 51
المقاصد 52
العمل الخيري (الإنساني) وعلاقته بمقاصد الشرع 53
علاقة العمل الإنساني بمقاصد المكلف 53
تطور العمل الخيري الإسلامي 54
2) العمل الاغاثي: الأشكال والاهداف 56
3) العمل التطوعي 57
أهمية العمل التطوعي 58
أهداف العمل التطوعي 58
بين العمل الإنساني والعمل التطوعي 59
المطلب الثاني: العمل الإنساني: الأسس والمنطلقات 60
العمل الإنساني: الأسس الفلسفية والدينية 61
أ- العمل الإنساني في الديانة اليهودية 61
ب-العمل الإنساني في الديانة المسيحية 61
ج- العمل الإنساني في الإسلام 62

1) الأسس الفلسفية 62
2) الأسس التاريخية للعمل الإنساني 66
الفرع الثاني: الأسس الأنثروبولوجية والسيكولوجية للعمل الإنساني 67
المبحث الثاني: مبادئ العمل الإنساني 69
المطلب الأول: مبدأ الإنسانية 69
المطلب الثاني: مبدأ الاستقلال 71
المطلب الثالث: مبدأ عدم التحيز 71
المطلب الرابع: مبدأ الحياد 72
المبحث الثالث: التطور التاريخي للعمل الإنساني 75
تمهيد 75
المطلب الأول: مراحل تطور العمل الإنساني 76
المرحلة الأولى: تأثير الوازع الديني 76
المرحلة الثانية: الطابع الفلسفي للعمل الإنساني 78
المرحلة الثالثة: الطابع الإنساني 79
المطلب الثاني: عوامل تطور العمل الإنساني 84
1) التوسع ودخول عالم السياسة 85
2) الاختلاف في الاستجابة 86
3) التوسع والتحول المؤسسي 86

الفصل الثاني: مسألة التنظيم والمنظمات الدولية غير الحكومية (ONG)

تمهيد 89
المبحث الأول: المنظمات الدولية غير الحكومية: النطاق المفاهيمي 90
الفرع الأول: المنظمات الدولية غير الحكومية: التعريف والمفهوم 90
النظم الدولية 90
التنظيم الدولي 91
تعريف المنظمة 92
أولا: المدرسة التقليدية 93
ثانيا: مدرسة العلاقات الإنسانية 93
ثالثا: مدرسة النظم الحديثة 93
الفرع الثاني: نشأة المنظمات غير الحكومية 94
التعريف الفقهي 96
التعريف القانوني 97
المفهوم الرسمي 97
المطلب الثاني: تصنيف المنظمات الدولية غير الحكومية 98
الفرع الأول: خصائص المنظمات الدولية غير الحكومية 100
الفرع الثاني: أنواع المنظمات الدولية غير الحكومية 101
المبحث الثاني: المنظمات غير الحكومية: التطور والانتشار 104

المطلب الأول: مراحل تطور المنظمات غير الحكومية 105
التطورات التكنولوجية 105
نمو الاقتصاد العالمي 105
العوامل الاجتماعية 105
تأثيرات السياسة الخارجية 105
التأثيرات السياسية الداخلية 105
المطلب الثاني: عوامل الانتشار 106
1- العوامل الداخلية 107
2- العوامل الخارجية 107
المبحث الثالث: المنظمات الدولية غير الحكومية، الاستراتيجيات والآليات 109
المطلب الأول: استراتيجيات التدخل 109
الفرع الأول: إستراتيجية التدخل على أساس مبدأ التعاون 110
الفرع الثاني: إستراتيجية التدخل على أساس التعليم 113
الفرع الثالث: إستراتيجية التدخل على أساس الإقناع 114
المطلب الثاني: آليات التدخل 114
الفرع الأول: لجان تقصي الحقائق 114
الفرع الثاني: تعزيز الرأي العام 116
الفرع الثالث: صياغة المواثيق والمعاهدات 117

الفصل الثالث: المسألة الإنسانية في الاتصال الحديث: رهانات الواقع الجديد

تمهيد 120
المبحث الأول: الإعلام والعمل الإنساني: أصل البداية 121
1- حرب القرم 121
2- معركة سولفيرنو "SOLFERING"..... 123
3- حرب بيافرا 125
المطلب الأول: رهانات التقارب 128
المطلب الثاني: إعلام الأزمات: المفهوم، النشأة والتطور 130
الفرع الأول: إعلام الأزمات 130
1) مفهوم الإعلام 131
2) وظائف الإعلام 132
3) أهمية الإعلام ودوره في إدارة الأزمة 134
البعد الإعلامي في إدارة الأزمات 134
الفرع الثاني: مفهوم إدارة الأزمات 135
الفرع الثالث: ظهور وتطور علم إدارة الأزمات 139
الفرع الرابع: أهمية البعد الإنساني في إدارة الأزمات الدولية 142
الفرع الخامس: المعالجة الإعلامية للازمات الدولية 145
1) التغطية الإعلامية المثيرة 145

2) المعالجة المتكاملة 145
المبحث الثاني: إستراتيجية الاندماج في العمل الإنساني والعمل الإعلامي 150
تمهيد 150
المطلب الأول: سلطة الصورة 151
- المرحلة الأولى 152
- المرحلة الثانية 152
- المرحلة الثالثة 152

الصورة: القواعد التاريخية والفلسفية 154
أبعاد الصورة 158
الثقافة البصرية 159
الاتصال البشري 160
أنواع الصورة 161
1) الصورة التشكيلية 161
2) الصورة الايقونية 162
3) الصورة الفوتوغرافية 162
4) الصورة الاشهارية 162
5) الصورة الكاريكاتورية 163
6) الصورة المسرحية 163
7) الصورة السينمائية 164
المطلب الثاني: جدلية التأثير في الأزمة الإنسانية 164
المبحث الثالث: الإعلام والعمل الإنساني: منطق التحول 167
المطلب الأول: رهانات الواقع الجديد 169
المطلب الثاني: تداعيات التحول 171

الفصل الرابع : العمل الإنساني وإشكالية التدخل

تمهيد 174
المبحث الأول: القانون الدولي والتدخل الإنساني 175
المطلب الأول: القانون الدولي الإنساني: المفهوم والنشأة 176
الفرع الأول: ماهية القانون الدولي الإنساني 176
الفرع الثاني: نشأة القانون الدولي الإنساني 177
المطلب الثاني: التدخل الإنساني: الأسس والمنطلقات 179
الفرع الأول: الأسس النظرية لفكرة التدخل 179
الفرع الثاني: تطور فكرة التدخل الإنساني 182
المبحث الثاني: التوظيف السياسي للقضايا الإنسانية في الأزمات والكوارث 185
المطلب الأول: آلية التوظيف السياسي للقضايا الإنسانية 186
أ) التدخل الإنساني المباشر وفق مبدأ الإنسانية 187
ب)التدخل الإنساني وفق مبدأ عالمية حقوق الإنسان 188

الفرع الأول: الآليات القمعية: التدخل الإنساني المباشر- حروب الخليج نموذجا- 189
أولا: مفهوم الحرب 189
ثانيا: أنواع الحروب 192
- الحرب القذرة 192
- الحرب العادلة 192
- الحرب الاستباقية 194
ثالثا: حروب الخليج: السياق العام 198
رابعا: حروب الخليج 200
خامسا: حرب الخليج الثالثة: 02 أوت 1990-28 فبراير 1991 201
أ) كرونولجيا الحرب 202
ب)تداعيات الحرب 204
سادسا: حرب الخليج الثالثة 206
الفرع الثاني: الآليات السلمية 212
أولا: الإعلام 212
ثانيا: المنظمات الدولية غير الحكومية 214
ثالثا: مراكز البحث الدولية 215
رابعا: التمويل الخارجي 216
خامسا: التكنولوجيا الحديثة (الانترنت) 217
المطلب الثاني: الإعلام الدولي وإدارة الأزمات حروب الخليج نموذجا 217
تمهيد 217
الفرع الأول: إخضاع الإعلام للرقابة 220
أولا: التعامل بانتقائية مع البعثات الإعلامية المكلفة بتغطية الحرب 220
ثانيا: تقييد التغطية الإعلامية للأزمة 220
ثالثا: التحكم في التغطية الإعلامية للحرب 220
الفرع الثاني: التركيز على الطابع التكنولوجي على حساب الجوانب الإنسانية 223
الفرع الثالث: سمات الخطاب الإعلامي قبل الحرب 224
الفرع الرابع: سمات الخطاب الإعلامي الأمريكي أثناء الحرب 226
أولا: اعتماد استراتيجية التمشهد 227
ثانيا: تغييب المسائل الإنسانية 228
المطلب الثالث: الربيع العربي في الخطاب الإعلامي الحديث 233
تمهيد 233
الفرع الأول: خصائص الخطاب الإعلامي أثناء أحداث "الربيع العربي" 235
أولا: اعتماد أسلوب الانتقائية في التعامل مع الأحداث 236
ثانيا: اعتماد أسلوب التحيز في التعامل مع الأحداث 236
ثالثا: اعتماد أسلوب التنميط والتوظيف السلبي للصور 237
الفرع الثاني: شبهة التمويل السياسي 247
الفرع الثالث: العمل الإنساني ومأزق التسييس 249

المطلب الرابع: مسألة اللاجئين في الخطاب الإعلامي الدولي 255
تمهيد 255
الفرع الأول: خصائص الخطاب الإعلامي الغربي حول مسألة اللاجئين 258
الفرع الثاني: التوظيف السياسي لقضية اللاجئين 260
خلاصة الفصل 270
الفصل الخامس: الخطاب الإعلامي البصري مقاربة سيميائية
تمهيد 273
المبحث الأول: السيمولوجيا : المفهوم والتطور 274
السيمولوجيا 274
المطلب الأول: السيموطيقا كأداة التحليل 278
المطلب الثاني: سيميوطيقية الصورة وإنتاج المعنى 281
المبحث الثاني: خطوات تحليل الصورة 284
المطلب الأول: المستوى التقريري 285
أولا: الرسالة التشكيلية 288
ثانيا: العلامات البصرية الأيقونية 289
ثالثا: الرسالة اللسانية 290
المطلب الثاني: المستوى التضميني 290
المبحث الثالث: التحليل السيميائي للرسائل البصرية الإعلامية موضوع الدراسة..... 293
المطلب الأول: المدونة البصرية المرتبطة بحروب الخليج 293
عنوان الرسالة: طريق الموت (The High Way of Death) 293
المستوى التعييني 310
أولا: الرسالة الشكلية 310
ثانيا: العلامات البصرية الأيقونية 313
ثالثا: الرسالة اللسانية 315
المستوى التضميني للرسالة البصرية 316
عنوان الرسالة: الطفل السوري ايلان الكردي 319
المدونة البصرية 320
المستوى التضميني 323
الرسالة التشكيلية 323
العلامات البصرية الأيقونية 330
المستوى التضميني 332
خاتمة الفصل 332
خاتمة عامة 337
اقتراحات وتوصيات..... 340
قائمة المصادر والمراجع..... 343
فهرس الموضوعات 359

الملخص

في ظل استفحال الظواهر الأمنية واتساع رقعة الصراع الدولي، تتعاظم أهمية "العمل الإنساني" في التكفل بالحالات الإنسانية المعقدة التي تفرزها بيئة الصراع.

وبقدر ما يعترف للإعلام الحديث بفضله في تطور العمل الانساني اللافت بإخراجه من فضاء الأزمة المحدود إلى أضواء العالمية، بقدر ما تثير علاقة النشاطين (الاعلامي والانساني) جدلا فلسفيا وأخلاقيا واسعا، بحيث تتلقى جهود الباحثين عند محاولة فهم طبيعة هذه العلاقة عما إذا كانت علاقة تكامل وتعاون أم تنافس وتبعية.

على ضوء هذه التساؤلات التي يفرزها الواقع الجديد "للمسألة الإنسانية" وبرغبة في فهم وتفكيك بنية المعنى التي يعتمد عليها المشروع الاتصالي في تعامله مع القضايا الانسانية المختلفة، ودور الفعل الإنساني في الارتقاء بالفعل الاتصالي لكي يثبت هويته الجديدة، تحاول هذه الدراسة مساءلة هذه العلاقة على ضوء التجاذبات التي يفرضها منطق الصراع بما يتيح التوصل إلى فهم مقاصد الخطاب الاتصالي الحديث وحصر العناصر المؤثرة في مضامينه.

Abstract

Given the predominance of security phenomena and the widening of international crisis area, the role of humanitarian work increasing in importance, by taking care of complex humanitarian issues. The important role of modern media in the field of humanitarian works is she ding light an it. This relationship between these two kinds of work is causing philosophical and moral de bates.

Researchers are asking them selves about the nature of these relationships. Whether it s a relationships of complementary and cooperation or one of competition and dependency.

Realities as far as humanitarian issues are concerned, that one should understand and disentangle its meanings on which the communication project is based. In its relation with human issues. What it is the role of humanitarian action in the promotion of the communication action so as to prove its new identity.

This research work tries to find out whether this relationship in the light of the interactions. That the conflicts logic imposes. So as to grasp the objectives of the modern communication discourse and the delimitation of the international elements in its contents.

الملخص

في ظل استفحال الظواهر الأمنية واتساع رقعة الصراع الدولي، تتعاظم أهمية "العمل الإنساني" في التكفل بالحالات الإنسانية المعقدة التي تفرزها بيئة الصراع. وبقدر ما يعترف للإعلام الحديث بفضله في تطور العمل الانساني اللافت بإخراجه من فضاء الأزمة المحدود إلى أضواء العالمية، بقدر ما تثير علاقة النشاطين (الاعلامي والانساني) جدلا فلسفيا وأخلاقيا واسعا، بحيث تتلقى جهود الباحثين عند محاولة فهم طبيعة هذه العلاقة عما إذا كانت علاقة تكامل وتعاون أم تنافس وتبعية. على ضوء هذه التساؤلات التي يفرزها الواقع الجديد "للمسألة الإنسانية" وبرغبة في فهم وتفكيك بنية المعنى التي يعتمد عليها المشروع الاتصالي في تعامله مع القضايا الانسانية المختلفة، ودور الفعل الإنساني في الارتقاء بالفعل الاتصالي لكي يثبت هويته الجديدة، تحاول هذه الدراسة مساءلة هذه العلاقة على ضوء التجاذبات التي يفرضها منطق الصراع بما يتيح التوصل إلى فهم مقاصد الخطاب الاتصالي الحديث وحصر العناصر المؤثرة في مضامينه.

الكلمات المفتاحية:

العمل الانساني؛ الاتصال الحديث؛ الخطاب الإعلامي؛ المنظمات غير الحكومية؛ الخطاب الإعلامي البصري؛ لغة الصورة؛ المنظمات الإنسانية؛ التحليل السيميائي؛ الفعل الإتصالي؛ الفعل الإنساني.

نوقشت يوم 10 فبراير 2020